JASRNB

الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية
علمية محكمة

ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

JASRNB

Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي
Democratic Arabic Center

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد السادس/ العدد الثلاثون

آدار– مارس 2025.

تنسيق: د. حجوبي سكينة

الترميز الدولي:

ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

التصنيف حسب AIMGSJ

B+

المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375
030- 91499898
030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير:

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب

نائب رئيس التحرير التنفيذي

د. ادريس الدعيفي: تخصص علم الاجتماع، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زنواكي – جامعة ابن طفيل القنيطرة – المغرب.
- د. محمد أبحير– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. جمال الدين ناسك – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكدال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د.ليلى حنانة – جامعة محمد الخامس الرباط– المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ **اللغة العربية:**

- ليلى حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.
- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسيولوجيا.
- د. خالد العلوي، باحث في الجغرافيا.
- أنور بنيعيش: عضو هيأة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان – المغرب.

- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة – المغرب.
- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية–جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)
- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء–سطات المغرب.
- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الفرنسية:**

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الإنجليزية:**

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).
- ذ.هشام معدان المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

رئيس اللجنة العلمية:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

اللجنة العلمية:

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية–المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية – جامعة معسكر – الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية– جامعة الجزائر 3.
- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم – الجزائر.
- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط –المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب

- د. سعيد كمتي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب
- د. بلبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة –الجزائر.
- د. رحماني ليلى: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية– المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تالحوت، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوعروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتورة علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- د. بن عمـــارة محمـد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت – الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفه العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضي، كلية الحقوق – جامعة الموصل، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا–العراق.
- د.خاليد الحاضري كلية الاداب والعلوم الانسانية مراكش
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي –الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بهجة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أمحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس –باجي مختار–الرويبة –نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات–الناظور–جامعة محمد الأول المغرب.
- د. بوذريع صاليحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر.
- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.

- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لحرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- د. خليدة محمد بلكبير أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء
- د. عبدالحكيم خريصي باحث في علم الاجتماع جامعة القاضي عياض مراكش

شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسّق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:
africa@democraticac.de
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:

ISSN 2569-734X

10. لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
14. لغات المجلّة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.
15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

–يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

–الملخص التنفيذي باللغة العربية– الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

–تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

– أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

– تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

–ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ– إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب– إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج– إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د– إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

–نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو **Sakkal Majalla**

–حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

–حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 12عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

–نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية **Times New Roman** ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

–يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل،

قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل"

الفهـــرس

ر.ت	مؤلف/مؤلفو المقال Author(s)	عنوان المقال Title	الصفحات Page Range
01	سكينة حجوبي	افتتاحية العدد الثلاثون	11-10
		المقالات باللغة العربية	
02	محمد الخادري	المجتمع المدني في المغرب وإمكانية إنتاج هيئات استشارية، هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع أنموذجا	12-27
03	نورالدين أمعيط	الإجازات العلمية ودورها في تعزيز التواصل العلمي بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث	27-40
04	عبدالسلام سالم مسعود البوسيفي	تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد الأفريقي والدولي	41-58
05	أ.أحمد النور حامد أحمد	أثر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في السودان دراسة تحليلية (1990-2015)	59-82
06	إسماعيل الراجي	الأولياء في الرواية الشفوية بالمجتمع القروي المغربي "نموذجا "سيدي موسى" بدوار أولاد لحمر -منطقة "الغرب	83-100
07	عبدالسلام الصالحي	الآفاق المستقبلية للطاقات الخضراء بالمغرب ومكانتها ضمن رؤية النموذج التنموي الجديد	101-111
08	حكيمة لعلا، العياشي الدغمي	الهوية الدينية للشباب المغربي وموقفهم من المختلف دينيا على الفايسبوك	112-140
09	معتصم بوبكر	الأسرة بالمجال القروي المغربي بين التنمية المحلية والتغير الاجتماعي دراسة في حالة الأسرة بمنطقة ايت بعمران جنوب المغرب	141-149
10	ياسين الشاوي، مصطفى وادريم	تدهور التربة بالمغرب التحديات والافاق	150-164
11	ابتسام محمد عبدالباقي عبدالله، صلاح محمد ابراهيم أحمد	دراسة تحليلية لمعرفة أسباب ارتفاع سعر الصرف في الاقتصاد السوداني خلال الفترة (2023-2024)	165-186
12	طـارق أبو الهـدى	القضاء على دور الصفيح بين المكتسبات والإكراهات حالة المقاطعة الجماعية سيدي مومن –الدار البيضاء -	187-201
13	عمر لكحل	قضية اللجوء في العالم: مقاربة في الإطار المفاهيمي والقانوني	202-221
14	علي الديحاني، عبدالاله الرحالي الزاوي	أنثروبولوجيا المقدس في إقليم العيون، دراسة الأضرحة، والمقابر، والمساجد، والزوايا.	222-239
15	رشيدة نافع، الزهرة زيكة	التقييم النوعي للتعرية المائية بغابة واد الدالية	240-255
16	فاطمة الزهراء الخلوقي، هدى قصطال، ابراهيم حمداوي	زواج القاصر في الوسط القروي المغربي: إرادة المجتمع وإكراه القانون "إقليم الرحامنة نموذجا"	256- 272
17	حسن بولخبار	النقل والتنقل من المغرب إلى الحجاز خلال القرن 17م: العوائق والوسائل.	273-291
		المقالات باللغات الأجنبية	
18	Achraf El Yahyaoui	Du traitement médiatique des femmes migrantes au Maroc : La Stratégie Nationale d'Immigration et d'Asile comme point charnière	292-307

افتتاحية العدد

تواجه القارة الأفريقية تحديات كبيرة في تحقيق الأمن الغذائي، وهو ما يؤثر على حياة الملايين من سكانها ويعيق جهود التنمية المستدامة. رغم امتلاك القارة مساحات واسعة من الأراضي الخصبة وموارد طبيعية هائلة، إلا أن العديد من العوامل تؤثر على قدرتها على توفير الغذاء بشكل كافٍ ومستدام لسكانها. ويرتبط الأمن الغذائي في أفريقيا بعدة عوامل، منها الإنتاج الزراعي، والبنية التحتية، والسياسات الاقتصادية، والتغيرات المناخية، والنزاعات المسلحة، وكلها عوامل تؤثر على إمكانية تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء.

يُعد تغير المناخ أحد أكبر التحديات التي تواجه الأمن الغذائي في القارة، حيث تؤثر الظواهر المناخية المتطرفة، مثل موجات الجفاف الطويلة والفيضانات والتصحر، على إنتاج المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية. فالعديد من المناطق التي كانت تُعتبر في الماضي غنية بالموارد الزراعية تعاني اليوم من انخفاض في إنتاجية الأراضي بسبب قلة الأمطار وارتفاع درجات الحرارة. كما أن التغيرات المناخية تؤدي إلى تفشي الآفات الزراعية والأمراض التي تضر بالمحاصيل وتؤثر على الإنتاج الغذائي بشكل مباشر.

إلى جانب العوامل البيئية، تلعب النزاعات المسلحة وعدم الاستقرار السياسي دورًا رئيسيًا في تدهور الأمن الغذائي. فالصراعات التي تشهدها بعض الدول الأفريقية تؤدي إلى نزوح السكان من مناطقهم، وتدمير الأراضي الزراعية، وتعطيل الأنشطة الاقتصادية، مما يؤدي إلى نقص حاد في الغذاء وارتفاع أسعاره بشكل كبير. كما أن النزاعات تؤدي إلى صعوبة وصول المساعدات الغذائية إلى المناطق المتضررة، مما يزيد من معاناة السكان.

البنية التحتية الضعيفة تمثل عقبة أخرى أمام تحقيق الأمن الغذائي في أفريقيا، حيث تعاني العديد من الدول من نقص في شبكات النقل والمواصلات، مما يجعل من الصعب نقل المنتجات الزراعية من مناطق الإنتاج إلى الأسواق المحلية والدولية. كما أن نقص وسائل التخزين والتبريد يؤدي إلى تلف كميات كبيرة من المحاصيل قبل وصولها إلى المستهلكين، مما يزيد من حجم الفاقد الغذائي. بالإضافة إلى ذلك، فإن قلة الاعتماد على التقنيات الزراعية الحديثة، مثل أنظمة الري المتطورة والبذور المحسنة، تؤدي إلى انخفاض الإنتاجية مقارنة بالمناطق الأخرى في العالم.

من الناحية الاقتصادية، فإن ضعف الاستثمارات في القطاع الزراعي يمثل تحديًا رئيسيًا، حيث تفتقر العديد من الدول الأفريقية إلى التمويل الكافي لدعم المشاريع الزراعية وتطوير البحث العلمي في هذا المجال. وتعتمد نسبة كبيرة من المزارعين في القارة على وسائل تقليدية في الزراعة، مما يجعلهم عرضة لتقلبات الطقس وضعف الإنتاجية. كما أن بعض الدول تعتمد بشكل كبير على استيراد الغذاء، مما يجعلها أكثر عرضة لتقلبات الأسعار العالمية ويزيد من هشاشتها الاقتصادية.

ورغم هذه التحديات، فإن هناك العديد من الفرص التي يمكن استغلالها لتعزيز الأمن الغذائي في القارة. يمكن للدول الأفريقية الاستثمار في التكنولوجيا الزراعية الحديثة، مثل الزراعة الذكية التي تعتمد على أنظمة الري بالتنقيط واستخدام الطائرات المسيرة لمراقبة المحاصيل، مما يمكن أن يزيد من الإنتاجية الزراعية. كما أن تعزيز برامج التدريب والدعم لصغار المزارعين يمكن أن يسهم في تحسين مهاراتهم وقدرتهم على استخدام أساليب زراعية أكثر كفاءة.

التعاون الإقليمي بين الدول الأفريقية يمكن أن يلعب دورًا مهمًا في تحسين الأمن الغذائي، من خلال تبادل المعرفة والخبرات الزراعية، وإنشاء أسواق إقليمية للمنتجات الزراعية، وتطوير سياسات مشتركة لتعزيز الإنتاج المحلي. كما أن تشجيع الاستثمارات الأجنبية في القطاع الزراعي يمكن أن يساعد في توفير التمويل اللازم لتطوير البنية التحتية وتحسين جودة الإنتاج الغذائي.

بالإضافة إلى ذلك، فإن تعزيز السياسات الحكومية التي تدعم الزراعة المستدامة وتشجع الإنتاج المحلي يمكن أن يساعد في تقليل الاعتماد على الاستيراد وتحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي. ويمكن للحكومات العمل على وضع سياسات تحفز المزارعين على استخدام طرق زراعية أكثر استدامة، مثل الزراعة العضوية وإعادة تدوير المياه، مما يمكن أن يسهم في تحقيق استقرار غذائي على المدى الطويل.

تحقيق الأمن الغذائي في أفريقيا يتطلب جهودًا متكاملة تشمل تحسين البنية التحتية الزراعية، والاستثمار في التكنولوجيا، وتعزيز الاستقرار السياسي، ووضع سياسات اقتصادية تدعم الإنتاج الزراعي. ومن خلال اتخاذ هذه التدابير، يمكن للقارة الأفريقية أن تحقق تقدماً ملموسًا نحو تأمين الغذاء لسكانها، مما يساهم في تحسين مستوى المعيشة وتعزيز التنمية المستدامة في المستقبل.

بقلم الباحثة: سكينة حجوبي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

المجتمع المدني في المغرب وإمكانية إنتاج هيئات استشارية، هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع أنموذجا

Civil Society in Morocco and the Potential for Pro0 ducing Advisory Bodies: The Equality, Equal Opportunities, and Gender Approach Committee as a Model

محمد الخادري

طالب باحث بسلك الدكتوراه، تخصص علم الاجتماع بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المغرب.

(Mohamed.elkhadiri1@uit.ac.ma)

ORCID : 0009-0006-7263-8558

ملخص

يهدف هذا المقال إلى محاولة تحديد مقومات ومعايير ميلاد مجتمع مدني مغربي، وتتبع أثر تشكله في الزمان والمكان، والشروط المنتجة له في تركيبتها وتشابك أبعادها السياسية والثقافية والسوسيو–اقتصادية، وضبط حدود تمتعه بالقدرة على إنتاج وإعادة إنتاج هيئات استشارية ترابية قوية ومستقلة، وإمكانية بلورة هذه الهيئات لآرائها الاستشارية، ومصداقية تدخلاتها وفعاليتها في تجويد أنشطة مجالس الجماعات الترابية، ورصد قدراتها على تنزيل ما يسمى ب"المقاربة الترابية في التنمية"، وتمثل مقتضيات "المقاربة التشاركية"، خصوصا في معالجة وتناول القضايا المرتبطة بالتنمية المحلية، وبالنوع الاجتماعي، والمساواة بين الجنسين، وتكافؤ الفرص بين الجميع.

تكشف هذه الورقة –من جانب آخر– التقيد الأرثودوكسي بمراحل إعداد وتهييئ إحداث وتنظيم واشتغال وتتبع وتقييم أنشطة "هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع"، باعتبارها أهم الهيئات الاستشارية على المستوى الترابي، ومدى انسجامها في التعبير عن تطلعات وانتظارات المجتمع المحلي، وحرصها على الرفع من رهانات مجالس الجماعات الترابية في ممارسة السلطة، وتدبير الموارد والثروات والمؤهلات، كما تميط اللثام على شروط وملابسات إمكانية الانتقال من مجتمع سياسي إلى مجتمع مدني.

كلمات مفتاحية : المجتمع المدني –الحقوق والحريات – هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع

Abstract

This article aims to explore the components and criteria for the emergence of a Moroccan civil society, tracking its development in time and space, as well as the conditions that shape it through the interwoven dimensions of politics, culture, and socio-economic factors. It seeks to determine the extent of its ability to produce and reproduce strong and independent local advisory bodies, the potential of these bodies to formulate advisory opinions, and the credibility and effectiveness of their interventions

in improving the activities of local council administrations. Furthermore, it examines their capacity to implement the so-called "territorial approach to development" and embody the principles of the "participatory approach," particularly in addressing and dealing with issues related to local development, gender, gender equality, and equal opportunities for all.

On another level, this paper reveals the orthodox adherence to the stages of preparing, establishing, organizing, operating, monitoring, and evaluating the activities of the "Equality, Equal Opportunities, and Gender Approach Committee." This is regarded as the most significant advisory body at the territorial level and assesses its alignment with the aspirations and expectations of the local community. It also evaluates its efforts to enhance the ambitions of local councils in exercising authority and managing resources, wealth, and potential. Additionally, it sheds light on the conditions and circumstances enabling the transition from a political society to a civil society.

Keywords: Civil society – Rights and freedoms – Equality, Equal Opportunities, and Gender Approach Committee

مقدمة

عرف المغرب مع مطلع الألفية الثالثة منعطفا تاريخيا حاسما في مسلسل الإصلاحات السياسية والاجتماعية، حيث تبنى خيار الديمقراطية التشاركية باعتباره أحد أهم أسس بناء السياسات العمومية، ويشترط لنجاح هذه الأخيرة، إشراك وإسهام جميع الفاعلين من منظمات المجتمع المدني[1] والجماعات الترابية والمؤسسات العمومية الرسمية.

ويعتبر التفكير في إحداث هيئات استشارية نابعة من المجتمع المدني تعنى بقضايا التنمية الترابية والمساواة بين الجنسين وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين وتنزيل مقاربة النوع الاجتماعي من التحديات الكبرى التي واجهها المغرب، بل لقد وجدت الدولة نفسها مدعوة لمضاعفة مجهوداتها في مجالات التنمية بجميع فروعها، من خلال تبني الآراء الاستشارية والتداولية للهيئات، وانطلاقا من مدخل تقوية آليات الحكامة الجيدة في وضع وتدبير وتنفيذ وتتبع البرامج الاستراتيجية والمخططات التنموية على

[1] تجدر الإشارة إلى أن هدفنا هنا ليس تتبع ميلاد وحركية مفهوم المجتمع المدني civil society كما تبلور في الغرب عند الفلاسفة الأوائل، أو حتى عند مفكري القرون الوسطى أو المعاصرة أو الحديثة، بل نريد أن نتناول المفهوم كما اتفقت حوله أهم المقاربات التي تعرضت له، وفي سبيل ذلك، كان من الضروري أن نستعين بتصنيف قدمه ستيفن ديلو، حيث جاء فيه:

– المقاربة الكلاسيكية، وتشمل أطروحات الفلاسفة الأوائل: أفلاطون وأرسطو،
– المقاربة المسيحية، وتمتد إلى اجتهادات مفكري القرون الوسطى: القديس توما الإكويني، والقديس أوغيسطين، والمصلحين الدينيين، مارتن لوثر وكالفن،
– المقاربة الميكيافيلية، وتتضمن أفكار الإيطالي نيكولا ميكيافيلي،
– المقاربة المحافظة، وتشمل أفكار كل من بيروك، وألكسيس دي توكفيل.
– المقاربات الحديثة والمعاصرة، وفيها اجتهادات كل من توماس هوبز، جون لوك، وجان جاك روسو، وكانط، وهيجل، وماركس، وجون ستيوارت ميل، ونيتشه، والمنظرين اللاحقين أمثال غرامشي وهابرماس.

راجع "التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني"، ستيفن ديلو، المشروع القومي للترجمة، عدد: 467.

فبالرغم من تعدد التعاريف المقدمة للمجتمع المدني من طرف المقاربات أعلاه، إلا أنها تلتقي في سمات كبرى تميزه، وقد قدم محمد شخمان في "المجتمع المدني وإشكالية الفهم بالمغرب"، الصحيفة، العدد: 26/25 فبراير 4 مارس 1999، ص: 12، تعريفا جامعا له، حيث يقول: "المجتمع المدني هو أداة عمل، يعني الحزب والنقابة والجمعية وغيرهم من المؤسسات والمنظمات التي تؤطر العمل السياسي والثقافي"، فالمجتمع المدني إذن هو مقياس تطور المجتمعات.

المستوى الوطني كما الترابي، وتفعيل ما يسمى ب"المقاربة الترابية في التنمية" التي تتأسس على إشراك مختلف فعاليات المجتمع المدني في الشأن الترابي.

من هذا المنطلق سعت مجالس الجماعات الترابية إلى تجويد آليات وميكانيزمات التواصل والحوار والنقاش الجاد والمثمر مع تنظيمات المجتمع المدني قبل اتخاذ القرارات ذات الصبغة التنموية والتدبيرية على المستوى الترابي، تفعيلا لإطار الشراكة المبرم بين المديرية العامة للجماعات المحلية لوزارة الداخلية ومختلف هيئات الأمم المتحدة، خصوصا الهيئة التي تعنى بقضايا المرأة.

وانسجاما مع هذا التوجه الجريء الذي سلكته المملكة، أصبح لزاما على مجالس الجهات والجماعات الترابية الأخرى أن تضع آليات تشاركية للحوار والتشاور، بهدف تيسير مساهمة المواطنات والمواطنين والجمعيات ومنظمات المجتمع المدني وباقي الفاعلين في إعداد برامج التنمية وتتبعها[2]، وعلى مستوى القوانين التنظيمية للجماعات[3]، تم التنصيص على إحداث هيئات استشارية بشراكة مع فعاليات المجتمع المدني، يتم إشراكها في صنع القرار الترابي، يأتي على رأسها "هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع"، وهي هيئة استشارية يتم تكوينها بشراكة مع فعاليات ومنظمات المجتمع المدني، وتناط بها مهمة تدارس جميع القضايا المتعلقة بتفعيل مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع[4]، وتقديم الرأي الاستشاري بخصوصها، فالنظام الداخلي لمجالس الجماعات الترابية يشكل الإطار الضابط لشروط تكوين هذه الهيئة وكيفية اشتغالها وتسييرها، وهو المحدد لأنشطتها وأسلوب عملها، والضامن لتنزيل مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع الاجتماعي ضمن المجال الترابي للجماعة، انطلاقا من الممارسة الفعلية والميدانية الجادة في تقديم الاستشارة والمواكبة والتقييم، بدءا من الشروع في إعداد مشاريع برامج عمل الجماعات إلى تقييم حصيلتها في كل مرحلة، تمثلا لبراديغم المقاربة التشاركية ومستتبعاتها والمبادئ المرتبطة بها.

إذا كانت هذه الهيئة الاستشارية ضرورة لازمة لتجويد عمل مجلس الجماعة، فإن السؤال الإشكالي المطروح هنا هو: **ما مدى توفر المغرب على مجتمع مدني[5] قادر على إنتاج وإعادة إنتاج هيئات استشارية قوية، دامجة لمقاربة النوع كهيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع، ومالكة لشروط وعناصر التأثير الإيجابي في عملية التنمية على مستوى الجماعات الترابية؟**

---

[2] الفصل 139 من الدستور المغربي الصادر في 29 يوليوز 2011.

[3] نقصد هنا القوانين التنظيمية للجماعات 14-113 والأقاليم 14-112 والجهات 14-111.

[4] المادة 120 من القانون المنظم للجماعات 14-113، الصادر في 7 يوليوز 2015

[5] المجتمع المدني حسب التعريف الذي تقدمه الباحثة أماني قنديل هو: "مجموع التنظيمات التطوعية المستقلة ذاتيا، التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، وهي غير ربحية، تسعى إلى تحقيق منافع أو مصالح للمجتمع، أو بعض فئاته المهمشة، أو لتحقيق مصالح أفرادها، ملتزمة بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والإدارة السليمة للاختلافات والتسامح وقبول الآخر". للتوسع أكثر، راجع "الموسوعة العربية للمجتمع المدني"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008.

أما المقصود بالمجتمع المدني في فكر الباحث المغربي فوزي بوخريص، هو: "مجموع الفاعلين الاجتماعيين من النقابات والجمعيات التطوعية والتنظيمات الجماعاتية communautaires والحركات الاجتماعية التي تنخرط فيها"، وليس بالمعنى الشامل والواسع الذي يتضمن دائرة الحياة المادية والاقتصادية، أو دائرة العقود العامة التي تهم الخيرات والمصالح، كما ذهب إلى ذلك هيغل وغيره من فلاسفة القرن الماضي. للمزيد من التوسع، راجع "مدخل إلى سوسيولوجيا الجمعيات"، أفريقيا الشرق، 2013 ، لمؤلفه فوزي بوخريص.

للجواب على هذا السؤال كان لا بد من البحث عن أجوبة على الأسئلة الفرعية التالية:

- هل يتوفر المغرب على مناخ ملائم لنشأة وقيام مجتمع مدني قوي؟
- ما هي شروط ومحددات تأسيس هيئات استشارية نابعة من المجتمع المدني، قادرة على التأثير في مسلسل التنمية على مستوى الجماعات الترابية؟
- كيف يتم إعداد وتهييئ إحداث هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع؟
- ما هيكلها التنظيمي؟ وما أساليب اشتغالها؟ وما أليات تتبع وتقييم أنشطتها؟
- هل استطاعت هذه الهيئة القيام بمهامها وأدوارها المنتظرة منها في تجويد عمل مجلس الجماعة؟

لمقاربة السؤال الإشكالي والأسئلة المتفرعة عنه، سوف تتأطر معالجتي لهذه الورقة البحثية وفق التوزيع المحوري التالي:

- شروط ومقومات ميلاد مجتمع مدني مغربي قوي
- تأسيس واشتغال هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع
- تعقيب تخريجي: نحو منظور تكاملي للهيئة

أولا: شروط ومقومات ميلاد مجتمع مدني مغربي قوي

ننبه في البداية إلى عدم الخلط بين المجتمع المدني بالمفهوم المعاصر، والمجال العام كما نظر له المفكر الألماني هابرماس، هذا الأخير الذي يرى أن المجال العام ليس مؤسسة أو منظمة أو إطارا تحكمه كفاءات أو قواعد تنظيمية للمشاركة والعضوية[6]، على اعتبار أن العديد من الأدبيات تطابق بين المفهومين[7]، فالمجتمع المدني هو جزء من المجال العام وليس متماهيا أو مطابقا له، كما أن الهيئات الاستشارية تبقى جزء من المجتمع المدني. في حالة المغرب، ولتأسيس هيئات استشارية فعالة وقوية يلزم توفر المجتمع المدني في عموميته على جملة من المقومات والشروط، منها ما هو متعلق بالمناخ السياسي والإطار المؤسساتي، كالدستور والقوانين التنظيمية والبناء الهيكلي للمؤسسات الرسمية، والمؤسسات المنتخبة بشكل حر وديمقراطي، ومنها ما هو مرتبط بالبيئة السوسيو-اقتصادية، من أنساق اجتماعية واقتصادية قوية ومتكاملة، وهي أركان شارطة وضرورية لميلاد هذا النمط من الهيئات، ولازمة لحماية بنياته، وضامنة لكينونته واستمراريته.

- على المستوى السياسي: يلزم توفر دستور مكتوب وقوانين تنظيمية قادرة على إحداث تحول حاسم في تشكيل دولة الحقوق والحريات، والانتقال من الماكرو-ترابي إلى الميكرو-ترابي، وخلق كيانات تدبيرية صغيرة على المستوى المحلي، من خلال بناء مؤسسات ديمقراطية قائمة على مبادئ الحكامة الجيدة، وضمان المواطنة الكريمة

[6] Jurgan Habermas, Between Facts and Norms: Contribution to a Discourse Theory of Law and Democracy, Cambridge, MA: MIT Press, 1996, p, 360.

[7] Dwayne Woods, Civil Society in Europe and Africa: Limiting State Power through a Public Sphere, Africa Studies Review, 35 (2), 1992, p. 77-100.

والعدالة الاجتماعية، وتأسيس هيئات سياسية منتخبة بشكل ديمقراطي وحر، لها كامل الصلاحيات والاستقلالية في تدبير الشأن التنموي، تكون منبثقة عن تعددية حزبية، قائمة على المنافسة الشريفة، بحيث تعمل جنبا إلى جنب في استقلالية تامة مع النسيج النقابي، والأحزاب، وفعاليات ومنظمات المجتمع المدني، من جمعيات وهيئات، باعتبارها أدوات تقنية ضرورية لتعبئة الطاقات الإنسانية وتوجيهها نحو غايات مضبوطة[8]، ضمن إطار تحترم فيه مبادئ وحقوق وواجبات الإنسان، وتراعى فيه الديمقراطية المواطنة، وسمو القانون، مع رفض وتجاوز الرؤية التقليدية التي تنظر إلى هذه التنظيمات انطلاقا من معيار الانسجام[9].

- على المستوى السوسيو-اقتصادي: يجب توافر بنى وأنساق وهياكل اقتصادية واجتماعية تتأسس على عقلانية متقدمة، وتوزيع عادل للسلطات والموارد والثروات، وخادمة لشروط التنمية البشرية والاقتصادية، المندمجة والمستدامة، وموفرة لأسباب العيش الكريم لجميع المواطنين، في إطار من العدالة الاجتماعية، والتضامن الوطني، وكافلة لحرية المبادرة الخاصة في مجال الأعمال.

ويمكن أن نتساءل في هذا الإطار، هل لدينا فعلا في المغرب دستور مصاغ وفق الشروط الآنفة؟ وهل هناك تعددية حزبية فاعلة ومستقلة عن تحكم وسيطرة السلطة الرسمية للدولة؟ وهل هناك مؤسسات منتخبة بشكل ديمقراطي حر ونزيه؟ وهل يوجد فعلا تمثل لمبادئ الديمقراطية الحديثة كما جاءت بها الوثيقة الدستورية على أرض الواقع؟ وهل يتوفر المغرب على بنيات سوسيو-اقتصادية قوية قادرة على التأثير في مجريات الأحداث وتطويعها لفائدة المواطن؟

أ- دستور 2011 وثيقة متقدمة للحقوق والحريات

لا يختلف اثنان على أن الوثيقة الدستورية المؤرخة في 29 يوليوز 2011، شكلت نقلة نوعية في مسار التأسيس لاستكمال المغرب الحديث، وبناء دولة الحق والمؤسسات الديمقراطية، مرتكزاتها المشاركة والتعددية والحكامة الجيدة والتضامن، مع حرصها على تمتيع جميع المواطنين بالأمن والحرية والكرامة والمساواة وتكافؤ الفرص، والعدالة الاجتماعية في نطاق من التلازم بين حقوق وواجبات المواطنة، وقد تمظهر ذلك جليا في أسلوب صياغة هذه الوثيقة، من خلال تفعيل المقاربة التشاركية، حيث تم إشراك مختلف الهيئات السياسية والنقابية والجمعوية والشبابية على مستوى جميع تراب المملكة، بمعنى أن هذا الدستور أقل ما يقال عنه أنه من صنع المغاربة ولأجل المغاربة[10]، ويعتبر –بعد معاودة قراءة وتفسير وفهم فصوله وأبوابه- أكثر من قانون أسمى، بل هو الأساس لنموذج ديمقراطي تنموي متميز، نظرا لما تناوله من مقتضيات، خصوصا مسألة دسترة حقوق الإنسان، وحماية منظومة الحقوق والواجبات، والمساواة بين الرجل والمرأة في المسائل المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية.

---

[8] Alain touraine, (1966), rationalité et politique dans l'entreprise, in l'entreprise et l'économie du 20ème siècle, T.2, édition Puf, Paris, P 138.

[9] فوزي بوخريص، مدخل إلى سوسيولوجيا الجمعيات، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، 2013، ص 66.

[10] الخطاب الملكي الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة يوم 17 يونيو 2011.

لقد هدف المشرع المغربي عبر دستور 2011 إلى جعل المرافق العمومية في خدمة المجتمع المدني، ومنح -في نفس الآن- الشرعية لمجموعة من الهيئات والمؤسسات، منها: المجلس الاستشاري للأسرة والطفولة، والمجلس الاستشاري للشباب والعمل الجمعوي، والمجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، وهي هيئات أخرى أنيطت بها مهمة مزدوجة:

أولا: السهر على حماية الحقوق والحريات، وتفعيل مبادئ الحكامة الجيدة، والمساهمة في عملية التنمية البشرية، وتحقيق الديمقراطية التشاركية،

ثانيا: المساهمة في تعزيز دور نسيج المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية داخل المجتمع.

إنها مهمة ستجعل من هيئات المجتمع المدني بنيات أساسية لمجتمع ديمقراطي حداثي، يتمتع بالقدرة على تعبئة الطاقات لخدمة الصالح العام، وترسيخ ثقافة الديمقراطية والتربية على المواطنة، وتوسيع قاعدة المهتمين بالمصلحة العامة، وتقوية الشعور بالانتماء الوطني، والعمل الجماعي المنظم، وتحقيق الاندماج والتعاون بين أفراد تجمعهم الرغبة المشتركة في خدمة المجتمع، مع احترام الاحتياجات المتعددة والمتنوعة للأفراد، وتكوين النخب وإفراز القيادات الجديدة[11].

بتعبير آخر، إن المجتمع المدني الذي يطمح إليه هذا الدستور، هو مجتمع يقطع كليا مع تأثير تلك الإرهاصات المسببة لنشأته وميلاده في الثمانينيات من القرن الماضي، أي العوامل الداخلية مرتبطة بالفتور الذي ميز البناء الاقتصادي والتنموي، والذي كان من نتائجه ظهور تيارات تشكك في مشروعية الدولة الوطنية، وتنتقد فشلها في تلبية حاجات الطبقات الشعبية، إضافة إلى العوامل الخارجية التي تتمثل في المساندة والدعم المادي والتقني والرمزي الممنوح من طرف المؤسسات الدولية المساندة للإصلاح الاقتصادي في ظل العولمة وانتصار النيوليبرالية[12].

إن الدعوة الدستورية لقيام مجتمع مدني مغربي قوي بتنظيمات يخلقها فاعلون مستقلون نسبيا، بواسطة مواردهم وقدراتهم الخاصة، من أجل حل المشاكل المطروحة من قبيل الفعل الجماعي المتعلق بالتعاون، وتحقيق الأهداف المشتركة، على الرغم من التوجهات المتباينة للفاعلين[13]، هي دعوة تتأسس على أفكار وطروحات ميشيل كروزيي وفريدبيرك إرهارد في "الفاعل والنسق"، وتمتح في نفس الآن من الخصوصية المميزة للمملكة المغربية.

إذا كان دستور 2011 قد دعا في فصله 6 السلطات العمومية إلى توفير الظروف التي تمكن من تعميم الطابع الفعلي لحرية المواطنات والمواطنين والمساواة بينهم، ومن مشاركتهم في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وتبرز هذه المشاركة في حرية الانخراط في أو تأسيس منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية، فإن هذا يجرنا إلى التساؤل حول مدى تواجد تعددية حزبية مغربية، فاعلة ومستقلة عن تحكم وسيطرة المؤسسات الرسمية للدولة، مؤسسات منتخبة بشكل

[11] لحرش كريم، "الدستور الجديد للمملكة المغربي – شرح وتحليل–" سلسلة العمل التشريعي والاجتهادات القضائية، العدد 3، 2012 ص 29 و 30

[12] عبد الله حمودي، "وعي المجتمع بذاته"، مقال ضمن مؤلف جماعي، دار تبقال للنشر، المغرب، 1998، ص 14.

[13] فوزي بوخرص، المرجع السابق، ص 69.

حر ونزيه، لأنه لا يكفي أن تكون هناك هياكل حزبية وتوجهات أيديولوجية لتنجح عملية تأسيس تجربة حزبية حديثة[14]، قادرة على إنتاج وتأطير هيئات وتشكيلات المجتمع المدني.

ب- الأحزاب السياسية كحاضن للمجتمع المدني

للحديث عن علاقة المجتمع المدني بالأحزاب السياسية، يتوجب في البداية فهم السياق التاريخي الذي ترعرعت فيه التجربة السياسية المغربية، خصوصا في العقدين الأخيرين، فبالرغم من تمظهرها في أكثر من 33 لونا حزبيا، إلا أنها -في واقع الأمر- أفرزت تشكيلة حزبية يمكن اختزالها في أربعة أصناف:

- الصنف الأول: يتكون من الأحزاب الكلاسيكية الموروثة عن الفترة الاستعمارية والحركة الوطنية، أو المنشقة عنها في بداية الاستقلال، وهي أحزاب يغلب عليها طابع القرابة والمصاهرة والولاءات -داخليا وخارجيا- في تقلد المناصب والمسؤوليات داخل الأحزاب والوزارات.
- الصنف الثاني: يضم الأحزاب ذات التوجهات الإيديولوجية، مثل الحركة الشعبية الأولى التي أطرت النزعة الأمازيغية ضمن إطار الوحدة الوطنية، وكذلك حزب العدالة والتنمية الذي أطر النزعة الدينية، وهذا الصنف يطفو إلى السطح السياسي عندما تخمد شرارة الأحزاب الكلاسيكية، أو تركن إلى الرتابة السياسية في تأطير وتكوين النخب وتعزيز انخراطهم في الحياة الوطنية، وفي تدبير الشأن العام، والمشاركة في السلطة.
- الصنف الثالث: وهي مجموعة من الأحزاب الصغرى، وتتأسس من مناضلين منشقين عن الأحزاب الكبرى السابقة، وهو صنف يراوح مكانه ولا تتسع قاعدته، نظرا لعدم امتلاكه لمقومات الاستمرارية، بحيث يفشل دائما في مشاركاته السياسية والانتخابية، نتيجة عدم امتلاكه حكمة التراجع، أو شجاعة العودة إلى أحضان الأحزاب الكلاسيكية.
- الصنف الأخير: يتكون من أحزاب تنشئها الدولة لتعويض البياضات السياسية وتخاذل الأحزاب، وهذا الصنف يبقى خاضعا لتوجهات وإملاءات الدولة المركزية، وتضمن تواجدها على الساحة السياسية باعتبارها صمام الأمان الذي به يتحقق التوازن بين الأحزاب المتنافسة، وبه يتم تعديل الكفة لصالح جهة محددة، أو يتم توظيفها في غالب الأحيان لتلميع الصورة السياسية وتأتيت المشهد الحزبي بألوان جديدة، خصوصا عندما تشتد حدة عزوف المواطنين والنخبة المثقفة عن المشاركة في الفعل السياسي.

ثم على مستوى قيادات هذه الأحزاب، -وانطلاقا من الممارسة الفعلية على أرض الواقع- برز جيل جديد من القادة، عوض الزعماء ذوي الكاريزما القوية، بحيث أفل نجم سياسيين كبار، وبزغ قادة جدد يستمدون شرعيتهم من خطاب شعبوي، أو من وضعهم المالي والاقتصادي المتمكن.

[14] إدريس جنداري، التجربة الحزبية في المغرب، غموض التصور وإعاقة الممارسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فبراير 2012 ، سلسلة تقييم حالة، ص 1

انطلاقا مما سبق، يمكن أن نتساءل: إلى أي حد تم تفعيل وتجسيد وتمثل مبادئ الديمقراطية الحديثة، واحترام حقوق وحريات فعاليات المجتمع المدني والموطنين من طرف الفاعل السياسي، وتنزيل مبادئ الحكامة الجيدة وضمان مقتضياتها كما جاءت بها الوثيقة الدستورية؟ بمعنى، هل حصل فعلا الانتقال المنشود من مجتمع سياسي إلى آخر مدني، كما تطمح إلى ذلك الوثيقة الدستورية؟

ج- مجتمع سياسي أم مجتمع مدني؟

لقد أدخل غرامشي قطيعة جديدة في المضمون الدلالي لمفهوم المجتمع المدني، باعتباره فضاء للتنافس الأيديولوجي، فإذا كان المجتمع السياسي فضاء للسيطرة السياسية بواسطة القوة / السلطة، فإن المجتمع المدني فضاء للهيمنة الثقافية الأيديولوجية[15]، بحيث تتمثل وظيفة الهيمنة[16] هنا في توجيه السلطة الرمزية التي تمارس بواسطة التنظيمات السياسية، والحالة هذه، إذا كان دور الفاعل السياسي المغربي هو تدعيم الثقافة السياسية القائمة، أو بالأحرى خلق سياسة جديدة مبتكرة تعطي الأولوية للمسألة المدنية، انطلاقا من عمله على تطوير وتنمية المعارف والقناعات والاتجاهات المتعلقة بمبادئ الحقوق والحريات كما هي متعارف عليها دوليا، وكما تمت المصادقة عليها، فإنه يتوجب عليه (الفاعل السياسي) تقديم كافة المعلومات حول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتيسير فهمها، وإشراك جميع فعاليات المجتمع المدني في تدبيرها والتعاطي معها، لأنه كلما كان هناك تفعيل للمقاربة التشاركية والمقاربة الترابية في التنمية، كلما كانت قدرة الفاعل السياسي على الحكم وممارسة السلطة جيدة.

وعطفا على ما سبق، كان لا بد من تعميق الفهم حول العلاقة الجدلية بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي بالمغرب، ويمكن تفسيرها وفق محطتين:

- الأولى، التجأت فيها المعارضة الحزبية إلى تأسيس أو دعم العديد من مؤسسات المجتمع المدني، فكانت العلاقة بينهما علاقة تبعية واحتواء، أو على الأقل تنسيق أو تعاطف، نتيجة التضييق على النشاط السياسي من قبل النظام الحاكم (من الستينات إلى التسعينات)، حيث وجدت الأحزاب الإطار الجمعوي[17] مجالا خصبا للاشتغال بالسياسة، خصوصا فيما يتعلق بالتنشئة السياسة والعمل الحقوقي، حتى تتجنب الموت أو الشلل المسلط عليها من طرف النظام السياسي الحاكم.
- الثانية: حينما وصلت غالبية أحزاب المعارضة إلى الحكم، (من حكومة التناوب 1993 إلى نهاية الولاية الثانية من حكومة العدالة والتنمية 2020)، فبدأت تستشعر العديد من الهيئات والمؤسسات المدنية والجمعيات بمأزق

---

[15] كريم أبو حلاوة، "إشكالية نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره، وتجلياته في الفكر العربي المعاصر"، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، إشراف الطيب تيزيني وعبد الكريم اليافي، جامعة دمشق، بدون تاريخ، ص 78.

[16] نقصد بالهيمنة هنا: القيادة وإيجاد سياسة ثقافية تهدف إلى توحيد وتنسيق مواقف الفئات والطبقات الاجتماعية وفعاليات المجتمع المدني، وهي لازمة لتحقيق السيادة السياسية، حسب ما ذهب إليه غرامشي.

[17] تعتبر مارتين بارتيليمي الجمعيات بمثابة قلب المجتمع المدني، فهي تحتل مكانة متميزة داخل هذا المجتمع، كما يشير إلى ذلك فوزي بوخريص في: "مدخل إلى سوسيولوجيا الجمعيات، أفريقيا الشرق، 2013، ص 148.

الوضع الجديد، خصوصا مسألة الاستقلالية والمصداقية في ظل إصرار الأحزاب الحاكمة على عدم فك الارتباط مع هذه التنظيمات المدنية.

يمكن القول، بأن علاقة الجمعيات وباقي تنظيمات وهيئات المجتمع المدني بالفاعل السياسي، وخاصة الأحزاب السياسية الكبرى، هي علاقة مطبوعة بنوع من الوصاية والحذر من استقلاليتها[18]، لأن نمط غالبية هذه الأحزاب يتخذ إما شكل زاوية سياسية أو ثكنة سياسية أو ناد سياسي، أو حتى مقاولة سياسية، لأن نخبها لازالت تخلط الفهم بين التعددية السياسية والتعددية الحزبية.

بالرغم من وضعها الضعيف، فإن تنظيمات المجتمع المدني المغربي وبنسبية استقلاليتها تلك، ورغم ما تعانيه من محدودية في الوسائل والإمكانات، إلا أنها على مستوى الممارسة الميدانية قد حققت جملة من المكاسب والرهانات، حيث حرصت على استيعاب وفهم وتفعيل أغلب نصوص الوثيقة الدستورية ومعها باقي القوانين التنظيمية، وتمكنت –إلى حد ما- من إنتاج وبلورة هيئات استشارية فتية، تمتلك إلى حد ما شروط الترافع وتقديم الاستشارة وإبداء الرأي بخصوص الشأن التنموي الترابي، منها على الخصوص هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع.

فكيف يتم تكوين هذه الهيئة؟ وما هي أساليب اشتغالها؟ وما آلياتها في عمليات المواكبة والتتبع والتقييم؟

ثانيا: تأسيس واشتغال هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع

يمر تشكيل هذه الهيئة من أربع مراحل كبرى متسلسلة، يندرج السابق منها في اللاحق: - الإعداد والتهييئ – الإحداث والتنظيم- الاشتغال والنشاط - التتبع والتقييم لأنشطتها وأنشطة مجلس الجماعة[19].

ينص نموذج القانون الداخلي لمجلس الجماعة في مادته 62 على إحداث هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع، وهي هيئة تتكون من شخصيات تنتمي إلى بنيات المجتمع المدني، من جمعيات ومواطنات ومواطنين وباقي الفعاليات الترابية، وذلك باقتراح من رئيس مجلس الجماعة وفق مقاربة تشاركية وتشاورية، كما تنص على ذلك المادة 63 من نموذج القانون السابق، وبشراكة مع مختلف فعاليات المجتمع المدني، أما عناصر هذه الهيئة وحسب المادة 64، فإنها تتحدد اعتبارا لأهمية النسيج الجمعوي بالجماعة والفاعلين المحليين، وبالتشاور معهم. وتحدد المادة 65 مجموعة من والمعايير التي أخذها بعين الاعتبار في تشكيل الهيئة، منها: تخصيص نسبة الثلث للنساء من مجموع أعضاء الهيئة، الخبرة في مجال النوع الاجتماعي والتنمية البشرية، التنوع المهني والارتباط بتراب الجماعة.

أ- مرحلة الإعداد والتهيء

تعقد اجتماعات تشاورية بين الفاعلين الترابيين لاتخاذ حزمة من القرارات، تهم فسح المجال أمام ولوج المجتمع المدني إلى الجماعة، تمثلا وتفعيلا للمقاربات التشاركية والتشاورية، وتنزيلا لمبادئ الديمقراطية والمساواة وتكافؤ الفرص بين الجميع،

---

[18] حسن بن عدي، البنية والممارسة النقابية في المغرب: بحث في التاريخ والتأريخ، ترجمة الحنصالي، دار توبقال، 1998، ص 178

[19] "دليل مساطر إحداث وتفعيل واشتغال وتتبع هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع بالجماعات"، المملكة المغربية، 2017، ص 6

وهي مرحلة يتم فيها إبراز أهمية وأدوار الهيئة، ومدى تملك المجتمع المدني لإطارها القانوني والمرجعي، وهيكلها التنظيمي، والعناصر المكونة لها، وفي هذه المرحلة توضع لجنة تقنية من الجماعة الترابية تتكلف بجمع المعلومات حول النسيج الجمعوي والمنظمات غير الحكومية النشيطة بتراب الجماعة، انطلاقا من السجل المحين الذي تحوزه، وذلك لضبط شروط اختيار المرشحين لعضوية الهيئة، وعددهم، وفق معايير موضوعية تشاركية[20].

ب- **مرحلة الإحداث والتنظيم**

يتم خلالها تنصيب الهيئة وتحديد هيكلتها وتمتيعها بفعالية أكبر في التعامل مع مجلس الجماعة، ويوضع برنامج عملها من طرف فريق التنسيق الداخلي للهيئة بشراكة مع مجموعات العمل الموضوعاتية، التي يتم تكوينها من المجتمع المدني، وهذا البرنامج هو عبارة عن مخطط عمل استشاري يضبط أساليب تدخل الهيئة، ويمكن -في نفس الوقت- من تعزيز التواصل بين أعضائها ورئيس مجلس الجماعة والمنتخبين والأطر الإدارية بالجماعة، حيث يصبح في متناولهم لائحة نهائية تحصر عدد الأعضاء المرشحين للهيئة، كما يتم إطلاع هؤلاء على المسار المتبع فيما يخص مأسستها وفق الأسلوب التشاركي، وهذا اللقاء يكون فرصة لتشجيع التشاور بين الأعضاء لاختيار فريق العمل الذي سيتكفل بتنسيق الأعمال الاستشارية، ويتكون من: الرئيس ونائبه، ومقرر ونائبه، وهي فرصة لانفتاح الجماعة ومجلسها المنتخب على محيطها من خلال حضور فعاليات المجتمع المدني، والشخصيات الفاعلة، ووسائل الإعلام[21].

من مهام هذا الفريق أيضا: تنظيم وتسيير اجتماعات الهيئة بدعم من اللجنة التقنية، ومتابعة أشغالها عبر مجموعات عمل موضوعاتية، يتم إحداثها تبعا لمخطط العمل الاستشاري للهيئة، تمهيدا لإعداد تقارير حول هذه الأعمال والأنشطة، بمعنى أنه يتعين على الهيئة أن تكون على دراية وعلم بالنظام الداخلي للجماعة، وبالبرامج والمشاريع التنموية، سواء المنجزة أو تلك التي في طور الإنجاز، والموارد المادية المرصودة لها، من خلال التوفر على معطيات محينة حول المجالات ذات الأولوية بالنسبة إليها، وتحديد الرهانات التي تواجهها الجماعة فيما يخص مسائل المساواة بين الجنسين وتكافؤ الفرص بين الجميع ومقاربة النوع الاجتماعي، مع الأخذ بعين الاعتبار انشغالات وتطلعات واهتمامات المجتمع المحلي[22].

ج- **مرحلة الاشتغال والنشاط**

يتم فيها تمكين الهيئة من الدعم الأولي لمباشرة أنشطتها في مجالات الاستشارة وإبداء الرأي، انطلاقا من تملكها لشروط وأدوات العمل، ولكي تقوم بأشغالها بشكل جيد وناجح، تعمل على تنمية ثقافة التشاور بين فعاليات المجتمع المدني وباقي المنتخبين بالجماعة والفاعلين المؤسساتيين، بل يجوز لرئيس الهيئة حسب المادة 69 من نموذج القانون السابق استدعاء بعض الأشخاص ذوي الاختصاص لحضور جلساتها غير العمومية إذا كان ذلك يفيد في اتخاذ القرارات المناسبة اعتمادا على خاصيتي التشاور والتشارك، خدمة للساكنة ولمسلسل التنمية الترابية، فالهيئة قد جعل منها المشرع المغربي -بعد تملكها لإطار

---

[20] دليل مساطر إحداث وتفعيل واشتغال وتتبع هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع بالجماعات، المرجع السابق.

[21] نفس المرجع السابق.

[22] دليل مساطر إحداث وتفعيل واشتغال وتتبع هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع بالجماعات، المرجع السابق.

مفاهيمي يستوعب مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع الاجتماعي- آلية لتجويد تدبير وتسيير شؤون الجماعة، من خلال ما تتمتع به من قوة اقتراحية واستشارية، سواء أثناء إعداد أو تنفيذ أو تتبع برنامج عمل الجماعة، أو أثناء تقييم حصيلته.

د- **مرحلة التتبع والتقييم**

في هذه المرحلة يتم التركيز على شكل تنظيم وسير جميع اجتماعات ولقاءات الهيئة، وتتبع طرق وأساليب اشتغالها، بناء على مؤشرات عملية واضحة متفق بشأنها بين الهيئة ومجلس الجماعة، ويتمثل هذا التتبع والتقييم في قياس درجة تحقيق الأعمال الاستشارية المخطط لها تبعا لدور واختصاصات ومهام الهيئة من طرف مجلس الجماعة، إلى جانب تقدير عدد ونوعية الآراء الاستشارية المحالة على المجلس، ومواكبة إنجاز أنشطة المجموعات الموضوعاتية للهيئة، والاستفادة من التجارب السابقة مع مجالس الجماعة، لتحسين فعالية وأداء الهيئة، وتقوية وتجويد تعاونها من خلال توثيق أعمالها الاستشارية في محاضر[23].

إن الهدف من عملية التتبع والتقييم لنشاطات الهيئة، سيمكن -في الواقع- مجلس الجماعة من الوقوف على مردوديتها وتقدير قدراتها على التموقع كآلية للمشاركة المواطنة، وعلى ربط علاقات متينة مع المنتخبين والأطر في سبيل تحقيق المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع الاجتماعي، كما تمكن آليات التتبع والتقييم أيضا من تطوير أداء الهيئة في مجال التنظيم والاستشارة، وبناء برامج استشارية ذات قوة اقتراحية عقلانية وازنة، وقدرتها على تجميع ودراسة وتحليل المعطيات والمعلومات لصياغة رأي استشاري متين، يحظى بالقبول والمصداقية من طرف مجلس الجماعة، وبراعتها كذلك في الرد على طلبات إبداء الرأي الاستشاري في جميع الأحوال، وصياغته بكيفية تشاركية بين جميع الأعضاء، ووضع تقارير مفصلة حول أنشطتها وحصيلة أعمالها الاستشارية، وتوثيق نتائج مداولاتها في جلسات المجلس الجماعي، ومتابعة تقييم أنشطته[24].

هذه باختصار أهم المحطات الكبرى التي يمر منها إعداد وتأسيس وتفعيل هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع، كما تم التنصيص عليها في الدستور المغربي الأخير والقانون التنظيمي للجماعات.

أما في حالة عدم وجود جمعيات نشيطة من المجتمع المدني، أو تلك التي لها علاقة بمقاربة النوع على تراب جماعة ما، فإنه يمكن استكمال تكوين سجل الهيئة بلائحة من شخصيات مؤثرة من الجنسين ذات إشعاع بالجماعة، يتم البحث عنها سواء في القطاع العام، مثل المصالح الخارجية: كالصحة والتربية والتعليم والفلاحة، أو في القطاع الخاص، كالتجارة والصناعة والمقاولات وغيرها.

يجب على هذه الهيئة أن تعقد على الأقل دورتين كل سنة، أما مجموعاتها الموضوعاتية فيمكنها أن تجتمع كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وبخصوص مدة اشتغال هذه الهيئة، وكما حددتها مواد القانون التنظيمي 14-113، فهي تتطابق مع مدة انتداب مجلس الجماعة.

---

[23] نفس المرجع السابق.

[24] دليل مساطر إحداث وتفعيل واشتغال وتتبع هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع بالجماعات، المرجع السابق.

تضم هذه الهيئة شخصيات وفاعلون نشطاء على مستوى منظمات المجتمع المدني، والشبكات المحلية بتراب الجماعة، ومكتبها المسير يتشكل إما بطريقة توافقية أو عن طريق التصويت، ويتألف من رئيس (ة) ونائبه (ة) وكاتب (ة) عام ونائبه (ة) ومكلف (ة) بالتواصل ونائبه (ة)، ويمكن للهيئة أن تلجأ إلى خلق لجان موضوعاتية تعنى بتتبع قضايا اجتماعية محددة، يترأسها منسق (ة)[25]، ويسهر مكتب الهيئة على التنسيق مع باقي أعضائها ومجلس الجماعة، إلى جانب تتبع أعمالها، وصياغة تقارير حول تدخلاتها الاستشارية.

وبخصوص اختصاصات الهيئة فيمكن تكثيفها في النقط التالية:

- المشاركة في جميع مراحل إعداد برنامج عمل الجماعة، وتتبع تنفيذه، وتقييم حصيلته،
- إعداد الآراء الاستشارية التي تحظى بإجماع أعضاء الهيئة، أو التصويت في حالة عدم حصول التوافق بشأنها؛ وإحالتها على مجلس الجماعة للتداول والاعتماد،
- تتبع أشغال المؤسسات والجهات المهتمة بقضايا النساء ضحايا العنف والتحرش، مع إعداد تقارير دورية حول وضعية النوع الاجتماعي والمساواة بين الجنسين ورفعها إلى مجلس الجماعة،
- اقتراح آليات من شأنها تيسير مشاركة المواطنين والمواطنات والمجتمع المدني في صناعة القرار العمومي الترابي، وتتبع تنفيذه،
- المساهمة باقتراحات وأراء استشارية حول جدول أعمال دورات المجلس قبل انعقادها،
- حضور الهيئة لدورات مجلس الجماعة، وتنشيط النقاش حول المحاور المتداول بشأنها[26].

هذه باختصار أهم اختصاصات الهيئة، لكن السؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح، هل فعلا توجد هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع، تكون نابعة من مجتمع مدني قوي، وقادرة على ممارسة اختصاصاتها كما هو مفترض فيها؟

1- تعقيب تخريجي: نحو منظور تكاملي للهيئة

أشرنا فيما سبق، إلى أن الوثيقة الدستورية لسنة 2011 شكلت تحولا تاريخيا حاسما في سبيل بناء دولة الحقوق والحريات والمؤسسات الديمقراطية، بحيث قامت على الثوابت الراسخة للدولة المغربية، فالمشرع المغربي خصص بابا كاملا احتوى 22 فصلا دستر فيه الحريات والحقوق الأساسية، المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية، غير أن السؤال المطروح هنا، ما هي حدود الضمانات التي يكفلها الدستور لكيفية تحقيق هذه الحقوق والحريات على أرض الواقع؟ خصوصا وأننا نجد في الفصل 31 مثلا، أن الدولة اقتصرت مسؤوليتها على تيسير الحصول على الحريات والحقوق بدل منحها كواجبات تلتزم بها الدولة تجاه مواطنيها[27].

---

[25] نموذج القانون الداخلي لمجلس الجماعة، ووفق القانون التنظيمي للجماعات 14-113.

[26] "دليل مساطر إحداث وتفعيل واشتغال وتتبع هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع بالجماعات"، المرجع السابق.

[27] الفصل 31 من دستور 2011: "تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية على تعبئة كل الوسائل المتاحة لتيسير أسباب استفادة المواطنين على قدم المساواة من الحق في: العلاج والعناية الصحية، الحماية الاجتماعية والتغطية الصحية، والتضامن التعاضدي أو المنظم من لدن الدولة، والحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذي جودة، والتنشئة على التشبث بالهوية المغربية، والثوابت الوطنية الراسخة، والتكوين المهني والاستفادة من التربية البدنية والفنية، والسكن اللائق، والشغل والدعم من طرف السلطات العمومية في البحث عن منصب شغل، أو في التشغيل الذاتي، وولوج الوظائف العمومية حسب الاستحقاق،

وعلى مستوى آخر، يبدو المشهد الحزبي -وكما صرح بذلك ملك البلاد في خطبه- حمال بالتناقضات ومشتت، بحيث أن أغلب قادة الأحزاب رهنت مستقبل البلاد بحسابات شخصية ضيقة، أو سياسيات مصلحية، وتجاهلت عن قصد مهمة تأطير المواطنين وتنظيمهم وتعبئتهم في منظمات وجمعيات، وخدمة مصالح المواطنين.[28]

ومما يثير الاستغراب ، أن من بين المسؤولين، من فشل في مهمته. ومع ذلك يعتقد أنه يستحق منصبا أكبر من منصبه السابق.

ثم إن واقع الأحزاب السياسية كما هو ملاحظ اليوم، لا يسمح ببروز شخصيات قوية قادرة على بلورة أفكار سياسية رشيدة، وما يثير الاستغراب، أن من بينهم من فشل في مهمته، ومع ذلك يعتقد أنه يستحق منصبا أكبر من منصبه السابق كم أكد ذلك عاهل البلاد. بل إن بعض القيادات والزعامات الحزبية حاليا، هي من أشباه الأميين والفاسدين، يبدو ذلك جليا على مستوى الممارسة الواقعية من انحطاط وضعف كبيرين في الخطابات، خصوصا التناقض الصارخ بين برامج ووعود الحملات الانتخابية، وحصيلة النتائج المحققة بعد الدخول في الحكومة وتولي مسؤوليات التسيير والتدبير، إضافة إلى المتابعات القضائية لبعض المنتخبين أمام محاكم جرائم الأموال، كما أن أغلب المؤسسات المنتخبة تفتقر إلى الديمقراطية والنزاهة في اختيار المسؤولين، وهذا يفسر رداءة وجهل النخبة المسيرة في ممارسة العملية السياسية، وضعف بصيرتها في التعاطي مع القضايا الراهنة.

فبالرغم من تنزيل العديد من المبادئ المدسترة، وتحقيق معدلات هامة من الحقوق والحريات، لايزال المشهد الحزبي على أرض الواقع أكثر سوداوية، بل وأكثر قتامة مما كان عليه في الثمانينات وبداية التسعينات، فاهتمامها بالقضايا الثانوية والمصالح الشخصية والتسابق الحميم حول ضمان مقاعد داخل قبة البرلمان، جعل هذا المشهد يبدو أكثر بؤسا، وهو ما تنتفي معه شروط إنتاج مجتمع مدني بهيئات وتنظيمات استشارية ترابية فعالة.

كما أن تنظيمات المجتمع المدني بالمغرب ضلت منصهرة كليا في إطار الأحزاب والبنيات الاقتصادية والسياسية والنقابات، التي تدعمها وتضمن بقاءها واستمراريتها، لأن الفضاء السياسي الذي ترعرعت وشبت فيه هذه الأحزاب هو فضاء غير ديمقراطي، بينما الظاهرة الحزبية جاءت لتحقيق الديمقراطية، وهكذا تظل الأحزاب السياسية المغربية عاجزة عن إنتاج مجتمع مدني قوي مستقل، بحكم طابعها الأيديولوجي المهلهل، ومن هنا جاء تعرضها للنقد الصارم من طرف ملك البلاد وباقي المفكرين السياسيين، وهذا يؤثر –طبعا- بشكل سلبي ويقدم صورة مشوهة عنها لدى المجتمع وعموم الباحثين والمهتمين بالشأن الحزبي[29].

والحصول على الماء والعيش في بيئة سليمة، والتنمية المستدامة"، إن الصيغة التي جاء بها الفصل تخلي مسؤولية الدولة في منح الحقوق والحريات، وتقتصر فقط على توفير أسباب الاستفادة منها.

[28] انظر نص خطاب العرش لجلالة الملك، بطنجة يوم 29/07/ 2017: " فممارسات بعض المسؤولين المنتخبين، تدفع عددا من المواطنين ، وخاصة الشباب، للعزوف عن الانخراط في العمل السياسي، وعن المشاركة في الانتخابات. لأنهم بكل بساطة، لا يثقون في الطبقة السياسية، ولأن بعض الفاعلين أفسدوا السياسة ، وانحرفوا بها عن جوهرها النبيل. وإذا أصبح ملك المغرب، غير مقتنع بالطريقة التي تمارس بها السياسة، ولا يثق في عدد من السياسيين، فماذا بقي للشعب؟"

[29] إدريس جنداري، "التجربة الحزبية في المغرب، غموض التصور وإعاقة الممارسة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فبراير 2012 ، سلسلة تقييم حالة، ص 12

وإذا أضفنا أن العلاقة الجدلية المتصلبة والمتكلسة بين السلطة السياسية المتمثلة في الدولة ونخبها الحاكمة، المتفردة بالسلطة، وبين تنظيمات المجتمع المدني من جهة، وبين الأحزاب السياسية المنتخبة من طرف الشعب من جهة أخرى، أي علاقة متذبذبة التي يطغى عليها التلازم أحيانا والانفصال أحايين كثيرة، فإنها كانت السبب الرئيسي في إضعاف هياكل المجتمع المدني، وانعكس ذلك الضعف بشكل آلي على الرأي العام المغربي، فتراجعت معه الإرادة الجمعية، وأصبحت الأحزاب أدوات مساعدة في إعادة إنتاج التسلط في ظل تواري تعددية حزبية قوية، فتم بذلك مصادرة الفعل النقدي الذي هو بحق الفعل الوحيد المنتج كما يقول غرامشي.

وعلى مستوى نموذج القانون الداخلي لمجلس الجماعة، يتبين أن هناك مجموعة من الثغرات التي يمكن استغلالها لإفراغ مهام وأدوار الهيئة من محتواها، منها مثلا تدخل رئيس مجلس الجماعة في اقتراح أعضاء الهيئة (المادة63)، أما المادة 75 فيعتريها بعض الغموض، وتبقى منفتحة على جميع الاحتمالات خصوصا وأنها تتيح لرئيس المجلس أن يوفر في حدود الإمكانيات المتاحة والموجودة وسائل عمل واشتغال الهيئة، كما أن المادة 78 تنص على أن الهيئة تقدم للمجلس توصيات وملتمسات فقط، وتودع لدى رئيس المجلس الذي يسهر على تبليغها إلى أعضاء مجلسه، بمعنى أنها توصيات ومقترحات لا تحظى بقوة إلزامية (المادة80)،

وبناء على ما سبق، تتأكد النتيجة الحتمية المتمثلة في ميلاد هيئات استشارية من مجتمع مدني متحكم فيه، وموجه لغايات محددة، وضعيف التأثير في مجريات الأحداث على الساحة الوطنية، وغير قادر على تغيير المواقف، وتوجيه الانعطافات التاريخية والاجتماعية الكبرى، وضبط التحولات الجذرية في سلوكات وممارسات أصحاب المسؤولية، سواء على مستوى صنع السياسات العمومية، أو على مستوى إنتاج وتنفيذ البرامج التنموية، أو على مستوى تفعيل مبادئ الحكامة الجيدة، وتنزيل مقتضيات المقاربة التشاركية الدامجة لمختلف الهيئات والفعاليات والتنظيمات الاستشارية، الأمر الذي يطرح غياب تنضيدات وصراعات اجتماعية واضحة، أو ثقافة مهيمنة بالمفهوم الذي يعطيه غرامشي للهيمنة، متميزة ومهيكلة وموجهة.

فالمواطن المغربي ومعه باقي فعاليات المجتمع المدني، كان ولا يزال يأمل في أن تستغل الأحزاب القائمة مجريات الأحداث الإقليمية، العربية والدولية، وتعمل على الانسلاخ من التشرذم الحزبي الطائفي، والهوس السياسي، والتكالب على المناصب وتقلد المسؤوليات، وأن توجه نشاطها نحو العمل على تصحيح المسار السياسي بالمغرب، وبالتالي خلق وإنتاج أقطاب متجانسة إيديولوجيا، ومتعاونة ومتضامنة في مسألة التأطير الحزبي الفعال والجيد للمجتمع، والقطع مع شبكات الزبونية والقرابة والولاءات المختلفة والخلفيات والمضمرات والمقنعات على أنماط السلوك الفردي والجماعي[30].

إن الرهان في الميدان التنموي على المستوى الترابي أصبح معقودا على هذا النمط الفني من الهيئات الاستشارية، وحيث أنه إذا ما تم إعداد هذه الأخيرة وتم تفعيلها بالشكل المنظر له فكرا وقانونا، فإنها حتما ستفتح المجال أمام مشاركة الكفاءات والخبرات والنخب المدنية، المستقلة والقوية، وبالتالي ضمان نجاعة قصوى في إعداد وتفعيل برامج عمل الجماعة، والمساهمة

[30] أنظر جورج بلانديه، "الانثروبولوجيا السياسية"، ترجمة جورج أبي صالح، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، 1986،

الجريئة وفق ما تقتضيه الديمقراطية التشاركية في أبعادها القانونية والتدبيرية، الدامجة لكل الفئات والشرائح الاجتماعية على المستوى المحلي.

بخلاصة، إذا كان المغرب يتوفر على وثيقة دستور جد متقدمة، تتأسس على الحقوق والحريات، وإذا كانت الأحزاب السياسية المغربية لا تمثل جميع التيارات الفكرية والسياسية الموجودة في المجتمع، ولا تعبر عن الإرادة الحقيقية للشعب، وإذا كان الفاعل السياسي لا يستطيع إقناع الناخبين ببرامجه الانتخابية، ويوظف جميع الأساليب للوصول إلى الحكم، وإذا كان ليس هناك ترشيد واضح للاختلاف بين الاتجاهات الفكرية والسياسية والدينية داخل المجتمع، وإذا كانت الجمعيات والنقابات لم تتخلص بعد من هيمنة السلطة المركزية، ومن سيادة وتوجيه الأحزاب السياسية، فإنه يصعب الحديث عن ميلاد مجتمع مدني مغربي قوي قادر على إنتاج وإعادة إنتاج هيئات استشارية فعالة، ومؤثرة في شروط التنمية على المستوى المحلي كما الوطني.

ما يثبت صدق الخلاصات أعلاه، هو أثناء ممارستها لأنشطتها ومهامها الاستشارية والتتبعية على أرض الواقع، يعتري الهيئات الاستشارية، خصوصا هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع العديد من الإكراهات والصعوبات، التي تحد من فعاليتها ومن مساهمتها في تجويد مسلسل التنمية على مستوى الجماعات الترابية. من أهم هذه الصعوبات كما بينت التجربة الميدانية:

- التشردم الحزبي والسياسي والايديولوجي لأعضاء الهيئة، والولاءات لجهة أو شخصية ما، الذي ينعكس بشكل سلبي على توافق وإجماع أعضاء الهيئة على آراء استشارية قوية،
- لا تتمتع آراء الهيئة بقوة إلزامية، وهي فقط استشارية ومساعدة لمجلس الجماعة في تدبير وتسيير شؤون الجماعة الترابية،
- هزالة أو انعدام التعويض عن تنقلات أعضاء الهيئة، إلى جانب ضعف أو انعدام الموارد المادية والمعدات التقنية واللوجستيكية الضرورية لنشاط الهيئة،
- تعمد التأخر في تشكيلها بسبب تأثير رئيس مجلس الجماعة على أعضائها، مع محاولة استمالتهم لفائدته،
- أداء تمثيلية النساء بالهيئة يبقى جد محدود، نتيجة ضعف التكوين والتأطير وفهم ومتابعة جديد النصوص القانونية،
- تعمد تغييب الهيئة عن المشاركة في مقررات مجلس الجماعة عند اقتراب نهاية ولايته،
- تقارير تقييم حصيلة برامج عمل الجماعة المعدة من طرف الهيئة، لا تأخذ على محمل الجد من طرف مجلس الجماعة، فهي تبقى للاستئناس فقط.

في انتظار بزوغ هيئات استشارية فعالة من مجتمع مدني قوي يتأسس على الشروط والمقومات التي فصلنا فيها سابقا. وإن كان من توصيات ومقترحات لتجويد مساهمة وأداء هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع الاجتماعي بالشكل الذي توجد عليه حاليا، فإننا ندعوها إلى الالتزام بما يلي:

- ضرورة استفادة أعضاء الهيئة من تأطير وتكوين قانوني لإغناء رصيدهم وخبراتهم، من خلال الانفتاح على مختلف مستجدات قضايا الشأن التنموي الترابي، ومتابعة جديد القوانين، والمشاركة في صياغتها،
- الابتعاد عن التعصب للرأي الواحد، والانتصار إلى المقاربة التشاركية ومقاربة النوع في إعداد الآراء الاستشارية،
- عدم تأثر أعضاء الهيئة بمواقف بعض الشخصيات النافذة، أو النزول عند آرائها ورغباتها، وحملها على تفضيل المصلحة العامة على حساب خدمة مصالحها الخاصة،
- ضرورة انفتاح الهيئة على باقي الهيئات الاستشارية الأخرى والمنظمات داخل وخارج الوطن، من أجل تبادل الخبرات والآراء والمعارف والأفكار والتجارب في ميادين التنمية والتواصل والتعاون والمشاركة،
- تجنب النزاعات والتوترات السياسية والتوجهات الأيديولوجية التي تؤثر سلبا على مهام وتدخلات وأنشطة الهيئة،
- التعبير عن هموم الساكنة المحلية والقدرة على تحويلها إلى قضايا ومشاكل يجب إدراجها في مخططات وبرامج التنمية الجماعية، والبحث لها عن حلول ناجعة.

لائحة المراجع

1- مراجع باللغة العربية

- أماني قنديل، "الموسوعة العربية للمجتمع المدني"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008.
- المهدي بنمير، "الحكامة المحلية بالمغرب وسؤال التنمية البشرية"، مطبعة وليلي، الطبعة الأولى، 2010.
- إدريس جنداري، "التجربة الحزبية في المغرب، غموض التصور وإعاقة الممارسة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فبراير 2012 ، سلسلة تقييم حالة.
- جميل الحمداوي، هابرماس: الحوارية العقلانية بين يورغن هابرماس وطه عبد الرحمان الطبعة الأولى 2020.
- جورج بلانديه، "الانثروبولوجيا السياسية"، ترجمة جورج أبي صالح، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، 1986.
- حسن بن عدي، "البنية والممارسة النقابية في المغرب: بحث في التاريخ والتأريخ"، ترجمة الحنصالي، دار توبقال، 1998.
- ستيفن ديلو، "التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني"، المشروع القومي للترجمة، عدد: 467.
- عبد الله حمودي، "وعي المجتمع بذاته"، مقال ضمن مؤلف جماعي، دار تبقال للنشر، المغرب، 1998.
- فوزي بوخريص، "مدخل إلى سوسيولوجيا الجمعيات"، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 2013 .
- كريم لحرش، "الدستور الجديد للمملكة المغربية، شرح وتحليل"، الطبعة الثانية، مكتبة الرشاد، سطات 2016.
- كريم لحرش، "الدستور الجديد للمملكة المغربي، شرح وتحليل"، سلسلة العمل التشريعي والاجتهادات القضائية، العدد 3، 2012.
- كريم أبو حلاوة، "إشكالية نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره، وتجلياته في الفكر العربي المعاصر"، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، إشراف الطيب تيزيني وعبد الكريم اليافي، جامعة دمشق.
- محمد شخمان، "المجتمع المدني وإشكالية الفهم بالمغرب"، الصحيفة، العدد: 26/25 فبراير 4 مارس 1999،
- الخطاب الملكي المؤرخ يوم 17 يونيو 2011.
- الدستور المغربي لسنة 1996
- الدستور المغربي لسنة 2011
- القانون التنظيمي للجماعات 14-113

- نموذج القانون الداخلي لمجالس الجماعات.

- "دليل مساطر إحداث وتفعيل واشتغال وتتبع هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع بالجماعات"، المملكة المغربية، وزارة الداخلية، المندوبية العامة للجماعات المحلية، سلسلة دليل المنتخب، 2017.

2- مراجع بلغات أجنبية:

-Alain Touraine, (1966), rationalité et politique dans l'entreprise, in l'entreprise et l'économie du 20ème siècle, T.2, édition Puf, Paris.

- Dwayne Woods, Civil Society in Europe and Africa: Limiting State Power through a Public Sphere, Africa Studies Review, 35 (2), 1992.

- Jurgan Habermas, Between Facts and Norms: Contribution to a Discourse Theory of Law and Democracy, Cambridge, MA: MIT Press, 1996.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

الإجازات العلمية ودورها في تعزيز التواصل العلمي

بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث

Academic licenses and their role in enhancing scientific communication

Between the Far Maghreb and Western Sudan, the late Middle Ages and the beginning of the modern era

أ.د. نورالدين أمعيط[31]

()amaait.n@ucd.ac.ma

الملخص:

ليس ثمة شك فيما لعبته الإجازات العلمية من أدوار طلائعية في سبيل تعزيز سبل التواصل العلمي والثقافي بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث، لذا فإن هذه الدراسة تسعى التعريف بالإجازات العلمية وأنواعها وشروط الحصول عليها، ورصد نماذج من الإجازات المتبادلة بين العلماء المغاربة ونظرائهم بالسودان الغربي، وما لعبته من أدوار في تعزيز التواصل العلمي بين المغاربة والسودانيين أواخر العصر الوسيط.

الكلمات المفاتيح: الإجازات العلمية-المغرب الأقصى- بلاد السودان الغربي- أواخر العصر الوسيط- بداية العصر الحديث.

Abstract

There is no doubt about the pioneering roles played by academic degrees in promoting scientific and cultural communication between the countries of the Far Maghreb and the countries of Western Sudan in the late Middle Ages and the beginning of the modern era. Therefore, this study seeks to define scientific degrees, their types, and conditions for obtaining them, and to monitor examples of mutual licenses between scholars. Moroccans and their counterparts in Western Sudan, and the roles they played in promoting scientific communication between Moroccans and Sudanese in the late Middle Ages.

Keywords Scientific vacations - Al-Aqsa Maghreb - Western Sudan - the Middle Ages - the beginning of the modern era.

[31]- أستاذ باحث، جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال.

مقدمة

لا يزال موضوع الإجازات العلمية، وما لعبته من أدوار ثقافية بارزة بين المغرب الأقصى وبلاد السودان أواخر العصر الوسيط، في حاجة ماسة إلى المزيد من البحث والتنقيب[32]، خاصة إذا استحضرنا الدور الريادي الذي لعبته تلك الإجازات في تعزيز الصلات الثقافية بين المغرب الأقصى وبلاد السودان خلال هذه المرحلة، باعتبار الإجازات إحدى أوجه العلاقات الحضارية المشرقة التي ربطت بين ضفتي الصحراء، حيث كان لها دورا فعالا في تعزيز الروابط الفكرية، خاصة وأن تبادلها والحصول عليها، كان ذو قيمة كبرى بالنسبة للطالب والشيخ معا، فبقدر ما تضمن للطالب الذي يحصل عليها، تزكية ومكانة علمية رفيعة داخل المجتمع، كانت أيضا بمثابة اعتراف رمزي بالمكانة المرموقة للشيخ المجيز، فضلا عن كونها إحدى وسائل الكشف عن المصنفات المتداولة وأسماء العلماء من خلال حفاظها على سلسلة الأسانيد عند المسلمين.

وبالنظر لأهمية الإجازة علميا واجتماعيا، فقد تسابق العلماء والأئمة والملوك على طلبها و الحصول عليها، حتى صارت أمنية محببة ومقصدا مطلوبا من جميع الطبقات، فكانوا يبذلون النفس والنفيس ويشدون الرحال في سبيل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث أو نحوهما، وكان الملوك وخاصة الأمراء[33] يلحون في طلب الحصول عليها ويوفدون الوفود في سبيل ذلك.

وتسعى هذه الدراسة إلى التعريف بالإجازات العلمية وأنواعها وشروط الحصول عليها، ورصد نماذج من الإجازات المتبادلة بين العلماء المغاربة ونظرائهم بالسودان الغربي، وما لعبته من أدوار في تعزيز التواصل العلمي بين المغاربة والسودانيين أواخر العصر الوسيط.

أولا: في تعريف الإجازة

[32]- باستثناء مقالتين في الموضوع، الأولى ركزت على المغرب الأوسط دون سواه، والثانية ركزت على إجازات أحمد بابا التنبكتي، لا نكاد نجد دراسة وافية في الموضوع، راجع: عبد الرحمان بلخير ومحمد بوشقيف، الإجازات العلمية لعلماء المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م دراسة في التداول والإسهامات، مجلة عصور الجديدة، المجلد11، العدد: 3، السنة 2021م.ص ص140-159. عبد الرحمان محمد ميغا، الإجازة العلمية ودورها في التواصل العلمي بين علماء المغرب والسودان الغربي، إجازات أحمد بابا التنبكتي نموذجا، مجلة العلماء الأفارقة، تصدر عن مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، العدد 6، 2023م، ص ص.49-70.

[33]- يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، د ت، ص.127 وما بعدها.

الإجازة لغة من أجاز ومعناها طي المسافة وترك المكان وإعطاء الإذن لشخص معين، وجاز القول جوازا ومجازا، أي قبل ونفذ، ويقال جاز بفلان الموضوع، قاده حتى قطعه وتعداه وخلفه وراءه، ويقال أجاز العلم تلميذه بجائزة، أي أذن له في الرواية عنده، والإجازة الإباحة والتسويغ، وأجاز الرأي أو الأمر: أنفذه[34].

ويتضح أن الإجازة لغة تعني ترك المكان وتجاوزه، أي الانتقال من مكان إلى آخر، في سبيل تحقيق غاية معينة، كما تدل على الإذن لشخص ما بالقيام بدور محدد، مثل السماح له برواية كتاب أو أداء وظيفة، وهو ما يعني ضمنيا الاعتراف بنبوغه وقدرته على تحمل الرواية.

والإجازة اصطلاحا تعني إذن الشيخ للطالب برواية ما يصح عنده، من حديثه أو مروياته أو مصنفاته، من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأ عليه، "كأن يقول له: أجزتك، أو أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري، أو ما اشتملت عليه فهرستي، أو نحو ذلك "[35].

وتعد الإجازة بمثابة إذن، وهي إحدى طرق الأخذ والتحمل، وتعد في الأصل من مصطلحات أهل الحديث الذين يعدونها نوعا من أنواع الرواية[36]، كما تعد بمثابة إقرار الأستاذ بأهلية الطالب وتفوقه، وذلك بعد تحصيله التام لفن من الفنون، ويقع النطق بذلك الإقرار، كما يمكن أن يحرر على ورقة تدفع للطالب المتخرج[37].

إن الإجازة هي ترخيص واعتراف من قبل الشيخ أو العالم لطالبه برواية بعض مؤلفاته أو مؤلفات غيره، وإمكانية تدريس ما جاء فيها، بقوله" أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أو ما صح عندك من مسموعاتي"[38]، وهو اعتراف بالمستوى الرفيع الذي حصله الطالب واستحق من أجله ذلك الاعتراف، وتلك الإجازة.

ثانيا: أنـواع الإجـازات

كانت الإجازة إحدى طرق الأخذ وإحدى أنواع الرواية عند المحدثين، و تدل على طبيعة العلاقة العلمية التي تربط بين الطالب وشيخه من جهة، كما تحدد العلاقة بين الطالب ومروياته من جهة أخرى، وقد قسم أحد الباحثين[39] طرق الأخذ إلى ثلاثة

---

[34]- ابن منظور، لسان العرب، (قرص مدمج)،ج3، مادة: جوز.

[35]- ابن رشيد السبتي، استدعاءات الإجازة، دراسة وتحقيق عبد اللطيف الجيلاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1428هـ/27م، ص.7.

[36]- الترغي عبد الله المرابط، الرحلة الفهرسية، نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي رحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد" نموذجا، مجلة التاريخ العربي، العدد:29، 1425هـ/2004م، ص.362.

[37]- محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م، ص.554.

[38]- يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري، م س، ج1، ص. 129.

[39]- الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها و قيمتها العلمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1، 1420هـ/1999م، ص.67.

أقسام: أولها طريقة الأخذ بالدراية، وهي مجموع الطرق التي يتلقى بها الطالب العلم عن شيوخه، وثانيها: طريقة الأخذ عند الصوفية الذين لا يشترطون الاتصال المباشر بين الرواة في السند، إذ قد تكون تربية الراوي من روحانية شيخه، ثم طريقة الأخذ بالرواية التي حددها علماء الحديث في ثمانية أنواع، من بينها الإجازة[40].

وتبدو أهمية التعرف على طرق الأخذ عند المحدثين، في إدراك العلاقة العلمية التي يمكن أن تربط بين طالب العلم وشيخه، وكذلك مروياته، كما تتيح إمكانية الوقوف على الاختلاف الواضح بين علماء الحديث والمتصوفة، فالإجازة عند أهل الحديث هي إحدى طرق الأخذ بالرواية والتي حددوها في ثمانية أقسام وهي: السماع[41] والقراءة على الشيخ[42] والمناولة[43] والكتابة[44] والإعلام[45] والإجازة[46] والوصية بالكتب[47] والوجادة[48].

وإذا كانت الإجازات إحدى طرق الأخذ، فقد تنوعت أقسامها وتعددت معها طرق الأخذ بالرواية عند علماء الحديث الذين جعلوا من السماع أو القراءة المباشرة على الشيخ، من أسمى هذه الطرق وأفضلها، كما فضلوا الإجازة لأنها تمكن الطالب من العلم بالرواية عن شيوخه، وكذا غيره من شيوخ العلم، في حالة ما إذا تعذر عليه الاتصال المباشر بهم.

وقد ميز أحد الباحثين[49] بين نوعين من الإجازات، الأولى **خاصة** والثانية **عامة**، فأما الأولى، فهي التي يجيز فيها الشيخ للطالب رواية علم محدد فقط، كإجازة الحديث أو الفقه أو رواية كتاب خاص درسه عليه. والثانية **العامة** تلك التي يجيز الشيخ فيها لطالبه أن يروي كل العلوم العقلية والنقلية التي درسها عليه فعلا، أو أضافها الشيخ للمقروء، تأكيدا لثقته في تحصيل

---

[40]- نفسه، ص.66.

[41]- **السماع**: والمقصود به السماع من لفظ الشيخ لا غير، وهو أعلى مراتب الأخذ عند الأكثرين. راجع: الترغي، فهارس، م س، ص.67.

[42]- القراءة على الشيخ: وهي التي تحصل من الطالب والشيخ يستمع، سواء كانت القراءة من عرض مكتوب أم من الصدر. نفسه، ص.68.
أيضا : المصطفى لالي، التاريخ الفكري والديني بفجيج خلال القرن 10 و11 و12هـ/16-17-18م، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس ظهر المهراز، 1425هـ/

[43]- **المناولة**: وذلك أن يناول الشيخ طالبه كتابا ويطلب منه أن يرويه. المصطفى لالي، م س، ص.341.

[44]- **الكتابة**: أن يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئا من حديثه، أو يبدأ الشيخ بكتاب ذلك مقيدا للطالب بحضرته، أو من بلد بعيد آخر، ومتى تأكد الطالب من خط شيخه وصح عنده، جاز له أن يحدث بما فيه. الترغي، فهارس، م س، ص.67.

[45]- الاعلام: وهو إعلام الشيخ للطالب أن الحديث من روايته، وأن الكتاب سمعه فقط دون أن يأذن له في الرواية عنه أو يأمره بذلك. نفسه، ص.72.

[46]- **الإجازة**: وهي أن يقول المحدث لغيره أجزت لك أن تروي عني كتابي، أو هذا الكتاب الذي حدثني به فلان، ويبين سنده دون سماع ولا عرض. والإجازة في أصلها ضمان بعلم الطالب وقدرته على نقل هذا العلم. وقد بدأت مع علم الحديث، ثم انتقلت بعد ذلك إلى باقي العلوم الأخرى. راجع: حسن جلاب، الإجازات العلمية على عهد الدولة العلوية، إجازة الشيخ المرابط الدلائي لأبي علي اليوسي نموذجا، مجلة دعوة الحق، العدد:326، السنة الثامنة والثلاثون، 1417هـ/1997م، ص.97.

[47]- **الوصية بالكتب**: وهي أن يوصي الشيخ بدفع كتبه عند موته أو سفره لرجل". الترغي، فهارس، م س، ص.73.

[48]- **الوجادة**: وهي أن يقف على خط الشيخ ويتحقق منه فيحدث به، وقد أجاز البعض الاخذ بها شريطة التحقق من خط الشيخ، وتعيين الرواية بلفظ "وجدت"، فإن استخدم لفظ حدثنا أو أخبرنا، فقد دلس. نفسه، ص.73 .

[49]- حسن جلاب، م س، ص.97-98.

الطالب، كما ذكر **إجازة المجاملة**[50] التي تسلم تكريما وتأدبا دون أن تكون هناك عملية تعلم أو قراءة، **والإجازة عن طريق المراسلة** التي يتبادلها العلماء فيما بينهم، أو يطلبها طالب علم من أحد الشيوخ المشاهير بقطر من الأقطار البعيدة[51].

ويضيف باحث أخر[52]، أصنافا جديدة من الإجازات، فذكر الإجازات الجماعية والتدبيج والإجازات المنظومة التي ظهرت بشكل كبير خلال العهد السعدي، حيث تفنن العلماء في تحريرها نثرا ونظما، فقد كتب أحدهم إجازات مختصرة لا تتجاوز البيتين، ونظم بعضهم الآخر إجازات أخرى طويلة نظما تتألف من عشرة أبيات أو تزيد.

ويبدو أن ثمة اختلاف بين الباحثين في تحديد أنواع الإجازات، ففيما ميز البعض بين النوعين الرئيسيين الإجازات العامة والإجازات الخاصة، ذكر البعض الآخر أنواعا أخرى من الإجازات كالجماعية والمنظومة... وغيرها. وهو ما يعكس تطور الحياة الفكرية داخل مجتمع معين، كما يعكس حرص طلاب العلم في الحصول على الإجازات التي ترفع من شأنهم العلمي، وتتيح لهم تولي بعض المناصب العلمية والدينية من قبيل التدريس و الإفتاء والخطابة والقضاء.

ويزخر التراث المغربي بعدد حافل من الإجازات نظرا لحرص المغاربة، ومعهم أهل السودان الغربي، على ضبط الرواية، وتدقيق الأسانيد، ولعل العدد الكبير الذي وصلنا من كتب الفهارس والتراجم الذي شهدته مرحلة أواخر العصر الوسيط، خير دليل على ما نذهب إليه، إذ لا تكاد تخلو ترجمة عالم من الإشارة إلى مروياته، وشيوخه، ونصوص الإجازات التي تلقاها من شيوخه أو خطها لبعض طلابه.

ثالثا: نماذج من إجازات علماء مغاربة لعلماء سودانيين

منذ القرن التاسع الهجري، لم تعد الإجازات العلمية المتبادلة مقتصرة على العلماء المغاربة ونظرائهم في المشرق الإسلامي فحسب، بل انضاف إلى ذلك قطر السودان الغربي أيضا، الذي صار علماؤه في تواصل علمي وطيد مع العلماء المغاربة والمشارقة على حد سواء، فقد انفتح تبادل الإجازات على بلاد السودان الغربي، منذ المرحلة المذكورة، مستفيدا في ذلك من العلاقات التاريخية العريقة بين ضفتي الصحراء وازدهارها أواخر العصر الوسيط، حيث ازداد التواصل الفكري بفعل حركية العلماء والطلاب وسعيهم لاستكمال تكوينهم والزيادة في العلم والحصول على الإجازات، ومن نماذج الإجازات التي تعكس تواصلا فكريا مهما بين العلماء المغاربة ونظرائهم السودانيين، نذكر:

---

[50]- ومن أغرب الأمثلة عليها ما روي عن محمد بن عبدالرحمان المعروف بابن الوزان صاحب «الصلاة» بجامع قرطبة أنه أجاز مجموع الحاضرين في مجلس وغيرهم من طلاب العلم، وكل من أحب أن يحمل عنه من المسلمين جميع ما يحمله بأي وجه حمل ذلك، وما ألفه، أو وضعه، أو أجاب فيه في القديم والحديث. نفسه، ص.97.

[51]- نفسه، ص.97.

[52]- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ 2، مطبعة فضالة، 1978م، ج1، ص ص.103-110.

أ-إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي لأبي بكر بن محمد آت الشريف الحسني التنبكتي: وقد استهل العلامة عبد القادر الفاسي[53] إجازته للسيد أبا بكر بن محمد الشهير بآت الشريف الحسني التنبكتي[54] بالبسملة والحمدلة والتصلية على النبي محمد (ص)، فسعى في البداية إلى الرفع من مكانة الطالب التنبكتي الذي وصفه بالفقيه والعلامة والألمعي، وهي أوصاف تنم عن نباهة العالم التنبكتي وحسن خلقه من جهة، وتواضع الشيخ المغربي وحسن تعاونه من جهة ثانية.

ويبدو من خلال نص الإجازة، أن العالم التنبكتي، هو من طلبها من العالم المغربي، فقد جاء في نصها "سألني -أي العالم التنبكتي- أن أجيزه في الكتب الحديثة، مثل الصحيحين وغيرهما فيما ذكر، بحسب أخذنا ذلك عن مشايخنا بأسانيدهم المذكورة في تراجمهم وإجازاتهم"[55].

ولم يكتف العالم التنبكتي بطلب الإجازة فحسب، بل حدد الكتب التي أراد الحصول على الإذن في روايتها عن الشيخ عبد القار الفاسي، مثل صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما مما يندرج في علم الحديث، فضلا عن توضيح سلسلة الأسانيد، بذكر الشيوخ الذين أذنوا بالرواية عنهم للعلامة عبد القادر الفاسي، نزولا عند طلب العالم التنبكتي، فجاء في نص الإجازة، "أما صحيح البخاري، فعن شيخنا الإمام العالم الرباني المحقق أبي زيد عبد الرحمان والدي أبي محمد الفاسي، عن الشيخ الإمام العالم المحدث النظار أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار..."[56].

وبالمثل، فإن العالم المغربي، الشيخ عبد القادر الفاسي، سارع لتلبية الطلب، وهو ما يكشف عنه نص الإجازة، حين ذكر:" وقد أجزت له ذلك وجميع ما يجوز لي وعني روايته من مقروء ومسموع ومجاز ما يجوز من ذلك(...)، صح عني أو سمعه مني". ويبدو أن الشيخ عبد القادر الفاسي، قد تعدى تلبية رغبة العالم التنبكتي إلى منحه إجازة عامة والإذن له بالرواية عنه جميع ما تجوز له روايته.

وتعكس هذه الإجازة طرق الأخذ التي سلكها العلامة عبد القادر الفاسي عن مشايخه، وعلى رأسها القراءة المباشرة على الشيخ والسماع والإجازة...، وهي عناصر تؤكد أن العلامة المغربي، كان حريصا على لقاء العلماء وحضور المجالس العلمية، فيتوج ذلك بالحصول على الإذن في الرواية عنهم، وحين يتعذر عليه الأمر، فإنه كان يطلب الحصول على الإجازات.

---

[53]- الشيخ عبد القادر الفاسي: **عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد أبو السعود بن أبي الحسن بن أبي المحاسن المغربي الفاسي المالكي**،(1007 هـ 1599 م-1091 هـ/ 1680 م) العلامة المحدث المفسر الصوفي ومؤسس الزاوية الشاذلية بالقصر الكبير، وقد وصفه صاحب السلوة ب"إمام الأئمة، وشمس الأمة، ركن الإسلام، وعلم الأعلام". راجع ترجمته عند: الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ج1، ص.352. الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، البيضاء، 1425هـ/2004م، ص.310-314.

[54]- مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في السودان الغربي، دراسة في التواصل الحضاري العربي الافريقي، دار امدار الإسلامي، 2004، ص.120-121.

[55]- نفسه، ص.121.

[56]- نفسه، ص.121.

ولعل من أهم خصائص هذه الإجازة، الإشارة إلى الطرف المجيز، وهو العلامة عبد القادر الفاسي، والطرف المجاز، وهو العالم التنبكتي أبي بكر بن محمد بن محمد الشهير بآت التنبكتي، كما تشير أيضا إلى أن العالم التنبكتي هو من طلب الحصول على الإجازة، وحدد الكتب التي تندرج في علوم الحديث موضوعا للإجازة، وإن كان قد أغفل ذكر تاريخ تدوينه هذه الإجازة للعالم التنبكتي.

ب- إجازة الفقيه أبو العباس أحمد أحزي الهشتوكي للطلبة والعلماء السودانيين:

تعد إجازة الفقيه أبو العباس أحمد أحزي[57]، نموذجا حيا على أهمية العلاقات العلمية بين المغاربة وأهل السودان أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث، خاصة وأن الفقيه أحزي يعد من بين العلماء المغاربة الذين شدوا الرحال إلى الضفة الأخرى من الصحراء، منخرطا في الحياة العلمية والفكرية بهذه الربوع.

ويعتبر الفقيه أحمد بن محمد بن داود بن يعزى بن يوسف الجزولي التملي نسبا الشهير بأحزي و الهشتوكي[58]، من مشاهير علماء سوس في عصره، عاش ما بين (1057هـ/1647م-1127هـ-1715م)، وقد شد الرحال، بعد استكمال تكوينه وإجازته من قبل شيوخه، إلى حاضرة تغازى حوالي سنة 1091هـ/1680م، وبها تولى " القضاء، ونال بها أموالا عظيمة، وأخذ عن جملة وافرة من علماء تلك الناحية وأجازهم، وكان معظما محترما موقرا عندهم"[59]. وقد أقام بتغازى نحو عقد من الزمان، تصدى خلالها للتدريس والقضاء والإفتاء[60].

ترك هذا الفقيه بصمته العلمية من خلال الوظائف التي قام بها هناك، وكذا من خلال منحه الإجازات للطلبة والعلماء بهذه المدينة، وهي الإجازات التي جمعها وسماها "بقرى العجلان في إجازة الأحبة والإخوان"[61].

---

[57]- اختلفت المصادر في طريقة رسم اسمه، حيث دون اسمه "أحزي" تارة بدون واو، بينما كتب "أحوزي" بالواو، تارة أخرى. راجع: الحضيكي، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1427هـ 2006م،ج 1، ص.89. المختار السوسي، سوس العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1380هـ/ 1960م، ، م س، ص.190.

[58]- أنظر ترجمة الفقيه أحزي عند: الخليفتي، الدرة الجليلة في مناقب الخليفة، تحقيق: أحمد عمالك، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 145هـ/2014م، ج2، ص.350 وما بعدها . عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس، اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1402هـ/1982م، ج2، ص. 1102-1103. المختار السوسي، م س، ص. 190. العباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، 1428هـ/ 2007م،ج 2، ص. 35. الحضيكي، طبقات الحضيكي، م س، ج 1، ص.89. أبو زيد أحمد، التواصل الثقافي بين المغرب وإفريقيا الغربية من خلال إجازة الفقيه أحوزي، مجلة التاريخ العربي، العد9، 1419هـ/1999م، ص.204-205.

[59]- الخليفتي، ج2، ص.351.

[60]- أبوزيد أحمد، م س، ص.205.

[61]- الفقيه أحزي أبو العباس أحمد بن محمد الجزولي التملي الهشتوكي التمكروتي(1057هـ/1127هـ)، قرى العجلان على إجازة الأحبة والإخوان، دراسة وتحقيق صالح بن ابراهيم أيت بابا التمكروتي، دار الرشاد الحديثة، 2024م.

تتضمن هذه الإجازة قائمة بأسماء الطلبة الذين انتظموا في مجالس الشيخ أحزي بتغازى، وجملة من العلماء الذين التقى بهم، وطلبوا منه إجازتهم، كما تتضمن إشارة إلى شيوخ الفقيه أحزي الذين أخذ عنهم وأجازوه كتابة وتدريس أسانيدهم العلمية[62].

ويبدو أن الفقيه أحزي، قد التقى بعدد من العلماء الذين طلبوا منه إجازتهم، مما ينم عن حركية دؤوبة للطلاب والعلماء السودانيين صوب بلاد المغرب في إطار رحلات علمية تتوج بالحصول على الإجازات.

ويعد الفقيه أحزي نموذجا للعلماء المغاربة الذين شدوا الرحال إلى بلاد السودان فتركوا بصمات علمية واضحة هناك من خلال إقامة مجالس العلم وجلوسهم للتدريس والإفتاء والقضاء، مما جعله يحظى باحترام كبير عندهم، وهو ما يؤكد المكانة العلمية التي كان يحظى بها العلماء المغاربة لدى أهل السودان.

ويتضح من خلال النموذجين السالفي الذكر، نشاط الحركة العلمية والثقافية بين المغرب و بلاد السودان الغربي، فإجازة العلامة عبد القادر الفاسي للسيد أبي بكر بن محمد الشهير بات التنبكتي، وإجازات الفقيه أحزي لمجموعة من الطلبة بالسودان الغربي، خاصة وأنه هاجر إلى بلاد السودان فاستقر بتغازى وانخرط في الحياة العلمية بها، كلها قرائن تؤكد عمق الروابط العلمية بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء وتألقها أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث.

ثالثا: إجازات العلماء السودانيين لعلماء مغاربة

لقد شهدت الحركة الفكرية تطورا مهما ببلاد السودان الغربي ابتداء من القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، حيث انتقل الوضع العلمي من مرحلة التلقي إلى مرحلة التأليف والإبداع، بفضل ثلة من العلماء الذين تمكنوا من الرقي بمستواهم العلمي، فصاروا من كبار علماء العالم الإسلامي، و أنتجوا مؤلفات في شتى فروع المعرفة، كما انخرطوا في القضايا التي شغلت بال علماء العالم الإسلامي.

إن تبادل الإجازات يعني أن بلاد السودان الغربي، قد شهدت ميلاد عدد من العلماء الذين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي وانخرطوا في خدمة التواصل الفكري بين ضفتي الصحراء، وعلى رأس هؤلاء أحمد بابا التنبكتي الذي لم يكتف بالجلوس للإقراء والتدريس بالمغرب وانخراطه في القضايا التي شغلت الفكر الإسلامي، بل عمل على منح الإجازات لبعض العلماء المغاربة. ومن نماذج الإجازات العلمية التي منحها العلامة أحمد بابا التنبكتي لعلماء مغاربة، نذكر:

[62]- نفسه، ص.206.

أ-إجازة أحمد بابا التنبكتي ليحيى بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي[63]، وقد تضمنت هذه الاجازة الحمدلة والتصلية على رسول الله، كما ذكر طرفي الاجازة اي المجيز والمجاز له، ومن خلالها يمكن الوقوف على بعض صفات تواضع العلماء، ففيها حاول احمد بابا التنبكتي الرفع من مكانة المجاز واعتباره من سليل اسرة عالمة.

ولم يقتصر أحمد بابا التبكتي على منح الإجازة ليحيى بن عبد المنعم الحاحي وحده، بل شملت الإجازة إخوته وأولاده كلهم، محددا موضوع الإجازة بقوله:" أن يرووا عني ما اشتمل عليه هذا الجزء من الكتب والأحاديث المذكورة فيه بأسانيدها، وأعني بالجزء جزء إجازة الخرقاني"، علما أن قطب الدين المكي الخرقاني هو شيخ أحمد بابا التنبكتي، الذي لم ينس سلسلة الأسانيد. وقد ذكر احمد بابا التنبكتي في ختام الاجازة تاريخ كتابتها حين اشار الى ذلك بقوله:" وكتب الفقير احمد بابا يوم ثالث عشر ذيالقعدة سنة ثمان وألف".

إن هذه الاجازة التي تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري (1008هـ/1599م)، تعطي فكرة جلية عن سمو العلماء السودانيين وارتقائهم إلى مصاف جهابذة علماء العالم الإسلامي.

ب-إجازة أحمد بابا التنبكتي للتمنرتي:

تتضمن هذه الإجازة معطيات تاريخية مهمة عن قدوم العلامة أحمد بابا التنبكتي إلى المغرب ودور أحمد المنصور السعدي في استقدامه إلى جانب علماء آخرين إلى مراكش، بعد الحملة التي قادها جودر باشا والتي انتهت بفتح بلاد السودان.

لم يتمكن العالم التمنرتي من لقاء العلامة أحمد بابا التنبكتي لظروف حالت دون لقائهما، وهو ما يشير إليه بقوله: "فاتني لقاؤه والأخذ عنه"، ورغم ذلك فقد حصل التمنرتي على إجازة العلامة أحمد بابا التنبكتي عن طريق المراسلة وطلب الإجازة على أن يأذن له في الرواية عنه ما يثبت عنه في الحديث. وقد لبى أحمد بابا التنبكتي طلب العالم المغربي، مشيرا إلى ذلك بقوله "فقد أجزت لك أن تروي عني جميع ما يجوز لي تلفظا بها بشرطه المعتبر عند أهلها"[64].

ويبدو أن هذه الإجازة لم تكن من كتابة الشيخ أحمد بابا التنبكتي، بل من تدوين ابنه محمد بن أحمد بابا بن أحمد بن محمد أقيت، بسبب ظروف أحمد بابا الصحية وعجزه عن الكتابة.

تقدم هذه الإجازة معلومات تاريخية مهمة عن الفترة التي قضاها أحمد بابا التنبكتي بمراكش وتواصله مع العلماء المغاربة لقاء ومراسلة وإجازته لعدد من العلماء المغاربة، وإن لم يكتب له اللقاء بهم نظير العالم التمنرتي، وذلك عن عن طريق المراسلة.

---

[63]- التمنرتي عبد الرحمان، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص.210.
ويحيى بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي: فقيه ومتصوف مغربي توفي عام 1035هـ/1626م، أنظر ترجمته عند: المراكشي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،المطبعة الملكية، 2007م، ج8،ص.155.

[64]- التمنرتي، م س، ص.49.

ج-إجازة عالم سوداني لأحد تلاميذه المغاربة محمد بن محمد الدرعي المهراوي:

بعد افتتاح العالم السوداني للإجازة بواسطة الحمدلة والشهادتين والدعاء بالتوفيق وجمع الكلمة، ذكر "أجزت الأخ المكرم السيد الطالب محمد بن محمد الدرعي المهراوي، أن يروي علي كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم"[65]. وقد ذكر هذا العالم نص الإجازة و موضوعها، وهو الإذن بالرواية في كتاب الشفا للقاضي عياض، وهو ما يوحي بأن كتاب الشفا يحتل مكانة مرموقة لدى السودانيين، فضلا عن ذكر اسم الطالب المغربي المجاز ، وهو محمد بن محمد الدرعي المهراوي.

وبالرغم من المعلومات القيمة التي تضمنتها الإجازة، فإن كاتبها أغفل الإشارة إلى إسمه، غير أن أحد الباحثين يرجح أن الأمر يتعلق بعالم سوداني من عائلة معيا السودانية الشهيرة بتنبكتو[66].

وفي سياق ذكر الفقيه المجيز لسلسلة الأسانيد، يذكر فقط علماء سودانيين ومنهم القا ضي أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد معيا وغيرهم ممن أذنو للمجيز في رواية كتاب الشفا للقاضي عياض.

ج-إجازة أحمد بابا التنبكتي للمقري:

لقد صرح المقري في كتابه روضة الاس، بطبيعة العلاقة التي كانت تربطه بالشيخ أحمد بابا التنبكتي، وهي علاقة صداقة و مشيخة، حيث ذكر أول لقاء به قائلا " لقيته بمراكش (...) وانتفعت به واستفذت منه وكنت كثيرا ما أذهب معه الى زيارة الصالحين بحضرة الإمامة مصحوبين بجملة أعلام، فنتذاكر في طريقنا فنونا جمة، وأعارني جملة كتب، من خزانته الفريدة،(...) وأجازني جميع تآليفه المفيدة، وكتب لي بخطه بذلك مرارا عديدة"[67].

ويبدو أن علاقة المقري بشيخه أحمد بابا التنبكتي، لم تقتصر على مرافقته والأخذ عنه، بل تعدى ذلك إلى حصوله على إجازات عديدة منه، والاستفادة من خزانته الغنية حيث أعاره كتبا عديدة، و وهب له أخرى، لعل أبرزها "مسودة نيل الابتهاج" حيث ذكر قائلا: " ووهب لي مسودته، وكتب لي الإجازة على ظهر أول ورقة منها"[68]. وفيما يلي نص الإجازة كما أثبتها المقري:

" الحمد لله كما هو أهله(...)، أجزت الفقيه الحافظ المتفنن النبيه سيدي أبي العباس أحمد بن محمد المقري، من قرابة أبي عبد الله المقري قاضي الجماعة رحمه الله ونفعنا به أمين (...)، أن يروي عني هذا التعليق في التاريخ وجميع ما جمعته من

---

[65]- مطير سعد غيث، الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار الإسلامي، 2004م، ص.127-128. نقلها عن وثيقة خاصة.

[66]- نفسه، ص. 127-128.

[67]- أحمد بن محمد المقري، روضة الاس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1983م، ص ص.304-305.

[68]- نفسه، ص. نفسها.

الفنون،(...) وأجزته غير ذلك مما جمعته في العربية والفقه والحديث، وأجزته أيضا أن يروي عني جميع مختصر الشيخ خليل بحق قراءتي له قراءة بحث وتحقيق، وحضوري أيضا كذلك على شيخنا الإمام (...) سيدي محمد بغيغ الونكري نحو عشر مرات في أزيد من عشر سنين بحق قراءته له على سيدي احمد بن سعيد الفقيه(...) حفيد سيدي البركة محمود بن عمر الفقيه(...) وأجازنيه اجازته سيدي الفقيه(...) والدي أحمد بن محمد، بحق قراءته له على عمه سيدي محمود بن عمر المذكور، بحق قراءته له هو على الشيخ عثمان المغربي على العلامة نورالدين السنهوري، على العلامة البساطي وغيره، على أصحاب خليل بهرام والاقفهسي وغيرهما، عن مؤلفه خليل رحمه الله (...) وكتب الفقير أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي التنبكتي المالكي (...) يوم السبت خامس عشر ربيع الثاني عام عشرة وألف "[69].

ومن خلال نص الإجازة السالف الذكر، يبدو أن الشيخ أحمد بابا، قد أجاز الفقيه أحمد بن محمد المقري، إجازة عامة، لم تقتصر على فن معين، فنص الإجازة تضمن الإشارة إلى فنون مختلفة من قبيل الحديث والعربية والتاريخ وغيرها. وختمها بذكر بسنة التدوين وهي شهر ربيع الثاني من عام عشرة وألف، (1010هـ/1601م).

وقد تضمن نص هذه الإجازة سلسلة الأسانيد التي ذكرها أحمد بابا التنبكتي، وتشتمل على جملة من العلماء ممن تلقى على أيديهم الشيخ التنبكتي، مختلف العلوم والفنون فأجازوه فيها، وشهدوا له بالتمكن والنباهة، وينتمي هؤلاء العلماء إلى كافة أنحاء العالم الإسلامي، ومن أبرزهم محمد بغيغ من علماء السودان، وعثمان المغربي من بلاد المغرب، ونورالدين السنهوري و البساطي من بلاد المشرق الإسلامي وغيرهم.

ويبدو أن العلامة أحمد بابا التنبكتي، قد كتب إجازة أخرى يوم خروج المقري من مراكش، بطلب من المقري نفسه، وفي ذلك يقول التنبكتي "لما يسر الله لي ملاقاة السيد أبي العباس أحمد بن محمد المقري(...) جالسته وحادثته واستفدت منه فوائد، طلب مني أعلا الله شأنه، أن أجيزه في الحديث وفيما لي به رواية من كتبه، فأسعفته بذلك لأنه أهل لذلك وزيادة"[70]. ومن الكتب التي وقع عليها الإذن بالرواية، كتاب صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وموطأ الامام مالك، وكتاب الشفا للقاضي عياض، وهي الكتب التي ذكرها أحمد بابا التنبكتي مع إشارته إلى سلسلة الأسانيد وأسماء الأئمة الذين أخذ عنهم.

وقد ختمت الإجازة بقول التنبكتي لتاريخ تدوينها ومكانه حيث ذكر" وكتب الفقير أحمد بابا بتاريخ يوم السبت خامس عشر ربيع الثاني عام عشرة وألف، سنة أرانا الله ختامه في عافية بمدينة مراكش المصونة احاطها الله".

ويبدو أن الإجازتين معا، تعودان لنفس السنة (1010هـ/1601م)، وقد تضمنت الأولى الإجازة في فنون مختلفة، بينما جاءت الثانية مطولة ذكر فيها التنبكتي سلسلة أسانيده ومجموعة من علماء العالم الإسلامي الذين أخذ عنهم.

---

[69]- نفسه، ص ص.304-305.

[70]- المقري، روضة الاس، م س، ص.306.

خلاصة واستنتاج:

- تشابه نظام الإجازات بالسودان الغربي مع نظيره بالمغرب، وهو دليل على تأثر التعليم السوداني، بمثيله المغربي، حيث تلقت بلاد السودان روافدها الأولى من المغرب الأقصى بصفة خاصة، و انتهى ذلك إلى ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية بهذه الربوع بفضل اتصال العلماء وحركية الطلاب، خاصة بعد عودة العلماء السودانيين إلى ديارهم إثر عمليات التهجير التي طالتهم بعد غزو المنصور السعدي لبلاد السودان.

-كانت الإجازة بمثابة تتويج حقيقي للمسار العلمي للطالب، ذلك أن الشيخ عندما يلمس في طالبه النباهة والقدرة اللازمة من حيث الضبط والحفظ والإتقان، كان يأذن له في الرواية عنه بموجب إجازة مكتوبة تتضمن ذلك.

-حرص فقهاء المغرب ومعهم فقهاء بلاد السودان الغربي أثناء صياغتهم للإجازات العلمية للطلبة المتفوقين، على ذكر سندهم العلمي المتمثل في تسلسل الشيوخ والعلماء الذين تناقلوا فيما بينهم المعرفة الخاصة بالكتاب أو مجموعة كتب موضوع الإجازة التي يمكن أن تكون مباشرة أو ترسل لأصحابها إن لجأ أحد الطلاب إلى مراسلة أستاذه الذي لم يتكمن من مقابلته، مع وجوب أن يكون الأستاذ عارفا بباع الطالب ونبوغه.

-حرص العلماء السودانيين على نيل الإجازات، وتأثرهم بنظرائهم المغاربة، وقد تميزت طريقة الإجازة عندهم بالبساطة لأن الغاية منها التأكد من أهلية الطالب ومدى تمكنه، بقصد تتويجه بالدرجة العلمية المستحقة.

-المستوى الرفيع الذي بلغته العلاقات العلمية والثقافية بين بلاد المغرب الاقصى وبلاد السودان الغربي أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث.

البيبليوغرافيا:

أولا: المصادر:

- التمنرتي عبد الرحمان، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
- الحضيكي، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1427هـ 2006م.

- ابن رشيد السبتي، استدعاءات الإجازة، دراسة وتحقيق عبد اللطيف الجيلاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1428هـ/2007م.
-المختار السوسي، سوس العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1380هـ/ 1960م.

- الكتاني، **سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ج1، ص.352. الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، البيضاء، 1425هـ/2004م.

- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس، اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1402هـ/1982م.

-أبو العباس أحمد أحزي، قرى العجلان على إجازة الأحبة والإخوان، دراسة وتحقيق صالح بن ابراهيم أيت بابا التمكروتي، دار الرشاد الحديثة، 2024م.

- المراكشي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، 1428هـ/ 2007م.

- المقري، روضة الاس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1983م.

ثانيا: المراجع:

-أبو زيد أحمد، التواصل الثقافي بين المغرب وإفريقيا الغربية من خلال إجازة الفقيه أحوزي، مجلة التاريخ العربي، العد9، 1419هـ/1999م.

- بلخير عبد الرحمان ومحمد بوشقيف، الإجازات العلمية لعلماء المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م دراسة في التداول والإسهامات، مجلة عصور الجديدة، المجلد11، العدد: 3، السنة 2021م.

-الترغي عبد الله المرابط، الرحلة الفهرسية، نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي رحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد" نموذجا، مجلة التاريخ العربي، العدد:29، 1425هـ/2004م.

- الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها و قيمتها العلمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1، 1420هـ/1999م.

- حسن جلاب، الإجازات العلمية على عهد الدولة العلوية، إجازة الشيخ المرابط الدلائي لأبي علي اليوسي نموذجا، مجلة دعوة الحق، العدد:326، السنة الثامنة والثلاثون، 1417هـ/1997م.

- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ 2، مطبعة فضالة، 1978م.

- يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، د ت.

- المصطفى لالي، التاريخ الفكري والديني بفجيج خلال القرن 10 و11 و12هـ/16-17-18م، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس ظهر المهراز، 1425هـ/2004م.

- محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م،

-مطير سعد غيث، الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار الإسلامي، 2004م.

-عبد الرحمان محمد ميغا، الإجازة العلمية ودورها في التواصل العلمي بين علماء المغرب والسودان الغربي، إجازات أحمد بابا التنبكتي نموذجا، مجلة العلماء الأفارقة، تصدر عن مؤسسة محمد السادس للعلماء الافارقة، العدد 6، 2023م.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد الأفريقي والدولي

The repercussions of the Russian -Ukrainian war on the African and international economy

عبدالسلام سالم مسعود البوسيفي

قسم السمع والنطق – كلية التقنية الطبية صرمان – جامعة صبراتة

(Z5973481@gmail.com)

الملخص:-

تزامن اندلاع الحرب في أوكرانيا مع بدء مختلف دول العالم مرحلة التعافي من تبعات انتشار وتفشي فيروس كورونا المستجد على مدار العامين السابقين، وما تبع ذلك من آثار اقتصادية ضخمة وسلبية، ولم يكد الاقتصاد العالمي يجد طريقة إلى التعافي من أزمات التضخم وارتفاع أسعار مصادر الطاقة، واضطرابات سلاسل الإمداد العالمية، حتى تسببت حرب روسيا على أوكرانيا في عرقلة التعافي الاقتصادي العالمي، وهو ما انعكس في زيادات ضخمة بأسعار مصادر الطاقة، والمحاصيل الزراعية، خاصة بعد فرض عقوبات غير مسبوقة على مختلف قطاعات الاقتصاد الروسي، وبنكها المركزي، واحتياطاتها النقدية في الخارج، حيث تعد الحروب هي أحد الأسباب الرئيسة للتراجع الاقتصادي، وانتشار الفقر والجوع، وفي ظل اقتصاد معولم فإن التأثيرات الاقتصادية تصل أبعد كثيرًا من حدود الصراع، ومع شن روسيا الحرب على أوكرانيا أثيرت المخاوف بشأن التداعيات الاقتصادية المحتملة لتلك الحرب خاصة على أسعار القمح، والحبوب، ومصادر الطاقة، ملوحًا بأزمة غذاء أو بالأحرى مهددًا الأمن الغذائي في العديد من الدول، ورغم أن بعض دول العالم قد تستفيد من جراء تلك الأزمة، ولكن تظل الآثار السلبية الناشئة عن هذه الحرب تلقي بظلالها على العالم بأسره على جميع الأصعدة والمستويات وخصوصا على الجانب الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية:- تداعيات - الحرب الروسية الأوكرانية – الاقتصاد الأفريقي والدولي.

Abstract:

The outbreak of war in Ukraine coincided with the various countries of the world beginning the phase of recovery from the consequences of the spread and spread of the new Corona virus over the past two years, and the huge and negative economic effects that followed, and the global economy has barely found a way to recover from the crises of inflation, high prices of energy sources, and unrest. Global supply chains, until Russia's war on Ukraine hindered global economic recovery, which was reflected in huge increases in the prices of energy sources and agricultural crops, especially after the imposition of unprecedented sanctions on various sectors of the Russian economy, its central bank, and its cash reserves abroad, as Wars are one of the main causes of economic decline, and the spread of poverty and hunger. In light of a globalized economy, the

economic effects reach far beyond the borders of the conflict. With Russia launching the war on Ukraine, concerns were raised about the potential economic repercussions of that war, especially on the prices of wheat, grains, and energy sources. , threatening a food crisis, or rather threatening food security in many countries, and although some countries of the world may benefit from that crisis, the negative effects arising from this war continue to cast a shadow over the entire world at all levels, especially on the economic side.

Keywords: - repercussions - the Russian-Ukrainian war - African and international economy

المقدمة:-

وإلى جانب الطموح الروسي بإعادة الهيبة الدولية لروسيا توجد بعض التفسيرات بشأن أسباب الحرب الروسية على أوكرانيا، حيث أن هناك علاقة ارتباطية بين السلوك الروسي ومسائل السياسة الداخلية، مما يعني ان سياسة روسيا تجاه أوكرانيا املتها أمور تتعلق بأمن النظام الروسي داخلياً، فانتهاج روسيا سياسة توسعية في أوكرانيا بعد متنفساً من الضغوط التي يواجهها النظام الروسي داخلياً ، وللتغطية على العجز في الاقتصاد الروسي ذات الطبيعة الريعية ، ومن أجل حشد الدعم الداخلي حول سياسات النظام الروسي وجعل روسيا في منأى عن أية تأثيرات محتملة للسياسات الغربية المعادية لروسيا (بولعراس، 2022) فالسياسة الروسية ومن خلال تدخلها العسكري في أوكرانيا تسعى إلى حماية المجتمع الروسي من عدوى التغيير الديمقراطي وفقاً للنموذج الغربي، وهو ما يفسر لجوء روسيا إلى دعم الانفصاليين في إقليم الدونباس، وتحصين المجتمع الروسي ضد الأفكار المطالبة بتغيير النظام أو اسقاطه، فالنظام الروسي يهدف من وراء تلك السياسة إلى أحكام سيطرته على ثروات الطاقة والأسواق في ضمن المجال الأوراسي (بولعراس، 2022، ص:22)، أما في ما يتعلق بالجانب الاقتصادي فالمتغير الاقتصادي بعد محدداً رئيساً للسياسة الخارجية للدولة وهذا الأمر ينطبق على أوكرانيا التي تمتلك إمكانيات زراعية ضخمة جعلتها تحتل المراتب الأولى في أنتاج وتصدير القمح، وذلك بفضل المناخ الملائم والجودة العالية لأراضيها الزراعية، بحيث يمثل القمح (40%) الى (50%) من انتاج محاصيل الحبوب الزراعية (الملا، 2022)، وتكمن أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا من الناحية الاقتصادية في مجالات الطاقة والتجارة، ففي مجال الطاقة تعبر انابيب الغاز الروسي نحو وسط وشرق أوروبا عبر الأراضي الأوكرانية بتكلفة تبلغ مليارات الدولارات كرسوم عبور تدفعها روسيا إلى أوكرانيا، اما على الصعيد التجاري تعد روسيا أول شريك تجاري لأوكرانيا وقد احتفظت بهذه المرتبة لسنوات طويلة ولكنها تراجعت في السنوات الأخيرة امام التقدم الصيني (بولعراس، 2022، ص:21)، كما تؤدي أوكرانيا دور في عبور السلع التجارية الروسية الى الأسواق الأوروبية وذلك بسبب العجز الذي تعيشه الموانئ الروسية على بحر البلطيق والبحر الأسود، وعدم قدرتها على التصدير إلى أوروبا حيث ان روسيا تصدر نحو (40%) من سلعها عبر الأراضي الأوكرانية، ونجد أن بأن (94%) من اجمالي الغاز والطاقة الذي تستهلكه أوروبا من روسيا يمر عبر الأراضي الأوكرانية أو ما يسمى بالمثلث الطاقوي، حيث يكون الإنتاج روسي والتوزيع اوكراني والاستهلاك أوروبي، من خلال الخط المعروف بخط دورشا أي خط الصداقة، بينما يمر (3%) من الغاز الروسي المصدر إلى أوروبا عبر أراضي بيلاروسيا، أما بالنسبة لروسيا فتعتبر أكبر سوق للسلع الأوكرانية التقليدية لاسيما في المجال الزراعي، والصناعي، في حين نجد بأن صادرات أوكرانيا الى روسيا كانت في تزايد مستمر فيما يتعلق بالمواد الخام، والغاز، والنفط، والزيوت المعدنية، والوقود النووي، ففي عام (2008) زادت صادرات روسيا إلى أوكرانيا بنسبة (24%) عن نسبة (2005)، أي

ما يعادل (3.1) مليار دولار (الملا، 2022، ص: 52) واستنادا لكل ما سيق نجد أن الاقتصاد العالمي يتأثر بشكل كبير من تداعيات هذه الحرب الدائرة الآن على الأراضي الأوكرانية، حيث يتسم النظام الاقتصادي العالمي بالدينامية والتطور، ويتأثر بالتفاعلات التي تجعله يتسم بسمات جديدة نتيجة للتغيرات التي تطرأ عليه، فالتحولات التي طرأت على النظام الاقتصادي العالمي بعد انتهاء الحرب الباردة دفعت به إلى انتاج أنماط جديدة تختلف عن ما كانت عليه قبيل الحرب الباردة، فضلاً عن ذلك فأن النظام الاقتصادي العالمي يعاني من عدة اختلالات بنيوية كانت انعكاساتها تظهر بقوة عند وقوع أي ازمة دولية أو إقليمية، وبالرغم من أن الاختلالات الهيكلية تلك كانت كافية في حد ذاتها للإعلان عن وجود ازمة في النظام الاقتصادي العالمي، الا ان صناع السياسة الاقتصادية الدولية المؤثرين على المستوى الدولي لا يهتمون كثيراً بعلاج تلك الاختلالات البنيوية (نور، 2019)، وقد مر الاقتصاد العالمي بالعديد من التغيرات والتحولات التي غيرت من شكل النظام الاقتصادي العالمي و طبيعته وكانت من ابرز تلك التحولات ظهور التكتلات الاقتصادية ، والتي أصبحت الأخيرة أحد اهم السمات الرئيسة في النظام الاقتصادي العالمي، اذ من خلال تلك التجمعات يتم التنسيق بين دول العالم المختلفة لإيجاد بيئة مناسبة للتعاون الاقتصادي والتبادل التجاري، وعلى الرغم من التناقض الذي قد يبدو في الانفتاح المتزايد بين دول العالم، ووجود التكتلات الاقتصادية، الا انه قد استمر بروز تلك التكتلات ولكن بصورة تتلاءم مع حرية الأسواق العالمية، و لا تتعارض مع قواعد منظمة التجارة العالمية (الدسوقي، 2015)، وغير بعيدا عن كل ذلك أسهمت الحرب الدائرة بين الدب الروسي وأوكرانيا في تدهور الاقتصاد العالمي بشكل كبير وعلى الأمن الغذائي للعديد من الدول، حيث باتت الكثير من الدول تعاني مشكلة في غذاء شعوبها، لذلك نجد الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الجانب، والمحللين الاقتصاديين بحثوا في هذا الجانب وأولو جل اهتمامهم بهذه القضية وذلك لتأثيرها المباشر على الأنظمة السياسية، وسياسة الدول الخارجية والداخلية، وعلى الشعوب وأمنها الغذائي.

مشكلة الدراسة:-

يرى الباحث والمتابع للأحداث الجارية بين روسيا وأوكرانيا أن هذه الأحداث قد أحدثت تغييرات كبيرة في العالم عموما خصوصا على الجانب الاقتصادي والأمن الغذائي، لذلك نجد أن الكثير من الباحثين والمهتمين بأخر التطورات الحاصلة في الحرب الروسية الأوكرانية عكفوا على دراستها للتعرف على تأثيرها على دول الجوار والمنطقة، لذلك أفرد الباحث هذه الدراسة للبحث ودراسة تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية التي شغلت أذهان المفكرين والباحثين منذ بداية هذه الحرب في العام (2021) على اقتصاد الدول الإفريقية ودول العالم وأمنها الغذائي.

تساؤل الدراسة:-

والتي يتمثل في: **ما هي تداعيات الحرب الروسية الأوكر انية على الاقتصاد الأفريقي والدولي؟**

هدف الدراسة:-

ويتمثل هدف الدراسة في: التعرف على تداعيات استمرار الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد الأفريقي والعالمي.

أهمية الدراسة:-

وتتمثل اهمية الدراسة في عدد من النقاط وهي:

1- أصالة الدراسة إذ تعتبر هذه الدراسة من الدراسات القلائل ان لم تكن الاولى التي تهدف إلى التعرف على تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد الأفريقي والدولي.
2- ترجع اهمية هذه الدراسة في كونها تدرس اهم التطورات على الساحة الأوكرانية والتي تمس بشكل مباشر أو غير مباشر مصالح دول الشرق الأوسط وأفريقيا.
3- رصد والتعرف على أهم القضايا التي تخص الاقتصاد العالمي.

حدود الدراسة:-

وتتمثل حدود الدراسة في:

1. **الحد الموضوعي**:- والذي يتمثل في (تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد الأفريقي والدولي).
2. **الحد المكاني**:-. أوكرانيا.
3. **الحد الزماني** :- 2024م.

منهج الدراسة:-

لغرض الإلمام والإحاطة بجميع جوانب الدراسة تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي من أجل فهم المقصود من الموضوع، كما تم الاعتماد على المنهج الوصفي من خلال سرد بعض الحقائق والمعطيات العلمية.

الإطار النظري:-

العلاقات بين روسيا و أكر انيا:

تعد أوكرانيا وهي الدولة السوفيتية السابقة المنطقة العازلة بين الشرق والغرب حيث تعتبرها روسيا العمق الاستراتيجي والمجال الحيوي الذي يقربها من الغرب من جهة ويؤمن الجهة الشرقية الأوربية من أي نفوذ غربي من جهة أخرى، ومن وجهة نظر الغرب تعد أوكرانيا البوابة الشرقية لأوروبا وتعتبرها منطقة لا يمكن السماح لروسيا السيطرة عليها أو تجاوزها (بدرخان، 2014) حيث يعتبر الرئيس الروسي بوتين بحكم أنه الخليفة التاريخي أن أوكرانيا كانت جزءا من روسيا وأن الروس والأوكرانيين هم في الأساس شعب واحد (Putin, 2021) ويعد المجتمع الأوكراني متعدد الاثنيات والأعراق واللغات منقسم بين شرق من أصل روسي يتحدثون الروسية ويدينون بالانتماء لأصلهم الروسي وللكنيسة الأرثوذكسية ويرون أن روسيا بلدهم الأم، وبين غرب يتكلم اللغة الأوكرانية ويرى أنه جزء لا يتجزأ من القارة الأوربية ويسعى حثيثا للانضمام للاتحاد الأوروبي ويدين للكنيسة الكاثوليكية في روما، وأدى هذا الانقسام المجتمعي إلى ظهور انقسام سياسي بين الجزء الشرقي الذي يميل باتجاهاته السياسية لروسيا والغربي صاحب الأفكار التحررية والليبرالية الغربية (شلبي، 2016) وترجع جذور الأزمة الروسية الأوكرانية الأولى إثر اندلاع الاحتجاجات في كييف ضد الرئيس فيكتور يانكوفيتش بعد توقيعه لاتفاق مع موسكو بموجبه تمنح أوكرانيا (15) مليار دولار ويخفض سعر الغاز الذي تسلمها إياه بمعدل الثلث وهو مستوى تفضيلي لجمهوريات الاتحاد السوفيتي التي تعتبرها موسكو شريكا إلا أن المشهد الأوكراني في حقيقته يرجع إلى خلفية أبعد من ذلك، ففي نوفمبر (2004) انطلقت الثورة البرتغالية نتيجة عملية تزوير الانتخابات حيث يذكر أن نظام الرئيس ليونيد كوتشما" كان قد قام بها من أجل أن يوصل مرشحه يانكوفيتش الموالي لروسيا الاتحادية إلى منصب الرئاسة في أوكرانيا ليعلن فوزه على مرشح المعارضة يانكوفيتش المدعوم من

الغرب مما آثار غضب المعارضة التي دعت إلى الخروج للتظاهر (دنفر، 2019)، أما الأزمة الثانية فقد اندلعت في العام (2014) على خلفية قيام روسيا بضم شبه جزيرة القرم التي كانت قد منحتها إلى أوكرانيا إبان الحكم السوفيتي السابق، فالجزيرة بحكم موقعها المطل على مضيقي البوسفور والدردنيل تمثل أهمية استراتيجية بالنسبة لروسيا، وإن امتلاكها يعني السيطرة على مياه البحر الأسود وبها أكبر قاعدة بحرية لروسيا وهي الوحيدة في المياه الدافئة التي تضمن الخروج الآمن لأسطول البحر الأسود الروسي إلى المتوسط (علي، 2017)، لذلك عملت روسيا على التدخل فورا من أجل حماية قواعدها الاستراتيجية في منطقة القرم فهذا الأسطول البحري من أكبر الأساطيل البحرية بالإضافة إلى أنه حلقة الوصل البحرية بين روسيا وحلفائها في البحر المتوسط ومنهم سوريا، وعلى إثر ذلك تم إثارة التمرد في الشرق ودعمت روسيا الانفصاليين الذين قاتلوا القوات الأوكرانية في حرب استمرت (8) سنوات وأودت بحياة (14) ألف شخص (كيربي، 2021) وقد أصدرت أوكرانيا قرارات بإلغاء قانون اللغة للأقليات ومن بينها اللغة الروسية، وإعلان اللغة الأوكرانية اللغة الرسمية الوحيدة للبلاد الأمر الذي أثار حفيظة بعض الاقاليم، فانطلقت مظاهرات تطالب بمزيد من التكامل مع روسيا، كما أثار تغيير رأس السلطة في أوكرانيا مخاوف بالغة لدى حكومة الرئيس بوتن نتيجة لصعود القوى اليمينية القومية المتطرفة من وجهة النظر الروسية فقرر التدخل العسكري وإعادة القرم إليها عبر الاستفتاء الذي أجرته وأظهر رغبة (95%) من سكانها بالدخول ضمن الاتحاد الروسي وقد ترتب عن تلك الأزمة تداعيات خطيرة على العلاقات الروسية الأوكرانية وعلاقات روسيا مع الغرب المساند لأوكرانيا (علي، 2017) وعلى إثر ذلك شهدت أوكرانيا العديد من الاشتباكات التي كانت على أشدها بين الأوكرانيين والانفصاليين والذي دفع بممثلين من كييف وموسكو والانفصاليين الموالين لروسيا بعقد اجتماع منسك وذلك بهدف التوصل إلى خطة السلام لوقف إطلاق النار في شرق أوكرانيا حيث أسس قادة أربع دول هي طرفا الأزمة روسيا وأوكرانيا إلى جانب الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا بصيغة سميت صيغة نورماندي عام (2014) وفي أعقاب اشتباكات مسلحة اندلعت في منطقة دونباس شرقي أوكرانيا بين القوات الحكومية وميليشيات انفصالية بدعم من روسيا وافقت الحكومة الأوكرانية في 5 سبتمبر (2014) على خطة وقف النار التي قدمتها روسيا ومنظمة التعاون الأوروبي "OSCE"، وتم إجراء محادثات بين ممثلي جميع الأطراف في العاصمة البيلاروسية مينسك إذ تضمنت خطة السلام عرفت بـ مينسك (1) وعلى الرغم من إيقاف الهجوم المدعوم من روسيا ضد القوات الحكومية إلا أن القتال لم ينته وفشل الاتفاق مينسك (1) وتسببت المعارك في سقوط (1300) قتيل منذ توقيع الاتفاق واستولى الانفصاليون على أكثر من (500) كيلومتر مربع إضافي من الأراضي الأوكرانية، وبحلول يناير (2015) انهار بروتوكول مينسك (1) في وقف إطلاق النار وبعد جولات من التفاوض وتم التوقيع على اتفاقية مينسك (2) في فبراير (2015) لوضع حد للنزاع الذي اندلع في منطقة دونباس جنوب شرقي أوكرانيا، وتم تنسيق الوثيقة التي تحمل اسم مجموعة الإجراءات الخاصة بتنفيذ اتفاقات مينسك في القمة التي عقدت في العاصمة البيلاروسية في (12-11) فبراير (2015) وزعماء دول رباعية النورماندي (روسيا، وأوكرانيا، وفرنسا، وألمانيا) ففي الوقت الذي اعتبر فيه الرئيس الروسي بوتين أن الغرب يكن نوايا غير طيبة تجاه روسيا أعلن القيام بما أسماه عملية عسكرية خاصة في أوكرانيا لم يردعه توقيع روسيا عام (1999) في إسطنبول على ميثاق منظمة الأمن والتعاون الأوروبي ذلك الميثاق الذي يضمن البند (1) والذي ينص على حق الدول ذات السيادة في اختيار الرتيبات الأمنية التي تراها ضرورية لأمنها بما في ذلك تحالفاتها كما لكل دولة الحق في الحياد (Istanbul Document,1999)

الحجج الروسية للحرب على أوكر انيا:

أسس خطاب الرئيس بوتين تنفيذ ما أسامه بـ عملية عسكرية خاصة على حق روسيا في الدفاع الشرعي عن نفسها، وقد استخدم ذات الوصف أيضا الدفاع الشرعي في رسالته إلى محكمة العدل الدولي، وقد أرفقت روسيا نسخة كاملة من الخطاب

إلى مجلس الأمن لإخطاره باستخدام حقها في الدفاع الشرعي بموجب المادة (51) من الميثاق (الإكيابي، 2023) وقد استند خطاب الرئيس وما تلاه من تصرفات من قبل روسيا إلى أسباب عديدة لتبرير استخدام روسيا للحق في عملياتها الخاصة في أوكرانيا والتي يمكن دمجها تحت ثلاثة أسباب رئيسة وهي:

1. توسع حلف الناتو شرقا في بداية تولي الرئيس بوتين مقاليد السلطة في موسكو، حيث حاول الرئيس الأمريكي بناء جسور مع الغرب وصلت قمتها بدعوة روسيا ذاتها لتكون جزء من ذاك الحلف الذي أنشئ بالأساس المواجهة الاتحاد السوفيتي وهو ما كشف عنه الرئيس الأمريكي الأسبق كلينتون حيث قال إنه حاول إقناع بوتين بالانضمام لحلف الناتو في عام (2008) وأوضح بأنه لم يعرض على روسيا مجرد شراكة خاصة مع الناتو فحسب بل عرض عليها أيضا فرصة انضمام محتمل للحلف مشيراً إلى أن حجته في ذلك كانت تتمثل في أن المشاكل الأمنية الكبرى سيكون مصدرها في المستقبل أطرافا غير حكومية أو دولاً استبدادية تبيع قدرات كيماوية وبيولوجية، ونووية إلى جماعات إرهابية (Clinton, 2022) لكن سرعان ما أصبح واضحًا أن هذه الجسور لا يمكن أن تستمر إلا إذا تنازل بوتين عن هدفين يتمثل الأول: حماية نظامه غير الديمقراطي من تفشي القيم الليبرالية والديمقراطية في محيطه، وأما الهدف الثاني: استعادة السيطرة على الفضاء السوفيتي السابق كحاجز ضد توغل الغرب.(Rumer, 2022) وعلى إثر اخفاقه في تحقيق أيا من هذين الهدفين بات بوتين يعتبر حلف الناتو الوجه الآخر للولايات المتحدة واليد العسكرية لـ "الغرب" الذي يحاول محاصرة روسيا وتضيق الخناق عليها (The New York Times, 2022) وقد عبر عن هذا صراحة بقراره غزو أوكرانيا واعتبره محاولة أخيرة لوقف التوسع العدائي للغرب بالقرب من حدود روسيا قائلا منذ نهاية الحرب الباردة اختار عدد من الدول في أوروبا الشرقية الانضمام إلى الناتو مما جعلهم حلفاء عسكريين لخصوم موسكو السابقين في الغرب، وفي عام (2008) عبرت واشنطن أن الناتو قد يفكر يوما ما في عضوية أوكرانيا حيث وصف بوتين هذه الخطوة بأنها مؤامرة الناتو لتدمير روسيا (Fisher,2022)
2. وفي إطار ذلك حاولت أوكرانيا استغلال هذه المساعي في استقطاب الدعم الغربي لمواجهة روسيا وكانت بمثابة الفخ التي تم استدراج روسيا من خلاله، وكلا الموقفين السابقين يصطدمان بسياسة روسيا التي لا تسمح بالمساس بمصالحها الإقليمية وخاصة تطوير أسلحة بيولوجية في أوكرانيا إلا أنه بعد وقت قصير أعلنت روسيا أن البيانات التي حصلت عليها وزارة الدفاع تثبت مرة أخرى تطوير الولايات المتحدة أسلحة بيولوجية على أراضي أوكرانيا (The State Duma, 2023) بما في ذلك وثائق تؤكد تطوير مكونات أسلحة بيولوجية وأشارت روسيا في جلسة مجلس الأمن بتاريخ (11) مارس (2022) إلى أن أوكرانيا لديها حوالي (30) منشأة لتطوير الأسلحة البيولوجية تتولاها الولايات المتحدة وحلف الناتو العاملين على أرضها والتي تجري برامج بحثية تشكل تهديدا لروسيا، كما تقدمت موسكو مرة أخرى في (2) نوفمبر (2022) بمشروع قرار إلى مجلس الأمن يهدف إلى إجراء تحقيق بتفويض من مجلس الأمن بشأن حيازة أوكرانيا أسلحة بيولوجية وذلك استنادا إلى المادة السادسة من اتفاقية الأسلحة البيولوجية التي تحظر إنتاج وحيازة ونقل وتخزين واستخدام الأسلحة البيولوجية لعام (1972) وقد فشل تبني القرار بسبب فيتو من ثلاث دول هي الولايات المتحدة، وفرنسا، والمملكة المتحدة وامتناع (10) دول عن التصويت (الإكيابي، 2023)
3. تهديد من داخل الأراضي الأوكرانية: حيث ركز خطاب الرئيس بوتين في إعلانه عن العملية الخاصة في أوكرانيا على أن أوكرانيا تمثل تهديدا لروسيا في حد ذاتها ككيان إقليمي، حيث قال "لا يمكن لروسيا أن تشعر بالأمان والتطور والبقاء مع وجود تهديد مستمر ينبع من الأراضي الأوكرانية، مضيفا ان المعضلة بالطبع ليست منظمة حلف شمال الأطلسي

نفسها فهي مجرد أداة للسياسة الخارجية للولايات المتحدة بل هي في الأراضي المجاورة لنا، ففي أراضينا التاريخية يتم إنشاء كيان مناهض لروسيا معادي لنا تم وضعه تحت سيطرة خارجية كاملة، و ملئه بقوات مسلحة تابعة لبلدان منظمة حلف شامل الأطلسي، وتزويده بأحدث الأسلحة (The Spectator, 2022).

الأزمة الروسية الأوكرانية وفقا لمحددات نظرية توازن التهديد:

ففي المجال العسكري فروسيا متفوقة ولها قوة وتأثير من ناحية بيع الأسلحة أو امتلاكها سوآءا كانت تلك الأسلحة تقليدية أو متطورة ، أما من الناحية الاقتصادية لا تمتلك قوة اقتصادية قوية وإنما متوسطة لا تتلاءم مع حجمها كقوة إقليمية كبيرة ولا يتوافق مع ثقلها الجغرافي والسياسي، ويقدر صندوق النقد الدولي أن الاقتصاد الروسي قد انكمش بنسبة (2.2%) في عام (2022) فروسيا تعتمد على تصدير الغاز والبترول واستيراد احتياجاتها من السلع من دول العالم، أما بشأن التطور التكنلوجي فيقتصر تفوقها في المجال العسكري وفي مجال الإلكترونيات فليس لدى موسكو خبرة كافية بالمقارنة بدول أخرى مما يجعلها تحت رحمة الدول الأخرى لاسيما في ظل العقوبات الدولية والأممية التي فرضت عليها (Rácz, Spillner, and Wolff, 2023)

1. **القرب الجغرافي:** يعتبر الموقع الجغرافي الاستراتيجي الأوكراني سلاح ذو حدين، حيث أنها حلقة الوصل بين قوتين عظمتين القوة الشرقية "روسيا" والغربية "الاتحاد الأوروبي" الذي يعتبر حليفا للولايات المتحدة، ولم تتقبل روسيا انهيار الاتحاد السوفيتي أوائل تسعينيات القرن الماضي وانفصال أوكرانيا كاملا عن نفوذها في حين حاولت كييف الإبقاء على علاقة جيدة مع موسكو وانفتاحا بطينا ومحسوبا على الغرب أسوة بالدول السوفيتية السابقة ولكن روسيا البوتينية لم تتقبل تطلع أوكرانيا نحو الغرب منذ الثورة البرتقالية في عام (2005) واعتبرتها روسيا محاولة لحلف شمال الأطلسي لعزلها وتطويقها، وقد كان القرب الجغرافي عاملا آخر ساعد موسكو على احتلال شبه جزيرة القرم بقرار من الرئيس بوتين في مارس (2014) حيث إن التنافس والصراع الإقليمي على القرم ليس جديدا، وإن جمد لعقود فالقرم كان جزءا من الدولة العثمانية في أجزائها الشمالية حيث تكتسب شبه جزيرة القرم أهميتها الاستراتيجية من حيث موضعها في البحر الأسود على مقربة من مضيقي البوسفور والدردنيل اللذين يربطانه بالبحر الأبيض المتوسط من جهة والقوقاز من جهة أخرى، حيث يشكل الروس من سكانها حوالي (50%) والأوكران (30%) والباقي من التتار المسلمين وتتمتع بموقع استراتيجي هام وبها العديد من الثروات الطبيعية البترول، الفحم الحجري، الغاز الطبيعي، النحاس، الحديد، المنجنيز، والرصاص، والثروات الزراعية، وتحتل شبه جزيرة القرم أهمية كبيرة لأمن روسيا الاستراتيجي كونها تحتوي على ميناء تسيفاستوبول الذي يضم أكبر أسطول بحري روسي، ورمز للقوة البحرية الروسية، كما تشكل قاعدة للانطلاق إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط والتي كانت تشكل هاجسا للقادة الروس على مر التاريخ، كما أنها تؤمن التواصل مع القاعدة الروسية في ميناء طرطوس السوري (أمين، 2014)، وتعود أهمية شبه الجزيرة لميزات عديدة يأتي على رأسها جيوسياسية، إذ تقع على الضفة الغربية لبحر آزوف وتشرف على مضيق كيرتش الذي يفصل بينه وبين البحر الأسود ويتحكم بمرور السفن التجارية والعسكرية إلى عدة موانئ أوكرانية وروسية. (Center for Strategic and International Studies, 2017) أما في الجانب الأمني العسكري فتطل شبه الجزيرة على شريط طويل من سواحل البحر الأسود الشمالية وتوجد على أراضيها (15) قاعدة عسكرية أوكرانية برية وبحرية لكنها صغيرة وضعيفة إذا ما قورنت بالتواجد العسكري الروسي الذي يتمركز في ثلاث قواعد، أهمها : قاعدة سيفا ستوبل التي تشمل أربعة خلجان مائية كما أن السيطرة على شبه جزيرة القرم تمنح موسكو وصولاً مستمرا إلى القاعدة البحرية في سيفاستوبول، موطن أسطول البحر الأسود الروسي وميناء المياه الدافئة في

سيفاستوبول والميناء الطبيعي والبنية التحتية الواسعة تجعله من بين أفضل القواعد البحرية في البحر الأسود ما يوفر لروسيا من القدرة على إبراز قوتها في البحر الأسود وحوله، وتجدر الإشارة إلى أن عقد إيجار روسيا لميناء سيفاستوبول يمتد حتى عام (2042) (Center for Strategic, and International, 2014) أما على الصعيد الاقتصادي فتشكل القرم وجهة رئيسة للكثير من السياح الروس والأوكرانيين، والبولنديين، والألمان ومن دول البلطيق ما يعود على خزينة الدولة بنحو (2) مليار دولار ويعتبر القرم سلة غذائية رئيسة لأوكرانيا، إذ ينتج العديد من المحاصيل والفواكه كالعنب، والخوخ، والمشمش، والتين إضافة إلى إنتاج العسل، كما تحتوي أراضي القرم على النفط والغاز وبعض المعادن بكميات كبيرة غير مستثمرة (Britannica, Encyclopedia, 2022).

2. **الإنفاق العسكري:** يمكن الاستعانة بالإنفاق الدفاعي كمؤشر لتوضيح الفجوة في القوة بين روسيا وأوكرانيا، حيث يمتلك الجيش الروسي قوة عسكرية أكبر من نظيره الأوكراني إذ يحتل بها الجيش الروسي المرتبة الثانية على المستوى العالم، بينما يحتل الجيش الأوكراني المرتبة (22) وقد تضاعف الإنفاق العسكري لأوكرانيا بأكثر من سبع مرات بين عامي (2021 و 2022) في عام (2022) عندما بدأ الغزو الروسي لأوكرانيا حيث قدر أن أوكرانيا أنفقت (44) مليار دولار أمريكي حاليا على الدفاع وهو ما يمثل حوالي ثلث الناتج المحلي الإجمالي وإن كان معظمه من مساهمات حلف الناتو والولايات المتحدة لمساندة كييف في مواجهة الغزو الروسي (Statista Research Department , 2023) وتجدر الإشارة إلى أنه بعد انهيار الاتحاد السوفييتي نقلت الأسلحة النووية التي كانت مخزنة في دول حلف وارسو بما فيها أوكرانيا إلى الأراضي الروسية في إطار اتفاق صريح مفاده أن تصبح دول الاتحاد السوفييتي السابق طوعا لمنطقة خالية من الأسلحة النووية مقابل ضمانات أمنية بعدم تهديدها بأسلحة نووية في المستقبل، وفي حالة أوكرانيا كان نقل الوصاية على الأسلحة النووية متوقفا أيضًا على ضمان احترام كل من روسيا، والولايات المتحدة، والمملكة المتحدة لسيادة كييف وسلامة أراضيها فقد كانت هذه القضية تأتي في مقدمة مخاوف كييف الرئيسية التي أعربت عنها بشكل متكرر في أثناء مفاوضات ما بعد الحرب الباردة وما تلاها، وتم الإعلان عن هذه الالتزامات بشكل رسمي في مذكرة بودابست للضمانات الأمنية في عام (1994) وقد التزمت روسيا بصفتها أحد الموقعين بضمان سيادة أوكرانيا وسلامة أراضيها، وفيما وفت أوكرانيا بكل التزاماتها بعدم السعي لامتلاك قدرات نووية خالفت روسيا الاتفاق بغزو جارتها الغربية والتهديد باستخدام الأسلحة النووية ضد من يتدخل فيما يسمى بالعملية العسكرية الخاصة (Sinovets, Parachini, and Holynska, 2022) أما عن روسيا فأنفقت روسيا ما يقرب من (86.4) مليار دولار أمريكي على نفقاتها العسكرية في عام (2022) بعد أن زادت إنفاقها بنسبة (31%) عن العام السابق (2021) وقد سجلت موسكو أعلى إنفاق عسكري بنحو (88.4) مليار دولار أمريكي حالي في عام (2013) أي قبل عام من احتلالها لشبه جزيرة القرم، وتعد الولايات المتحدة أكثر إنفاقا على جيشها في عام (2022) تليها الصين، والهند بميزانية دفاع سنوية تبلغ حوالي (877) مليار دولار أمريكي، شكلت الولايات المتحدة (39%) من الإنفاق العالمي في ذلك العام، بينما احتلت روسيا المرتبة الثالثة من حيث الإنفاق العسكري، بعد أن احتلت ما يقرب من (4%) من الإجمالي بالمقارنة في عام (2021) حيث كانت روسيا في المرتبة الخامسة بعد الولايات المتحدة، والصين والهند، والمملكة العربية السعودية، أما بالنسبة لقوة الجيش الروسي استنادًا إلى تقييم (Global Firepower Power index) التي تأخذ في الاعتبار سلسلة من المؤشرات بما في ذلك الأسلحة والقوى العاملة، والموارد الطبيعية، والمالية كان لدى روسيا ثاني أقوى جيش في العالم بعد الولايات المتحدة، علاوة على ذلك مع أكثر من (4.1) ألف قطعة حربية، أما من حيث الأفراد العسكريين النشطين احتلت روسيا المرتبة الخامسة بـ (830.9) ألف جندي (Statist Research Department, 2023) ورغم أن

أوكرانيا قد ضاعفت ميزانيتها العسكرية واكتسبت خبرات جديدة تبقى مقارنة قوتها العسكرية مع روسيا في صالح روسيا تماما (Garamone,2023)

3. **النوايا العدائية:** رغم استقلال أوكرانيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لاتزال روسيا تعتبر أوكرانيا وكأنها تابعة لها وتحت سيطرتها السياسية وبالتالي فهي لا تقبل أن تكون أوكرانيا خارج نهجها السياسي والأيديولوجي خاصة وأن لدى بوتين طموحا بإرجاع أمجاد الدولة السوفيتية، فقد أعلنت بولندا على لسان رئيس البرلمان أن الرئيس بوتين عرض على الرئيس البولندي في عام (2008) تقسيم أوكرانيا فيما بينهما (Reuters Staff, 2014)

تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد الأفريقي:

التداعيات الاقتصادية:

تراجع النمو الاقتصادي والاستثمارات الأجنبية المباشرة في القارة الإفريقية، فمن المتوقع تأجيل بعض الاستثمارات الأجنبية، حيث إن هناك نحو (92) صفقة بين روسيا ودول أفريقية بقيمة إجمالية (13.95) مليار دولار تم إبرامها في السنوات الأخيرة، كما أن حالة عدم اليقين والاضطرابات التي تسببت فيها الحرب ستؤدي إلى رفع أسعار الفائدة وتقليل فرص الحصول على الائتمان في أفريقيا، الأمر الذي يؤثر بدوره على تنفيذ أهداف السياسة النقدية بدول القارة وسط أعباء إضافية لجائحة كورونا (عبدالسلام، 2022).

تفاقم أزمة الجوع وتهديد الأمن الغذائي في القارة الأفريقية:

وقد حذرت لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأفريقيا من تفاقم أزمة الغذاء في أفريقيا نتيجة الأزمة الروسية الأوكرانية، والتي أدت إلى معاناة نحو (278) مليون شخص في أفريقيا خلال عام (2022) من انعدام الأمن الغذائي (22 مليون شخص على الأقل في منطقة القرن الأفريقي)، ويتوقع أن يصل إلى (310) مليون عام (2030)، ويبلغ حجم استيراد أفريقيا من الغذاء (100) مليون طن، ونحو (75) مليار دولار فاتورة استيراد القارة من الأغذية (36) مليار دولار نسبة الاحتياجات السنوية للقضاء علي الجوع (تقرير بنك التنمية الافريقي، 2022), وقد بلغ معدل انتشار انعدام الأمن الغذائي (62%) في أفريقيا الوسطى، و (52%) في الكونغو، و (51%) في مالاوي، و (43%) في الصومال، و(41%) في موزمبيق (منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة الفاو، 2022)، وذلك بسبب التضخم والزيادة الكبيرة في أسعار الغذاء والزيوت بصورة خاصة في أعقاب اضطراب سلاسل الإمدادات، حيث تستورد دول القارة (30%) من احتياجاتها من هاتين الدولتين، إذ بلغت قيمة واردات أفريقيا من المنتجات الزراعية من روسيا في عام (2020) حوالي (4) مليارات دولار، (90%) منها قمح، بينما بلغت الصادرات الأوكرانية من المنتجات الزراعية لأفريقيا ما قيمته (2,9) مليار دولار، كان حوالي (48%) منها قمحا، و (31%) ذرة، وخلال الموسم الزراعي (2020-2021) اتجه (36%) من إجمالي صادرات أوكرانيا من القمح إلى أفريقيا (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد)، 2022)

ارتفاع معدلات التضخم:

وأوضحت اللجنة تجاوز التضخم في بعض البلدان الأفريقية مثل أثيوبيا وغانا وأنجولا نسبة ال (20%) نتيجة ارتفاع أسعار الغذاء واضطراب سلاسل الامدادات وزيادة التنافس في الأسواق العالمية من أجل الحصول على المنتجات الغذائية، وهو الأمر الذي يزيد من مخاطر سوء التغذية وأزمات الغذاء في أفريقيا، وقد ارتفعت أسعار المواد الغذائية وخاصة الزيوت، والخضروات، والفواكه والسلع الأساسية في أفريقيا بنسب تتراوح من (10%) في دول مثل المغرب، إلى (50%) في دول مثل

كينيا، وتراجع القوة الشرائية للأسر بنحو (40%) مما يحد من قدرة الفقراء على تحمل أي زيادة مستقبلية في الأسعار. (The Impact of Russia's" Invasion of Ukraine in the Middle East and North Africa, 2022)

اضطراب سلاسل توريد الأغذية:

دعت المسؤولة باللجنة الاقتصادية لأفريقيا دول القارة إلى العمل على تنويع صادراتها وتقليل الاعتماد على تصدير المواد الأولية، حيث أن (60%) من صادرات أفريقيا هي من المواد الأولية الخام، كما دعت الدول الأفريقية إلى العمل على زيادة الصادرات الصناعية والاندماج في سلاسل الإمدادات وسلاسل القيمة المضافة لتكون أكثر قدرة على الصمود في مواجهة الأزمات الحالية والمستقبلية. (جريدة اليوم السابع، 2022)، ويؤدي ارتفاع أسعار النفط التي تجاوزت (100) دولار للبرميل للمرة الأولى منذ (2014) إلى زيادة الإيرادات النفطية للدول الأفريقية المعتمدة عليه كمصدر للإيرادات العامة، منها على سبيل المثال: نيجيريا وهي من أكبر منتجي النفط الخام في عام (2021)، وبلغ متوسط إنتاج نيجيريا الخام اليومي (1.27) مليون برميل، وليبيا التي أنتجت ما معدله (1.21) مليون برميل من النفط الخام يوميًا في عام (2021)، كذلك أنجولا التي أنتجت ما معدله اليومي (1.11) مليون برميل من النفط الخام، يضاف إلى ذلك جمهورية الكونغو، والجابون، وغانا، وغينيا الاستوائية، وتشاد. (Emmanuel Abara Benson, 2022)، وعلى الرغم من تسجيل مصر لأكبر نموا للصادرات من الغاز في عام (2022) الذي بلغ (4.86) مليون طن في الربع الثالث من عام (2022) وفقا لتقرير تطورات الغاز الطبيعي المسال والهيدروجين الصادر عن منظمة "أوبك " (Gas Market Report, 2023) فأنها غير مرتبطة بشبكة أنابيب للتصدير إلى أوروبا حتى تاريخه، كما أن الصين قد قدمت عروضا طويلة الأمد لإمداد الغاز بشروط جيدة بالنسبة لمصر، ولذلك فمن المنطقي أن تحافظ مصر على موردًا موثوقا فيه، وأن تحافظ على حصتها من السوق الصينية، وهو ذات الأمر المتعلق بليبيا ونتيجة لعدم الاستقرار السياسي، وضعف البنية التحتية الليبية والتي تعتبر غير كافية لتعزيز الصادرات الليبية لتكون بديلة عن الغاز الروسي إلى أوروبا (رشوان، 2022)، ومن المرجح في ظل الظروف الراهنة أن يتجه سلوك المنتجين الأوروبيين لمزيد من الترشيد للطاقة مما يفتح آفاقًا واسعة أمام السلع الزراعية الأفريقية المختلفة وإمكانية تصديرها للأسواق الأوروبية بأسعار مرتفعة، فقد انتعشت صادرات كينيا من الزهور والفواكه لأوروبا خلال عامي (2020 – 2021)، ورغم القيود المفروضة على الشحن بسبب أزمة كوفيد فإن الصادرات الكينية من الزهور والفواكه سجلت (1.4) مليار دولار لعام (2020) وهو ما يمثل حوالي ربع الواردات الأوروبية من الزهور. (الآثار الاقتصادية للحرب الروسية الأوكرانية على الدول الإفريقية: التهديدات والفرص، 2022)

تأثير الحرب الروسية - الأوكرانية على الاقتصاد الدولي:

ان تشابك المصالح الدولية لا سيما الاقتصادية منها بشكل غير مسبوق عزز من فرص العولمة وفي ظل الاعتماد المتبادل بين الدول فقد تعزز ذلك ليس بين الدول الحليفة فحسب، بل حتى بين الدول المختلفة تاريخياً وايديولوجياً مثل الولايات المتحدة الأمريكية، والصين، وكذلك الغرب بصورة عامة، وروسيا (أبو غزالة، 2023) ومع البدايات الأولى للحرب الروسية - الأوكرانية بدأت تأثيراتها تنعكس على معظم النشاطات في دول العالم لاسيما الحركة الاقتصادية في العالم، اذ انعكست تأثيرات تلك الحرب على مختلف اقتصاديات دول العالم، وأدت الى ارتفاع في نسب التضخم بصفة عامة مع ارتفاع كبير في معدل الأسعار لجميع السلع والخدمات لاسيما الاستهلاكية منها (المنشاوي، 2022، ص: 131)، ويتمثل التأثير الرئيس للحرب الروسية - الأوكرانية على الاقتصاد العالمي في ارتفاع أسعار منتجات الطاقة، وضعف الثقة، وتراجع الأسواق المالية العالمية تحت وطأة العقوبات الدولية على روسيا، واذا أخذنا في الحسبان ثقل الاقتصاديين الروسي والأوكراني من حيث قيمة معاملاتهما مع دول

العالم، فسيتضح حجم الخسائر التي سيتأثر بها الاقتصادان جنباً إلى جنب مع اقتصادات دول العالم، وبينما ترتبط أوكرانيا بشراكات مع الاقتصادات العالمية الكبيرة، تتمتع روسيا بالمقابل بخبرة وثقل في التعامل مع الاتحاد الأوروبي، وبريطانيا، ودول أمريكا اللاتينية ونمور آسيا، فعلى سبيل المثال تتصدر فرنسا، وإيطاليا، وألمانيا الشركاء التجاريين لروسيا، وتصل قيمة وارداتها إلى (3.7%) من الناتج المحلي الإجمالي الروسي فضلاً عن استثماراتها في قطاعات الطاقة والصناعات الالكترونية الروسية، ويرى خبراء اقتصاديين الى ان ارتفاع أسعار الطاقة سوف يؤدي إلى تصعيد المخاوف من الركود التضخمي، حيث ارتفعت أسعار النفط واقتربت من حاجز الـ (120) دولار للبرميل، وهو أعلى مستوى منذ الازمة المالية العالمية في عام (2008)، مما يعرض أمن الطاقة العالمي الى الخطر بسبب الحرب الروسية - الأوكرانية، فعملية التأثر بالاقتصادات العالمية من جراء الحرب الروسية - الأوكرانية متفاقم، وقد يتضح أكثر في حصة روسيا من الناتج الإجمالي العالمي التي كانت من المتوقع أن تصل الى (1.6%) في نهاية عام (2025) وفقا لصندوق النقد الدولي، في حين كان من المتوقع أن يمثل الناتج الإجمالي العالمي لأوكرانيا عن نفس الفترة (0.2%) فقط، فالاقتصادين الروسي والأوكراني محدودان في حجمهما مقارنة بالاقتصاد العالمي، غير أن اهميتهما كبيرة في بعض المجالات ذات الطبيعة الحيوية لاسيما الغذاء والطاقة (السلامي، 2022)، أذ احتلت روسيا في عام (2020) المركز الثالث من حيث كونها أكبر المصدرين على مستوى العالم، بعد كل من الامارات العربية المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية، بما يعادل (142) مليار دولار من اجمالي حجم الصادرات العالمية، ليس هذا فحسب بل أن صادرات الطاقة الروسية الأساسية تتنوع لتشمل (72.5) مليار دولار من النفط الخام، ونحو (45.3) مليار من المنتجات النفطية، ومعهما (12.3) مليار من الفحم ونحو (7.8) مليار من صادرات الغاز، واخيراً (1.7) مليار من الطاقة الكهربائية (شادي، 2022، ص:131)، فروسيا تعد مورد مهم للطاقة والمعادن، ومن المؤكد ان ارتفاع أسعار هذه السلع سوف يلحق اضراراً اقتصادية في جميع انحاء العالم، فالدول الأوربية تعتمد على روسيا إلى ما يقارب (40%) من غازها و(25%) من نفطها، ومع اعتماد معظم الدول الأوروبية على الغاز والنفط الروسي، بانت اقتصادات تلك الدول في خطر بعد أن ارتفعت أسعار الغاز بنسبة (20%) خلال أسبوع من بداية الحرب، فضلاً عن الزيادات السابقة، ويأتي التلكؤ في عملية الإمدادات الغذائية بوصفه احد ابرز المشاكل التي سوف تأثر على النمو العالمي، أذ تستحوذ روسيا وأوكرانيا معاً على حصة تقدر بحوالي (30%) من صادرات القمح العالمية و(19%) من الذرة و(80%) من زيت عباد الشمس، ويمكن أن يؤدي التهديد الذي تتعرض له المزارع في شرق أوكرانيا، وقطع الصادرات من موانئ البحر الأسود إلى خفض الإمدادات الغذائية الى بقية دول العالم، من جانب آخر يرى بعض الباحثين في الشؤون الاقتصادية أن على البنوك المركزية العالمية أن تزن الضغوط التضخمية المكثفة مقابل خطر أن تؤدي الحرب الروسية - الأوكرانية إلى إضعاف الاقتصادات لاسيما الضعيفة منها بشكل أكبر (جريدة العرب اللندنية، 2022)، وبما أن روسيا وأوكرانيا من أكبر البلدان المنتجة للسلع الأولية فقد أدت انقطاعات سلاسل الإمداد إلى ارتفاع الأسعار العالمية بصورة حادة وخاصة أسعار النفط والغاز الطبيعي، وشهدت تكاليف الغذاء قفزة في ظل المستوى التاريخي الذي بلغه سعر القمح، فوقف صادرات القمح من روسيا وأوكرانيا أدى إلى نقص خطير في العديد من اقتصاديات الأسواق الناشئة والبلدان النامية حيث سيكون هناك خطر حاد ليس فقط في شكل أزمة اقتصادية ولكن حتى في شكل كوارث إنسانية مع زيادة حادة في الفقر والجوع، حيث يؤدي الاضطراب في تصنيع الأسمدة إلى المخاطرة بجعل هذه الاضطرابات طويلة الأمد من خلال وضع الإمدادات الزراعية للسنوات القادمة تحت الضغط (بيان خبراء الصندوق النقد الدولي، 2022)، ويواجه الاقتصاد العالمي عددا من التحديات في ظل الحرب الروسية على أوكرانيا، حيث تشير التنبؤات إلى تباطؤ النمو العالمي من (6%) في عام (2021) إلى (3.2%) في عام (2023) ثم (2.7%) في عام (2024) وذلك راجع إلى التباطؤ الاقتصادي الملحوظ في أكبر الاقتصادات العالمية، حيث انكمش الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة الأمريكية في النصف الأول من عام (2022) وانكماش شهدته منطقة اليورو في النصف الثاني

من عام (2022)، كما تشير التنبؤات إلى أن التضخم العالمي سيرتفع من (4,7%) في (2021) إلى (8.8%) في عام (2024) وكان الارتفاع المفاجئ في معدل التضخم أكثر انتشارا في اقتصاديات الدول المتقدمة، وقد ارتفع التضخم بصورة حادة في العديد من الدول لمزيج من ارتفاع أسعار الطاقة، والغذاء، والسلع الأولية، ونقص العمالة، واضطراب الإمدادات، وهذا ما يضيف المزيد من التعقيدات القائمة في بيئة صنع السياسات لدى البلدان التي لا تزال في طور التعافي من جائحة كورونا (هاني، 2022)، كما أشارت توقعات الصندوق الدولي إلى وجود تأثير سلبي للحرب الروسية - الاوكرانية على الاقتصاد العالمي وذلك أدى إلى تباطؤ الاقتصاد العالمي وبالتالي تراجع معدلات النمو الاقتصادي المتوقعة بسبب الضغوطات التي فرضتها تلك الحرب في الوقت الذي كانت تنصب فيه الجهود الدولية إلى تعافي الاقتصاد العالمي من آثار جائحة كوفيد 19، وفي اطار تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد العالمي، فان العقوبات الاقتصادية التي فرضت على روسيا، والتي من ابرزها : قطع الطريق امام روسيا للوصول الى نظام (swift) للتحويلات المالية قد ينتج عنها انعكاسات سلبية ويصيب الاقتصاد الروسي بالشلل، لاسيما في ظل تسوية معظم المعاملات التجارية، ومبيعات النفط والغاز الروسي من خلال هذا النظام، فضلاً عن منع وصول روسيا لأسواق الدين والأسهم المالية العالمية، مما سيؤدي لمزيد من التراجع للعملة الروسية، وارتفاع تكلفة الاقتراض المحلي، مما يهدد الاستقرار المالي والنقدي الروسي، فضلا عن أن وضع عقوبات على الرئيس الروسي، وبعض الشخصيات المهمة في الحكومة الروسية، ومنع دخول المسؤولين الروس إلى الأراضي الأوروبية والأمريكية، وإدراج البنوك الروسية بالقائمة الأمريكية السوداء، ومنع تصدير أو استيراد أي سلع من روسيا، وحرمان شركات النفط والغاز الروسية من التعامل مع دول حلف شمال الأطلسي، وحرمان روسيا من التكنولوجيا الأمريكية، وفرض عقوبات ضد قطاعات الصناعة الروسية سوف تؤثر بصورة أو أخرى على الاقتصاد العالمي، فالعقوبات الاقتصادية على روسيا قد تكون سلاح ذو حدين، حيث ستؤدي الى تداعيات سلبية على الاقتصاد العالمي، وستنعكس سلبا على المئات من الشركات الأمريكية والأوروبية التي تعمل في داخل الأراضي الروسية، وكل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وكذلك تدرك روسيا الآثار والاضرار السلبية التي قد تنشأ عن إجراء فرض عقوبات اقتصادية عليها، ولكن تظل العقوبات الاقتصادية هي الحل المتاح لردع روسيا لأن حلف شمال الأطلسي لن يتدخل عسكريا في هذه الحرب، وسيقتصر دوره على تقديم الدعم الاقتصادي، والسياسي، والدعم بالمعدات العسكرية لأوكرانيا، وتعزيز وجوده العسكري في دول شرق أوروبا (عبد العزيز، 2022)، كما أثرت الحرب الروسية الأوكرانية على الإنتاج، فتزايدت أعداد المتعطلين ،والفقراء، وخاصة لدى الدول النامية، ليظل يدور العالم في دوائر الفقر، والمجاعة، ومحاولات إعادة إعمار ما خلفته الحرب من دمار، وجاءت الحرب الروسية الأوكرانية لتنذر بوقوع أزمات اقتصادية جديدة نتيجة لهذا الصراع السياسي والعسكري (https://unctad.org/news/ukraine-war-cuts-global-growth-prospects) كما يؤثر هذا الصراع على أسعار الغذاء وخاصة أن الدولتين محل الصراع من أهم منتجي الحبوب؛ فقد بلغت مساهمة كل من روسيا وأوكرانيا في إنتاج الحبوب على المستوى العالمي بنحو (١٩٪) للشعير و(١٤%) للقمح و(٤%) للذرة لمتوسط الفترة من عام (٢٠١٦/٢٠١٧) وحتى عام (٢٠٢٠/٢٠٢١)، وتعد كلتا الدولتين من أهم الدول المصدرة للقمح حيث تسهم كل من روسيا وأوكرانيا بنحو (٣٠٪) من إجمالي حجم الصادرات القمحية على المستوى العالمي، لتصدر لأكثر من (٥٠) دولة مثل مصر، والأردن، والسودان، والعراق، وإسرائيل، وتونس، والسعودية، وتركيا وغيرها من الدول، وبالتركيز على روسيا فقد بلغ حجم الصادرات القمحية نحو (٣٢,٩) مليون طن عام (٢٠٢١) كما قدرت صادراتها من الشعير نحو (٥,١) مليون طن والذرة بنحو (٤,١) مليون طن خلال العام سالف الذكر، كما تلعب روسيا دورا حيويًا في سوق الطاقة، حيث تمثل حجم صادراتها من الفحم والنفط والغاز نحو (18%) و(11 -١٠) على التوالي من إجمالي الصادرات العالمية لعام (2021) وخاصة للاتحاد الأوروبي، وبالتالي تزايدت أسعار الزيت الخام بنحو (٦٠%) مقارنة بعام (٢٠٢٠) وكذلك أسعار الغاز الطبيعي التي ارتفعت بنحو (٥٠%)، كل ذلك يسهم في ارتفاع

تكلفة إنتاج الغذاء ومن ثم ارتفاع أسعاره (United Nation, 2022, p: 3) أما عن أوكرانيا فقد بلغ حجم الصادرات من القمح نحو (٢٠) مليون طن عام (٢٠٢١) لتحتل المرتبة الخامسة في الصادرات القمحية، كما بلغ حجم صادراتها من الشعير نحو (٥,٦) مليون طن والذرة نحو (٢٤,٦) مليون طن خلال العالم سالف الذكر، وبالطبع سوف يتأثر حجم المعروض من القمح في السوق العالمي جراء الحرب وخاصة فيما يتعلق بإنتاج أوكرانيا من الحبوب بعد أن أسهمت الحرب في تدمير في البنية التحتية بها، وأيضا مع تزايد مخاوف الدول من تداعيات الحرب فيتزايد الطلب العالمي وخاصة على الحبوب حتى تؤمن الدول المستوردة احتياجات سكانها من الغذاء، والبحث بشكل سريع عن بدائل استيرادية أخرى وخاصة إذا كانت تعتمد بالأساس على أوكرانيا وروسيا في هذا الشأن، وساهم كل ذلك في ارتفاع الأسعار العالمية حيث ارتفعت أسعار القمح لنحو (٣١) عام (٢٠٢٢) مقارنة بعام (٢٠٢٠/١٠) (FAO, 2022, p: 1-5) ، وعلى صعيد آخر تعقدت جميع طرق التجارة بكل من روسيا وأوكرانيا وخاصة الأخيرة نتيجة لظروف الحرب والدمار وتخريب البنية التحتية بها ومن ثم تأثر حجم التعاملات التجارية للدول التي تتعامل مع كل روسيا وأوكرانيا، فعلى الدول المصدرة البحث عن أسواق تصديرية أخرى في ظل استمرار الحرب، وعلى جانب آخر لابد وأن تبحث الدول المستوردة عن ملاذ وملجأ آخر لسد احتياجاتها من الواردات، هذا فضلاً عن تأثر الدول المجاورة لدولتي الصراع من خلال زيادة أعداد اللاجئين والذي بلغ نحو (3) مليون لاجئ فروا من أوكرانيا إلى دول أخرى بحثاً عن ملاذ آمن، وهذا فضلاً عن تأثر تحويلات العاملين بروسيا وأوكرانيا (www.imf.org/ar/News/Articles, 2022).

دور الحرب الروسية الأوكرانية في تنامي أزمة الغذاء العالمي:

يحدث الأمن الغذائي عندما يتمتع جميع الناس في جميع الأوقات بإمكانية الوصول المادي والاقتصادي إلى أغذية كافية وآمنة ومغذية لتلبية احتياجاتهم الغذائية وتفضيلاتهم الغذائية لحياة نشطة وصحية، وللأمن الغذائي أربعة أبعاد قياسية: التوافر توفر كمية كافية من الغذاء بانتظام الوصول، وجود موارد كافية للحصول على غذاء مناسب وصحي الاستخدام، استخدام الغذاء المعقول بناءً على المعرفة بالتغذية الأساسية والرعاية واستقرار توافر الغذاء والحصول عليه والاستفادة منه (FAO, 2011, P: 2)، وفي الواقع وفي سياق الأسواق الزراعية وكحرب بين لاعبين رئيسيين في صناعات الأغذية والأسمدة العالمية تثير الحرب قلقًا واسع النطاق بشأن الأمن الغذائي العالمي على الرغم من موقعهما المحدود في الاقتصاد العالمي، مع ما يقرب من (2%) فقط من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وتعتبر روسيا وأوكرانيا سلة خبز عالمية وهما منتجان ومصدران مهمان للسلع الزراعية الحيوية، والمعادن، والأسمدة، والطاقة حيث تتركز الموارد القابلة للتصدير غالبا في عدد قليل من البلدان، وقد يجعل هذا التركيز في هذه الأسواق أكثر عرضة للصدمات والتقلبات في الوقت نفسه، كما جاءت هذه الحرب في وقت سيء لأسواق الغذاء العالمية لأن أسعار المواد الغذائية كانت مرتفعة بالفعل بسبب الاضطرابات في سلسلة التوريد الناجمة عن وباء (19-COVID) والطلب العالمي القوي، والجفاف، وضعف المحاصيل في أمريكا الجنوبية في العام السابق وبالتالي ستزداد هذه القضايا سوءا بسبب الحرب بين روسيا وأوكرانيا (https:// www.ifpri.org/blog/russia-ukraine-war-exacerbating-international-food- price-volatility)

وبعد أربعة أشهر من الحرب، كانت العواقب واضحة: توقفت الصادرات الأوكرانية، وأصبحت المحاصيل المستقبلية موضع شك، وارتفعت أسعار السلع الزراعية العالمية بشكل كبير مما يهدد بدفع الملايين إلى الجوع والفقر، علاوة على ذلك قد تؤدي زيادة الأسعار وانقطاع التجارة إلى زيادة عدد الأفراد الذين يعانون من سوء التغذية عن طريق الحد من توافر المساعدة الإنسانية للوقاية من سوء التغذية الحاد وعلاجه، ويقدر برنامج الأغذية العالمي أن الجوع الحاد سينمو بمقدار (47) مليون

شخص إضافي من خط الأساس قبل الحرب وهو (276) مليون شخص يعانون من الجوع الحاد، ويشير هذا إلى أن ما يصل إلى (323) مليون شخص قد يواجهون انعداما حادًا في الأمن الغذائي في عام (2023)

(Projected Increase in Acute Food Insecurity Due to War in Ukraine.) ووفقا لتقديرات البنك الدولي، فإن كل ارتفاع بنسبة نقطة مئوية واحدة في أسعار المواد الغذائية يدفع (10) ملايين شخص إلى هوة الفقر المدقع، إذا ظلت تكاليف الغذاء بهذا الارتفاع لمدة عام، فقد يرتفع الفقر العالمي بأكثر من (100) مليون (World Bank)، كما أن هناك قدر كبير من عدم اليقين فيما يتعلق بتأثير الحرب على الأمن الغذائي في المدى المتوسط (6 أشهر - سنتان) إلى المدى الطويل (أكبر من سنتان) وهذا يشمل كلاً من التكاليف المباشرة للحرب والآثار المترتبة على العقوبات الروسية الحالية والمستقبلية، وفي هذا السياق سيكون للتأثيرات المشتركة للعقوبات والحرب تأثير واسع النطاق على أسواق الأغذية الزراعية العالمية والأمن الغذائي لا سيما في البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل التي تعتمد على الاستيراد(www.fao.org/3/ni734en/ ni734en.pdf)

الاستنتاجات:-

وبعد الرحلة التي خضناها في هذه الدراسة والطواف في فصولها يستنتج الباحث:

1. أن الحرب الروسية الأوكرانية ألقت بظلالها على العالم بصفة عامة وعلى الاقتصاد العالمي والافريقي بشكل كبير.
2. أظهرت نتيجة الحرب الروسية الأوكرانية قضايا اقتصادية عديدة منها تضخم الأسعار وزيادة تكاليف شراء الأغذية وتنامي أزمة الغذاء العالمي التي تواجه العديد من الدول حول العالم.
3. تسببت الحرب الروسية الأوكرانية في إعادة ترتيب المشهد العالمي من الجديد ليس فقط على الجانب السياسي فحسب ولكن أيضا على المستوى الاقتصادي، حيث لفتت هذه الحرب النظر لقضية الغذاء والأمن الغذائي، لتسلط الضوء على أهمية الغذاء وإمكانية استخدامه كسلاح للضغط على هذه الدولة أو تلك، حيث جاءت هذه الدراسة لتأكد على ضرورة حماية الأمن الغذائي للشعوب وعدم استخدام حاجة الشعوب للغذاء كوسيلة ضغط للحصول على مكاسب سياسية.
4. لقد شكلت الحرب الروسية - الأوكرانية نموذجاً اخر على بيان مدى إمكانية تأثر الاقتصاد العالمي بالأزمات العالمية، فكان من مخرجات هذه الحرب الاهتزازات المتعددة التي تعرضت لها الاقتصادات العالمية، فكان ذلك بمثابة الانعكاس لنظرية الاعتماد المتبادل في العديد من الدول من خلال محاكاة هذا النمط من الاهتزازات الاقتصادية عبر نمط من التعقيد والتشابك على مستوى العلاقات الدولية، وقد قادت تلك الازمة من ركود اقتصادي عالمي إلى ركود اقتصادات الدول المتقدمة وتراجع في معدلات نموها وقد تأثرت معظم الدول بمستويات مختلفة شأنها شأن بقية الاقتصادات المتقدمة بهذا الركود ولكن هناك دول قوة اقتصادها منحها القدرة على تجاوز الآثار الاقتصادية للحرب الروسية الأوكرانية، غير إن الأزمة الاقتصادية التي تعرض لها الاقتصاد العالمي على اثر تلك الحرب سوف تستمر اثارها على المستوى المتوسط والبعيد.
5. أن الاقتصاد العالمي شهد العديد من التحولات الاقتصادية على مر العصور بسبب الأزمات السياسية المتلاحقة التي تعصف بالبيئة السياسية الدولية، فكانت الاقتصاد العالمي انعكاس تلك السياسات، وهذا بحد ذاته يدل على عمق الاختلالات البنيوية التي تعاني منها الاقتصاديات العالمية.

6. ان نظرية الاعتماد المتبادل ترتبط ارتباط وثيق بالاقتصاد العالمي إذ تعد ركنه الأساسي، فلا يمكن الحديث أبدا عن اقتصاد عالمي في غياب درجة عالية من الاعتماد المتبادل على الصعيد الدولي، الذي يكفل وجوده واستمراره.
7. من تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية حصول تحول في السياسة العالمية، خصوصا من خلال تأثيرها على الغذاء، والطاقة على مستوى العالم، حيث كانت أوكرانيا تعرف بسلة غذاء أوروبا نظرا لإمكانياتها الزراعية الجيدة، وهذا ما سبب في ارتفاع ملحوظ في أسعار المواد الغذائية على مستوى العالم، نتيجة النقص الذي تسببت فيه أوكرانيا نتيجة عجزها عن توفير احتياجات هذه الدول من المواد الغذائية الأساسية والتي كانت توفرها قبل هذه الحرب، أما على مستوى الطاقة ولأن روسيا تعتبر من أهم مصدري الغاز والنفط على مستوى العالم، وباستمرار الحرب وفرض العقوبات الاقتصادية الدولية على الدب الروسي قد يهدد ذلك إيقاف هذه الإمدادات على الكثير من الدول والتي تعتمد بشكل كبير وأساسي على إمدادات الغاز والنفط الروسية.

التوصيات:-

وبعد الرحلة التي خضناها في هذه الدراسة والطواف في فصولها يوصي الباحث ب:

1. العمل على إيقاف هذه الحرب، وعدم دعم طرفي النزاع لأجل أهداف سياسية لهذه الدولة او تلك.
2. دعم اقتصادات الدول وخاصة الفقيرة منها لمواجهة التحديات الناجمة عن الحرب الروسية الأوكرانية.
3. عدم زج الغداء والأمن الغذائي للدول في اتون الصراع السياسي والعسكري بين الدول.
4. العمل على حل الخلافات السياسية بعيدا عن الاحتكام الى السلاح.

المقترحات:-

يقترح الباحث:

1. إجراء العديد من الدراسات التي تبحث في موضوع الدراسة بشكل أكثر دقة وأكثر تعمقا.
2. على المسؤولين السياسيين والاقتصاديين أخذ نتائج هذه الدراسة ونتائج الدراسات السابقة والتي ستليها بعين الاعتبار ووضعها في إطار البحث.
3. تكوين عدد من اللجان العلمية والمتخصصة في كل مجال على حدة لوضع كافة الحلول الممكنة لمعالجة كل تلك المشكلات الاقتصادية التي قد تعترض الدول نتيجة الحروب والصراعات بشكل عام والفقيرة منها بشكل خاص ووضع كل تلك الحلول في إطار التنفيذ.

المراجع والمصادر:-

أولا: المراجع العربية:

1. الاكيابي، سلوى يوسف (2023) أثر الحرب الروسية الأوكرانية على تفسير وتطوير قواعد القانون الدولي، المجلة الدولية للفقه والقضاء والتشريع، المجلد (4) العدد الأول.
2. أمين، نظير محمود (2014) التداعيات الإقليمية والدولية لأزمة القرم، مجلة كلية الحقوق للعلوم القانونية والسياسية، جامعة كركوك، العدد (10).

3. إبراهيم نور (2019) اختلالات النظام الاقتصادي العالمي ومحركات تغييره، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، مصر، العدد (216).
4. الدسوقي، إيهاب (2015) الاتجاهات الرئيسة لتطور الاقتصاد العالمي، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، مصر، العدد (200).
5. الملا، مشغل مرشد محمد (2022) أثر الدور الروسي على انضمام أوكرانيا للاتحاد الأوروبي وحلف الناتو: الأسباب والاهداف والنتائج (2004-2022) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك، أربد الأردن.
6. أبو غزالة، محمد (2023) تداعيات الأزمة الأوكرانية على هيكل النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام ، القاهرة، مصر، العدد (232).
7. المنشاوي، محمد (2022) ما مدى تأثير حرب روسيا وأوكرانيا على الاقتصاد العالمي، شبكة المعلومات الدولية الانترنيت على الرابط الآتي: https://www.aljazeera.net/ebusiness
8. السلامي، ألفة (2022) خسائر الحرب الروسية - الأوكرانية وتهديد الأمن الاجتماعي العالمي، مجلة السياسة الدولية، شبكة المعلومات الدولية الإنترنت على الرابط الآتي:www. Siyassa.org.eg/news
9. الأمم المتحدة تحذر من تفاقم أزمة الغذاء في أفريقيا بسبب الأزمة الروسية الأوكرانية، جريدة اليوم السابع (2022) (21) يوليو.
10. الآثار الاقتصادية للحرب الروسية الأوكرانية على الدول الإفريقية: التهديدات والفرص، المنتدى الاستراتيجي للسياسات العامة ودراسات التنمية (18) سبتمبر (2022) https://urlz.fr/IXNc
11. بولعراس، فتحي (2022) تداعيات الأزمة الأوكرانية على مستقبل أوروبا، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام ، القاهرة، مصر، 22، المجلد (57) العدد (228).
12. بدرخان، عبد الوهاب (11) مارس (2014) الأزمة الأوكرانية والصراع الأمريكي الروسي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية متاح على الرابط https://www.ecssr.ae/reports_analysis
13. بيان خبراء صندوق النقد الدولي عن الأثر الاقتصادي للحرب في أوكرانيا، صندوق النقد الدولي (2022)، شبكة المعلومات الدولية، متاح على الرابط الآتي: http//www.imf.org/ar/news/articies
14. تقرير بنك التنمية الافريقي لعام (2022).
15. جريدة العرب اللندنية (2022) الاقتصاد العالمي على شفا استنساخ تجربة الجائعة ترجيح انكماش النمو في (2022) جراء ازمة أوكرانيا.
16. دنفر، صفية (2019) انعكاسات الأزمة الأوكرانية على العلاقات الروسية الغربية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
17. رشوان، محمد فؤاد (2022) تداعيات الحرب الأوكرانية على القارة الإفريقية، مركز رع للدراسات الاستراتيجية، (27) مارس (2022).
18. شلبي، إيمان أشرف (2016) الأبعاد الدولية للأزمة الأوكرانية"، المركز الديمقراطي العربي، 16 يناير، متاح على الموقع الإلكتروني: https://democraticac.de/?p-25929.
19. شادي، محمد (2022) انعكاسات الازمة الروسية الأوكرانية على معدلات التضخم، مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد (228).
20. علي، آمنة محمد (2017) أزمة القرم وتداعياتها على العلاقات الروسية – الأوكرانية، دراسات دولية، مركز دراسات المرأة، جامعة بغداد، العدد (68).
21. عبد السلام، جهان (2022) انعكاسات الحرب الروسية الأوكرانية على اقتصادات إفريقيا"، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، (3) مارس (2022) على الرابط https://urlz.fr/IXMR
22. عبد العزيز، غادة (2022) سيناريوهات ما بعد التصعيد الروسي، الأطراف الدولية والأزمة الأوكرانية، مجلة السياسة الدولية، شبكة المعلومات الدولية الإنترنت على الرابط الآتي:

www. Siyassa.org.eg/news/ This is an open access article https://unctad.org/news /Ukraine-war-cuts-global-growth-prospects

23. كيربي، بول (8) ديسمبر (2021) روسيا وأوكرانيا: ماذا يريد بوتين وهل ستنهي روسيا حربها ؟ موقع BBC عربي. https://www.bbc.com/arabic/world-59450489
24. منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة الفاو (2022) على الرابط: https://urlz.fr/IXMV
25. مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) (2022) متاح على الرابط: https://urlz.fr/IXzl https://urlz.fr/IXN1/
26. هاني، منال (2022) الحرب الروسية على أوكرانيا واثرها على الاقتصاد العالمي الواقع والدروس المستفادة، مجلة معهد العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر، المجلد (25) العدد (2) كانون الأول.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1-Britannica, (2022,4April),"https://www.britannica.com/place/Crimea.

2-Clinton, Bill (2022, April 7)"I Tried to Put Russia on Another Path", The Atlantic, https://www.theatlantic.com/ideas/archive/2022/04/bill / clinton-nato-expansion-Ukraine/629499.

3-CSIS (2014, Mar18), Center for Strategic and International Studies "Crimea's Strategic Value to Russia". https://www.csis.org/blogs/post-soviet-post/crimeas-strategic-value- Russia.

4- Emmanuel Abara Benson, "10 African countries with the largest crude oil production ,output", Business Insider Africa, 5/ May (2022) https://urlz.fr/IXN5

5-Fisher, Max (2022, Feb, 24) "Putin's Case for War, Annotated, The New York Times, https://www.nytimes. com /2022/02/24/world/Europe/Putin Ukraine- speech,html.

6-FAO, Impact of the Ukraine-Russia Conflict on Global Food Security and Related Matters under the Mandate of the Food and Agriculture Organization of the United Nations (FAO) Available online: https://www .fao.org/3/ni734en/ ni734en.pdf.

7-FAO, Rome Declaration on World Food Security and World Food Summit Plan of Action Rome Declaration on World Food Security; FAO: Rome, Italy, 1996; Ericksen, P.J. Conceptualizing food systems for global environmental change research. Glob. Environ. Change 2008, P234-236; and United Nations System High Level Task Force on Global Food Security, Food and Nutrition Security: Comprehensive Framework for Action, Summary of the Updated Comprehensive Framework for Action (UCFA); United Nations System High Level Task Force on Global Food Security: Rome, Italy, 2011, P21.

8-Food and Agriculture Organization of The United Nation (FAO), "The Importance of Ukraine and The Russian Federation for Global Agricultural Markets and The Risks Associated with The Current Conflict", FAO, 2022.

9-Garamone, Jim (2023, Mar3) "U.S. Sends Ukraine $400 Million in Military Equipment, U.S. Department of Defense, Stories/Article/Article/3318508/us-sends-ukraine-400-million-in https://www.defense.gov/News/News /military-equipment.

10- Gas Market Report Q1-2023 International Energy Agency Feb, 2023 https://urlz.frIXN6.

11- https://www.imf.org/ar/News/Articles/2022/03/15/blog-how-war-in-ukraine-is- reverberating-across-worlds-regions-031522.

12- Istanbul Document, (1999, Nov19)" Organization for Security and Co- operation in Europe", accessed on 24 April 2022.

13- Putin, Vladimir, (2021, July 12)" On the Historical Unity of Russians and Ukrainians The http://en.kremlin.ru/events/president/news/66181 Kremlin.

14-Rácz, Andre's, Spillner, Ole, and, Wolff, Gun tram (Feb 2023)," Russia war Economy How Sanctions Reduce Military Capacity", DGAP Policy, German Council on Foreign Relations. No.3 https://dgap.org /en/rese arch/publications /Russia-war-economy Encyclopedia.

15-httpshttps://www.nytimes.com/2022/02/24/world/europe/putin-ukraine – speech, speech, htm.

16- Rice, B, Hernández, M.A, Glauber, J, Voss, R, The Russia-Ukraine War is Exacerbating International Food Price Volatility, Available online: https:// www.ifpri.org/blog/russia-ukraine-war-exacerbating-international-food- price-volatility.

17-Rumer, Eugene(2022, Dec 9)," Putin's Long War", Carnegie Endowment for International Peace, https://carnegieendowment.org/2022/12/09/putin-s-long-war-pub- 88602.

18-Reuters (2014, Oct 20)" Polish ex-minister quoted saving Putin offered to divide Ukraine with Poland" https://www.reuters.com/article/us- Ukraine-crisis-poland-sikorski.

19- Statist Research Department (2023, May 2),"Military spending in Russia from 1993 to 2022, https://www.statista.com/statistics/1203160/military-expenditure- Russia./

20-Sinovets, Polina, Parachinar, John V, and Holynska, Krystina(2022, August 16), "How Russia's Nuclear Double Cross of Ukraine Teaches Dangerous Lessons", RAND Corporation is a research organization. https://www.rand.org/blog/2022/08/how-russias-nuclear-double Cross-of-Ukraine-teaches.htm

21-Toucas, Boris (2017, Feb 2), "The Geostrategic Importance of the Black Sea Region: A Brief History, Center for Strategic and International Studies https://www.csis.org/analysis/geostrategic-importance- black-sea-region-brief-history.

22-The New York Times (2022, April 25), "The Five Conspiracy Theories That Putin Has Weaponized, https://www.nytimes.com /2022/04/25/opinion /Putin- Russia-conspiracy-theories.html.

23-The Spectator (2022, Feb 24)," Full text: Putin's declaration of war on Ukraine https://www.spectator.co.uk/article/full-text-putin-s declaration-of-war-on-Ukraine./

24-The State Duma (2023, April 11) "Irina Yarovava presented the outcome of the report Parliamentary Commission on Investigation into Activities of the US / Biological Laboratories in Ukraine". http://duma.gov.ru/en/news/56838./

25-The Impact of Russia's" Invasion of Ukraine in the Middle East and North Africa", International crisis aroup, (14) April (2022).

26-WFP, Projected Increase in Acute Food Insecurity Due to War in Ukraine. Available online: https://docs.wfp.org/api/documents/WFP-0000138289/ download.

27-United Nation, "Global Impact of War in Ukraine on Food, Energy and Finance United Nation, 2022, pg, 3, Systems.

28-World Bank, Remarks by World Bank Group President David Malpass to the U.S. Treasury's Event on "Tackling Food Insecurity: The Challenge and Call to Action". Available online: https//www.w orldba nk speech /202219/04//remarks-by-world-bank-group-president-David- insecurity-the-challenge.

أثر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في السودان

دراسة تحليلية (1990- 2015)

The impact of GDP and money supply on inflation in Sudan

An analytical study (1990-2015)

أ.أحمد النور حامد أحمد

باحث في درجة الدكتوراة، جامعة النيل الأبيض، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، السودان

الملخص:

تناولت الورقة أثر كل من الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في السودان للفترة 1990 – 2015م) تمثلت مشكلة البحث في السؤال: هل يؤثر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في السودان. هدف البحث إلى معرفة أثر المتغيرات المستقلة على التضخم في فترة الدراسة ككل، وافترض البحث وجود علاقة عكسية بين الناتج المحلي الإجمالي ومعدل التضخم، وطردية بين عرض النقود ومعدل التضخم، واستخدام البحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الإحصائي بالاعتماد على بيانات بنك السودان المركزي لمتغيرات الدراسة وتطبيق طريقة المربعات الصغرى (OLS) باستخدام البرنامج الحاسوبي (E.Views10) وتوصل البحث إلى أهم النتائج وجود علاقة عكسية بين الناتج المحلي الإجمالي و التضخم، وعلاقة طردية بين عرض النقود والتضخم، وأهم التوصيات ضرورة الاهتمام بزيادة معدلات الناتج المحلي الإجمالي من خلال إصلاحات تستهدف زيادة الإنتاج والإنتاجية، والمحافظة على الاستقرار النقدي وعدم زيادة عرض النقود بمعدلات كبيرة وربط هذه الزيادات بمؤشر التوسع في الاقتصاد لتحقيق نمو متوازن في معدل التضخم.

الكلمات المفتاحية: الناتج المحلي الاجمالي، عرض النقود، التضخم، الاستقرار النقدي، النمو المتوازن.

Abstract:

The paper dealt with the impact of both GDP and money supply on inflation in Sudan for the period from: (1990-2015 AD) The research problem was represented in the question: Does GDP and money supply affect inflation in Sudan. The research aimed to know the effect of independent variables on inflation during the study period as a whole. The research assumed the existence of an inverse relationship between the gross domestic product and the inflation rate, and a direct relationship between the money supply and the inflation rate. The research used the descriptive analytical approach and the statistical approach based on the data of the Central Bank of Sudan for the study variables and the application of the least squares (OLS) method using the computer program (E.Views10). The research reached the most important results: the existence of an inverse relationship between the gross domestic product and inflation, and a direct relationship between the money supply and inflation. The most important recommendations are the need to pay attention to increasing the rates of the gross domestic product through reforms aimed at increasing production and productivity, maintaining monetary stability and not increasing the money supply at large rates and linking these increases to the expansion index in the economy to achieve balanced growth in the inflation rate.

Keywords: Gross domestic product, money supply, inflation, monetary stability, balanced growth.

مقدمة: يعد استقرار المستوى العام للأسعار أحد الأهداف الأربعة الرئيسية للسياسات الاقتصادية الكلية إضافة إلى: تحقيق نمو إيجابي للناتج الاقتصادي وتحقيق مستوى العمالة الكاملة ومكافحة البطالة وتحقيق التوازن في ميزان المدفوعات. يعرف التضخم بأنه الارتفاع المستمر في المستوى العام للأسعار وهو ظاهرة عرفتها البشرية منذ أقدم العصور لذا يعتبر من الموضوعات الاقتصادية بالغة الأهمية وحظي باهتمام الكثير من المفكرين الاقتصاديين على المستوى النظري والتطبيقي في الأدبيات الاقتصادية لأهمية التضخم في الاقتصاد نتيجة للعلاقة الوثيقة بينه وبين العديد من المتغيرات الاقتصادية مثل مستوى الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود. ظل الاقتصاد السوداني خلال الفترة من: (1990 – 2015م) يعاني من العديد من المشاكل التضخم بسبب الظروف التي مر بها السودان منذ الاستقلال من الحروب الطويلة والحظر الاقتصادي الأمريكي والتغيرات الاقتصادية الهيكلية من الاعتماد على الزراعة في صادراته إلى البترول ثم خروج إيرادات البترول بانفصال الجنوب 2011م. خلال الفترة من 1990 وحتى العام 2015م اتبعت إدارة البلاد العديد من السياسات لمواجهة هذه المشكلات

الاقتصادية في السوداني خاصة التضخم الذي ظل يرتفع وينخفض متأثرا بالعديد من المتغيرات الاقتصادية خاصة الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود.

الفصل الأول: الاطار المنهجي والدراسات السابقة

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على السؤال التالي: ما أثر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في السودان خلال الفترة الدراسة؟

أهمية البحث:

الأهمية العملية للبحث تتمثل في أفاده متخذي القرار أما الأهمية العلمية فتتمثل في أهمية موضوع التضخم لماله من تأثير على الاقتصاد ولا يخلو أي اقتصاد من أثاره، أهمية متغيرات الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود من حيث تأثيرهم على التضخم، أهمية موضوع التضخم في السودان حيث يعد من أهم المؤشرات الاقتصادية الكلية الأساسية.

أهداف البحث:

1- تقدير أثر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في السودان.

2- معرفة أثر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في كل فترة الدراسة.

3- الوصول إلى نتائج وتوصيات تسهم في الحد من أثر التضخم على الاقتصاد السوداني.

فروض البحث:

1- هناك علاقة عكسية بين الناتج المحلي الإجمالي والتضخم في السودان.

2- توجد علاقة طردية بين عرض النقود والتضخم في السودان.

3- يعتبر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود أهم العوامل المؤثرة على التضخم في السودان.

منهجية البحث:

يستخدم البحث المنهج القياسي التطبيقي باستخدام اختبار التكامل المشترك بطريقة المربعات الصغرى OLS.

مصادر البيانات:

يستخدم البحث مصادر البيانات الثانوية من تقارير بنك السودان المركزي عن متغيرات الدراسة في السودان خلال الفترة من: (1990-2015م).

الدراسات السابقة:

1- دراسة عبد الله أحمد عبد الله: (أثر سياسة التحرير الاقتصادي في معدلات التضخم في السودان للفترة 1980-2010م)[71]: هدف البحث لدراسة أثر سياسة التحرير الاقتصادي على التضخم في السودان. أستخدم المنهج الوصفي التحليلي مع الاعتماد علي مصادر البيانات الثانوية المتمثلة في المراجع والتقارير. توصلت الدراسة إلى أن سياسة التحرير الاقتصادي لعبت دوراً مهما في ارتفاع التضخم خلال فترة الدراسة إذ ارتفعت معدلات التضخم بصورة ملحوظة في بداية تطبيق سياسة التحرير الاقتصادي ثم بدأ الاقتصاد بالتكيف في الأونه الأخيرة. ومن أهم التوصيات العمل علي خفض معدلات التضخم عن طريق السياسات المالية والنقدية والاستفادة من الاستثمارات الأجنبية والمحلية في زيادة الإنتاج.

2- **دراسة ألاء الفاضل أحمد أبو زيد: (تحليل التضخم في السودان خلال الفترة من 1980-2013م)**[72]. 2016م: هدفت إلي دراسة وتحليل التضخم خلال فترة الدراسة بالتركيز على عرض النقود والإنفاق الحكومي سعر الصرف والناتج المحلي الإجمالي والاستثمار الكلي والتضخم العالمي والبترول. وافترضت وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرات السابقة والتضخم. واستخدمت الأسلوب الإحصائي والتكامل المشترك وبالاعتماد على مصادر البيانات الثانوية. للوصول إلي نتائج أهمها وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كل من عرض النقود والإنفاق الحكومي وسعر الصرف مع التضخم. وأوصى البحث بضرورة إتباع الدولة بتخفيض الإنفاق الحكومي وزيادة الضرائب وتخفيض عرض النقود للتقليل من معدلات التضخم.

3- دراسة حسن بن رفدان الهجوج: (محددات التضخم في دول مجلس التعاون الخليجي العربي: أسلوب التكامل المشترك)[73]. 1430هـ - 2009م: هدفت الدراسة إلى معرفة محددات التضخم في دول المجلس خلال الفترة من: 1980-2007م. وتتمثل مشكلة الدراسة في معرفة أهم محددات التضخم في المجلس خلال فترة الدراسة. افترض أن أهم المحددات التخضم هي: معدل التغير في سعر النفط ومستوى الطلب العالمي ومعدل عرض النقود. أستخدم أسلوب التكامل المشترك وتصحيح الخطأ من خلال تطبيق نموذج الانحدار التلقائي للكمية الموجهة VAR أهم النتائج: وجود تكامل مشترك بين سعر النفط ومعدل عرض النقود ومستوى التضخم العالمي والتضخم في دول المجلس. أهم التوصيات: استخدام النظريات الاقتصادية الحديثة المتعلقة بقياس أسباب بالتضخم وتطبيقها علي اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي.

4- دراسة ناريمان حسام شحادة قديح.: (محددات التضخم في الاقتصاد الفلسطيني: دراسة قياسية 1995-2015م)[74]. 2015م: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهم المحددات والعوامل الاقتصادية المؤثر على التضخم في الأراضي الفلسطينية خلال فترة الدراسة. افترضت الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كل من المتغيرات المستغلة التالية: (نصيب الفرد من الناتج المحلي .الإنفاق العام. المساعدات الدولية. الدين العام. سعر الفائدة وسعر الصرف. معدل البطالة. عرض النقود. عجز الموازنة وبين معدل التضخم في الاراضى الفلسطينية. استخدم المنهج الوصفي التحليلي وقامت ببناء نموذج قياسي بالاستعانة ببيانات السلسة الزمنية لمحددات التضخم والاستعانة ببرنامج E-Views لإيجاد العلاقة بين المتغيرات. من أهم

---

71 بحث غير منشور لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد القياسي جامعة السودان2011م.

72 بحث غير منشور لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد .جامعة الخرطوم 2016م.

73 ورقة مقدمة للقاء السنوي السابع عشر لجمعية الاقتصادية السعودية (التكامل الاقتصادي الخليجي الواقع والمأمول). الرياض المملكة العربية السعودية 1430هـ - 2009م.

74 بحث غير منشور. رسالة قدمت استكمالا لمتطلبات الحصول علي درجة الماجستير في اقتصاديات التنمية. كلية التجارة. الجامعة الإسلامية. غزة 2015م.

ISSN 2569-734X

النتائج وجود علاقة طردية بين معدل النمو الاقتصادي وعرض النقود والعجز المالي معدل البطالة والانفتاح الاقتصادي مع التضخم . ووجود علاقة عكسية بين سعر الصرف والاستقرار السياسي وبين معدل التضخم. أوصى البحث بضرورة إصدار عملة وطنية للتخفيف من خسائر الاقتصاد الفلسطيني جراء عدم وجود عملة وطنية وإعادة النظر في السياسات الاقتصادية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل.

الفصل الثاني: الإطار النظري

تعريف التضخم:

1-تعريف الاقتصاديين الكلاسيك للتضخم الأتي[75]: بأنه: (نقود كثيرة تطارد سلعا قليلة)، وأنه (الزيادة المحسوسة في كمية النقود) أو أنه (الزيادة في كمية النقود التي تؤدي إلى ارتفاع الأسعار).

2- بعد الأزمة العالمية الكبرى: في هذه الحقبة التضخم بأنه: (هو الارتفاع في المستوى العام للأسعار الذي ينتج عن وجود فجوة بين حجم السلع وحجم الدخول المتاحة للإنفاق).

3-هنالك اتجاه ثالث عرف التضخم بأنه: هو زيادة الطلب النقدي على السلع بالنسبة للمعروض منها مما يؤدى إلى ارتفاع الأسعار وبشرط أن يكون هذا الارتفاع فجائيا أي غير متوقع. ويقول أبا ليرنز[76]: (أن الأفراد إذا توقعوا الارتفاع في الأسعار فإنهم سيرفعون سعر الفائدة بنسبة معينة تنفي أثر ارتفاع الأسعار).

4- هنالك اتجاه رابع قدم تعاريف للتضخم تعتمد على أسبابه ومظهره ووفق هذا الاتجاه عرف التضخم بأنه: (ظاهرة تنشأ لعده أسباب منها: زيادة الطلب الإجمالي عن العرض الإجمالي الثابت. أو نقص العرض الإجمالي عن الطلب الإجمالي الثابت أو زيادة الطلب بقدر يفوق زيادة العرض أو العكس).

5- أما الاتجاهات الحديثة لتعريف التضخم فتركز على ارتفاع المستوى العام للأسعار فيذكر بعض الكتاب أن التضخم هو: (ذلك الارتفاع الكبير في الأسعار والمتماسك لفترة من الوقت).

6- أستخدم نبيل الروبى في كتابه نظرية التضخم [77]: تعريف للتضخم مستند على معيار ارتفاع الأسعار باعتباره أكثر المعاير ملائمة وهو تعريف قدمه أيملى جيمس حيث عرف التضخم على أنه: (حركة صعودية للأسعار تتصف بالاستمرار الذاتي تنتج عن فائض الطلب الزائد عن العرض).

7-عرف الاقتصادي كلوزو التضخم بأنه: الحركات العامة لارتفاع الأسعار الناشئة عن العنصر النقدي كعامل محرك دافع[78].

8-عرف التضخم بأنه: هو الارتفاع المستمر في المستوى العام لأسعار السلع والخدمات في المجتمع ويشير إلى زيادة مقدار النقود في الاقتصاد التي تؤدي إلى تناقص القوة الشرائية لوحده النقد (قيمة النقود) نتيجة ارتفاع الأسعار الناجم عن قصور العرض عن مواجهة الطلب[79].

أسباب التضخم: يصنف الاقتصاديون أسباب التضخم إلى واحد أو أكثر من الأسباب التالية:

---

75 ص(13-18). نبيل الروبى. نظرية التضخم. مؤسسة الثقافة الجامعية. الإسكندرية. مصر. 1984م

76 نبيل الروبى، مصدر سبق ذكره، ص (14).

77 نبيل الروبى. مرجع سبق ذكره. ص18.

78 غناية غازي حسين. التضخم المالي. مؤسسه شباب الجامعة. الإسكندرية مصر. 2006م. ص20.

79 محمد رمضان شنبيش. دراسة العلاقة بين التضخم وعرض النقود وسعر الصرف في الاقتصاد الليبي خلال الفترة من: 1992-2008م. مجلة جامعة الزاوية. ليبيا. العدد الخامس عشر. المجلد الأول.2013م. ص32.

- **التضخم الناشئ بسبب الطلب:** يميل المستوى العام للأسعار نحو الارتفاع كلما زاد الطلب الكلي الفعال أو حجم الإنفاق الكلي في المجتمع خلال فترة زمنية محددة مع بقاء الأشياء الأخرى على حالها والعكس صحيح. وبعبارة أخرى فإن هذا النوع من التضخم يحدث حين يرتفع الطلب الكلي الإجمالي لقطاعي المستهلين والمستثمرين في المجتمع الذي يظل فيه العرض المتاح من السلع والخدمات، نظرا لان الموارد الاقتصادية أصبحت كلها مشغلة بالكامل أو لأنه لا يمكن زيادة الإنتاج من السلع والخدمات بسرعة كافية لمواكبة الزيادة في الطلب.

-**التضخم الناشئ بسبب التكاليف:** يميل المستوى العام للأسعار إلى الارتفاع كلما ارتفعت تكاليف الإنتاج في فترة زمنية محددة مع بقاء الأشياء الأخرى على حالها والعكس صحيح، وقد يرجع ارتفاع تكاليف الإنتاج عادة نتيجة أسباب عديدة: كارتفاع أجور العمال بمعدلات تفوق الزيادة في إنتاجيتهم، أو نتيجة ارتفاع الأجور في البلد المصدر أو انخفاض القيمة الخارجية لعملة البلد المستورد.

-**التضخم الناشئ بسبب الربح:** أن أسعار السلع والخدمات ترتفع نتيجة لرفع معدلات الربح التي يريد أن يحققها المنتج أو البائع فوق معدلات الربح السائدة بدون أن يكون هنالك أي دافع أو مبرر وراء زيادة معدلات الربح سوى طمع البائعين وجشعهم خاصة في الأسواق التي تسود فيها ظروف المنافسة غير التامة كالاحتكار أو ما شابه ذلك.

-**السبب الهيكلي للتضخم:** يحدث التضخم الهيكلي نتيجة حدوث زيادة غير متوازنة في الطلب وزيادة التكاليف في بعض الصناعات الرئيسية على الرغم من أن الطلب الكلى الإجمالي في حاله توازن مع العرض الإجمالي في الاقتصاد القومي ككل.

أنواع التضخم: هنالك أنواع متعددة من التضخم. ولكنها ليست منفصلة عن بعضها البعض إذ قد يتضمن نوعا ما من أنواع التضخم نوعا أو أنواعا أخرى. وقد يكون التضخم في سوق السلع كما قد يكون في أسواق عوامل الإنتاج. وعلى الرغم من ذلك فإنه توجد خاصية مشتركة تجمع بين كل هذه الأنواع المختلفة وهي عجز النقود عن أداء وظائفها أداء كاملا[80]، جرت محاولات كثيرة لتصنيف الأنواع المختلفة للتضخم التي مرت بها بلدان العالم منذ استخدم الإنسان النقود في المعاملات وحتى اليوم. ونستعرض فيما يلي الأنواع المختلفة للتضخم بالاستعانة بعدة معايير تميز لكل نوع على النحو التالي:

-أنواع التضخم حسب إشراف الدولة علي النشاط الاقتصادي:

التضخم المكشوف أو الظاهر: هو الارتفاع في الأسعار الذي لا توجد أي محاولات لمنعه أو كبته أو تحديد.سرعته من جانب الحكومة أو المؤسسات الاقتصادية المؤثرة.

- **التضخم المكبوت:** هو نوع من التضخم مستتر والذي يوجد بكل مقوماته ولا يعبر عن نفسه في شكل ارتفاع الأسعار بمعنى أن تدخل الحكومة لتحديد مستوى السلع جبريا يخفى وراءه ضغوطا تضخمية يمكن الكشف عنها لو رفعت الحكومة يدها عن الاقتصاد القومي عندئذ سيبدأ سباق ارتفاع الأسعار ويظل مستمر.

- تصنف انواع التضخم حسب الديناميكية أو السرعة التي ترتفع بها الأسعار إلى نوعين هما:

[80] نبيل الروبي. مرجع سلف ذكره. ص(26).

تضخم زاحف وتضخم جامح. التضخم الزاحف ترتفع فيه الأسعار بمعدلات بطيئة من 5- 10% سنويا. ويقترن التضخم الزاحف بالقوى الطبيعية للنمو الاقتصادي وهو تدريجي وبطئ ومعتدل بمعدلات بسيطة ولكن بشكل دائم وثابت خلال فترة زمنية طويلة نسبيا أي لا يكون سريعا سرعة تفقد الثقة في العملة[81].

- تصنيف التضخم بحسب أسبابه الي تضخم الطلب وتضخم التكاليف:

- تضخم الطلب: هو ارتفاع الأسعار الذي يترتب عليه الزيادة المستمرة في حجم الطلب الكلي على السلع والخدمات بأكثر من المعروض منها. لذلك يسمى أحيانا بتضخم المشترين.

-تضخم التكاليف: هو ذلك النوع من التضخم الذي يحدث نتيجة ضغط نقابات العمال المستمر من أجل زيادة الأجور فتزيد الأسعار فيعاود العمال المطالبة بزيادة الأجور لتعويض أثر زيادة الأسعار وهكذا باعتبار أن الأجور من أهم بنود التكاليف بخلاف الأجور مثل ارتفاع أسعار السلع الأولية مثل النفط فإن ارتفاعها يؤدي إلى النوع نفسه من التضخم.

قياس التضخم: تعتبر الأرقام القياسية من أكثر الوسائل استخداما في قياس التضخم، الرقم القياسي هو أحد المقاييس الإحصائية التي تهدف إلى إبراز التغيرات التي تطرأ على أحد المتغيرات أو مجموعة من المتغيرات المرتبطة ببعضها. وهي عبارة عن متوسطات مقارنة نسبية وزمنية للأسعار وتعد لمختلف أنواع السلع أو لمجموعها معبرة عنها بوحدات النقد لقياس القوة الشرائية.يتم اختيار هذه السنة على أساس سنة تتمتع الأسعار فيها بثبات نسبي[82].

طرق علاج التضخم: أهم السياسات المستخدمة في علاج التضخم السياسة المالية والسياسة النقدية:

السياسة النقدية: تعرف بأنها مجموعة الإجراءات التي يستخدمها البنك المركزي بغرض التأثير على العرض النقدي بطريقة ما للوصول إلى تحقيق مجموعة الأهداف الاقتصادية[83]. تعبر السياسة النقدية عن مجموعة النصوص والقوانين والإجراءات التي تتخذها السلطة النقدية للتأثير على المعروض النقدي بالتوسع أو الانكماش بغية تحقيق أهداف اقتصادية. حيث تؤثر على عرض النقود إما بزيادة حجمها أو الإقلال منها وتستخدم السياسة النقدية الأدوات التالية: سعر أو معدل الفائدة وسعر أو معدل الخصم ونسبة الاحتياطي القانوني وعملية السوق المفتوحة حيث تعتبر وسيلة هامة من وسائل التحكم في التضخم[84].

السياسة المالية وأدواتها: يقصد بسياسة المالية استخدام الحكومة لأدوات المالية العامة مثل الضرائب والإنفاق الحكومي والرسوم وغيرها لتحريك متغيرات الاقتصاد الكلي مثل الناتج المحلي الإجمالي والتضخم وغيرها من أجل تحقيق الآثار المرغوبة وتجنب الآثار غير المرغوبة، ويمكن تحديد أهم أدوات السياسة المالية في[85]: الضرائب بكافة أنواعها والإنفاق الحكومي والدين العام.

---

81. نبيل الروبي. مرجع سبق ذكره. ص(28).

82. نفس المصدر ص(12-22).
83. عبد المجيد قدي، مصدر سبق ذكره، ص 53.
84. غناية غازي حسين التضخم المالي، مؤسسه شباب الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2006م، ص(106).
85. عبد المجيد قدي. مصدر سبق ذكره ص 56.

سياسات المدارس الاقتصادية وجهات نظرها في علاج التضخم [86]:

1- المدرسة الكينزية: اعتمد أنصار كينز على السياسات المالية والنقدية الانكماشية لتهدئة الطلب او توسع الاقتصاد الزائد لخفض الطلب. حيث يجب على الحكومة رفع الضرائب أو خفض الإنفاق الحكومي. كما على السلطات النقدية خفض العرض النقدي وزيادة معدلات الفائدة لخفض التضخم.

2- المدرسة النقدية: أنصار هذه المدرسة يرون أن السياسات النقدية هي الأفضل لعلاج التضخم حيث أن التوسع الكبير في عرض النقود مقابل سلع وخدمات قليلة هو مصدر التضخم الاقتصادي بالتالي فإن خفض التضخم يستوجب التقليل من عرض النقود وجعل النمو الاقتصادي وفق معدلات ثابتة.

3- مدرسة جانب الطلب: يركز هؤلاء على تحفيز التوسع في عرض السلع والخدمات خاصة عبر خفض الضرائب على المنشآت وتسهيل القوانين الحكومية المنظمة لأنشطة القطاع الخاص، مما يحفز الاستثمار ومن ثم يسهم في زيادة الإنتاج. مع العلم أن تخفيض الضرائب قد يخلق عجزا كبيرا في الميزانية. إلا أن أنصار هذه المدرسة يرون أن زيادة الإنتاج تزيد العرض الكلي لمقابلة زيادة الطلب وبالتالي تخفض من ارتفاع المستوى العام للأسعار.

الناتج المحلي الإجمالي: الناتج المحلي الإجمالي هو مجموع القيم السوقية للسلع والخدمات النهائية التي يتم إنتاجها باستخدام عناصر الإنتاج المتاحة في المجتمع المعني. وحيث أن بعض عناصر الإنتاج تكون غير مملوكة للدول المعينة فالمعروف أن هنالك عناصر إنتاج ملك لدول أخرى إذ أن هنالك عوائد لعناصر الإنتاج [87]. يعتبر الناتج المحلي الإجمالي مؤشر اقتصادي يقيس القيمة النقدية لإجمالي السلع والخدمات التي أنتجت داخل حدود منطقة جغرافية ما (بلد مثلا) خلال فترة زمنية محددة (سنة أو نصف سنة مثلا). بذلك يشمل الناتج كل ما ينتج في الاقتصاد من سلع وخدمات فالمنتجات الزراعية والصناعية في الاقتصاد تدخل ضمن الحسابات، وخدمات تأجير المنازل والخدمات المصرفية، والسياحية والعلاجية كلها تسجل ضمن الناتج المحلي[88]. ويمكن التفريق بين نوعين الناتج المحلي الإجمالي هما: الناتج المحلي الإجمالي الاسمي و الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي ويمكن التفريق بينهما في الأتي:

1- الناتج المحلي الإجمالي الاسمي: هو الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية.

2- أما الناتج المحلي الحقيقي هو قيمة الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة حسب سنة الأساس.

عندما يقاس الناتج المحلي الإجمالي باعتماد على الأسعار الجارية فإنه يسمى بالناتج المحلي الإجمالي الاسمي وهو لا يسمح بإجراء مقارنات زمنية للوقوف على حقيقة تطور الإنتاج نمو أو انكماشا وذلك بسبب تأثير تغيرات الأسعار ولهذا فلا تجرى المقارنات بين الفترات الزمنية مختلفة إلا اعتمادا على الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي والذي يتم حسابه من خلال تعديل الناتج المحلي الإجمالي الاسمي بفضل استخدام معامل يسمح بتحييد أثر الأسعار على تطور الإنتاج.

عرض النقود: النقود هي أي شي يلاقي قبولا عاما وله القدرة للتوسط في التبادل وتسويه الديون عليه فان العملة الورقية والمعدنية المتداولة إلى جانب الودائع الجارية أو تحت الطلب تعتبر نقودا ما دامت لها القدرة على التوسط في المعاملات

---

86 نجلاء صالح الزامل، مصدر سبق ذكره، ص(16 – 17).

87) عبد الناصر العبادي وآخرون. مبادئ الاقتصاد الكلي. دار الصفاء للنشر. عمان. ص28.

88 عبد الناصر العبادي، مصدر سبق ذكره، ص29.

وتسويه الديون[89].هنالك ثلاثة تعريفات لعرض النقود في الاقتصاد وهي عرض النقود بالمعنى الضيق ويزمز له بالرمز M1 وعرض النقود بالمعني الواسع M2 والتعريف الموسع لعرض النقود M3 ويمكن شرح التعريفات الثلاثة لعرض النقود في الأتي:

عرض النقود بالمعنى الضيق: يرمز له بالرمز M1 يتكون من العنصرين هما: العملة المتداولة خارج الجهاز المصرفي مضافاً إليها الودائع الجارية التي يمكن السحب عليها بواسطة الشيكات أو الصكوك. نلاحظ هنا استبعاد العملة المحتفظ بها لدى الجهاز المصرفي من مكونات عرض النقد باعتبارها ليست متداولة إلى جانب أن احتسابها يمكن أن يترتب عليه ازدواج حسابي[90]، ضمن المعنى الضيق لعرض النقد فقد تم استبعاد الودائع الادخارية أو لأجل باعتبارها لا تتمتع بالسيولة قياساً بالعملة المتداولة والودائع الجارية وهذا يقلل من إمكانية استخدامها وسيطاً للتبادل لذلك يطلق عليها أشباه النقود. لو أضفنا أشباه النقود إلى مكونات عرض النقد بالمعنى الضيق لحصلنا على عرض النقد بالمعنى الواسع حيث أن **عرض النقد بالمعنى الواسع**: يرمز له بالرمز M2 حيث[91]:

M2 = M1 + (الودائع لأجل) أشباه النقود

باعتبار أن المكون الأول لعرض النقد M1 هو عبارة عن العملة المتداولة خارج الجهاز المصرفي فإن كمية هذه العملة أو مقدارها تقع ضمن مسؤولية البنك المركزي باعتباره جهة الإصدار الوحيدة لهذه العملة في حين نلاحظ أن المكونات الأخرى لعرض النقد الودائع لأجل أو الجارية فإنها تقع ضمن مسؤولية المصارف التجارية باعتبارها الجهات التي يمكنها التأثير وتحديد كميتها أو مقدارها.

لجأت البنوك لاستقطاب ودائع طويلة الأجل وكبيرة الحجم ويجد أصحابها صعوبة في تحويلها إلى نقد وهذه الودائع وسعت من عرض النقود بحيث يتكون من إجمالي السيولة وإضافة إلى تعريف عرض النقود بعدا أخر عرف بـ M3 [92]، حيث:

M3 = M2 + ودائع المؤسسات المالية غير المصرفية

هنالك فرق بين عرض النقود والقاعدة النقدية حيث أن القاعدة النقدية هي مجموع النقود التي يصدرها البنك المركزي بينما النقود التي يتم تدولها في الاقتصاد يسمى عرض النقود، يمكن القول أن هنالك ثلاثة فئات تستطيع التأثير على عرض النقود وهي البنك المركزي والجمهور والبنوك التجارية، فالبنك المركزي يسيطر التأثير على القاعد النقدية بالزيادة والنقصان حسب السياسات الاقتصادية المتبعة، ورغبات الجمهور نحو الاحتفاظ بالسيولة أو إيداعها في البنوك بالتالي لهم تأثير مهم في عرض النقود ويقاس هذا الأثر بنسبة السيولة للودائع، يحتفظ البنك المركزي بنسبة من ودائع البنوك

---

89 ناظم محمد نوري، النقود والمصارف، (النظرية النقدية)، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2010م، ص221.

90 نمارق موسي أحمد سليمان. أثر التغير في عرض النقود علي الناتج المحلي الإجمالي والتضخم في السودان (1999-2014م). بحث تكميلي غير منشور مقدم لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد التطبيقي. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا 2015م. ص10.

91 ناظم محمد نوري، مصدر سبق ذكره، ص(221-221).

92 نمارق موسى أحمد سليمان، مصدر سبق ذكره، ص(11).

التجارية كاحتياطي ولكن قد تحتفظ البنوك التجارية بسنة أكبر من ذلك ولا تقرضها وبالتالي تسهم هذه البنوك في التأثير على عرض النقود[93].

الفصل الثالث: التضخم الناتج والمحلي الإجمالي وعرض النقود في السودان:

التضخم في السودان: حدثت تغيرات كبيرة وعديدة علي التضخم في السودان خلال الفترة من 1990م من خلال متابعة بيانات تقارير بنك السودان المركزي عن التضخم نلاحظ ارتفاع وانخفاض كبير في التضخم حسب الفترة والمرحلة الاقتصادية، ويلاحظ أن الفترة من: (2000 – 2004م) شهدت أقل متوسط للتضخم بمعدل: 7.48% أما متوسط معدل نمو التضخم فسجل أقل نسبة له في الفترة من: (2000- 2004م) بمعدل 86.59-% أما أعلى نسبة له فكانت 195.57% خلال الفترة من: (2010 – 2015م).

جدول رقم(1) يوضح التضخم في السودان: (1990 – 2015م):

السنة	متوسط التضخم %	نمو متوسط التضخم %
1994 - 1990	120.94	170.56
1999 -1995	55.76	-53.89
2004 – 2000	7.48	-86.59
2009 – 2005	9.48	26.74
2015 - 2010	28.02	195.57

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على تقارير بنك السودان، في الفترة: (1990 – 2015م).

* نمو متوسط التضخم حساب الباحث بالاعتماد على بيانات متوسط التضخم بالجدول.

التضخم خلال الفترة:1990 – 2015م: للتعرف على وضع التضخم في السودان خلال الفترة يمكن تسليط الضوء على بيانات تاريخية للتضخم خلال الفترة من خلال تقارير بنك السودان المركزي وتحليلها للتعرف على وصف اقتصادي للتضخم خلال الفترة.

شكل(1) يوضح الاتجاه العام للتضخم في السودان خلال الفترة من: (1990 – 2015م)

93 خالد أوصف الوزني وأحمد حسين الرفاعي، مبادئ الاقتصاد الكلي بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر، عمان، الاردن، 2004، ص 290.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على تقارير بنك السودان، في الفترة: (1990 – 2015م).

هنالك أسباب المختلفة أدت إلي ارتفاع وانخفاض معدلات التضخم خلال الفترة (1990-2015م)، وهي فترة حكم نظام الإنقاذ حيث اتبعت عدد من الاستراتيجيات القومية الشاملة أحدثت تغييرات كبيرة في الاقتصاد السوداني مثل سياسة التحرير الاقتصادي وأيضا فرض الحظر الأمريكي وإنتاج وتصدير البترول وتوقيع اتفاقية السلام الشامل ثم انفصال جنوب السودان في عام 2011م[94]. بلغ متوسط معدل التضخم خلال هذه الفترة 43.3% كان أعلاها في عام 1993م بنسبة 181.5% وأدناها في عام 2001 بسبه 4.9% كما هو موضح في جدول (2-3)، ارتفاع معدلات التضخم في الأعوام من: (1994-1996م) بينما كان هنالك انخفاض نسبي في معدلات التضخم خلال الفترة من 1997 إلى 2002 تراوح بين 46.5 إلى 8.4% حيث ويرجع الانخفاض إلى السياسات العديدة والإجراءات التي اتبعتها الدولة مثل سياسة خفض الطلب الكلي المتمثلة في ضبط كمية السيولة وتقييد حركتها هي السياسات المالية و النقدية التي طبقها كل من بنك السودان ووزارة المالية، أما الاتجاه العام للتضخم فيشير إلى أن هناك ارتفاع و تذبذب حاد خلال الفترة من: (1992-1996) وهي الفترة التي شهدت البرنامج الأول في الخطة الإستراتيجية القومية (1992 – 1995م)[95]

الناتج المحلي الإجمالي في السودان: يتعرض هذا الجزء أداء متغير الدراسة الناتج المحلي الإجمالي.

متوسط الناتج المحلي الإجمالي ومعدل نمو المتوسط خلال الفترة من 1990 - 2015 م.

القيمة مليار جنية سوداني

السنة	متوسط الناتج المحلي الإجمالي	معدل نمو متوسط الناتج المحلي الإجمالي %
1994 - 1990	710.86	1664.74
1999 -1995	15211.99	2039.93
2004 - 2000	49328.09	224.27
2009 - 2005	113708.8	130.52
2015 - 2010	616970.2	611298.00

[94] حيدر بابكر الريح، مصدر سبق ذكره، ص165
[95] حيدر بابكر الريح، نفس المصدر. ص،168 .

المصدر: أعداد الباحث بالاعتماد على بيانات تقارير بنك السودان، للفترة من: (1982 – 2015م).

*نمو الناتج المحلي الإجمالي حساب الباحث بالاعتماد علي بيانات الناتج المحلي الإجمالي بالجدول.

شكل: (2) الاتجاه العام للناتج المحلي الإجمالي في السودان خلال الفترة من 1990 – 2015م:

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على تقارير بنك السودان، في الفترة: (1990 – 2015م).

من الشكل البياني نلاحظ وجود اتجاه عام تصاعدي للناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة الثانية حيث تظهر بيانات الدراسة أن الناتج المحلي الإجمالي في زيادة مستمرة خلال هذه الفترة من خاصة خلال العامين 2013م و 2014م، كما يظهر في الشكل (2-4)، من خلال الجدول (2-6) نجد أن أقل قيمة للناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة الثانية كانت عام 1990م وبلغت 110.11 مليار جنية وأعلى قيمة عام 2015م وبلغت 582936.7 مليار جنية سوداني نتحصل علي النسب التالية: تم حساب متوسط الناتج المحلي الإجمالي للفترة الثانية بقسمة مجموع الناتج المحلي الإجمالي لكل السنوات الفترة على عددها وبلغ 175484.1 مليار جنية، بينما بلغ متوسط معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي والذي تم حسابه بنفس الطريقة السابقة الفترة الثانية نسبة 83.2%.

3- عرض النقود في السودان: يستعرض بيانات عرض النقود في السودان خلال فترة (1990-2015م).

جدول: (3) متوسط عرض النقود ونمو عرض النقود خلال الفترة من 1990 – 2015م.

القيمة مليار جنية سوداني

السنة	متوسط عرض النقود M2	متوسط نمو عرض النقود M2 %
1994 - 1990	179.97	1372.81
1999 -1995	1623.54	802.09
2004 - 2000	6073.36	274.08
2009 - 2005	20523.79	237.93

2015 - 2010	62306.82	203.58

المصدر: عرض النقود تقارير بنك السودان، في الفترة: (1982 – 2015م).

*معدل نمو عرض النقود حساب الباحث بالاعتماد على بيانات عرض النقود بالجدول (2-7).

شكل رقم(4) يوضح الاتجاه العام لعرض النقود عرض النقود للفترة من 1990-2015م:

المصدر: إعداد الباحث من خلال جداول بيانات الدراسة

من الشكل البياني نلاحظ وجود اتجاه عام تصاعدي لعرض النقود خلال الفترة الثانية حيث تظهر بيانات الدراسة أن عرض النقود في زيادة مستمرة خلال هذه الفترة. أما أقل معدل لنمو عرض النقود فكان في العام 2007م بمعدل 10.3%.

الفصل الرابع: المنهجية والشواهد التطبيقية

1- توصيف النماذج:

يأخذ النموذج الشكل التالي:

$$INF = b_0 + b_1 MS - b_2 GDP + U_t$$

حيث:

INF = التضخم وهو المتغير التابع.

GDP , MS = تمثل المتغيرات المستقلة.

MS = عرض النقود.

GDP = الناتج المحلي الإجمالي.

U_t = المتغير العشوائي.

$b_0 . b_1 . b_2$ = معلمات النموذج.

b_0 = تمثل القاطع بالنسبة للنموذج.

الزيادة في عرض النقود MS تؤدي إلى زيادة في وسائل الدفع، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة في الطلب على شراء السلع والخدمات، مما يؤدي إلى ارتفاع المستوى العام للأسعار عليه يتوقع أن توجد علاقة طردية بين عرض النقود والتضخم. أي: $0< b_1$.

الزيادة في الناتج المحلي الإجمالي GDP تؤدى إلى زيادة عرض السلع والخدمات وهذه الزيادة بدورها سوف تحدث انخفاض في المستوى العام للأسعار. لذا نتوقع أن تكون هناك علاقة عكسية الناتج المحلي الإجمالي والتضخم. أي: $0 > b_2$.

سيتم استخدام بيانات من التقارير السنوية لبنك السودان المركزي للفترة من 1970-2015م وسيتم تقسيمها إلى فترتين ومن ثم تطبيق طريقة الانحدار المتعدد على البيانات باستخدام برنامج E-View وسيتم تقدير النموذج $INF = b_0 + b_1 MS - b_2 GDP + U_t$.

2- اختبار التكامل المشترك:

استخدم البحث الطرق الحديثة لتقدير أثر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في السودان عن طريق برنامج (Eviews10) ثم الفحص للحصول على النتائج التي تدعم النظرية الاقتصادية فمتغيرات الاقتصاد تؤثر وتتأثر ببعضها البعض في إطار متكامل للعلاقات فيما بينهما، وهذه العلاقات عادة ما تشتمل على متغيرات تفسيرية ترتبط بمتغيرات تابعة من خلال معلمات مجهولة يرغب المحلل القياسي بتقديرها في ظل وجود الأخطاء العشوائية، وكما هو معروف في أدبيات الاقتصاد القياسي إن أحد مكونات الأخطاء العشوائية ناتج عن أخطاء في هذه المتغيرات، وبما إن دقة التقديرات تعتمد بشكل أساسي علي حجم وطبيعة هذه الأخطاء ولذلك لا بد من تحسين متغيرات النموذج وذلك عن طريق التحليل الأولي للبيانات، وخاصة في بيانات السلاسل الزمنية إذ إن معظم الدراسات القياسية تعتمد عليها ولذلك فان التحليل للبيانات يشمل على: اختبار سكون واستقرار السلسلة، وتحليل التكامل المشترك، واختبار وعلاج مشاكل القياس.

سكون واستقرار السلسلة مهم لأن بيانات السلاسل الزمنية غالباً ما يوجد بها عامل الاتجاه العام الذي يعكس ظروف معينة تؤثر في جميع المتغيرات أما في نفس الاتجاه أو في اتجاهات متعاكسة، وبمعنى أخر فإن وجود اتجاه عام لبيانات أحد المتغيرات النموذج يعكس صفة عدم الاستقرار في كل البيانات الموجودة وبالتالي فان الانحدار الذي تحصل عليه بين متغيرات السلسلة الزمنية يكون غالباً زائفاً، كما إن الخواص الإحصائية لتحليل الانحدار تفتقد عند استخدام سلاسل غير ساكنة بالإضافة إلى ذلك فان وجود اتجاه عام في بيانات السلسلة الزمنية يجعل من الصعب الاعتماد على قيمة المتوسط في الاستشراف وذلك لأنه في حالة الاتجاه العام المتزايد فإن الاعتماد على القيمة المتوسطة يعطي قيماً أقل من الواقع في حالة الاتجاه العام المتناقض فان الاعتماد على القيمة المتوسطة يعطي قيماً أعلى من الواقع، ولهذا لا بد من اكتشاف مدى وجود الاتجاه العام في بيانات متغيرات السلسلة الزمنية والتخلص منه لضمان صفة الاستقرار (السكون) وعلى المستوي التطبيقي هنالك عدة اختبارات يمكن استخدامها لاختيار صفة السكون في السلسلة الزمنية من أهمها اختبار جذور الوحدة.

3- الشواهد التطبيقية: تقدير دالة التضخم في الفترة من: (1990- 2015م):

أولا: اختبار ديكي فولر الموسع (Augmented Dickey–Fuller 1981)

جدول (4) يوضح نتائج اختبار ديكي فولر لمتغيرات الدراسة (التضخم)(1990-2015)

المتغيرات	قيمة ADF	القيمة الحرجة عند مستوي معنوية5%	مستوي الاستقرار
التضخم INF2	-3.665646	-3.020686	في المستوي

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة باستخدام برنامج E.Views.v10

يتضح من الجدول (4) أن قيمة (ADF) بالنسبة للتضخم أكبر من القيمة الحرجة عند مستوي معنوية 5% وأن جميع هذه المتغيرات مستقر في المستوي.

جدول (5) يوضح نتائج اختبار ديكي فولر (عرض النقود والناتج المحلي الإجمالي) (1990-2015):

المتغيرات	قيمة ADF	القيمة الحرجة عند مستوي معنوية1%	مستوي الاستقرار
عرض النقود MS2	5.818546	-3.808546	في المستوي
الناتج المحلي الإجمالي GDP2	3.088419	-3.808546	في المستوي

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة باستخدام برنامج E.Views.v10.

يتضح من الجدول (5) أن قيمة (ADF) بالنسبة لعرض النقود والناتج المحلي الإجمالي أكبر من القيمة الحرجة عند مستوي معنوية 1% وأن جميع هذه المتغيرات مستقره في المستوي.

2- اختبار فيلبس –بيرون (pp)

جدول (6) يوضح نتائج اختبار فيلبس بيرون لمتغيرات الدراسة (عرض النقود والناتج المحلي الإجمالي):

المتغيرات	قيمة pp	القيمة الحرجة level %1	مستوي الاستقرار
التضخم INF2	-6.920396	-3.737853	عند الفرق الاول
عرض النقود MS2	20.23855	-3.724070	عند المستوي
الناتج المحلي الإجمالي GDP2	-3.847335	-3.724070	عند المستوي

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة باستخدام برنامج E.Views.v10.

يتضح من الجدول رقم (6) أن قيمة (pp) لمتغيرات الدراسة التضخم وعرض النقود والناتج المحلي الإجمالي أكبر من القيمة الحرجة عند مستوي معنوية 1% وان التضخم مستقر في الفرق الاول وعرض النقود والناتج المحلي الإجمالي مستقر في المستوي. ويلاحظ أن هناك تناقض بين اختبار ADF واختبار pp ويري كثير من القياسيين أن في هذه الحالة يتم ترجيح اختبار pp لدقة معالمه.

3- اختبار التكامل المشترك:

جدول (7) يوضح نتائج اختبار جوهانسون – جويللز للتكامل المشترك لمتغيرات الدراسة (لمعادلة التضخم):

التحليل	Trace statistic	القيمة الحرجة عند مستوي معنوية5%	المتغيرات
None	45.41089	29.79707	التضخم INF2
At most1	17.00502	15.49471	عرض النقود MS2
At most2	2.329600	3.841466	الناتج المحلي الإجمالي GDP2

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة باستخدام برنامج E.Views.v10.

يتضح من الجدول (7) وجود متجه واحد للتكامل المشترك وذلك عند مستوي معنوية 5%، وهذا يعني أن البيانات تتجه نحو التكامل في الأجل الطويل. مما يعني أن النتائج التي يتم الحصول عليها تكون غير زائفة، هذه النتائج تؤكد على أن هنالك علاقة توازنية طويلة الأجل بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع.

ثانياً: تقدير النموذج:

جدول (8) يوضح نتائج التقدير لمعادلة التضخم (1970-1989م)

Adjsted R-Squre	المعنوية الكلية للنموذجF	معنوية المعالم Prob	قيمة (T) T-Statistic	الاخطاء المعيارية	المعالم المقدرة Coefficient	المتغيرات Variable
0.76	0.0000	0.000	12.80315	0.59755	7.65	C
		0.000	5.846185	6.12E06	3.58	MS2
		0.000	-8.03463	0.06856	-0.55	GDP2

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة باستخدام برنامج E.Views.v10.

تقدير معادلة التضخم:

تم تقدير نموذج معادلة التضخم بطريقة المربعات الصغرى العادية معادلة نصف لوغريثمية لأنها تعطي نتائج تقدير أفضل.

$$\log(INF) = 7.65 + 3.58MS - 0.55\log(GDP(-3))$$

(12.80315) (5.846185) (-8.03463)

تقييم نتائج تقدير نموذج الدراسة باستخدام المعيار الاقتصادي والإحصائي والقياسي:

أولاً: التقييم وفقاً للمعيار الاقتصادي: من الجدول رقم (8) يتضح الأتي:

- قيمة الثابت تساوي (7.65) وهي قيمة موجبة وتتفق مع معيار النظرية الاقتصادية وهي أن قيمة التضخم عندما يكون عرض النقود والناتج المحلى الإجمالي ثابتين.

- قيمة معامل عرض النقود تساوي (3.58) وهي ذات إشارة موجبة وتعني وجود علاقة طردية بين عرض النقود والتضخم، وهذا يتفق مع النظرية الاقتصادية، أي كلما زاد عرض النقود بوحدة واحدة سيزيد التضخم بـ3.58مع ثبات الناتج المحلي الإجمالي.

- قيمة معامل الناتج المحلي الإجمالي تساوي (-0.55)، وهي قيمة سالبة وتعني وجود علاقة عكسية بين الناتج المحلي الإجمالي والتضخم. وهذا ما يتفق مع معيار النظرية الاقتصادية، أي كلما زاد الناتج المحلي الإجمالي بزيادة وحدة واحدة تؤدي إلى انخفاض التضخم بـ-0.55 مع ثبات عرض النقود.

ثانياً التقييم وفقاً للمعيار الإحصائي: وفيه يتم تقييم ثلاثة معاير وهي:

1- اختبار المعنوية الجزئية للمعالم: من جدول (8) يتضح الأتي:

- القيمة الاحتمالية للثابت تساوي (0.000) وهي أقل من مستوي المعنوية 1% وهذا يعني أن الثابت معنوي.

- القيمة الاحتمالية لمعامل عرض النقود تساوي (0.000) وهي أقل من مستوي المعنوية 1% وهذا دلالة علي معنوية عرض النقود.

- القيمة الاحتمالية لمعامل الناتج المحلي الإجمالي يساوي (0.000) وهي أقل من مستوي المعنوية 5% وهذا يعني أن معامل الناتج المحلي الإجمالي معنوي.

2- المعنوية الكلية للنموذج (F): يلاحظ من الجدول رقم (3-20) أن قيمة F تساوي (32.28464) والقيمة الاحتمالية لـ F تساوي (0.000) وهي اقل من مستوي المعنوية 1% وهذا يعني أن النموذج ككل معنوي.

3- اختبار جودة التوفيق (R-Squared): يلاحظ من الجدول رقم (3-20) أن قيمة معامل التحديد المصحح تساوي 0.76 وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة (عرض النقود والناتج المحلي) مسؤلة عن 76% من التغيرات التي تحدث في المتغير التابع (التضخم) والباقي 24% يرجع إلى المتغيرات الغير مضمنة في النموذج وهذا دلالة علي جودة توفيق النموذج.

ثالثاً: التقييم وفقاً للمعيار القياسي: من خلال هذا المعيار يمكن معرفة ما إذا كان النموذج يخلو من مشاكل القياس أم لا ويوجد ثلاثة مؤشرات هي:

1- اختبار مشكلة اختلاف التباين :Heteroskedasticity Test

جدول (9) يوضح نتائج اختبار ARCH

F-statistic	7.046611	Prob. F(1,23)	0.0152
Obs*R-squared	5.731788	Prob. Chi-Square(1)	0.0167

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة باستخدام برنامج E.Views-v10.

من خلال نتائج الجدول (9) نجد أن القيم الاحتمالية المصاحبة لاختباري F وChi-Square أكبر من 5% وهذا دلالة على أن النموذج لا يعاني من مشكلة اختلاف التباين.

2- اختبار مشكلة الارتباط الذاتي

جدول (10) يوضح نتيجة اختبار Durbin-Watson

Durbin-Watson Statistics =1.943967

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة باستخدام برنامج E.Views-v10.

يلاحظ من الجدول (10) أن قيمة DW تساوي (1.943967) وهي قريبة جدا من القيمة المعيارية 2 وهذه دلالة علي عدم وجود مشكلة الارتباط الذاتي في النموذج.

3- اختبار مشكلة الارتباط الخطي المتعدد: Multicollinearity

جدول (11) يوضح نتيجة اختبار مصفوفة الارتباط Correlation Matrix

	GDP2	INF2	MS2
GDP2	1.000	-0.22	0.539
INF2	-0.22	1.000	-0.3156
MS2	0.539	-0.3156	1.000

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة باستخدام برنامج E.Views-v10.

يلاحظ من الجدول رقم (11) أن قيمة الارتباط بين التضخم (INF2) والناتج المحلي الإجمالي (GDP2) تساوي (-0.22) وكذلك عرض النقود (MS2) والتضخم (INF2) وهي اقل من 80% وهذا يعني عدم وجود مشكلة الارتباط الخطي المتعدد في النموذج.

مناقشة النتائج:

تناول البحث أثر الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود على التضخم في السودان دراسة تحليلية خلال الفترة من: (1990 – 2015م) استخدام المنهج القياسي التطبيقي باستخدام اختبار التكامل المشترك وطريقة المربعات الصغرى OLS باستخدام البرنامج (E-views10)، وتم تقدير نموذج الفترة لفحص وتقدير أثر المتغيرات المستقلة على التضخم وخلص للاتي:

أولا: التقييم وفق للمعيار الاقتصادي: وهذا المعيار يتضمن تقييم ثلاثة اعتبارات كالأتي:

1- **قيمة الثابت:** كانت قيمة الثابت موجبة وتتفق في ذلك مع النظرية الاقتصادية وهي قيمة التضخم عندما يكون عرض النقود والناتج المحلي الإجمالي ثابتين، حيث تساوي 12.80.

2- **قيمة معامل عرض النقود:** كانت قيمة معامل عرض النقود ذات إشارة موجبة ويعني وجود علاقة طردية بين عرض النقود والتضخم وهذا يتفق مع النظرية الاقتصادية، حيث تساوي 3.58 .

3- **قيمة معامل الناتج المحلي الإجمالي:** كانت قيمة معامل الناتج المحلي الإجمالي سالبة مما يعني وجود علاقة عكسية بين الناتج المحلي الإجمالي، والتضخم حيث أن زيادة الناتج المحلي الإجمالي تخفض من معدل التضخم 0.55- .

ثانيا: التقييم وفقا للمعيار الإحصائي: في هذا المعيار يتم تقييم ثلاثة اعتبارات وهي:

1- اختبار المعنوية الجزئية للمعالم: وفق هذا المعيار كانت:

- اختبار المعنوية للثابت كان أقل من مستوي المعنوية 1% مما يعني أن الثابت معنوي.

- القيمة الاحتمالية لمعامل عرض النقود أقل من مستوي المعنوية 1% مما يعني أن القيمة الاحتمالية لمعامل عرض النقود معنوية.

- القيمة الاحتمالية لمعامل الناتج المحلي الإجمالي أقل من مستوي معنوية 5% للفترة من: (1990 -2015م) مما يعني أن القيمة الاحتمالية لمعامل الناتج المحلي الإجمالي معنوية

2- اختبار المعنوية الكلية للنموذج: نجد أن القيمة الاحتمالية لكل نموذج من أقل من مستوي معنوية 1% مما يعني أن أي نموذج من النماذج الثلاثة معنوي ككل.

3- اختبار جودة التوفيق: يلاحظ أن قيمة معامل التحديد المصحح يساوي 0.76 للفترة مما يعني أن المتغيرات المستقلة (عرض النقود والناتج المحلي الإجمالي) تفسر 76% من التغيرات التي تحدث في المتغير التابع التضخم مما يدل على جودة توفيق نماذج البحث الثلاثة.

ثالثاً: المعيار القياسي: وفق هذا المعيار يمكن معرفة ما إذا كان النموذج يجلو من مشاكل القياس أم لا ويوجد ثلاثة مؤشرات هي:

1- مشكلة اختلاف التباين: نتائج التحليل نجد أن القيمة الاحتمالية المصاحبة لاختباري F و Chi-Square أكبر من 5% لنموذج الفترة مما يدل على أن النموذج لا تعاني مشاكل اختلاف التباين.

2- اختبار مشكلة الارتباط الخطي المتعدد: من خلال نتائج اختبار Durbin – Watson يلاحظ أن قيمة DW قريبة جدا من القيمة المعيارية 2 للنموذج مما يدل على عدم وجود مشكلة الارتباط الذاتي في النماذج.

3- مشكلة الارتباط الخطي المتعدد: يلاحظ أن قيمة الارتباط بين التضخم و الناتج المحلي الإجمالي وكذلك عرض النقود والناتج المحلي الإجمالي هي أقل من 80% وهذا يعني عدم وجود مشكلة الارتباط الخطي المتعدد في النموذج.

أولاً: النتائج:

1- هنالك علاقة عكسية بين الناتج المحلي الإجمالي والتضخم: (1990-2015م) وفي كل الفترة وهذا يثبت صحة الفرضية الأولى.

2- هنالك علاقة طردية بين عرض النقود والتضخم: (1990-2015م) وفي كل الفترة وهذا يثبت صحة الفرضية الثانية.

3- أكد اختبار التكامل المشترك وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين المتغيرات المستقلة الناتج المحلي الاجمالي وعرض النقود والمتغير التابع التضخم.

4- أن قيمة معامل التحديد المصحح تساوي 0.76 وهذا أن 76% من التغيرات التي تحدث في معدل التضخم ترجع إلى المتغيرات المستقلة الناتج المحلي الإجمالي وعرض النقود وأن 24% من التغيرات ترجع إلى العوامل غير المضمنة في النموذج ويمثلها المتغير العشوائي.

5- تأثير عرض النقود على التضخم معنوي في فترة الدراسة ككل.

6- تأثير الناتج المحلي الإجمالي على التضخم معنوي خلال فترة الدراسة ككل.

ثانياً: التوصيات:

1- المحافظة على الاستقرار النقدي وعدم زيادة عرض النقود بمعدلات كبيرة لتحقيق نمو متوازن في التضخم.

2- ربط الزيادة في عرض النقود بمؤشرات التوسع في الاقتصاد أي أن تكون الزيادة في عرض النقود لمقابلة التوسع في الأنشطة الاقتصادية والمبادلات.

3- الاهتمام بزيادة معدلات الناتج المحلي الإجمالي من خلال إصلاحات تستهدف زيادة الإنتاج والإنتاجية بتشجيع المنتجين لتحقيق الاستقرار الاقتصادي مما يسهم في تقليل معدلات التضخم.

4- توصية بدراسات مستقبلية:

أ- دراسة أثر المتغيرات الاقتصادية الأخرى غير المضمنة في البحث على التضخم في السودان.

ب- دراسة أثر التضخم على أداء المتغيرات الاقتصادية مثل النمو الاقتصادي وسعر الصرف.

قائمة المراجع:

1- أحمد جامع، النظرية الاقتصادية، الجزء الثاني، التحليل الاقتصادي الكلي، دار النهضة العربية القاهرة، 1987م.

2- حيدر بابكر الريح، الاقتصاد السوداني في 58 عاما، دار للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، 2012م.

3- خالد أوصف الوزني وأحمد حسين الرفاعي، مبادئ الاقتصاد الكلي بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2004.

4- عبد المجيد قدي، المدخل إلى السياسات الاقتصادية الكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الأردن، 2003م.

5- عبد الوهاب عثمان شيخ موسي، منهجية الإصلاح الاقتصادي في السودان، الجزء الأول والثاني، الخرطوم، السودان، 2012م.

6- عثمان إبراهيم السيد، الطبعة الأولي، انعكاسات استدانة الحكومة من النظام المصرفي على التضخم، 2002م.

7-عناية غازي حسين، التضخم المالي، مؤسسه شباب الجامعية، الإسكندرية مصر، 2006م.

8- مجيد علي حسن، عفاف عبد الجبار سعيد، مقدمة في التحليل الاقتصادي الكلي، دار وائل للنشر. عمان الأردن، 2004م.

9- نبيل الروبى، نظرية التضخم، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1984م.

10- ألاء الفاضل أحمد أبو زيد، تحليل التضخم في السودان خلال الفترة من 1980-2013م، جامعة الخرطوم، السودان، 2016م.

11- حسن بن رفدان الهجوج، محددات التضخم في دول مجلس التعاون الخليجي العربي: أسلوب التكامل المشترك، مؤتمر الجمعية الاقتصادية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2009م.

12- عبد الله أحمد عبد الله أبوبكر، أثر سياسة التحرير الاقتصادي في معدلات التضخم في السودان للفترة من:(1980 – 2010م)، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2011م.

13- ناريمان حسام شحادة قديح، محددات التضخم في الاقتصاد الفلسطيني، دراسة قياسية 1995 – 2015م، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2015م.

14- تقارير بنك السودان المركزي، التقارير السنوية للفترة من: (1982- 2017م).

15- موقع بنك السودان: www.cbos.gov.sd

16- موقع وزارة المالية والتخطيط الاقتصادي جمهورية السودان: www.mof.gov.sd

.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

الأولياء في الرواية الشفوية بالمجتمع القروي المغربي

نموذجا "سيدي موسى" بدوار أولاد لحمر -منطقة "الغرب"

Saints in the oral novel in Moroccan rural society as a model Sidi Moussa in Douar Ouled Lahmar - the Gharb region

إسماعيل الراجي

طالب باحث في سلك الدكتوراة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة ابن طفيل-القنيطرة

ملخص:

تحاول هذه المقالة رصد بعض حيثيات التمثلات المجتمعية القروية حول مقامات "الأولياء/الصلحاء" الذين جعلهم المجتمع في الاعتقاد الشعبي المغربي؛ ذوي أسرار من البركات والكرامات. فهذا دوار أولاد لحمر؛ دوار من مجموع دواوير منطقة الغرب بالمغرب، شكلت فيه العادات والتقاليد وثقافة الأولياء والتصوف وجها من أوجه الحياة الثقافية والإجتماعية، المتجذرة في كيان هذا المجتمع.

تكشف بعض أشكال طقوس التصوف والحكايات وبعض القصص والمرويات المحلية بالدوار التي تسرد عن عوالم "البركة" و"الكرامات" وبالخصوص المتعلقة بأحد الأولياء، المسمى ب"سيدي موسى" الكائن ضريحه بدوار أولاد لحمر؛ حيث يحتل مرقد "السيد" مرتبة عالية من التبجيل والاحترام والتقدير من قبل الناس، ولا أدل على ذلك، بناء بيتا على قبره. وعليه صار هذا الولي حيا والسيد تحت تراب، مقصدا نشيطا للعديد من ساكنة المنطقة، علاوة على أهل الدوار.

يقصد الناس "مقام" سيدي موسى من أجل التبرك، وطلب الله عنده من أجل أغراض تخص الشفاء من المرض، وحل العقم، وإنجاب الولد الذكر، وغيرها من دواعي مطالب الأفراد الخاصة، ونحوها من المطالب الجماعية، كطلب الغيث في سنوات الموسم الفلاحية التي تتأخر فيها تساقطات المطرية...إلخ.

تأتي هذه الدراسة، للكشف عن بعض جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع القروي -دوار أولاد لحمر-خلال العقود الماضية من القرن 20، فماذا تخبرنا الذاكرة المجتمعية القروية_ عن سيرة التاريخ الاجتماعي والثقافي لدوار أولاد لحمر_ من خلال الرواية الشفوية عن طبيعة المجتمع وبعض مؤسساته والذهنيات المتحكمة فيه ووجهة نظره في سيدي موسى وغيره؟

الكلمات المفتاح: دوار أولاد لحمر، سي لحمر، سيدي موسى، لالة يامنة، الحركة.

Abstract:

This article attempts to investigate the social and cultural history of the Douar of the Moroccan companion in the Gharb region, that of the Douar Ouled Lahmar in the context of the 20th century, by monitoring the social dimension such as the tribal and social origin of the population gathered in this companion and its characteristics of demographic and social organization, then by dwelling on the cultural dimension as well as the spatial and cultural characteristics in the field and society related to the subject of culture - popular culture, mysticism and belief in Baraka and Saints such as the sanctuary of Sidi Moussa in the Ouled Lahmar companion and several Names and phenomena related to the worlds of the pond and the jinn to which the village community attached great importance during the ages Previous. And even today these beliefs continued to exist. So what do some oral histories tell us about the biography of history?

Keywords: Douar Ouled Lahmar, Si Lahmar, Sidi Moussa, Lalla Hajja, Lalla Yamna, El Harka.

مقدمة:

تشكل ظاهرة انتشار الأولياء والصلحاء في المجال المغربي، ظاهرة جد منتشرة في جميع التراب المغربي، وقد أثارت هذه الظاهرة، فضول العديد من الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية سواء خلال الحقبة الكولونيالية أو ما بعدها.

لعل أهم الشواهد على ظاهرة الأولياء في المجال المغربي؛ الشاهد الطوبونومي المجالي[96] لأسماء الأماكن، فحيث يممت النظر في الجهات الترابية المغربية، تجد مجموعة من الأماكن تحمل إسما دالا على اسم علم من الأولياء/الصلحاء المعتقد في ولايتهم وبركتهم؛ وهذه منطقة الغرب مثلا، نجدها مأهولة بالعشرات_إن لم نقل المئات_ من الأسماء للجماعات الترابية، والمدن والدواوير، والأماكن داخل مجال منطقة الغرب التاريخية، تحمل أسماء أو تسمى بأسماء الأولياء والصلحاء في المجال؛ كسيدي سليمان (اسم إقليم ومدينة)، وسيدي قاسم (اسم إقليم ومدينة)، سيدي يحيي (اسم مدينة)، مولاي بوسلهام (اسم مدينة)، لالة ميمونة (اسم جماعة)، سيدي عمر (اسم دوار) ... إلخ.

وكما هو واضح من خلال طوبونميا أسماء المجالات الترابية والأماكن، الحضور المكثف لاسم "سيدي"، إحالة لسيد/ولي من الأولياء في المجال المعتقد في ولايتهم وصلاحهم.

من المعلوم، حسب الاعتقاد في الثقافة الشعبية المغربية، حينما يتم الإشارة لاسم "سيدي" فهو يحيل على سيد/ولي من أولياء الله حسب المعتقد الشعبي؛ المعلوم مرقدهم في المجال، وهو مرقد ومكان محترم، ومبجل في الثقافة الشعبية، أحينا تضرب عنده قبة أو زاوية أو مسجد أو بناية ما له مخصوصا؛ وسيدي موسى بدوار أولاد لحمر من مجموع الأولياء في المجال المغربي والغرباوي على الخصوص، الذي قدر حق قدره في الثقافة والمجال بالمنطقة، سواء من ساكنة المنطقة، والمجال المتاخم له؛ فكان مقصد الناس من مناطق عديدة، قدموا له الهدايا، وطلبوا عنده الله في الليل والنهار.

تقول إحدى السرديات عند أهل المغرب، وخصوصا في الثقافة الصوفية المغربية؛ إذا كان المشرق بلاد الأنبياء-عليهم السلام، فالمغرب بلاد الأولياء، وعليه تربع المغرب على أكثر البلدان _ربما في العالم الإسلامي_ التي يبجل فيها " أكبر عدد من الأولياء[97]؛ حيث يقدر عددها بحوالي 100000 ولي. لكل ولي حسب الاعتقاد والتدين الشعبي عدد من الكرامات وسر البركات، بل إن من الأولياء من هو متخصص في بعض الشؤون والحوائج التي تقضى طلبها من الله عنده حسب ما هو رائج في الثقافة الشعبية.

96 "تظل الطوبونيميا، أحيانًا، الملجأ الوحيد للدارس ليعطي تفسيرًا مقنعًا ومنطقيًا لكثير من التسميات التي أطلقت على أماكن بعينها، وتستمد معناها من دلالتها في المتداول من لغة ساكني المجال(...)وتحمل أسماء المواقع والوديان والقبائل، بل حتى الأشخاص، رموزًا ذات دلالة بكامل مكونات المجال، بوصفه معينًا لا ينضب من المعلومات حول ماضينا غير المستغل على نحو جيد إلى وقتنا الراهن، (...) إذ ليس هناك شيء أشدّ تجذرًا ومقاومة من الطوبونيم(...)" للمزيد أنظر: الحسن الغرايب، قراءة طوبونيمية لباب أفريقيا بحاضرة فاس الإدريسية، أسطور، العدد9(يناير 2019) ، ص 29.

97بول باسكون، الاساطير والمعتقدات بالمغرب، ترجمة مصطفى المسناوي، في كتاب: بول باسكون أو علم الاجتماع القروي، الملتقى-مكتبة علال الفاسي- مراكش، مطبعة دار القرويين، الدار البيضاء، ص 96.

على الضوء التحولات التي عرفها المجتمع المغربي، في سيرورة الحداثة والتحديث التي همت مجموعة من الأنساق الثقافية والاجتماعية، وكذا الصحوة الدينية والثقافية، وطبيعة مخاض ثقافة الأجيال الراهنة، لم تعد، تحظى عوالم الأولياء في المجتمع المغربي عموما بنفس التبجيل الذي كان في الماضي القريب عند مجتمع الأمس-أجيال الأمس القريب، بل في مجتمع اليوم، أحيانا تم الانقلاب على العادات والتقاليد المتعلقة بسردية الأولياء والتصوف جملة وتفصيلا؛ من قبل الثقافة السائدة، ولم تعد لثقافة الأولياء تلك الحرمة في النفس والوجدان، كما كانت في الماضي القريب وعند أناسه، حيث بلغ تبجيل الأولياء عندهم، لدرجة عالية من الاحترام والتقدير...إلخ.

إن أجيال اليوم، يلاحظ بخصوصها بشكل عام، لا ترى في أماكن الأولياء والصلحاء سوى أماكن تحمل اسما، قد يكون حقيقيا، وقد لا يكون، حسب ما يرشح من الثقافة العالمة التي كشفت النقاب عن ذهنيات المجتمعية. وهذا الواقع ما حدث مع سيدي موسى بدوار أولاد لحمر الذي ضربت له ساكنته خلال القرن الماضي قبة، وجعلته مكانا مبجلا، يطلب عنده الله للشفاء من الأمراض، كالشلل، والصرع، والزواج، وحل العقم، والولادة الطفل الذكر، والحماية من العين والسحر...وإقامة وليمة الاستسقاء في فناء بطحائه. فما الذي تخبرنا الرواية الشفوية عن قصص كرامات وبركات سيدي موسى والتمثلات حوله في سياق الحياة الاجتماعية بدوار أولاد لحمر؟

المحور الأول: ومضات سوسيوتاريخية عن الأصل القبلي والأنشطة الاقتصادية لساكنة دوار أولاد لحمر

1- ومضات سوسيوتاريخية عن الأصل القبلي والاجتماعي لساكنة دوار أولا لحمر

يعد دوار أولاد لحمر من مجموع دواوير جماعة توغيلت بإقليم سيدي قاسم، بعدما كان الدوار تابعا لجماعة الخنيشات ما قبل 1992م. ويعد هذا الدوار من أكبر الدواوير في المنطقة وأقدمها؛ فالدوار يمثل في معادلة الساكنة بجماعة توغيلت[98] أكبر دوار من حيث عدد السكان (2110 نسمة) وعدد الأسر (402 أسرة)[99]. وحول الأصل القبلي الذي يراه الباحثون، أن ساكنة المجال الغرباوي التي تنشر في جل مناطق الغرب؛ هي جزء من التجمعات الكبرى والصغرى التي تنتمي للتجمعات القبائلية العربية (عرب بنو هلال)[100]. ويعد مجال دوار أولاد لحمر في التشكيلة القبلية المجالية التي تدخل في الامتداد القبلي لبني مالك في منطقة الغرب.

98 للمزيد حول جماعة توغيلت أنظر: مونوغرافية جماعة توغيلت في برنامج عمل جماعة توغيلت2015-2021(PAC).

99 للمزيد حول الخصائص السوسيواقتصادية لمجموع دواوير المغرب أنظر دراسة المندوبية السامية للتخطيط:

Données démographiques et socio-économiques de la population rurale (hors nomades) par douar selon le Recensement général de la population et de l'habitat de 2014.

100 المصطفى البوعناني، الاستقرار البشري في منطقة الغرب بين التوجهات الرسمية والمعطيات الظرفية والطبيعية من أواخر القرن 6هـ/12م إلى أواخر القرن 13هـ/19م". مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي. عدد 5- 6/ 2007-2008، من ص 88-96.

وعليه، حسب بعض الدراسات السوسيوتاريخية، ينتمي دوار أولاد لحمر إلى المكون القبلي لبني مالك؛ البطن القبلي التي تتكون من سبع فخذات[101]، وهي: أولاد حماد؛ وبني بكر؛ وأولاد عصام؛ والزهير؛ وأولاد زيان؛ والروا؛ وأولاد عيسى.

ودوار أولاد لحمر هو أحد المكونات لفخذة الروا (Aroua')؛ التي تتكون من فرقة الروا الأصليين، وفرقة الزعاترة، حيث ينتمي دوار أولاد لحمر لروا الأصلين-المجموعة الأولى؛ التي تضم سبعة دواوير وهي كل من: دوار القايد بوعبيد، والدريدين، وأولاد سيدي عمر، وأولا يشو، وأولاد سيدي عمر ولاد غريسة، ودوار البو عزاوي.

حسب المعطيات المتعلقة بشأن فرقة الروا، التي جمعت مادتها خلال مطلع القرن العشرين _حينت سنة عام 1913م_ والتي قامت بها مجموعة بحث على رأسها ميشو بلير؛ كان دوار أولاد لحمر يتكون من 25 خيمة، بعدد سكان يقدر بحوالي125 نسمة، حسب ما وثق في ذلك الجرد الميداني الذي هم معطيات مجالية وتاريخية وجغرافية واقتصادية وثقافية تتعلق بساكنة منطقة الغرب.

كان دوار أولاد لحمر ذو 125 نسمة، تحت تدبير "عين الدوار"، وهو وقتئذ، سي لحمر، الذي يعد عين الدوار أي بالمعنى المحلي "كبير اجماعة"، ومنه، تعد عائلة السي لحمر، هي العمود الفقري للجماعة السلالية في الدوار، وهي موزعة اليوم على مجموعة من الألقاب العائلية، ك: كرير، وبيدار، والراجي، وبوعيدان..إلخ.

من خلال تتبع الرواية الشفوية المتعلقة بدوار، وأصله الاجتماعي واسمه، تنتسب الجماعة السلالية في الدوار إلى الجد الأعلى وهو القايد لحمر، الذي يعد الجد الذي من أحفاده سي لحمر، الذي تربع على عين الدوار، نظرا لمكانته في قومه، وعلمه الذي يحيل عليه اسمه "السي" أي من حملة القرآن الكريم؛ ومما هو جاري به العمل في تسميات الأبناء في المجتمع المغربي، فلليوم؛ أن يحمل أسماء الأبناء أسماء أجدادهم وأباءهم وأجدادهم.

لكن، حسب الرواية الشفوية عن الجد الأعلى لساكنة دوار أولاد لحمر، أن جدهم الذي سمي بالقايد لحمر، ففي هذا تقول الرواية الشفوية؛ أنه كان قائدا في جند أحد السلاطين، وكان ممن شارك في مجموعة من الحركات من بينها "حركة تازة" التي قتل فيها القايد لحمر؟!.

وحسب الرواية الشفوية؛ ترجع جماعة أفراد القايد لحمر من تخوم منطقة الحوز، ومن قبلية أحمر على وجه التحديد؛ حيث هاجر القايد لحمر، واستقر بمن معه من أهله بمكان مضارب الدوار امتداد القبلي لبني مالك.

وعليه، ومن خلال الرواية الشفوية نستنتج ثلاث فرضيات على تسمية الدوار؛ إما أن الدوار سمي بأولاد لحمر، نسبة للمكون والأصل القلبي-قبيلة أحمر بالحوز التي ينسب له الجد الأعلى للدوار، أو سمي دوار باسم دوار أولاد لحمر نسبة لجدهم الأعلى أي القايد لحمر، أو سمي الدوار، نسبة لسي لحمر، عين الدوار، هذا الأخير التي كانت له رئاسة اجماعة في

101 Michaux Bellaire, Le Gharb, Archives marocaines, volume : XX (1913): publication de la Mission scientifique du Maroc. P 396-477.

الدوار إلى أن تولاها صهره وأحد أبناء عمومته-الحاج أحمد بن الهاشمي من منتصف القرن العشرين إلى ثمانينات القرن الماضي.

على العموم، تشكل مجموعة من الشخصيات، كالقايد لحمر، وسي لحمر، والحاج أحمد بن الهاشمي، وقاسم الحروشي، وابنه، ومجموعة من "الفقها" كالسي عبودة، والسي العربي، والسي حمو، والسي الرشيد، والسي محمد بن قدور، وغيرهم من الشخصيات هي التي تدور حولها الأحداث الاجتماعية المتعلقة بالدوار خلال نهاية القرن 19 والقرن 20م، وبالخصوص في بعد التصوف وتدبير اجماعة[102]، و"الحركة"[103] بمعناه التاريخي والحركة بمعناها المحلي المعبر عنه حسب الرواية الشفوية بدوار أولاد لحمر؛ تتعلق بظاهرة الإغارة على الدوار من قبل لصوص وقطاع الطرق، كانوا يقدمون لسرقة واستباحة مضارب الدوار وممتلكاتهم من ماشية وحبوب ونحوها، من الضفة اليسرى لنهر سبو[104].

2- لمحة عن الخصائص السوسيو اقتصادية لدوار أولاد لحمر خلال بداية القرن 20م

يبدو دوار أولاد لحمر من مجموع الدواوير التي عرفت تحولات سوسيواقتصادية وثقافية اعتملت فيها عدة أحداث، تتعلق بالديناميات السكانية والمجالية من جهة، ومن جهة أخرى بتطور الأوضاع الاقتصادية والثقافية، عقب ثلاثي محطات أساسية، فمجتمع دوار أولاد لحمر قبل الاستعمار، ليس هو نفسه خلال فترة الاستعمار وما بعده.

ففي سيرورة هذا التاريخ تم الكثير من عمليات الهدم والبناء المجتمعي والثقافي في المجتمع. ولعل أوضاع الدوار اليوم؛ السكانية والبنيات العائلية، والديمغرافية ومشهد النشاط الاقتصادي الأساسي، والمنحنى المورفولوجي للسكن، ونوع بناء

---

[102] تعد الجماعة من المؤسسات التقليدية مثل الاسرة والقبيلة والعشيرة والزاوية التي كانت تدير التنظيم الاجتماعي المغربي، وحسب السوسيولوجي فوزي بوخريص، كانت بداية تراجع الأدوار التي كانت تناط بمؤسسة الجماعة خلال القرن 20م. للمزيد أنظر: فوزي بوخريص، مؤسسة "الجماعة" "Jemaa" بين الإستمرارية والقطيعية، في كتاب، المؤسسات الجماعية وقضايا التدبير المشترك بالمغرب، تنسيق وإشراف علي بنطالب وأخرين، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية-مركز الدراسات التاريخية والبيئية(سلسلة الندوات والمحاضرات رقم 50)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، طبعة 2018، ص 181.

103 يرتبط مفهوم الحرْكة، بمغرب ما قبل القرن 20. ويصنف في القاموس المغربي ضمن الاصطلاحات المخزنية، أي أن مفهوم الحركة مصطلح مخزني، وما يزال المصطلح يستخدم في الحكي في المجالات القروية، خصوصا تلك المجالات التي كانت في دائرة أو قريبة من محيط "السيبة" .عموما فالحركة، هناك سجال حول ماهيتها: " فقبل القرن 16 م، كانت الحركة مصطلحا مخزنيا وتعني الغزوة أو المسيرة العسكرية الخارجية التي يقودها المخزن"؛ ويسمى "المشارك في هذه العملية(الحركة) يسمى " الحارك"، والحراك تفيد أو يرتبط بركوب الخيل والركض بها وبالفروسية"؛ " أما في منتصف قرن 16 م أصبحت حركة تعني العمليات العسكرية الداخلية التي تنظمها السلطات المركزية لكي تثبت سيادتها على جهة ما من البلاد. وهذا ما قام به سلاطين الدولة السعدية والعلوية". للمزيد أنظر: عبد الاله الفاسي، الحَرْكَة. معلمة المغرب(ج10)، المرجع السابق، ص 3378. وفي تحديد آخر؛ الحَرْكَة: "هي نوع من الحروب، وهي حرب يكون هدفها الهجوم على القبائل الأجنبية، يتزعم هذه الحرب أمغار. بعد عملية الهجوم والظفر بالغنائم التي يحصل عليها كل واحد، تجمع ويعاد توزيعها على الجميع الا أن أمغار يؤخذ حصة الأسد من نصيب المحاربين". رحمة بورقيبة، البارود. معلمة المغرب(ج9)، المرجع السابق، ص984.

104 الحركة في الرواية الشفوية بدوار أولاد لحمر.

السكن تبين مدى تحول هذا الدوار الذي لم يكن سوى تجمع سكاني لا يتعدى 25 كانونا[105]، كل كانون يرتبط بالكانون المجاور له في شبكة من العلاقات العائلية والاقتصادية؛ كالانتماء العائلي لجد واحد، والاشتغال في الفلح من تربية الماشية، ورعيها التي كانت النشاط الأول، لينتقل المجتمع نظرا لما عرف المغرب من انتقال من المشهد الفلاحي الرعوي إلى المشهد الفلاحي الزراعي مع ظاهرة الاستعمار؛ هذا الأخير الذي زاحم الساكنة في المنطقة في كل شيء، بل واحتال عليها؛ بالاستحواذ على الوعاء العقاري الأهم بالنسبة للأنشطة الزراعية، حيث مع ظاهرة الاستعمار تم أخذ جل أجود الأراضي المطلة على وادي ورغة، من خصائصها، تربة الدهس المحاذية لمجرى وادي ورغة وتمكين المستعمرين منها، ومن المعلوم، موقع الدوار على الضفة اليسرى لوادي ورغة[106].

جدول الخصائص السوسيو اقتصادية المتعلقة بدوار أولاد لحمر

عدد الخيام Tentes	عدد السكان Habitants	عدد البنادق Fusils	عدد الخيول Chevaux	عدد الغنم Moutons	عدد الأبقار Bœufs	عدد العودات Juments	عدد البغال Mulets	زوجة الحرث Attelées De Labour
25	125	15	4	1000	200	18	20	20

اعدد الباحث، المصدر: Michaux Bellaire, Le Gharb, Archives marocaines, volume: XX (1913): publication de la Mission scientifique du Maroc. P 396.

فيما يتعلق بحيثيات السكن والمسكن، كانت جل الساكنة تحت "خيمة" العائلة أو قل الأسرة الممتدة، التي كانت تعيش في "خيام" أو خيمة ليس بمعناه اللغوي، بل منازل معدة من التراب والقصب والأعمدة وتطور _ما قبل البناء بالإسمنت المسلح_ نحو استخدام "المقدار"؛ وهو لبنة بناء المنازل التقليدية، تتشكل من خلال مزج التبن والتراب مع الماء، ليتشكل عجين التراب (العجنة) ويوضع ذلك في قالب خشبي ثلاثي الأبعاد؛ عرضه حوالي 44 سنيتم، وطوله 50 سنتيم، وارتفاعه 8 سنتيم. يقسم عرض القالب بفاصل خشبي؛ حينما يوضع عجين التراب في القالب ووضع لمسات التسوية والملء، ويرفع القالب عن الأرض؛ ليعطي لبنيتن متساويتين الطول والعرض والارتفاع (50*20*8)، تترك حتى تجف بأشعة حرارة الشمس. لقد كانت هذه الحرفة جد نشيطة في دواوير المنطقة، حيث كانت المادة الأولى في تشييد المنازل خلال القرن 20م، لكن، اليوم انحصرت هذه الحرفة نظرا للانتقال الملحوظ لتشييد المنازل باستعمال الإسمنت المسلح و"الياجور" و"الطوبية"؛ أي الإنتقال من البناء بمواد هشة إلى الإنتقال للبناء بمواد صلبة؛ هذا الأخير الذي انتشر بشكل واسع في دواوير المنطقة، حيث قد تجد دوارا أعدم فيه نهائيا بناء السكن والمسكن بالمواد الهشة؛ مع العلم أن البناء بهذه المواد-الهشة؛ يشكل في معادلة التراث العمراني بمجموعة من دواوير منطقة الغرب، نموذجا خاصا ببناء المساكن التقليدية في منطقة[107].

105 الكانون يعني وحدة عائلية مؤلفة من عدة أشخاص مستقرين في محل واحد يتفاوت عددهم، ويردف كلمة كانون الدار، الخيمة، البيت..للمزيد أنظر: الفقيه الادريسي، الكانون، معلمة المغرب-ج20، ص6728.

106 Michaux Bellaire, Le Gharb, Archives marocaines, Ibid. P 396.

107 موسى كرزاي، السكن الريفي(الفلاحي) في علاقته بالضغط الديمغرافي بالقطاع المسقي بالغرب وعواقبه، منشورات جامعة شعيب الدكالي(الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006) مداخلة منشورة على موقع منشورات الأستاذ الكرازي) ص 6.

ومن الجدير بالإشارة، كان السكن القروي الخاص بدوار أولاد لحمر، يضم زرائب الماشية ومخابئ القمح والشعير أي المطامر، حيث هي جزء من هذا السكن الذي يجعل الثروة الحيوانية من أغنام وأبقار وأحصنة وبهائم، وقمح وشعير في قلب المحيط السكني أو في الباحة الخلفية المحصنة، وهذا راجع لمسألة أمنية في بعدها التاريخي، فذاكرة السلب والطرد والسيبة، وما تعرض له المكون القبلي لدواوير بنو مالك وسفيان خلال القرن 19 و20م وغيرهما، من قبائل بني احسن وشراردة وبعض قطاع الطرق[108]، موشومة في الذاكرة باسم الحركة، وهذا الوضع التاريخي عزز هذا السلوك في جعل "المال" أي الماشية ومخازن القمح والشعير في قلب السكن.

تروي الذاكرة الحمراوية، ما عانت من استباحة اللصوص أو ما يطلق عليه في الذاكرة المجتمعية "الحركة"؛ حيث تذكر روايات شفوية ما تعرض له ساكنة دوار أولاد لحمر خلال القرنين الماضيين من هجمات قطاع الطرق، التي كانت تستهدف سرقة ماشيتهم، وممتلكاتهم من الأموال. وهذا ما جعل أسرة الهاشمي بن سعيد-أبو الحاج أحمد؛ أن تقوم بمصاهر مع أحد "الزطاطة"[109]، وهو قاسم الحروشي من سيدي قاسم حروش الذي كان رجلا قويا ومقداما؛ وعليه حملته اجماعة لواء الدفاع عن الدوار من قطاع الطرق القادمين من مجال شراردة وبني احسن من جهة الضفة اليسرى لسبو، بعد عملية المصاهرة.

وقد ورث ابنه "قاسم بن قاسم" لواء الدفاع عن الدوار والمشاركة في مجموعات الدفاع عن مضارب الدواوير حتى ألفت في هذه الشخصية "قاسم بن قاسم"، الذي لقب ب"الفحل ابن الفحل"، ومن علامات الاحتفاء بابن قاسم، نشير إلى واحدة مما تحفظه أهازيج الساكنة، حين كان يعود بن قاسم، ومن معه من مواقع الصد والدفاع عن هجمات _الحركة_ التي تستبيح دواوير المنطقة والدوار خصوصا؛ ومن الأماكن التي كان يعسكر فيها قاسم بن قاسم ومن معه من الرجال، موقع "سهم البكّرة (اسم أرض زراعية في الترس)"-قبالة دوار بني جميل، حينما كان ينتشر الخبر بعودة بن قاسم، ومجموعته من موقعة الدفاع، كانت نساء دوار، تذهبن عند أمه خديجة(خُديْجا) أمام منزلها وتهزجن أمام منزلها" أخديجا خرجي وهزي العلام، ولدك فيما كان الشر .. آ خديجة ديري الفراضة (تعريجة) والعلام ولدك في الشر يبان"...أي أقبلي يا أم قاسم، وارفعي راية النصر، إبنك عاد سليما ومنتصرا، ويربح معاركه كيف ما كان شرها المستطير.

108 للمزيد حول تقاطعات هذا الموضوع أنظر: لويجي برزيني، تحت الخيمة: انطباعات صحافي إيطالي بالمغرب سنة 1906، تقديم وترجمة رضوان ناصح ومصطفى نشاط، سليكي أخوين-طنجة(المغرب)، 2022.

109 الزطاط؛ كانت تستخدم في الدارجة المغربية بشكل مكثف خلال القرون الماضية، ومما تعني في معناه العام في الرواية الشفوية بالدوار؛ الرجل المقدار على مواجهة المخاطر الأمنية، ويشهد له المجتمع ببسالته وشجاعته في الدفاع والمواجهة. وبالعودة إلى أصل الكلمة، فهي في الأصل كلمة أمازيغية تحيل للمعنى المشار إليه سابقا. للمزيد حول هذه الكلمة أنظر: عمر أفا، معلمة المغرب-ج14، ص 4658. ومن الجدير بالإشارة؛ اشتغال المؤرخ المغربي عبد الأحد السبتي، حول موضوع أمن الطرق بالمغرب خلال حقبة ما قبل الاستعمار، وألف مؤلف تحت عنوان" بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار" والمؤلف أصله أطروحة في تخصص التاريخ نوقشت عام 2005، وأصدرت في مؤلف: عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، سلسلة المعرفة التاريخية، دار توبقال، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2009. ومن تيمة الأساسية في هذا العمل مفهوم الزطاط.

قصارى القول، في رحى هذا المجتمع بدوار أولاد لحمر، تم سجل تاريخي واجتماعي وثقافي واقتصادي ينضح بالعادات والتقاليد وطقوس الثقافة القروية المتوارثة جيلا عن جيل، ما تزال الذاكرة المجتمعية تحفظ بعض أجزائه، كان مسرحها الدوار، وأبطالها شخصيات من المجتمع.

يبدو من خلال خصائصه السكانية والاقتصادية لدوار أولاد لحمر، كان من بين الدواوير المهمة في فرقته، وفي الفخذة التي ينتمي إليها. ويعد الجانب الاعتقادي والتصوري والطقوسي المتعلق بالدين والتدين والتصوف من الأخبار التاريخية التي تكشف عن الذهنيات المجتمعية لساكنة الدوار والمنطقة خلال سيرورة القرن الماضي وما قبله، إذ شكلت "المؤسسات التقليدية"[110] من قبيل العائلة والقبيلة والزاوية واجماعة من المؤسسات التي كانت تحكم أعرافها ونوامسها هذا المجتمع الذي ما يزال لليوم، تستمر فيه بعض أشكال الحضور المحتشم لتلك المؤسسات التي تخشبت أدوارها؛ كدور مؤسسة اجماعة "حارسة معبد" العادات والتقاليد والطقوس والأعراف المتعلقة بالمجتمع في الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن الماضي وما قبله. ومن بين الظواهر التي ارتبطت بتاريخ مجتمعات الساكنة بمنطقة قبيلة مالك وسفيان وما جاورهما من قبائل، تبجيل الأولياء وإعطائها مكانة مرموقة في فلك الحياة الاجتماعية والاقتصادية. فما تخبرنا الرواية الشفوية حول مقام سيدي موسى باعتباره من الأولياء، ذائعة الصيت في المنطقة، ومما جاوره من أماكن ومسميات وشخوص أضفى عليها المجتمع خلال الماضي هالة من التوقير والاحترام برحاب دوار أولاد لحمر؟

المحور الثاني: الولي سيدي موسى ومكانه ومقامه وشذرات عن قصته

1- مكان ولي سيدي موسى

هنا بدوار أولاد لحمر، على هذه الرقعة الجغرافية الصغيرة من منطقة الغرب، تل من جهة المدخل الأول للدوار (محطة سيدي موسى) عبر الطريق الرابط بين جماعة الخنيشات وجماعة توغيلت والطريق الوطني رقم13، يرتفع التل بعدة أمتار عن مستوى انبساط الدوار، يطلق على التل اسم سيدي موسى. وقد سمي هذا التل باسم سيدي موسى نسبة لسيد يدعى سيدي موسى يعتقد أن مرقده على هذا التل.

يشكل تل سيدي موسى مشهدا طبيعيا خلابا، بالخصوص في فصل الربيع، حيث يكتسيه الربيع وزهرة "نوار الجمرا" وتزيد ذلك التل، الصخور الرمادية والبنية المذهبية جمالا مع اخضرار الربيع. ومن على أعلى قمة تل سيدي موسى تشاهد مشاهدة المجال الطبيعي في المنطقة من وادي ورغة، ومورفولوجية دوار أولاد لحمر، والتلال الزراعية لمقدمة بلاد الترس..إلخ. أخذ هذا المكان اسم الولي سيدي موسى الذي شيدت عليه اجماعة أولاد لحمر فيما بين نهاية القرن 19 وبداية القرن 20م بيتا بالتراب والقصب والأعمدة، يتوسطه قبر الولي.

أثناء عمليات التحفيظ العقاري للبلاد الزراعية بالدوار خلال بداية القرن 20م، عمل كل من ورثة سي لحمر، وسي الهاشمي وأخوه الجلال على عدم إدراج حوزة التل سيدي موسى لترابهم وهو جزء من أرضهم، إلى تحديده في أرض خاصة بسيدي موسى-السيد. هذا السيد، الذي تقول الرواية الشفوية، واسمه الكامل "سيدي موسى الخصال"؟ حسب بعض الروايات.

[110] فوزي بوخريص، مؤسسة "الجماعة" "Jemaa" بين الإستمرارية والقطيعية، المرجع السابق، ص 181.

وتعتبر الرواية الشفوية الرائجة في الدوار وبالخصوص عند كبار السن، أن سيدي موسى، ولي من أولياء الله الصالحين، له العديد من الكرامات والبركات.

2- شذرات عن بيت سيدي موسى وجواره وقبره

لقد شكل سيدي موسى في التاريخ الاجتماعي المحلي، أهم ولي من أولياء المنطقة، حتى حلف الكبار والصغار باسمه "حق سيدي موسى"، وضربت له قبة، أو قل بني له بيتا بفنائه؛ استمر وجود هذا المبنى لزهاء قرن من الزمن، في طور هذه السنوات تم تجديد هيكلته، وتقويته لما يصيب بيوت المعدة بالمواد الهشة. إلى أن تم هدمه خلال عقد التسعينيات جراء عوامل سياسية ودينية وزيغ إديولوجي.

صورة لبيت ولي سيدي موسى

بناية سيدي موسى التقطت خلال سبعينيات القرن الماضي، المصدر أرشيف الصور الخاص بعائلة من أولاد لحمر

كما هو واضح في الصورة أعلاه، تتكون بناية سيدي موسى من بيت، وفنائه بمساحة إجمالية تقدر بحوالي 30 مترا مربعا. له باب في وسطه، وعلى جانبه الأيسر من الصورة شجرة البطم؛ التي يبدو أنها نالتها عوامل الجفاف، وتحيط بالبيت من أمامه ويمينه مجموعة من الصخور الكبيرة ذات اللون البني. وكان أمام البيت حسب ما يحكى بئرا. أما وسط البيت فقد كان يتوسطه قبر الولي سيدي موسى، وثلاث كرات مبلورة بحجم ثمرة البرتقال؛ إما من معدن النحاس أو ربما الذهب، بالإضافة إلى أثافي من الحجارة المستديرة ذات منظر جميل.

حسب الرواية الشفوية تم باستمرار إدخال تعديلات على بناية سيدي موسى وتقويتها، من قبل اجماعة إلى حدود بداية التسعينيات. ومن الجدير في هذا السياق، أن ذوي البركات والكرامات في المجال الاجتماعي لدوار أولاد لحمر ونحوه من الجوار، لا يتعلق بأولياء من جنس الذكور وفقط، فللإناث نصيب من الولاية، وتقاسم سر البركات والكرامات مع الأولياء من جنس الذكور. ففيما تحت بيت سيدي موسى بحولي ثلاثة أمتار، يعتقد حسب بعض الروايات الشفوية، أنه مكان مرقد امرأة ولية، يطلق عليها محليا "لالة الحاجة"، وهي حسب المعتقد، أخت "سيدي موسى" في سر[111] البركات والكرامات، كما أختها لالة يامنة التي لها تل رحب خاص بها، يقابل تل سيدي موسى شرقا، ويبعد عنه بحوالي 900 متر. أي أن سيدي موسى ولالة الحاجة ولالة يامنة، أمكان مراقد لأولياء في الاعتقاد المجتمعي هناك، أحاطهم المجتمع بهالة من الاحترام والتوقير والتبجيل...فهم من أولياء الله، وصلوا للولاية جراء تعبدهم وصدقهم مع الله، ورأفتهم وإحسانهم وزهدهم..إلخ.

عاش المجتمع الحمراوي، بعاداته وتقاليده التي تتجذر فيها ثقافة التصوف واحترام الغيبيات والمقامات، وكان الولي سيدي موسى شاهدا من شواهد الثقافة الشعبية المحلية كباقي المجالات المجتمعية في المجال المغاربي.

في حدود عقد التسعينيات سيعرف المجتمع الحمراوي وصول موجة الدعوة-ذات توجه السلفي، حيث حلت جماعة الدعوة أي مجموعة من الرجال يصولون في الدواوير والمناطق السكنية من أجل نشر تعاليم الدين الصحيح، يقال أن هؤلاء قدموا من مدينة مكناس، وتعرف جماعة الدعوة تلك نفسها بأنها تصحح الدين والاعتقاد عند الناس، فقالت بما قالت، وحللت ما حللت، وحرمت ما حرمت، ولأن المجتمع الحمراوي من طبعه عدم المزايدة على كل من يجعل القرآن والسنة واجهة الحديث والخطاب، فأصغى الناس للجماعة الدعوة السنية، وكان مما يحكى جعلوه محل محاربة في خطاب رجال عليهم أثار السجود ومطلقي اللحاء؛ التصوف والاعتقاد ببركة الأولياء، فالدوار الذي ورث التصوف واحترام الأولياء والزوايا والطرق الصوفية _وبالخصوص طريقة "الفقارا"_ أصبح هو وأباؤه في الخطاب الجديد؛ أصحاب بدع وظلال، حتى بلغ الأمر، بأن أصبح بعض الأبناء من الدوار المتأثرين بالخطاب الجديد، وهم من طبيعة الحال لا يجيدون آية من القرآن أو علم الحديث النبوي الشريف، يكفرون أباءهم المتوفون، وينكرون ويلعنون الناس الذين يسلكون طرق التصوف...فأصبح الدوار على كف عفريت بين من يحترم عالم التصوف والأولياء والطرق، ومن أصبحوا بما أطلق عليه محليا "منكرين"؟

كان لرجال الدعوة القادمين من مكناس أثر في المجتمع، وذلك من خلال ما نبه له من طقوس وتصورات في الاعتقاد الشعبي التي يلتبس فيها على المتدين العادي أمورا تجعل الولي أو التصوف هو الدين، لكن المشكل لم يكن هنا مع رجال الدعوة اللبقين والمتأدبين والمفوهين حسب ما يحكى، بل كان في من أصبحوا بين عشية وضحاها أهل السنة والجماعة بالدوار، وهم ليس عندهم لا علم بالقرآن ولا بالسنة، وأصبحوا أوصياء على الدين في المجتمع...فبدأ اجتهادهم "الثوري" المدفوع بحنق كره مكانة رجال التصوف، وغلبة المد التصوفي والطرقي؛ حول عدد رفع آذان صلاة الجمعة، والصلاة بالقبض هي الصلاة الصحيحة، ويذموا أصحاب "الفقارا"...إلخ، وكان الزيغ الأهم هو هدم بيت وقبر سيدي موسى؟ فمن هذا السياق،

[111] السر، نعني به البركة والقدرة العجيبة التي يتصورها أناس الدوار عند الولي الصالح (السيد) أو الولية(سيدة). وهناك نظرة عامة واعتقاد في الروايات الشفوية بدوار عند بعض المسنين؛ تقول أن الولي سيدي موسى ومعه المرأتان ذوو بركات كرامات متنوعة.

هدم سيدي موسى، أمام مجتمعه الذي تخبرنا الروايات الشفوية أنه شكل ضربة قاسمة في وجدان الساكنة، فانتصرت الثقافة الشعبية لسيدي موسى بجملة واحدة وهي "سيخرج فيهم سيدي موسى"؟! فألف المجتمع المحلي المتمسك بثقافة الأولياء العديد من التأويلات التي همت جماعة هدم سيدي موسى؛ وكان الخيال وسعا في ذلك؟

ومنذ هذا الوقت أصبح مكان قبر سيدي موسى، عبارة عن "قبرة" صغيرة، مقعر بشكل غير عميق، وراءها جرف-حيط ترابي بحوالي المتر علوا، محوط بالحجارة بشكل نصف دائرة كمنبع عين، بوسط هذا الشكل إناء ماء، وأثافي من الحجارة، وبقايا ذوابان الشمع الأبيض الذي كان يشعل بعد غروب الشمس في كل مساء، ويعد هذا المكان، مكان وضع الهدايا النقدية حيث يأتي الزائر ويضع القليل من النقود حسب قدرة هبته، كان هذا المشهد مستمرا لحدود سنة 2000م.

المحور الثالث: قصص من سر كرامات وبركات سيدي موسى

1- من هو سيدي موسى في بعض الروايات الشفوية

تمت الإشارة في المحور السابق، لثلاثة أعلام، يعتقد كليا عند المجتمع المحلي بولايتهم، سيدي موسى ولالة الحاجة، ولالة يامنة، ما يجمع هؤلاء الثلاثة في الرواية الشفوية، هو سر المتخيل عن بركاتهم وكرماتهم التي وهبهم الله إياها. لكن سر سيدي موسى بشكل أو بأخر أرفع سرا من السر الذي عند المرأتين! وبغض النظر عن درجات السر في المتخيل الاجتماعي المحلي، فالرجل والمرأتان يحتلون مكانة خاصة في نفوس وعقول الساكنة والمريدين لهم. فمن هو الولي سيدي موسى ذا البركات والكرامات؟

اعتمادا على بعض الحكايات الشفوية التي تتداول بين شيوخ وعجائز الدوار، أن سيدي موسى هو: سيدي موسى بن حسين سي الزوي الخصال، كان حاملا لكتاب الله تعالى، قدم المنطقة من جهة الحوز.. تقول حكاية الرجل، أنه بلغ ما بلغ إليه من بركات وكرامات، بفعل أعماله الصالحة، فالرجل كان من خصاله وأعماله، عمل الخير والإيمان والعبادة بكافة فروضها، وسننها التي هم لها بالزهد عن مطالب الدنيا وملذاتها. هذا الزهد في الحياة والإقبال على العبادة والخير والإحسان رقاه في المجتمع، وخرج من دياره ليصول ويجول في الأرض، داعيا لله ومحببا في عبادته. هذا هو الولي الصالح في اعتقاد المجتمع المحلي.

لقد ترحل الرجل راجلا من مكان إلى آخر في التراب المغربي، راجيا الدعوة إلى الله ورسوله، إلى أن استقر به الحال في دوار أولاد لحمر، الذي ربما عاش فيه ردحا من الزمن، وأدركته المنية هناك، ودفن في هذا التل الذي سيصبح تلا يسمى باسمه-سيدي موسى. مع العلم أن وراء بيت سيدي موسى؛ الباحة الخلفية مقبرة، وهذا ما أدت التعرية إلى الكشف عنه من خلال شاهد بقايا أطراف مجموعة من الهياكل العظمية التي تعود للإنسان، وهي شاهد على أن المكان كان مقبرة بلا شك فيما مضى من حقب سابقة. وما تزال لليوم ترى بعض العظام من بقايا هياكل عظمية للإنسان، الروايات حولها جد قليلة، حيث لا يعلم عن المدفونين فيها شيئا! ما عدا سيدي موسى ولالة الحاجة(؟) حسب مصدر الرواية الشفوية.

وليس ببعيد عن تل سيدي موسى بحوالي مسافة كيلو متر ونصف، على الطريق المؤدي للبلاد الزراعية في الترس ناحية الطريق المؤدية إلى بلاد زراعية المسماة محليا "بو خناف وظهر العياط" على يسار العقبة الأولى في قمتها مكان أرض لورثة

سي لحمر، هي الأخرى؛ كشفت التعرية والحرث عن بقايا عظام من هياكل عظمية لإنسان، هذا المكان هو الأخر لا تخبرنا الرواية الشفوية عن شيء ما عدى الشاهد من العظام لبقايا بعض الهياكل العظمية التي توحي بأنها مقبرة هي الأخرى؟

عودة لموضوع سيدي موسى، يبدو أن الشاهد عن مكان على هذا التل؛ يبدو أنه مقبرة حقيقية كانت، ويبدو أنه منذ أن دفن سيدي موسى هناك، صار لذلك التل شأن أخر، لقد بلغت مكانة الموقع شهرة واسعة في المجال الغرباوي، وربما أبعد من ذلك نظرا لما يحكى عن بركات المدفون فيه وكراماته. فأصبح ضريحا شهيرا في المنطقة، يقصده الزوار من كل نواحي المنطقة. ويبدو أن القبور الوحيدة التي تذكر مرقدها وحافظت عليهم الذاكرة المحلية، ما قبل الخمسينيات هما قبر الولي سيدي موسى ولالة الحاجة على تل سيدي موسى، وتل لالة يامنة التي يبدو أنها وحدها مدفونة هناك حسب استنتاجات الرواية الشفوية. ومن الجدير بالإشارة، أن المجال الترابي الحمراوي مليء بعمليات الحفر التي تحفر سرا في الليل، قصدية البحث عن مطالب الكنوز، فنجد المجال الترابي للدوار ولأراضيه الزراعية تعرض خلال السنوات لمجموعة من عمليات الحفر، يقول الناس حولها أنها من أعمال الكنزيون، وسيدي موسى ولالة يامنة والبلاد التابعة لدوار أولاد لحمر في الترس ما تزال العديد من الحفر شاهدة على نشاط البحث عن الكنوز-وهذا موضوع آخر.

2- قصص وحكايات عن كرامات وبركات سيدي موسى في السرد الحكائي الشفوي

هناك مجموعة من القصص والحكايات التي تسرد شفهيا عن سر بركة وكرامات سيدي موسى تتضمن قصصا عجائبية، وحكم لقيت صداها في المجتمع لتحفظها الرواية الشفوية وتتداول. ومن أشهر القصص والحكايات الشفوية المتداولة بين رجال ونساء الدوار المعمرين، نجد القصص والحكايات الخارقة للعادة وكلها حول شأن سيدي موسى.

- قصة الديوك (قصة الفرارج):

حسب بعض الروايات الشفوية، يحكى أن زائرا جاء يقصد سيدي موسى لطلب بركته، ويحمل معه هدايا، وهي عبارة عن ثلاثة ديوك. طلب الرجل حاجته عند سيدي موسى، ورحل إلى حال سبيله، وترك القرابين عند السيد. وفي عرف عادات وتقاليد الدوار المتعلقة بتصرف في الهدايا التي تقدم للسيد من طرف الزوار، هي حصرا لبيت الله أي المسجد وطلبة المسيد، وهي حصرا عليهم. صعد ثلاثة فقهاء من الدوار، وهم كل من الحاج "خ"، و الحاج "س"، و السي "ب..ه"، إلى مقام السيد ليجدوا هنالك الديوك الثلاثة مكثفة. فقرر "الْفُقْهاَ" ذبح الديوك وأخذها معهم، نزلوا بها إلى سفح التل وهنا هَمَّ أحد الثلاثة بعملية ذبح الديوك، وأثناء الانتهاء من عملية الذبح حدث ما لم يكون في الحسبان، عادت الديوك إلى مكانها، وكأن السكين لم يخترق وريدها! وقف الرجال مصدومين ومشدوهين مما شاهدوا، ومسلمين للمشهد الذي حدث معهم_وفي هذا الصدد في الثقافة الشعبية يطلب التسليم_، يطلبون في نفوسهم البركة والسلامة؛ "التسليم أسيدي موسى"؛ فطن "الْفُقْهَا" السر، وعلموا لتوهم أن "سيدي موسى" لم يأذن لهم بأخذ الديوك؛ حسب تعبير الرواية الشفوية المشددة على واقعية القصة وكأنهم كانوا ممن حضر الواقعة!

قصة رجل "الضعاف"

هذا رجل من دوار "الضعاف"، ودوار الضعاف هذا؛ هو دوار من الدواوير بالمنطقة المجاورة على يمين وادي ورغة بالقرب من مشرع الباشا على وادي ورغة[112].

يعرف دوار الضعاف أن أهله "شُرْفَا" كانت لهم وظيفة اجتماعية تاريخية جد مهمة، تتعلق بالتدخل بالصلح، فحيث كانت المنازعات العائلية والجوارية، وحلت آجماعة الضعاف ويقال محلي: "جاو الضعاف"، تحل المنازعات ويدخل المتخاصمون بالصلح وإلا نزل عليهم "العار"، ووسموا بخرق العادة وتلك وصمة ما بعدها وصمة في التمثلات الاجتماعية والأعراف. وعليه كانت اجماعة دوار الضعاف محل احترام وتقدير أينما حلوا ودخلوا في منطقة بنو مالك وغيرها في المنطقة..إلخ.

وعودة لقصة رجل الضعاف-هذا رجل جاءت من الضعاف ألم به مرض، أتى عليه بالشلل أطرافه، همت به أسرته تحمله على دابة لتزوره سيدي موسى، وتطلب الله عنده شفاءه. في عرف الزيارة المتعلقة بأدبيات سيدي موسى، على الزائر أن يأتي يوم الخميس أو الجمعة، ويبيت عن عند "السيد" حتى يأتيه "سيدي موسى" في المنام، ويقول له السر. وذلك ما فعلت عائلة الرجل؛ بات الرجل الليلة الأولى والليلة الثانية وفي صباح الليلة الثانية قبل خيط الفجر، أيقظ سيدي موسى الرجل من نومه وقال له ما معناه: قم أيها الرجل، لم يعد مكانك هنا. فقام الرجل بعدما كان الرجل لا يقوى على القيام بحركة نظرا للشلل الذي أتى على أطرافه، وأيقظ الرجل من معه من أهل بيته، وعادوا إلى دوارهم في ذلك الوقت من الليل..أي شفي الرجل . هكذا تقول الرواية. وفي ذلك اليوم أحيا الرجل ليلة للذكر (صدقة) على شرف سيدي موسى.

قصة بر الوالدين:

جاء رجل من الدوار أولاد لحمر، وهنه المرض، فقصدت به أسرته سيدي موسى، من أجل المبيت، فبات الرجل ليلتان هناك وفي الليل الثالثة، وقف على الرجل في منامه سيدي موسى، وقال له قولة سارت مضرب مثل في الدوار ما تزال تتداول لليوم، وهي على لسان سيدي موسى كما يزعم:" اللي كردوها فيه الوالدين ما يجبروه الصالحين" أي أخبر الرجل المريض من قبل سيدي موسى، بأن ما ألم به هو نتاج دعوة عليه من قبل والديه، وعليه، فدعوة الوالدين على أبنائهم بالشر لا يجبر كسرها الصالحين والأولياء، أي سخط الوالدين ليس عنده دواء يستطب به إلا الوالدين. وعاد الرجل إلى سبيل بيته.

112شكلت منطقة الغرب منطقة عبور في المجال الترابي المغربي خلال القرون الماضية؛ نحو نواحي البلاد، _نحو الشرق مكناس فاس تازة/ نحو الشمال سبتة طنجة، نحو الجنوب تماسنا دكالة الحوز الصحراء_وبما أن المنطقة عبار عن سهل فتتوفر على شبكة من الأنهار والأودية التي تشكل شبكة حيوية في المنطقة، لذا استعلم في تاريخيها ومجالها على العديد من المشارع، أي مشْرَع/مقطع على شريط الوادي أو نهر يكون غير عميق يكون معلوم ويستخدم لقطع من ضفة إلى الضفة الأخرى للواد أو النهر. وفي منطقة الغرب توجد بعض المشارع من بينها مشارع ترتبط بطريق المخزن-(أي طريق الشتاء ومشارع ترتبط بطريق الحمارة(أي طريق الصيف) وهي نوعان من الطرق المستعملة في تاريخ المغرب القريب، وفي هذا السياق كان السفر من طنجة ونواحها نحو فاس ونواحيها والعكس يمر عبر ثلاثة مشارع في مضارب بني مالك وسفيان؛ فالقادم من فاس أو نواحيها والمتجه إلى طنجة أو نواحها لابد من أن يمر عبر "مشرع بلارج" على نهر سبو، ثم بعده "مشرع الباشا" على وادي ورغة، ومنه على "مشرع المويمي" على وادي ردات. للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: مصطفى البوعناني، مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب من القرن 6هـ/12م إلى القرن 11هـ/17م، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، تخصص تاريخ، اشراف عبد اللطيف الشادلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية 2001-2002، القسم الأول، ص 230.

هذه أجزاء من قصص وحكايات عديدة، يدور رحاها حول بركات وكرامات سيدي موسى، الذي كان سياقها في دوار أولاد لحمر، ومن الجدير بالإشارة، أن قصص النساء حول بركات سيدي موسى هي عديدة، وحسب الرواية الشفوية كانت النساء هن أكثر المترددين على سيدي موسى؛ وهن في الأصل من يقنع أبناءهن وبناتهن وأزاوجهن بمسألة "الزيارة"، والنساء أكثرهن اعتقادا في كرامات وبركات سيدي موسى والأولياء.

لقد كانت نساء الدوار والدواوير المجاورة، تقصدن سيدي موسى للطلب عنده الزواج والإنجاب، فكنّ يقمن بطقوس لهذا ، فكانت أمهات العوانس والشابات الراغبات في الزواج عليهن، أن يأتينا ببناتهن ويبتن ليلة في السيد، قبل النوم تقمن الراغبات بالزواج، بتعليق أحزمتهن على سقف السيد، و يطلبن السيد على ما جئن من أجله؛ زواج أو تأخر الإنجاب، أو إنجاب الولد الذكر.. وتتعهدن مع السيد إن تحقق ذلك ليأتين "بالذبيحة" أي الهدايا...وما يزيد من خطورة هذا الفعل، هو عندما كانت القدرة الإلهية، تتصادف مع هذه العادة، وتتدخل لتهب لمن تشاء إناثا وذكورا، و ترزق من تشاء، ويحدث ما كانت ترغب فيه النسوة، فتترجم النسوة ذلك الرزق الذي كان من حظهن، إلى أن السبب يعود إلى زيارة بيت السيد والطلب عنده. ويكون تفسير الرزق في غير محله، وتبدأ النسوة في نشر تفسيرهن على معارفهن، وهذا ما يزيد من عظمة السيد ذو الكرامات شأنا في مخيال النساء ويكبرن في مخيالهن ..إلخ.

المحور الرابع: لالة الحاجة ولالة يامنة ومسميات أخرى ذات مكانة ورمزية

1- لالة الحاجة ولالة يامنة وطلب المطر

لقد أشرنا سابقا؛ للالة الحاجة، ولالة يامنة، وقلنا إنهن امرأتين تشكلان جزءا لا يتجزأ من الأسطورة الشعبية في الدوار حول ذوي البركات والكرامات، وأشرنا إلى أنهما شريكتين في "السر" إلى حد ما، أي شأنهن من شأن سيدي موسى في الولاية، مع اختلاف في رتبة البركة والمكانة حسب ما يستنتج من الرواية الشفوية.

نجد لالة يامنة أكثر حضورا من لالة الحاجة في الروايات الشفوية-التي تبقى ولية وقورة وفقط، بينما لالة يامنة التي كان لها كنزها.. نعم؛ تقول الرواية أن على تل لالة يامنة كان كنز مدفون على تلها، وقد سرق من طرف الكنزيون في نهاية القرن العشرين (هكذا تقول رواية شفوية في الدوار)، ولالة يامنة أكثر حضورا في المخيال الحمراوي حول بركتها. والشاهد؛ عندما كان المجال يعرف قلة التساقطات المطرية، منذرا بالجفاف، أو تتأخر بعض الزخات المطرية، وتصبح حالة المشهد الزراعي على وشك الذبول؛ كانت ساكنة الدوار تعمل على عزم طلب الاستسقاء، فيجمع لذلك الأمر مساهمات مالية لكي يشترى بها "الذبيحة ". غالبا ما كان يشتري الدوار بقرتين أو بقرة لهذا، فتذبح بسم الله، وعلى سنة رسوله، وأولياء الدوار شاهدون عليها رمزيا (سيدي موسى، لالة الحاجة، لالة يامنة). تعد الذبائح للطهي وتكون وجبة جماعية تحت اسم "صداقة" طلب الإستسقاء.

عند الانتهاء من صلاة الاستسقاء، ومن الأكل، يعلن على الشروع في طلب الشتاء، يخرج الأطفال ومعهم طلبة القرآن والنساء بالخصوص "الفقيرات: أي المتصوفات حسب الطريقة الدرقاوية. فيقوم الحضور المتكون بالأساس كما أشرنا من الأطفال والنساء وطلبة المسجد بالشروع في المشي نحو لالة يامنة والوقوف عندها قائلين أو مرددين جمل وعبارات من قبل:

-"الزرع ولّ بسباس وا رويها يا عباس"...

-"النو النو والشتا ما فيها ضو"...

-"ألالة يامنة حلي قطايتك ربي يبلها" ...

-"أ فيلة فوق السور أرويها يا منصور"...

وإلى آخره من الصيحات والدعوات والعبارات الجماعية التي يرددها، ويصرخ بها الأطفال والنساء في غمرة من الخشوع الجماعي، ومراقبة السماء أن تمطر...وهل تمطر؟ نعم؛ يؤكد لك الرجال والنساء بأنها "كانت" تمطر (سطر على كلمت كانت). أي كانت النية والبركة أكثر مما عليه أجيال ومجتمع اليوم حسب تشديد نبرة الرواية الشفوية.

2- الخرواعة وسدرة الركراكية وحمار الليل وهارون..!

من يتتبع حكايات بعض الرواية الشفوية حول المعتقدات الشعبية المتعلقة ببعض الأماكن والأولياء، بدواوير بعض الجماعات الترابية القروية، يستنتج أن المجتمعات المحلية كانت جد غارقة في التصورات الغيبية، وجد مسحورة بثقافة الأولياء والأماكن التي هي التصورات أمكنة للجن. وفي هذا الامتداد من الاعتقادات في متن الثقافة الشعبية، لم يسلب عقل الناس في دوار أولاد لحمر، فقط ثقافة الأولياء المعتقد ببركتهم وسر كراماتهم، بل بنى المجتمع تصورات حول الشجر وبعض الكائنات الجنية التي تتخذ أحيانا أشكال حيوانات أليفة؟

- "الخرواعة ":

وهي عبارة عن شجرة معروفة باسم الخرواع، موجودة في بعض الأماكن في الدوار. إلا أن أحد الأمكنة التي تتواجد بها الشجرة من هذا النوع له مكانة، واحترام وتقدير خاص من لدن الساكنة المجاورة والناس العارفين بقصتها التي تحكي أنها "مسكونة"، أي مكان خاص يسكنه الجن. وهناك من يدعي في الدوار أنه شاهد عفريت من الجن، _هل الجن يرى؟ _ و عند ذكر العفاريت أو الجن يقوم ساكنة المنطقة بفعل التف ثلاثة مرات في صدورهم "تف..تف .. تف."، ويرددنا قول "ذكرنا السمن العسل "/ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم /" التسليم أرجال البلاد "...إلخ.

- " سدرت الركراكية ":

يبدو لبعض الأشجار حظ؛ ها هي شجرة أخرى، وهي شجرة النبق المعروفة محليا بالسدرة النبق، لها شأن هي الأخرى كانت هناك سدرة وسط الدوار، كانت فتيات وشابات وعوانس الدوار تعلقن عليها بعض قطع القماش.. نظرا ربما لبركة ما!

- "حمار الليل":

يقال بأنه جن يتصرف لحيوان (في شكل حمار) يضرب الإنسان بالليل، ومنه يقال للإنسان التائه في الثقافة الشعبية في المنطقة: "ضربو حمار الليل"، على إثر هذا الفعل المتسبب به حمار الليل هذا (!) يتيه من ضربه في الليل، ولا يعود المصاب به قادرا على معرفة منزله، فيبقى المصاب يجوب الدوار الليل كله حتى الصباح. وعلى هذه الحالة يقال "ضربو حمار الليل". ويحكى أن هناك العديد من الرجال في الدوار الذين أصابتهم ضربة "حمار الليل" هذا.

- "هارون ":

يشير اسم هارون في الدوار والدواوير المجاورة إلى ذلك الحيوان الذي يتصرف أو يتحول من حالة جن؛ إلى هيئة حيوانات(تناص بين رواية حول حمار الليل وهارون)، غالبا على شكل حيوان أليف. وهذا هارون، موطن سكناه دائما قريب من الوادي، وفي المتخيل الشعبي في منطقة يخرج من وادي ورغة، ويشتهر هارون بتصرفه على شكل حمار أيضا، وهنا تكمن قصته الأسطورية، فقصته تقول بأنه تصرف في دوار "الفضول" لمجموعة من الرجال في الليل على شكل حمار، فعلموا أنه هارون متنكر في هيئة حمار؛ فاجتمع الرجال ونصب له كمين، جاؤوا "بالصريمة"/اللجام (وهي في اعتقاد الناس بتخوم وادي ورغة من تحكم هارون)، فألجموه و"بردعوه" أي وضعوا عليه البردعة، ونقلوا عليه "مقدار" لبناء المسجد.. كانت الغاية إتعابه جيدا، وعند الانتهاء أطلقوه، وعليه أصبحت عبارة "الفضول ليك" هي عبارة إخافة هارون وطرده عند تصرفه في الليل.

من خلال ما عرض من بعض القصص والحكايات والوقائع المزعومة، يبدو جليا هي حكايات"تهيمن عليها الظواهر الخارقة من سحر وجن وأفعال خارجة عن المنطق والمعقولية.. وهي تقدم عوالمها العجائبية كما لو كانت أمرا طبيعيا"[113]، كما تؤكد هذه الحكايات والقصص والوقائع أن مخيال ساكنة الدوار والمنطقة عموما، له رصيد وافر من المعتقدات في الأشياء والشخوص ومليء بالوقائع والأحداث والرموز من الزمن الماضي القريب والبعيد الذي ما يزال يشغل الذاكرة والذهنيات المجتمعية، وفي متن بعض تلك النصوص الشفهية "مجموعة الإيماءات"114 المبرزة والمشفرة بسرديات عن وقائع وسيرورة المجتمع القروي _الذي عاش تحت وطأة الصراع مع تقلبات المناخية ونوازل الجوائح الطبيعية والصحية والأزمات الاجتماعية والسياسية_ سيرورة خصبة لإنتاج السرديات؛ مع العلم أن "السرديات منتجات اجتماعية ينتجها الناس في سياق مواقف إجتماعية وتاريخية وثقافية معينة"[115]. ومن نافلة القول الإشارة إلى أن الروايات الشعبية وما تتضمن من سرديات هي جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي الذي هو بالأساس "عبارة عن المعتقدات والعادات الاجتماعية الشائعة وكذلك الروايات الشعبية"[116]

خاتمة

إن موضوع قصص البركات والكرامات، وكل المسميات التي أشرنا لها، يجب عدم النظر إليها فقط من زاوية الأسطورة والخرفات أو الجهل والأمية وما شابه ذلك. بل ينبغي تعميق النظر، ما تحت سطور هذه الروايات الشفوية المتعلقة بحياة المجتمع، وربطها بما هو تاريخي وثقافي ومجتمعي في سياقه السوسيولوجي والأنثربولوجي..إلخ. إن موضوع المعتقدات في

113 مصطفى يعلي، القصص الشعبي المغربي: إشكالية التصنيف والتجنيس، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة ابن طفيل/القنيطرة، العدد6(2006)، ص 66.

[114]حسن احجيج، البحث السردي في العلوم الاجتماعية: نظريات وتطبيقات، مؤسسة آفاق، المركز الأكاديمي للدراسات الاجتماعية، مراكش-المغرب، ط1، 2023، ص 18-19.

[115]حسن احجيج، البحث السردي في العلوم الاجتماعية: نظريات وتطبيقات، المرجع السابق، ص 23.

[116] إيكه هواتكراس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامي. دار المعارف بمصر(1972)، ط1، ص 95.

الثقافة الشعبية، على قد بليغ من الأهمية يعطي العديد من المؤشرات والتصورات عن المجتمع في حقبة زمنية معينة. كما يعطي تصورا حول طريقة التفكير وعمل عقل الناس في تدبير حياتهم وعيش تجربة حياتهم في المكان والزمان...وهل يمكن معرفة مجتمع دون معرفة تصوراته وما صكه من مفاهيم، الشاهد عليها تراثه الشفهي؟ وهذا الذي عرضناه في هذه المقالة، هو في الحقيقة جزء قليل من مشهد الروايات الشفوية التي تحكى حول بعض العادات والتقاليد والطقوس التي ترتبط بالثقافة الشعبية المتعلقة بدوار أولاد لحمر، وبعض الدواوير المتاخمة له في حياتها الاجتماعية والوجدانية. لعلّنا نكون رسمنا بهذا الموضوع صورة عامة عن ثقافة المجتمع المحلي بالماضي القريب، وقدمنا بعض الصفحات من التاريخ الاجتماعي التي كان مسرحها مضارب ساكنة قبيلة بنو مالك وسفيان..؛ التي يبدو أن التدوين حولها جد محدود، فيما يتعلق بحياتها الاجتماعية والاقتصادية وعاداتها وتقاليدها وتراثها ذا الصلة بالثقافة الشعبية.

ومن هذا المنبر نشكر مجموعة من الرجال والنساء المسنين من الدوار الذي أتعبناهم بطلبنا، بأن يحدثوننا عن الأصل القبلي للدوار، وعن بعض العادات والتقاليد المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وسيرة سيدي موسى ولالة الحاجة ولالة يامنة، وموضوع الكنوز، والطريقة الذرقاوية، وقصة هدم سيدي موسى، وحكايات الغرائيبية وغيرها من المعطيات المتعلقة بدوار أولاد لحمر وحياته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية...فرحم الله من توفي منهم، وبارك في عمر من بقي بعدهم.

المراجع:

- الحسن الغرايب، قراءة طوبونيمية لباب أفريقيا بحاضرة فاس الإدريسية، أسطور، العدد9(يناير 2019).
- بول باسكون، الاساطير والمعتقدات بالمغرب، ترجمة مصطفى المسناوي، في كتاب: بول باسكون أو علم الاجتماع القروي، الملتقى- مكتبة علال الفاسي- مراكش، مطبعة دار القرويين، الدار البيضاء.
- المصطفى البوعناني، الاستقرار البشري في منطقة الغرب بين التوجهات الرسمية والمعطيات الظرفية والطبيعية من أواخر القرن 6ه/12م إلى أواخر القرن 13ه/19م". مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي. عدد 5- 6/ 2007-2008.
- علي بنطالب وآخرون، المؤسسات الجماعية وقضايا التدبير المشترك بالمغرب، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية-مركز الدراسات التاريخية والبيئية(سلسلة الندوات والمحاضرات رقم 50)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، طبعة 2018.
- رحمة بورقيبة، البارود. معلمة المغرب(ج9)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، (مطابع سلا)، 1998.
- عبد الاله الفاسي، الحَرْكَة. معلمة المغرب(ج10)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، (مطابع سلا)، 1998.
- الفقيه الادريسي، الكانون، معلمة المغرب(ج20)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، (مطابع سلا)، 2004.
- موسى كرزاي، السكن الريفي(الفلاحي) في علاقته بالضغط الديمغرافي بالقطاع المسقي بالغرب وعواقبه، منشورات جامعة شعيب الدكالي(الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006) مداخلة منشورة على موقع منشورات الأستاذ الكرازي).
- لويجي برزيني، تحت الخيمة: انطباعات صحافي إيطالي بالمغرب سنة 1906، تقديم وترجمة رضوان ناصح ومصطفى نشاط، سليكي أخوين-طنجة(المغرب)، 2022.
- عمر أفا، معلمة المغرب(ج14)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب (مطابع سلا)، 2001.
- عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، سلسلة المعرفة التاريخية، دار توبقال، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2009.

- المصطفى البوعناني، مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب من القرن 6ه/12م إلى القرن 11ه/17م، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، تخصص تاريخ، اشراف عبد اللطيف الشادلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية 2001-2002.
- مصطفى يعلي، القصص الشعبي المغربي: إشكالية التصنيف والتجنيس، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة ابن طفيل/القنيطرة، العدد6(2006).
- حسن احجيج، البحث السردي في العلوم الاجتماعية: نظريات وتطبيقات، مؤسسة آفاق، المركز الأكاديمي للدراسات الاجتماعية، مراكش-المغرب، ط1، 2023.
- إيكه هواتكراس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامي. دار المعارف بمصر، ط1(1972).
- مونوغرافية جماعة توغيلت في برنامج عمل جماعة توغيلت2015-2021(PAC).
- Michaux Bellaire, Le Gharb, Archives marocaines, volume : XX (1913): publication de la Mission scientifique du Maroc. P 396-477.
- Données démographiques et socio-économiques de la population rurale (hors nomades) par douar selon le Recensement général de la population et de l'habitat de 2014.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

الآفاق المستقبلية للطاقات الخضراء بالمغرب ومكانتها ضمن رؤية النموذج التنموي الجديد

The future prospects of green energies in Morocco and their place in the vision of the new development model

عبدالسلام الصالحي
باحث في الجغرافيا الحرية والتنمية، جامعة ابن طفيل – القنيطرة، المغرب.

ملخص

في السنوات الأخيرة، انخرط المغرب في إستراتيجية الطاقات البديلة، حيث يسعى إلى الانتقال من بلد يستورد جميع احتياجاته من النفط والغاز إلى منتج رئيسي للطاقة المتجددة، مما جعل السياسة المغربية تحقق تراكمًا مهمًا خصوصا في مجال تمويل وتطوير وتنفيذ المشاريع الخاصة بهذا القطاع. كما يهدف المغرب إلى رفع طموحاته في مجال تسريع انتقال الطاقة، من خلال تطوير برنامج لتزويد المناطق الصناعية الوطنية بالطاقات المتجددة، وإعادة تأهيل النسيج الصناعي الوطني الخالي من الكربون وضمان قدرته التنافسية وتدفق إنتاجه الموجه للتصدير وصياغة خارطة الطريق لتنمية فروع الطاقة المتجددة الأخرى، بالإضافة إلى إعداد خارطة الطريق الوطنية للطاقة الهيدروجينية. وفي هذا الإطار، أكدت بعض الدراسات، خاصة تلك التي أعدها المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي وتلك الصادرة عن وزارة الانتقال الطاقي والتنمية المستدامة، أن المغرب يمتلك مؤهلات مهمة لجذب الاستثمارات في مجالات الهيدروجين الأخضر والميثانول والأمونياك وغيرها. ولذلك، يتوقع أن يصبح المغرب قوة إقتصادية هامة في منطقة البحر الأبيض المتوسط في مجال الطاقة النظيفة والبديلة مستقبلا.

الكلمات المفتاحية: الطاقة، الطاقات الخضراء، النموذج التنموي، المغرب.

Abstract

In recent years, Morocco has embarked on an alternative energy strategy, seeking to transition from a country that imports all of its oil and gas needs to a major producer of renewable energy. This initiative has enabled the Moroccan policy to achieve a considerable accumulation, especially in the field of financing, development and implementation of projects related to this sector. Furthermore, Morocco aims to raise its ambitions to accelerate the energy transition by developing a program dedicated to supply national industrial zones with renewable energy, rehabilitating the decarbonized national industrial fabric, ensuring its competitiveness, and enhancing the flow of its export-oriented production. Additionally, it seeks to develop a comprehensive roadmap for advancing other branches of renewable

energies and preparing a national strategy for hydrogen energy. In this context, some studies, including those prepared by the Economic, Social and Environmental Council and those issued by the Ministry of Energy Transition and Sustainable Development, have confirmed that Morocco possesses significant potentialities to attract investments in the green hydrogen, methanol, ammonia and other sectors. As a result, Morocco is anticipated to emerge as a prominent economic power within the Mediterranean region, particularly in the domain of clean and alternative energies.

Keywords: Energy, green energies, development model, Morocco.

مقدمة

وضعت الإستراتيجية الوطنية للطاقة التي تم إطلاقها في عام 2009، أسس الإطار التنظيمي الحالي الخاص بهذا المجال، والتي ركزت بشكل خاص على التوجه نحو الطاقات المتجددة والنجاعة الطاقية والاستدامة، من خلال تنفيذ مجموعة من المشاريع الشمسية والريحية والكهرومائية. ولرفع سقف الطموح في ميدان الطاقات البديلة، يسعى المغرب للعب دور مهم في سوق الهيدروجين ويطمح لأن يصبح مركزًا إقليميًا لتجارة الجزيئات ومختلف أشكال الطاقة الخضراء. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، نصح التقرير الخاص بالنموذج التنموي الجديد بضرورة إطلاق إستراتيجية جديدة في ميدان الطاقة تضع المواطن في قلب أولوياتها بشكل يتوافق مع واقع الوطن وخصائصه ومؤهلاته وتعمل على تحديد الأهداف، بالإضافة إلى طرق تنزيلها. كما أوصى بضرورة إعطاء الأولوية للشراكات بين القطاعين العام والخاص وبين الفاعلين المغاربة والأوروبيين المتخصصين في قطاعي الطاقات المتجددة والتحليل الكهربائي. وهذا من شأنه أن يسمح بنقل التكنولوجيا ونقل الخبرة للرأس المال البشري الوطني.

إن هذه الرؤية الإستشرافية في ميدان الطاقة، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار تطورات السياق الوطني والدولي على المدى المتوسط والطويل، كما يجب أن تقارب التنمية بأبعادها المتعددة (مؤسساتية، اقتصادية، اجتماعية، ترابية وبيئية) بما ينسجم مع المبادئ والقيم المكرسة في دستور المملكة.

1- الجوانب المنهجية

1-1 إشكالية الدراسة

سنحاول من خلال هذه الدراسة معالجة إشكالية تتلخص في معرفة الآفاق المستقبلية للطاقات الخضراء بالمغرب ومكانتها ضمن رؤية النموذج التنموي الجديد.

فالمغرب يمتلك موارد استثنائية من طاقة الرياح والطاقة الشمسية على اليابسة تقدر بنحو 500 تيراواط ساعة سنويا، وبالنظر إلى المصادر الجديدة في المستقبل، والتطورات التقنية والتكنولوجية ذات الصلة، وانخفاض الأسعار، تستعد المملكة لتعزيز مكانتها في مجال الطاقة واستثمار الفرص الكبرى المتاحة لها في هذا المجال. وهذا من شأنه أن يمكن من الاستخدام الأمثل للموارد المتجددة وتعزيز حصتها في مزيج الطاقة، مع ضمان نظام طاقي وطني قوي ومرن ومستدام. وبالتالي، سيؤهل المغرب إلى الارتقاء لمصاف الدول الرائدة في مجال الانتقال الطاقي.

1-2- فرضيات الدراسة

لدراسة هذا الموضوع، انطلقنا من الفرضيات التالية:

- يمكن للمشاريع والاستثمارات الطموحة في مجال الطاقات المتجددة أن تساعد المغرب على التقليص من تبعيته الطاقية.
- يمكن لهذه المشاريع أن تساعد البلاد على أن تصبح أكثر استدامة وتقلل من بصمتها الكربونية.
- إن تطبيق الرؤية الاستشرافية للمستقبل الطاقي في المغرب والتي اقترحها النموذج التنموي الجديد من شأنها أن تسرع عملية التحول الطاقي وتمكينه من تحقيق أهدافه المتعلقة بالتنافسية الاقتصادية والتنمية المستدامة.

1-3- أهداف الدراسة

تتمثل أهم أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

- إبراز أهمية المشاريع والاستثمارات الطموحة التي أنجزها وينجزها المغرب في قطاعات طاقية جديدة أكثر تنافسية.
- معرفة مكانة الطاقات المتجددة ضمن رؤية النموذج التنموي الجديد.
- طرح مختلف السيناريوهات المستقبلية للانتقال الطاقي في المغرب.

4-1 - تساؤلات الدراسة

استنادا إلى التأطير الوارد في مقدمة الدراسة وإلى المفردات المفتاحية، وللإحاطة بأهم عناصر الإشكالية وتوضيحها بما يخدم أهداف ومنهج هذه الدراسة، نطرح التساؤلات التالية:

- ✓ ما القطاعات الطاقية الجديدة الأكثر تنافسية مستقبلا والتي يمكن للمغرب الاستثمار فيها ؟
- ✓ ما المكانة التي تحتلها الطاقات المتجددة ضمن رؤية النموذج التنموي الجديد ؟
- ✓ ما السيناريوهات المستقبلية للانتقال الطاقي في المغرب ؟

1-5- منهجية الدراسة

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على منهجية علمية، ترتكز أساسا على قراءة وتحليل مختلف الدراسات والأبحاث الأكاديمية المهتمة بهذا الموضوع، فضلا عن تقييم معطياتها. كما اطلعنا على مجموعة من التقارير والوثائق الإدارية والنصوص القانونية والمراجع العامة ذات العلاقة بالموضوع، بالإضافة إلى الاطلاع على مجموعة من الدراسات الأجنبية المرتبطة بالطاقات المتجددة، قصد الاستفادة منها في صياغة هذه الدراسة.

2- التعريف بمفاهيم/ مصطلحات الدراسة

2-1- مفهوم الطاقة

تعرف كمصطلح علمي على أنها: " ترشيد وتنظيم العمليات القاعدية في الطبيعة والتي لا نستطيع قياسها أو ملاحظتها مباشرة وإنما ندرس تأثيرها على المواد"[117]. كما تعرف أيضا على أنها " القوة التي تحرك الآلات المختلفة والتي

[117] - **MARLOT, L. (1979)**: *Dictionnaire de l'énergie,* Centre Buref, Paris, France, p. 55.

نستعملها في حياتنا اليومية لكي تقوم بالعمل الشاق مكاننا بغية الحصول على الراحة اللازمة: التدفئة، الإنارة، التبريد..."[118].

2-2- مفهوم الطاقات الخضراء

الطاقات الخضراء أو الطاقات المتجددة هي موارد طبيعية دائمة لا تنضب ومتوفرة في الطبيعة. وتعرف أيضا بأنها الطاقات التي تكرر نفسها تلقائيًا وبشكل دوري في الطبيعة[119]، وبالتالي فهي عكس المصادر الأحفورية التي غالبًا ما توجد في مخزون صلب ومحدود في الأرض[120]. يستخدم هذا المصطلح أيضًا للإشارة إلى المصادر التي لها صفة الديمومة والتجدد أي أن مخزونها لا ينضب بسبب الاستهلاك الدائم[121].

من خلال هذه التعريفات، نستنتج تعريفًا إجرائيًا للمفهوم: الطاقات المتجددة هي المصادر المتوفرة في الطبيعة بشكل مستمر ودائم، وهي متنوعة ومتعددة، مثل الطاقة الشمسية والريحية والمائية والحرارية الأرضية.

3-2- مفهوم النموذج التنموي الجديد

يعرف مفهوم النموذج التنموي بكونه عبارة عن خطاطة عامة لتوجيه الفعل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي...لتحقيق تقدم دولة ما. كما أنه إطار مرجعي للمسؤولين عن تشكيل السياسات العمومية، وينبغي أن يبنى على أساس توافقات بين مختلف الفاعلين. بعبارة أخرى، هو إستراتيجية لتنمية الدولة والمجتمع خلال فترة زمنية متوسطة أو طويلة الأمد (عقدين أو ثلاثة عقود). وهو بهذا يختلف عن مفهوم البرنامج التنموي الذي هو عبارة عن مجموعة من التدابير العملية والتقنية القابلة للقياس والتحقق والتي تخص قطاعا معينا.

في نونبر 2019، أحدث الملك محمد السادس اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي. وتتمثل المهمة الموكلة إلى اللجنة ذات الطابع الاستشاري، في تشخيص الوضع الراهن للتنمية في المملكة بصراحة وموضوعية، ووضع الخطوط العريضة لنموذج تنموي جديد. اعتمدت اللجنة منهجية عمل مبتكرة تعتمد على الاستماع والتشاور الوطني المكثف مع ممثلي الأمة وممثلي الهيئات السياسية والاقتصادية والأطر الإدارية وممثلي المجتمع المدني والشركات، ومع مجموعة من المواطنين الذين أتيحت لهم فرصة الالتقاء بهم والاستماع إليهم. وقد مكنت هذه المساهمات من إثراء عمل اللجنة ومكنها من صياغة تقرير يدور حول رؤية مستقبلية وطموح مشترك، ويستند على نهج للتغيير يضفي على هذا الطموح طابعًا جماعيًا ويجعله ذا مصداقية وقابلا للتطبيق.

المحور الأول: الخيارات المستقبلية للانتقال الطاقي بالمغرب

إن تسريع وتيرة الانتقال الطاقي بالمغرب مرتبط أساسا بالاستثمار في الموارد المتجددة غير المستغلة بالقدر الكافي على غرار الطاقة الحرارية الأرضية وطاقة الكتلة الحيوية والطاقة البحرية المتجددة، وكذا بإطلاق قطاعات طاقية جديدة

---

118 - **CHITOUR, C.E. (1994)**: *L'énergie: les enjeux de l'an 2000.* Editions Office des Publications Universitaires (O. P. U.), Algérie, p. 32.

119 - **سحر أمين كاتوت (2009)**: *"معجم المصطلحات البيئية"*، دار دجلة، عمان، الأردن، ص: 270.

120 - **CHITOUR, C.E. (2003)**: *Pour une stratégie énergétique de l'Algérie à l'horizon 2030.* Editions Office des Publications Universitaires, Algérie, p. 41.

121 - **شبيرة بوعلام، نبيل أبو طير (2017)**: " الطاقة المتجددة وتحديات استخدامها في بلدان المغرب العربي"، *مجلة المستقبل العربي*، العدد 45، ص: 90.

أكثر تنافسية في المستقبل كما هو الشأن بالنسبة للغاز الاصطناعي الأخضر أو الميثان الأخضر، بالإضافة إلى مكونات الهيدروجين والميثانول والأمونياك.

1. التوجه نحو موارد طاقية متجددة غير مستغلة بالقدر الكافي

1.1. الطاقة الحرارية الأرضية

أظهرت الدراسات التي أجراها المكتب الوطني للهيدروكربونات والمعادن في السنوات الأخيرة، أن موارد الطاقة الحرارية الأرضية في المغرب مكونة أساسًا من المحتوى الحراري المنخفض إلى المتوسط. وبعد تدقيق الاحتياطيات الممكنة، تم تحديد العديد من المناطق التي يمكن استغلالها. ففي الشمال الشرقي، يمكن استخدام الطاقة الحرارية الجوفية في القطاع الزراعي (تدفئة محطات الإنتاج المغطاة، تجفيف المنتجات الزراعية، الري، زراعة الفطر والطحالب...) وفي تربية الأحياء المائية والتدفئة والعلاج بالمياه المعدنية وإنتاج الكهرباء. كما تتمتع الأحواض الساحلية في المناطق الصحراوية بنطاق حراري واسع، حيث أتاحت الأشغال الأولية تسليط الضوء على خمس مناطق وهي: بير كندوز (الداخلة)، المسيد المرسى (العيون)، العركوب (بوجدور)، طرفاية والسمارة. وتعد منطقة بوجدور وفقًا للتقييمات الأولية الأكثر أهمية. أما المناطق الأخرى الواقعة في شمال الأطلس المتوسط وفي وسط المغرب وأخدود الريف الجنوبي، فهي بحاجة إلى أشغال إضافية لتحديد مواردها الحقيقية.

إن استغلال هذا النوع من الطاقة سيساهم في تحقيق التنمية المحلية وسيمكن من إنتاج الكهرباء في بعض الحالات.

2.1. طاقة الكتلة الحيوية

تعتبر الكتلة الحيوية أحد الحلول الرئيسية لزيادة حصة الطاقات المتجددة في مزيج الطاقة وتقليل الكربون وتخفيض التكاليف، خاصة على مستوى الوحدات الصناعية والفندقية. وقد سلطت دراسة قامت بها وزارة الطاقة والمعادن في فبراير 2019 الضوء على إمكانات الطاقة الحيوية في المغرب، والتي تقدر بنحو 11.5 مليون ميغاواط ساعة سنويا، منها 57% تأتي من المخلفات الفلاحية، 26% من النفايات و15% من المنتجات الغابوية الثانوية. أما البقايا الرئيسية في القطاع الصناعي وفي القطاعات الثالثية والحرفية (الحمامات والخزف)، فهي تتكون أساسا من نواة الزيتون وبقاياه ونشارة الخشب ولحاء الأركان. ومنذ بضع سنوات، بدأ القطاعان الصناعي والفندقي في تحويل مراجلها (Chaudières) نحو مراجل الكتلة الحيوية التي يوفرها ثفل الزيتون، مما أتاح توفير الطاقة بنسبة 30 إلى 40% من تكلفة الإنتاج إلى جانب انخفاض كبير في انبعاثات غازات الاحتباس الحراري[122].

3.1. استغلال المؤهلات الكبيرة للطاقة البحرية المتجددة

يتوفر المغرب على موارد هامة فيما يخص الطاقات البحرية المتجددة (طاقة الأمواج وطاقة المد والجزر وطاقة الرياح البحرية والطاقة الحرارية للبحار والمحيطات)، حيث يبلغ طول سواحله حوالي 3500 كلم. مما يسمح له باستكشاف

[122] - **المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (2020)**: *تسريع الانتقال الطاقي لوضع المغرب على مسار النمو الأخضر "* ، العدد رقم 45 / 2020، الرباط، ص:44.

مصادر جديدة ومبتكرة لإنتاج الطاقة النظيفة وخلق الثروة وفرص الشغل والانفتاح على أسواق جديدة، لاسيما الأوروبية، وبالتالي تحقيق استغلال أمثل للواجهة البحرية للبلاد.[123]

2. إطلاق قطاعات طاقية جديدة أكثر تنافسية في المستقبل

1.2. الطاقة الهيدروجينية

1.1.2. مفهوم طاقة الهيدروجين

تعتبر طاقة الهيدروجين (Power to X) كنظام معالجة يحول فائض الكهرباء إلى أنواع أخرى من الطاقة للتخزين أو إعادة التحويل. ويستخدم هذا النظام محولًا لفصل جزيء الهيدروجين عن الأكسجين الموجود في الماء وبالتالي الحصول على غاز الهيدروجين الذي سيتم استخدامه مرة أخرى كوقود للطاقة. وباعتباره المادة الكيميائية الأكثر وفرة في الكون، غالبًا ما يطلق عليه الحلقة المفقودة في انتقال الطاقة، نظرًا لدوره الرئيسي في ربط القطاعات.

ويمكن للهيدروجين كحامل للطاقة أن يربط القطاعات المستهلكة للطاقة مثل المباني (التدفئة والتبريد) والصناعة والنقل...[124].

2.1.2. آفاق طاقة الهيدروجين بالمغرب

يفتح قطاع الهيدروجين الأخضر آفاقًا واعدة بسبب ارتفاع الطلب عليه، وهو ارتفاع سيزداد في السنوات القادمة بسبب الاتجاه التنازلي في تكلفته من جهة، والحاجة الملحة إلى الحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري من ناحية أخرى. في المغرب، تشكل طاقة الهيدروجين تحديًا في حد ذاتها لتطوير إنتاج كهرباء منخفض الكربون وكهربة شاملة للاقتصاد والصناعة. ونظراً لإمكانياته الكبيرة في هذا المجال، يجب التوجه بشكل واضح نحو تعزيز هذا النوع من الطاقة، حتى يتمكن من جذب الفاعلين الدوليين وإقامة شراكات لإنتاج وبيع الهيدروجين بأسعار جد تنافسية. وقد أوصت اللجنة المكلفة بوضع النموذج التنموي الجديد في الملحق الثاني وبالضبط في الصفحة 234، بضرورة الإسراع في وضع خارطة طريق متعددة المراحل وتطوير مشاريع نموذجية مع شركاء متخصصين من أجل تطوير هذا القطاع المعروف باستدامته وتكلفته المنخفضة لخدمة الصناعة وجاذبية الاقتصاد الوطني على المستوى الدولي. كما أوصى المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي في دراسة له بعنوان " تسريع الانتقال الطاقي لوضع المغرب على مسار النمو الأخضر "العدد رقم 2020/45 في الصفحة 45، بوضع برنامج «للهيدروجين الأخضر بالمغرب» يشمل تنمية جميع القطاعات والفرص المتاحة للنقل والصناعة والكهرباء. وأشارت الدراسة إلى أن برنامج الهيدروجين الأخضر الذي يعتزم المغرب تطويره، سيمكن من تعزيز مكانة المغرب في إطار الشراكة الدولية. كما سيمكن الشركات المغربية من الاستفادة من الطاقة الهيدروجينية لتحسين معدل تكاملها وخلق أسواق جديدة. فمثلا بفضل إنتاج الهيدروجين سيتمكن المكتب الشريف للفوسفاط (OCP) الذي يقوم حاليا باستيراد 2 مليون طن من الأمونياك سنويًا من إنتاج الأمونياك الاصطناعية مما سيحسن من قدرته التنافسية ليصبح مُصدِّرًا لهذه المادة. وتتعلق الفرص الأخرى بإنتاج غاز الميثان المتجدد القائم على الهيدروجين والذي يمكن أن يحل

---

123 - اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد (2021): *مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد*، الملحق رقم 2، المملكة المغربية، أبريل 2021، ص: 229.

124- كورنيلوس ماتيس، فاليريا أروفو، لويس ريتبي برادو (2020): *" تحديات وفرص إنتاج الهيدروجين الأخضر وتصديره من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى أوروبا "*، ترجمة نهى فؤاد خليفات، المملكة الأردنية الهاشمية، ص: 8.

محل الغاز الطبيعي التقليدي لاستخدامه من قبل الصناعات المغربية أو ليتم نقله عبر خط أنابيب إلى أوروبا إذا ثبتت مردوديته الاقتصادية. كما تهدف هذه الإستراتيجية إلى خلق بيئة صناعية مناسبة لإنتاج الهيدروجين واستخدامه، وبناء هياكل الإمداد اللازمة وتعزيز البحث العلمي والابتكار. ولمواكبة هذا الطموح، تم إنشاء اللجنة الوطنية للهيدروجين التي أوكلت إليها مهمة قيادة ومتابعة إنجاز الدراسات اللازمة في مجال الهيدروجين، وكذلك دراسة تنزيل وتنفيذ خارطة الطريق لإنتاج الهيدروجين ومشتقاته من الطاقات المتجددة.

2.2. الجزيئات الخضراء

يتم إنتاج الجزيئات الخضراء عن طريق التحليل الكهربائي للمياه باستخدام أحد مصادر الطاقات المتجددة. وتشمل:

- **الأمونياك**: غاز ذو رائحة حادة أخف من الهواء (0.8 من وزن الهواء)، يتكون من ذرة واحدة من النيتروجين وثلاث ذرات من الهيدروجين (NH_3) ويستخدم كوسيلة لنقل وتخزين الكهرباء من أجل التصدير. وفي هذا الصدد، يمكن للمغرب الاستفادة من القدرة التنافسية لإنتاج الأمونياك الخضراء.
- **الميثانول الأخضر**: هو كحول عديم اللون وقابل للاشتعال، وهو مادة مفيدة للغاية وتختلف استخداماته باختلاف المستخدمين. فقد يستخدمه البعض كوقود، والبعض الآخر كمادة مضافة للوقود، أو كمواد خام كيميائية، أو كمذيب، أو كمبرد، أو كمكون مضاد للتجمد. ومن بين التطبيقات الجديدة للميثانول، استخدامه كمصدر للبروتونات في تكنولوجيا خلايا الوقود القائمة على الميثانول وكوقود للمحركات التوربينية لتوليد الطاقة الكهربائية. وشهد هذا القطاع نموًا مستدامًا بنسبة 7% منذ عام 2015، ويرجع الفضل في ذلك إلى تطور تقنيات الطاقات المتجددة التي تمثل حاليا 40% من استهلاكه[125]. في هذا السياق، يوصي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي في دراسة له بعنوان " تسريع الانتقال الطاقي لوضع المغرب على مسار النمو الأخضر " العدد رقم 2020/45 في الصفحة 51، بضرورة تعزيز مكانة المغرب في قطاع الميثانول الأخضر، الذي يجب أن يتضاعف إنتاجه بحلول عام 2050 بثلاث مرات في ضوء استخداماته المتعددة في الصناعة الكيمياوية وفي السيارات الكهربائية.
- **الغاز الاصطناعي الأخضر أو الميثان الأخضر**: بالإضافة إلى الكهرباء ومكونات الهيدروجين والميثانول والأمونياك، يمكن للغاز الطبيعي الاصطناعي الاستجابة للطلب في المغرب وأوروبا، من خلال إقامة نظام بيئي لإنتاج الغاز الصناعي الأخضر لتزويد النسيج الاقتصادي الوطني بالوقود النظيف، وخاصة قطاعات النقل والصناعات التي تستهلك طاقة كبيرة. وهو الأمر الذي يتطلب إقامة شبكة من خطوط الأنابيب لنقل الغاز الصناعي الأخضر لتزويد المصنعين المغاربة وضمان التصدير إلى أوروبا في حالة وجود الفائض عبر خط أنبوب الغاز المغاربي الذي انتهت اتفاقيته الطويلة الأجل بحلول نونبر من سنة 2021، وبالتالي يمكن تحويله لتصدير الهيدروجين الأخضر الممزوج بالغاز[126].

---

[125]- **الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (2005)**: *تحسين كفاءة الطاقة واستخدام الوقود الأحفوري الأنظف في قطاعات مختارة في بعض بلدان الإسكوا، الجزء الثاني: استخدامات الوقود الأحفوري الأنظف*، أبريل 2005، ص: 36.

[126]- **كورنيلوس ماتيس، فاليريا أروفو، لويس ريتبي برادو (2020)**: *" تحديات وفرص إنتاج الهيدروجين الأخضر وتصديره من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى أوروبا "*، ترجمة نهى فؤاد خليفات، المملكة الأردنية الهاشمية، ص: 18.

المحور الثاني: مكانة الطاقات المتجددة ضمن رؤية النموذج التنموي الجديد والسيناريوهات المستقبلية للانتقال الطاقي في المغرب

1. مكانة الطاقات المتجددة ضمن رؤية النموذج التنموي الجديد

حظي موضوع الطاقة بوضع اعتباري ضمن رؤية النموذج التنموي الجديد، حيث تم تخصيص حوالي 14 صفحة لهذا الموضوع (من الصفحة 221 إلى الصفحة 235) ضمن الملحق الثاني والمعنون ب: "مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد"، حيث تم في البداية تشخيص الوضعية الراهنة والمتميزة ب:

- **تزايد الطلب على الطاقة مع هيمنة المحروقات الأحفورية على الاستهلاك.**
- **التأثير الواضح للتبعية الطاقية على التوازنات الماكرو اقتصادية للبلاد وتهديدها للأمن الطاقي.**
- **إصلاحات مهمة لكن تحول المشهد الطاقي الوطني لم يكتمل بعد**[127].

ليعرج بعد ذلك التقرير إلى تحديد الطموحات والأهداف المتوخاة من السياسة الطاقية في المغرب والمتمثلة في: جعل الطاقة رافعة للجاذبية والتنمية وترسيخ مكانة المغرب كرائد في مجال الطاقات المتجددة والتنمية المستدامة على المستوى العالمي، وكذلك إعطاء دفعة قوية لمجالات البحث العلمي وتطوير وتصنيع معدات إنتاج الطاقة. لينتقل بعد ذلك التقرير إلى تحديد سِتة توجهات إستراتيجية تأخذ بعين الاعتبار التشخيص المنجز والطموح المقترح، وذلك من أجل تسريع عملية التحول الطاقي وتمكينه من تحقيق أهدافه المتعلقة بالتنافسية الاقتصادية والتنمية المستدامة.

ليختتم التقرير بتقديم رؤية استشرافية للمستقبل، حيث تم رفع رهان طاقة تنافسية ومنخفضة الكربون. ويسعى هذا الرهان إلى: تحويل الإكراهات التي يواجهها المغرب في هذا الميدان إلى فرصة حقيقية للتنمية. كما تم تحديد رؤية للرهان والمتمثلة في كون مجال الطاقة يمكن أن يساعد على تحقيق التنمية ويلعب دور محرك للتنافسية وذلك بالاعتماد على مقاربة شمولية تدمج المؤهلات الطاقية للبلد بالفرص التي تبرز على الصعيد العالمي. وتمت بلورة هذه الرؤية في خمسة أهداف رئيسية:

- **جعل المغرب قطبا إقليميا رائدا في مجال الطاقة التنافسية المستدامة ومنخفضة الكربون.**
- **جعل الطاقة رافعة للتنافسية الاقتصادية والجاذبية الاستثمارية.**
- **تعزيز الأمن الطاقي للبلاد والعمل على تقليص معدلات التبعية الكبيرة للمحروقات.**
- **استقطاب الاستثمارات والشركاء الدوليين وتوسيع ولوج العرض المغربي الموجه للتصدير نحو الأسواق الواعدة في إفريقيا وأوروبا.**

127- **اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد (2021):** *مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد*، الملحق رقم 2، المملكة المغربية، أبريل 2021، ص:221.

• **توقع استباقي لدخول المعايير البيئية وآليات فرض الضرائب حيز التطبيق والعمل على إنشاء سوق جذاب في مجال الطاقة النظيفة**[128].

أما الأفق الزمني لهذا الرهان، فهو يمتد من سنة 2021 إلى سنة 2030. وتمتد المرحلة الأولى من 2021 إلى 2023 وهي مخصصة لجوانب الإصلاح العاجل (الحكامة، الموارد البشرية، الفصل بين الأنشطة، الإصلاحات المالية وإعادة هيكلة الديون، إصلاح هياكل التكلفة والدعم). ويمكن تسريع الاندماج التدريجي في الأسواق الدولية إذا توفرت الأسس المذكورة أعلاه اعتبارًا من عام 2023.

2. السيناريوهات المستقبلية للانتقال الطاقي في المغرب

وضع المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، تصورا لمستقبل الطاقات المتجددة بالمغرب من خلال دراسة تحت عنوان: " **تسريع الانتقال الطاقي من أجل وضع المغرب على مسار النمو الأخضر**". وتقترح هذه الدراسة، التي اعتمدت على مقاربة تشاركية همت أكثر من 60 خبيرا وفاعلا تمّ الإنصات إليهم (وزارات، المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب، مجموعة مازن، معهد البحث في الطاقات الشمسية والطاقات المتجددة، المكتب الشريف للفوسفاط، الوكالة المغربية للنجاعة الطاقية، الاتحاد العام لمقاولات المغرب...إلخ) الأسس التي ينبغي أن تدعم تنزيل إستراتيجية متجددة للمغرب في مجال الانتقال الطاقي ويقدم توصيات لتنفيذها. واعتمد المجلس على ثلاث سيناريوهات استشرافية لسنوات 2030 و2040 و2050 من أجل تحديد التوجهات الإستراتيجية وتقديم دعامات لاتخاذ قرارات رئيسية يمكن الشروع في تنفيذها على المدى القصير.

- **السيناريو الأول: مواصلة السياسات العمومية الحالية**

وهو السيناريو الذي يتطابق مع منظومة الطاقة التي من المرجح أن يتم إرساؤها خلال العقود القادمة، إذا تم الحفاظ على نفس الإستراتيجية المعمول بها حاليا. والتي ترتكز على تشجيع الاستثمار في الطاقة الريحية والطاقة الكهروضوئية. وفي المقابل، سيتم تقليص الاستثمار في الإنتاج الحراري.

- **السيناريو الثاني: التسريع**

ينطلق من السيناريو الأول ويتجه نحو خيارات أكثر طموحا من قبيل استعمال الطاقة الكهربائية والنظيفة في التنقل واللجوء أكثر لتحلية مياه البحر، إضافة إلى التحكم في الطلب، من خلال اعتماد النجاعة الطاقية واللامركزية (إنتاج الطاقة من طرف الخواص على مستوى الاستهلاك).

- **السيناريو الثالث: الانطلاق نحو مستويات أعلى في الانتقال الطاقي**

ينطلق من السيناريو الثاني ويدرس إمكانية استغلال الطاقات المتجددة في المغرب لتنفيذ مشاريع صناعية كبرى، خاصة في قطاع الطاقة الهيدروجينية وفي الصناعات التي تستهلك أكبر قدر من الطاقة، وكذلك تصدير الكهرباء.

وخلُصَت هذه السيناريوهات، بدرجات متفاوتة، إلى أنه يمكن للمغرب من خلال الطاقة الخضراء، تقليل الاعتماد على المنتجات البترولية من 88% حاليا (سنة 2024)، إلى 35% بحلول عام 2040 وإلى أقل من 17% بحلول عام 2050.

---

128 - **اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد (2021):** *مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد*، الملحق رقم 2، المملكة المغربية، أبريل 2021، ص: 231.

وجعل حصة الإنتاج المحلي من الطاقة المتجددة يصل إلى 80% على الأقل من القدرة المركبة وخفض فاتورة الطاقة بنسبة 12% على الرغم من أن استهلاك الطاقة سيتضاعف ثلاث مرات. كما سيساهم في تقليل انبعاثات غازات الاحتباس الحراري بنسبة 30% وانبعاثات الجزيئات بحوالي 50%.

خاتمة

إن مستقبل الطاقة في المغرب يعتمد بشكل أساسي على قدرته في إدارة موارده وتنويع مزيج الطاقة وتقليل اعتماده على الهيدروكربونات، بالإضافة إلى زيادة قدراته الإنتاجية المحلية من أجل التخفيف من الآثار السلبية لصدمات النفط. وبالتالي، فإن تطوير الطاقات المتجددة بالنسبة للمغرب يشكل هامش جيد للتعويض عن الغياب الفعلي لموارد الطاقة الأحفورية، وفرصة لخفض واردات الطاقة. كما يعتبر كذلك ضرورة مطلقة لمواجهة القيود التي تواجه البلاد حاليًا، ووسيلة فعالة لتقليص الفجوة الناتجة عن تراجع إنتاج الطاقة مع النمو المتسارع في الطلب عليها.

إن تسريع وثيرة الانتقال الطاقي في المغرب سيمكنه في نهاية المطاف من أن يصبح رائدا عالميا في هذا المجال، وسيعود بالفائدة على الاقتصاد والدولة والبيئة والمواطن.

قائمة المراجع والمصادر

المراجع باللغة العربية

- ✓ **الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (2005):** *تحسين كفاءة الطاقة واستخدام الوقود الأحفوري الأنظف في قطاعات مختارة في بعض بلدان الإسكوا، الجزء الثاني: استخدامات الوقود الأحفوري الأنظف*، أبريل 2005، 76 صفحة.
- ✓ **سحر أمين كاتوت (2009):** *"معجم المصطلحات البيئية"* ، دار دجلة، عمان، الأردن.
- ✓ **شبيرة بوعلام، نبيل أبو طير (2017):** " الطاقة المتجددة وتحديات استخدامها في بلدان المغرب العربي"، *مجلة المستقبل العربي*، العدد 45.
- ✓ **كورنيلوس ماتيس، فاليريا أروفو، لويس ريتي برادو (2020):** *" تحديات وفرص إنتاج الهيدروجين الأخضر وتصديره من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى أوروبا "* ، ترجمة نهى فؤاد خليفات، المملكة الأردنية الهاشمية.
- ✓ **اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد (2021):** *مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد*، الملحق رقم 2، المملكة المغربية.
- ✓ **المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (2020):** *تسريع الانتقال الطاقي لوضع المغرب على مسار النمو الأخضر "* ، العدد رقم 45 / 2020، الرباط، 65 صفحة.

المراجع باللغة الفرنسية

- ✓ **CHITOUR, C.E. (1994):** *L'énergie : les enjeux de l'an 2000.* Editions Office des Publications Universitaires (O. P. U.), Algérie.
- ✓ **CHITOUR, C.E. (2003):** *Pour une stratégie énergétique de l'Algérie à l'horizon 2030.* Editions Office des Publications Universitaires, Algérie.

✓ **MARLOT, L. (1979)**: *Dictionnaire de l'énergie,* Centre Buref, Paris, France.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

الهوية الدينية للشباب المغربي وموقفهم من المختلف دينيا على الفايسبوك

The religious identity of Moroccan youth and their attitude towards Religiously different on Facebook

***حكيمة لعلا، **العياشي الدغمي**

*أستاذة التعليم العالي – جامعة الحسن الثاني – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية – شعبة السوسيولوجيا. المغرب. البريد الإلكتروني : hakima.laala@etu.univh2c.ma

**طالب باحث بسلك الدكتوراه – جامعة الحسن الثاني - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية - مختبر "التكامل المعرفي في العلوم الإنسانية". المغرب. البريد الإلكتروني : elayachi.doghmi@gmail.com - elayachi.doghmi-etu@etu.univh2c.ma

الملخص

تكمن الغاية الأساسية لهذا البحث في دراسة تمثل عينة من الشباب المغربي بالمرحلة الثانوية لهويتهم الدينية على فايسبوك، مستهدفا فهم أشكال التعبير عن ذواتهم وانتمائهم الديني وعلاقة كل ذلك بالتفاعل مع المختلف دينيا بهذا الوسط الرقمي. منطلقا من السؤال المركزي التالي : ما هي أشكال ومؤشرات التعبير عن الهوية الدينية لدى الشباب المغربي على الفايسبوك؟ وما موقفهم من حضور الهوية الدينية لغير المسلم بهذه المنصة؟ بناء على المزاوجة بين تقنيتي الملاحظة الرقمية (النتنوغرافيا) لحسابات شخصية لخمسين شابا وشابة، وكذا المقابلة شبه الموجهة باستخدام منصة Google Forms، خلصنا إلى أن هناك تفاوتا بين الذكور والإناث في التعبير عن الهوية الدينية الرقمية، وانفتاحا جزئيا على المختلف دينيا. حيث يميل أغلب الذكور إلى التعبير عن ذواتهم بكشف هويتهم الحقيقية على صفاحتهم الشخصية وإظهار تدينهم علانية، فيما تميل أغلب الإناث إلى الحفاظ على نوع من المجهولية الشخصية مقابل التسويق لشخصية رقمية (بروفايل) ملتزمة ومتدينة. وفي ظل هذا التباين، فإن الأغلبية العامة من الشباب المبحوثين، يعبرون عن ضرورة احترام الحرية الدينية للمختلف دينيا وحقه في إظهار هويته الدينية والتعبير عن انتمائه الديني رقميا، في مقابل نوع من النرجسية الجماعية المتجسدة في رفضهم المطلق لأي تفاعل مع مناسباته الدينية أو الترويج لها من قبل المسلمين. غير أن هناك فئة ضمن هذه العينة أبدت انفتاحها على المختلف دينيا، وركزت على الحوار بين الأديان، وقبول التنوع الديني، وهو ما يعكس تحولا تدريجيا في الوعي الديني بين الشباب المغربي بالعالم الرقمي.

الكلمات المفتاحية : الهوية الدينية، الهوية الرقمية، الشباب المغربي، المختلف دينيا، القبول.

Abstract

The primary aim of this research is to study a sample of Moroccan high school youth regarding their religious identity on Facebook, seeking to understand the forms of self-expression, religious affiliation, and the relationship between these elements and interactions with those of different religions in this digital environment. This study is based on the following central question: How do Moroccan youth express their religious identities on Facebook? What is their stance on the presence of non-Muslim religious identities on this platform? Based on a combination of digital observation techniques (netnography) on the personal accounts of fifty young males and females, as well as the semi-structured interview using the Google Forms platform, We concluded that there is a disparity between males and females in the expression of digital religious identity, along with a partial openess to religious diversity. where most males tend to express themselves by revealing their true identity on their personal profiles and displaying their faith publicly, while most females tend to maintain a form of personal anonymity in exchange for promoting a committed and religious digital persona. In light of this

disparity, the general majority of the surveyed youth express the necessity of respecting the religious freedom of people with different religious beliefs and their right to showcase their religious identity and express their religious affiliation digitally, in contrast to a form of collective narcissism manifested in their absolute rejection of any interaction with or promotion of religious events by Muslims. However, there is a segment within this sample that has shown openness to religious differences, focusing on interfaith dialogue and acceptance of religious diversity, which reflects a gradual shift in religious awareness among Moroccan youth in the digital realm.

Keywords : Religious identity, Digital identity, Moroccan youth, Religious diversity, Acceptance.

مقدمة

لقد شكلت ثورة تكنولوجيا المعلومات نوعا جديدا من المجتمعات، يسميه مانويل كاستلز "المجتمع الشبكي" (Tomas,1999). والذي يتسم بالعولمة وإعادة صياغة تصوراتنا حول مفاهيم المكان والزمان والعلاقات. كما فتح المجال لإعادة بناء تمثلاتنا حول ذواتنا وهوياتنا وعلاقتنا بالأشباه والمماثلين، وبغيرنا ممن يختلفون عنا لغويا وثقافيا ودينيا. ولعل أهم ما مسه هذا التحول الناتج عن عولمة التواصل وسهولة الوصول للمعلومة لهو المجال الديني ؛ حيث أصبح الباحثون في العلوم الاجتماعية والإنسانية، يلاحظون نشأة أشكال جديدة من التدين والممارسات الدينية على المجتمع الشبكي، ستختلف التسميات التي سيطلقونها على هذا النوع من الممارسات بين "التدين السيبيراني" و"التدين الشبكي" و "التدين الرقمي" (Campbell & Bellar, 2022)، ولكن الغاية واحدة وهي محاولة فهم الكيفية التي أضحت تشكل بها التكنولوجيا البعد الديني والهوية الدينية للأفراد والمجتمعات (Campbell, 2011)، خاصة وأن هذا "الفضاء الجديد" أضحى يقدم إمكانيات أوسع لاستهلاك وتداول المعلومة الدينية، فضلا عن كونه مجالا أرحب للتعبير عن المواقف والتمثلات الدينية التي تعكس تصور المتدين لذاته وللمختلفين عنه دينيا.

لقد أصبح الدور الذي تلعبه تكنولوجيا التواصل الرقمي في تشكيل وإعادة تشكيل الهوية الدينية والتعبير عنها اليوم، إحدى أهم قضايا البحث في مجال "سوسيولوجيا التدين الرقمي" (Campbell & Bellar, 2022). إذ مع انتشار الوسائط التقنية للتواصل الاجتماعي، فضلا عن سهولة الولوج لشبكة الأنترنت، كفضاء يتجاوز حدود الزمان والمكان، ازدادت إمكانية التداول أكثر في المعتقدات الدينية والنقاش حول وجهات النظر المختلفة لأنماط التدين والتعبير عن الذات. الأمر الذي فتح المجال لمفاوضة الدور التقليدي لمؤسسات التنشئة الدينية في تشكيل الهوية (Campbell & Bellar, 2022). وصارت العلاقة بين الهوية الدينية والأنترنت عنصرا مركزيا في التفكير والبحث السوسيولوجيين في العصر الرقمي، خاصة التساؤل حول أنماط وأشكال الحضور الديني على الأنترنت ومن خلاله (Campbell, 2011) وكذا الموقف من المختلف دينيا، وهو الأمر الذي لاحظناه بكثافة على منصة التواصل الاجتماعي (فايسبوك) من خلال تدوينات وتفاعلات وتعاليق عينة من الشباب المغربي المتدين.

يستهدف هذا البحث، بناء تصور عن أشكال التعبير عن الهوية والانتماء الدينيين لدى عينة من الشباب المغربي، فضلا عن موقفهم من حضور الرموز والمناسبات الدينية لغير المسلمين على منصات التواصل الاجتماعي، بناء على دراسة نتنوغرافية (Kozinets, 2010) لحسابات شخصية لعينة من الذكور والإناث على الفايسبوك. موجهين بعدد من المؤشرات الدينية[1] التي تكشف عن الهوية الدينية وتعبر عن الحضور الديني للمستخدم، وعن موقفه وتمثله لغير المسلم. مستعينين في تفسيرنا لنتائج الملاحظة ببحث ميداني مواز أجريناه مع عينة من 146 مبحوثا (ذكورا وإناثا) بالمرحلة الثانوية.

منطلقين من التساؤل حول مؤشرات التعبير عن الهوية الدينية لدى هؤلاء الشباب، وكذا عما يعبر عن موقفهم ويبرر تصورهم لحضور الرموز والمناسبات الدينية لغير المسلم على نفس المنصة. وقد استندنا في ذلك على فرضيتين مؤداهما أن هناك اختلافا جوهريا فيما يرتبط بأشكال ودوافع عرض الذات والهوية الدينية على الأنترنت بين الجنسين من جهة، وأن الموقف من المختلف دينيا صار أكثر "تشددا" بناء على إمكانيات التعبير "الحر" والتخفي التي تمنحها هذه التكنولوجيات من جهة ثانية.

يتوزع هذا البحث على شقين، الأول نظري يستهدف عرضا لمنهجية البحث، ولأهم مراحل نشأة وتطور أبحاث "التدين الرقمي" وفقا للمقاربة التي تقدمت بها رائدة البحث السوسيولوجي في هذا المجال هايدي كامبل، كما خصصا حيزا لتعريف وبناء المفاهيم الأساسية من قبيل مفهوم الهوية الدينية، ومفهوم الشباب. فيما الشق الثاني خصص لعرض نتائج البحثين الميدانيين ومناقشتها.

منهجية البحث

لقد عملنا في إنجاز هذه الدراسة على المزاوجة بين المقاربتين المنهجيتين الكيفية والكمية على حد سواء. حيث تستهدف المقاربة الكمية قياس الظاهرة موضوع البحث وفق منطق ترتيبي، يمكننا من تحديد الفوارق الإحصائية بين فئات أو مؤشرات محددة ضمن عينة البحث (أنجرس، 2006/1996)، ويسمح لنا بإدراك طبيعة هذه الفروقات النوعية بين الفئات العمرية وكذا بين الجنسين، وهو الأمر الذي سنحتاجه في تفسير التباين الحاصل في أنماط التعبير عن الهوية الدينية، فضلا عن رصد درجات حضور المؤشرات الدينية بالحسابات الشخصية موضوع الملاحظة الافتراضية بين الجنسين.

أما المقاربة الكيفية فتمكننا من الانغماس في الواقع الإنساني المعاش، وفهمه انطلاقا من كونه تجربة إنسانية حية ذات معنى ثقافي واجتماعي وذاتي في نفس الوقت، وذلك من خلال حصر معنى الأقوال المجمعة أو السلوكات الملاحظة (أنجرس، 2006/1996)، ما يسمح لنا برصد وتحليل وفهم الدلالات والمعاني التي يعطيها الشباب لذواتهم ولهويتهم الدينية ولموقفهم من المختلف دينيا، انطلاقا من ملاحظة أشكال ومؤشرات التعبير المصرح بها على الفايسبوك (أسماء وصورا وتعليقات)، أو من خلال مواقفهم المعبر عنها المستقاة بناء على مقابلة رقمية صيغت باعتماد منصة Google Forms.

تقنيات البحث وآلياته

- الملاحظة الافتراضية : أو الملاحظة الرقمية، أو النتنوغرافيا، أو الإثنوغرافيا الرقمية، مهما تعددت التسميات فإن الأمر يتعلق بآلية منهجية للبحث الميداني بالعالم الرقمي، يمكن النظر إليها باعتبارها نموذجا لآليات البحث تحت مسمى : "المناهج الافتراضية" أو "المناهج الرقمية". تعتمد هذه الآلية المنهجية كـ"بديل" للملاحظة الإثنوغرافية الواقعية، باعتبارها طريقة للبحث تم تكييفها مع فضاءات البحث الرقمية الجديدة، نتيجة لـ"التغيرات المتسارعة التي شهدها حقل البحث في الميدان الافتراضي منذ ظهور شبكات التواصل الاجتماعي" (قاوقاو، 2019). ويكمن الدافع الإبستيمولوجي لاختيار هذه الآلية في كونها تسمح ببناء تصور حول طبيعة الأسماء والصور والتفاعلات التي يقيمها أفراد العينة والتي تعبر عن هويتهم الدينية وتمثلهم لذواتهم ولغيرهم من المختلفين عنهم بهذا الشأن. وقد اعتمدنا في إجراء الملاحظة على وضع مجموعة من المؤشرات القبلية كمؤشرات تعكس حضور أشكال التعبير عن الانتماء الديني مثل : الأسماء المستعارة، والصور، والتفاعلات ذات الحمولة الدينية، أو تلك التي ترمز لما هو ديني بشكل صريح، أو ضمني (المظهر الخارجي، الأقوال والنصوص الدينية، الأماكن المقدسة).

- المقابلة الرقمية (عن بعد) : اعتمدنا فيها على منصة Google Forms، وهي منصة مملوكة لشركة Google، تسمح بإجراء استبيانات ومقابلات رقمية عن بعد بناء على دليل للأسئلة وفق تصميم مرن يزاوج بين المعطيات الكمية والنوعية، ومشاركته عن طريق رابط يمكن الولوج له من أي حاسوب أو هاتف محمول مرتبط بشبكة الأنترنت. اخترنا هذه الآلية لسبب منهجين: الأول يرتبط بطبيعة الموضوع، من حيث هو "موضوع حساس بالمجتمع المغربي" (منديب، 2006) خاصة بالنسبة للفئة العمرية التي تشكل عينة هذا البحث. الأمر الذي يصعب المقابلة المباشرة التي قد يكون لها تأثير في نتائج البحث. أما السبب الثاني فيرجع لاعتقادنا في كون " شباب اليوم" يجد في الكتابة على اللوحة الرقمية مساحة أرحب وأريح له من التعبير الشفهي، وهو ما من شأنه أن يوفر له مساحة للبوح يكون فيها أكثر مصداقية في التعبير عن مواقفه وتمثلاته أمام الشاشة منه أمام الباحث الشخص.
- تحليل المضمون: لقد اعتمدنا هذه الآلية المنهجية في تحليلنا لأقوال المبحوثين، سواء تلك المرتبطة بالنصوص الواردة في الصور أو التفاعلات أو التعاليق على صفحاتهم الشخصية على الفايسبوك، أو تلك المعبر عنها من خلال المقابلة الرقمية.

عينة البحث

بخصوص الملاحظة الافتراضية، اخترنا عينة من 50 حسابا فايسبوكيا، مقسمة على نصفين 25 ذكرا، و25 أنثى، ومراعاة للإمكانيات التي يتيحها هذا العالم للمجهولية والتنكر، فقد اعتمدنا في اختيارنا لهذه العينة على معرفتنا الشخصية بهذه الحسابات كونها تدخل ضمن لائحة الأصدقاء الخاصة بحساب الباحث الشخصي من جهة، وبناء على متابعة شخصية لحساباتهم لمدة سنة كاملة. تم التأكد من هوياتهم الجنسية بناء على تفاعلات أصدقائهم مع منشوراتهم الخاصة من جهة ثانية. وقد كان لاختيار هذه العينة معايير وضعناها مسبقا تتأسس على وجود مؤشرات دينية من شأنها الكشف عن الهوية الدينية للمستخدم/المستخدمة. لذلك نعتبره اختيارا موجها لعينة البحث.

أما المقابلة الرقمية، فقد شملت العينة 146 مبحوثا من الفئة العمرية المتراوحة بين 15 و25 سنة، متمدرسين بالمرحلة الثانوية، 52.1 بالمائة ذكورا، و47.9 بالمائة إناثا. توزعت محاور المقابلة على نمطين من الأسئلة : الأولى مغلقة تستوجب الإجابة بنعم أو لا. والغاية من ذلك تحديد المواقف من القضايا المتساءل حولها، بناء على متغير الجنس. والثانية مفتوحة تعطي للمبحوث إمكانية تبرير موقفه بخصوص قضايا تتطلب تحليل تمثلاته وفهم دوافعه الذاتية والاجتماعية.

وفيما يرتبط بعملية تصنيف وترتيب النتائج فقد استعنا بالبرنامج الرقمي "أطلس-تي 9"[(2)]. وهو برنامج لترميز وتحليل محتوى المعطيات الكيفية على الحاسوب. حيث تم ترميز "المؤشرات الدينية الرقمية" وتصنيفها حسب ما هو وارد في الجدولين التالين :

الجدول رقم 1 : ترميز المؤشرات الدالة عن الهوية الدينية الرقمية من خلال الاسم المستخدم باعتماد برنامج أطلس-تي 9.

	ترميز الاسم المستخدم على بروفايل الفايسبوك	
الإناث	- حقيقي/واقعي - يتضمن مؤشرا دينيا	- مستعار - لا يتضمن مؤشرا دينيا
الذكور	- حقيقي/واقعي - يتضمن مؤشرا دينيا	- مستعار - لا يتضمن مؤشرا دينيا

المصدر : عمل الباحث 2024

الجدول رقم 2 : ترميز المؤشرات الدالة عن الهوية الدينية الرقمية من خلال صورة البروفايل باعتماد برنامج أطلس-تي 9.

	ترميز صورة البروفايل المستخدمة على الفايسبوك	
الإناث	- شخصية - وجه مكشوف - تتضمن مؤشرا دينيا - الحجاب/النقاب - صور لأماكن مقدسة/ أدعية/ آيات قرآنية/أحاديث نبوية/شخصية دينية ...	- غير شخصية - وجه مخفي - لا تتضمن مؤشرا دينيا - الصورة النمطية للبروفايل (فارغ) - صورة لشخصية رياضية/فنية/كرتونية... - مناظر طبيعية ...
الذكور	- شخصية - وجه مكشوف - تتضمن مؤشرا دينيا - اللحية/القبعة/"الفوقية - صور لأماكن مقدسة/ أدعية/ آيات قرآنية/أحاديث نبوية/شخصية دينية ...	- غير شخصية - وجه مخفي - لا تتضمن مؤشرا دينيا - الصورة النمطية للبروفايل (فارغ) - صورة لشخصية رياضية/فنية/كرتونية... - مناظر طبيعية ...

المصدر : عمل الباحث 2024

إضافة إلى برنامج إكسال Excel التابع لشركة مايكروسوفت للإحصاء وتوليد الجداول والرسومات البيانية.

مفاهيم البحث الأساسية

1- الهوية الدينية-الرقمية: مؤشرات الرصد والقياس

في بناء هذا المفهوم اعتمدنا إطارا نظريا للباحثة فاني جورج، والتي تميز بين ثلاثة مداخل لدراسة الهوية الرقمية، هي : الهوية التصريحية (تمثل الذات)، الهوية النشطة أو الفاعلة، ثم الهوية المحسوبة (Fanny, 2009).

تعبر الهوية التصريحية عن مجمل البيانات المتعلقة بالهوية التي يصرح بها المستخدم ذاته، وتتكون من البيانات التي يدخلها هذا الأخير مباشرة على الأنترنت، ولا سيما أثناء إجراء تسجيل الولوج للخدمة المقدمة من طرف المنصة أو الموقع (الاسم، السن، الجنس، الصورة، الاهتمامات). فيما تعبر الهوية النشطة عن الرسائل المدرجة بواسطة النظام، والتي تتعلق بأنشطة المستخدم، على سبيل المثال : "x و y أصبحا صديقين الآن". أما الهوية المحسوبة فتتكون من متغيرات

كمية أو نوعية، استنادًا إلى الإعدادات الرقمية الناتجة عن حساب النظام، ويتم التعبير عنها بالأرقام، والمنتشرة في الملف الشخصي للمستخدم، مثل: عدد الأصدقاء، عدد المجموعات (Fanny, 2009).

من هنا يمكن أن نعرف الهوية الرقمية باعتبارها: مجمل أشكال الحضور والظهور الرقمي للمستخدم على منصة التواصل الاجتماعي، والتي تتجلى من خلال معلوماته الشخصية التصريحية: (الإسم، والسن، والجنس، والاهتمامات، وصورة البروفايل)، وكذا مجموع نشاطاته وممارساته وتفاعلاته الرقمية: (المنشورات، والتفاعلات، والتعاليق). والتي يمكن تلخيصها في مختلف الآثار الرقمية الظاهرة، التي يخلفها النشاط الفردي للمستخدم خلال ولوجه لإحدى منصات التواصل الرقمي عبر حسابه الشخصي (العالية، 2023).

أما الهوية الدينية الرقمية، وهو نمط مخصص من الهوية الرقمية، فنستحضر المقاربة التي تقدم بها هيرفي ضوميز لتحديد دلالة المفهوم (Dumez, 2011). والتي تتخذ ثلاثة أبعاد هي : التسمية la dénomination، والفهم la comprehension، والامتداد l'extension.

بخصوص التسمية يتعلق الأمر بالجمع بين لفظتين هما: الهوية الرقمية – الدينية؛ ويحيل ذلك على أننا نضفي طابعا خاصا على الهوية الرقمية، هو الطابع الديني، والذي يضعنا أمام صنف خاص ومخصص من الهوية الرقمية، يمكن أن نسميه ب "الهوية الرقمية الدينية" (العالية، 2023).

وبخصوص بعد الفهم، فإن الأمر يتعلق بالتعريف النظري العام، والذي نعني فيه بالهوية الدينية الرقمية: " مختلف التمثلات والمواقف والأنشطة والممارسات التي يعبر بواسطتها الفرد عن انتمائه الديني رقميا، والتي تمثل الطريقة التي يتصور بها ويتمثل بها ذاته ويظهر بوصفه متدينا داخل الفضاء الرقمي، والتي تتخذ أشكالا وصورا متعددة (العالية، 2023) نختصرها في مفهوم "المؤشرات الدينية الرقمية".

وباستحضار مفهوم المؤشرات الدينية الرقمية، فإننا نستهدف في البعد الثالث: بعد الامتداد، بناء تعريف إجرائي، أي تحديد الدلالة الإجرائية لمفهوم "الهوية الدينية الرقمية" بغية رصد المؤشرات التي تعبر عنها بميدان البحث؛ ذلك أن التعريف الإجرائي لمفاهيم البحث يعتبر خطوة مهمة جدا لقياس الظاهرة المراد دراستها. أمر نستشفه لدى موريس أنجرس بقوله: "إن التحليل المفهومي هو سيرورة تدريجية لتجسيد أو وصف ما نريد ملاحظته في الواقع" (أنجرس، 2006/1996)، تجسيد يتطلب تفكيك المفهوم إلى أبعاده المختلفة التي تشير إلى جوانب من الواقع، وتشكل المستوى الوسطي بين التصور التجريدي والعام للمفهوم والواقع الملاحظ، والتي لا يمكن أن تكون قابلة للقياس دون تفكيكها لعناصر أو سلوكات أو ظواهر فرعية قابلة للعزل والملاحظة والقياس (أنجرس، 2006/1996).

تعبر المؤشرات إذن عن ظواهر ملموسة يمكن بواسطتها قياس الأبعاد التي يؤسس لها المفهوم، والتي تمنحنا القدرة على عزل الظواهر التي نود ملاحظتها باعتبارها دالة وتسمى ب"العلامات الملاحظة" (أنجرس، 2006/1996).

بناء على هذا المعطى المنهجي لدوميز وأنجرس، وباستحضار المقاربة التي تقدمت بها فاني جورج حول أبعاد الهوية الرقمية، يمكن تحديد الأبعاد والامتدادات المؤسسة لمقاربتنا البحثية لمظاهر وتجليات الهوية الدينية الرقمية لدى عينة الشباب المغربي من خلال:

- المؤشرات المعبرة عن الهوية الدينية الرقمية التصريحية: الإسم أو اللقب المصرح به، السن، الجنس، المستوى التعليمي، صورة البروفايل.
- المؤشرات المعبرة عن الهوية الدينية الرقمية الفاعلة/النشطة: المواقف المعبر عنها كتابة، التفاعلات والتعاليق. وقد استعنا في تحليل هذه التعاليق والتفاعلات، فيما يرتبط بالموقف من المختلف دينيا (مشاركته لمناسباته الدينية على الفايسبوك خاصة)، بأقوال المبحوثين المستقاة عن طريق البحث الموازي الذي أجريناه عبر منصة Google Forms.

2- الشباب فئة اجتماعية عصية عن العزل والتحديد

"إن رد الفعل المهني لعالم الاجتماع هو أن يتذكر أن التقسيمات بين الأعمار أمر اعتباطي" (Bourdieu, 1984). هكذا رد بيير بورديو عن سؤال مشكلة الشباب، وهو رد يعبر عن كون محاولة العمل على تحديد الفئة المسماة (شباب)، تبقى محاولة محدودة ونسبية وتتأثر بالثقافات والأزمنة. إنها فئة ذات خصائص اجتماعية غير محددة (Zerhouni et al., 2019) وغير متجانسة لدرجة أن بعض علماء الاجتماع شككوا في وجودها (Rachik, 2006)، كما أن الحد الفاصل بين الشباب والشيخوخة، يؤكد بورديو (1984)، هو في الواقع قضية صراع في كل المجتمعات.

يوضح حسن رشيق (2006) أن هذا المفهوم لم يكن واردا في الثقافة المغربية في بدايات القرن العشرين، حيث كان التقسيم الاجتماعي للفئات العمرية يمر عبر مرحلتين فقط هما: مرحلة الطفولة، ومرحلة "البلوغ". بالنسبة للصبي الذكر يشكل طقس الختان مرحلة العبور من عالم الأنثى إلى عالم الرجال، فيما تمثل علامات البلوغ الأولى بالنسبة للفتاة إعلانا عن خروجها من عالم الأطفال اللاجنسي وتقربها من عالم المرأة.

إضافة إلى هذا التصنيف القائم على طقوس العبور الجنسي، اعتبر العمل وتحمل بعض المسؤوليات في إطار العائلة أو القبيلة، رمزا لولوج عالم "الكبار"، إذ كان يكفي للصبي أن يصوم، أو يركب حصانًا، أو يحمل سلاحا، ليصبح رجلا (Rachik, 2006). لكن وعلى الرغم من هذا التصنيف القائم على مؤشرات ثقافية طقوسية معينة، فقد عرف المغرب شأنه شأن المجتمعات التقليدية تصنيفا أكثر تعقيدًا لمراحل الحياة مما قد يوحي به التقسيم البسيط للطفولة والبلوغ والشيخوخة. إذ تشير عدة كلمات (تختلف حسب المنطقة) إلى أن المغرب شهد بين الطفل والبالغ مراحل متوسطة من الحياة متفاوتة الطول. والأكثر شيوعا هو ما يشير إلى فكرة الشاب في طور الزواج: مثل (*العزري*، للشاب. و*العزبة* للشابة). وهي تصنيفات تتميز بوضوح عن الكلمات التي تشير إلى الطفولة مثل: (*دري derri*، *طُفُل*، *دريا derria*؛ *طُفْلَة*) (Rachik, 1991).

من زاوية نظر رسمية غالبا ما تعبر فئة الشباب عن الفئة العمرية القادرة على العمل والإنتاج الاقتصادي داخل المجتمع، وهو المعيار ذاته الذي تعتمده المندوبية السامية للتخطيط بالمغرب إذ نجد في تقرير لها نشر سنة 2004 العبارة التالية: "منذ أكثر من عشرين عاما، فإن التركيبة العمرية لسكان المغرب اليوم تتميز بغلبة الشباب" (المندوبية السامية للتخطيط، 2004). وبالتمعن في الأرقام والنسب التي تربطها هذه المؤسسة بمفهوم الشباب سنجدها في أغلب التقارير تتحدث عن فئة عمرية في سن العمل القانونية، والمحددة في 15 سنة (مدونة الشغل المغربية، 2021).

إن المنظور الرسمي يعتبر الشباب كل من هو في سن العمل، وإن كانت المندوبية تقدم بعض الأرقام العمرية التي تتراوح بين 15 و24 سنة، أو بين 15 و40 سنة كتوصيف لهذه الفئة، فإنها تعتبرها من زاوية نظر القدرة على العمل والمساهمة في الإنتاج الاقتصادي فقط. والواقع أن هذا التحديد الإحصائي في حاجة لمزيد من التوضيح، حتى ندرك أبعاده الاجتماعية المتداخلة والمختلفة، "فالتقسيمات، سواء في الفئات العمرية أو في الأجيال، متغيرة تمامًا وتشكل موضوعًا للتلاعب" (Bourdieu, 1984)، كما أن الشباب أو الشيخوخة ليسا مجرد بيانات أو أرقام إحصائية، وإنما هي أدوار وتقسيمات يتم بناؤهما اجتماعيا، وتتأثر بالتغيرات الاجتماعية (Bahri et al,. 2024).

لقد كان لعوامل متعددة مثل تعميم التعليم المدرسي، والتحولات التي مست مجال العمل، والتي رافقت تغير أنماط العيش والإنتاج الاقتصادي بالمغرب نتيجة لمزيد من التمدن، وظهور وظائف عمل جديدة تختلف عن تلك التي كانت ترتبط بوظائف العائلة (*حرفة بوك لا يغلبوك*)، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، تأثيرا كبيرا على تعريف مفهوم الشباب وتحديد طبيعته ؛ ذلك أن التمدرس والولوج التدريجي لوظائف عمل مستحدثة بعيدا عن "حرفة الأب"، سيكون له بالغ الأهمية في استقلالية الأبناء عن العائلة، ومنه على مدة الشباب ومحتواه (Rachik, 2006). فقد عرف المجتمع المغربي منذ استقلاله مجموعة من التغيرات العميقة بشكل تدريجي، ستنعكس على بنية الأسرة المغربية، وعلى العلاقات

داخل هذه الأسرة ومنه على العلاقات بين الأجيال (Bourkia, 2010). إذ "تظهر الدراسات الاستقصائية، التي أجريت في المناطق الريفية أو الحضرية، أن الشباب يسعون إلى تمييز أنفسهم، في العديد من جوانب الحياة الاجتماعية، عن جيل آبائهم" (Rachik, 2006). الأمر الذي يخلق في الواقع صراعا بين القيم، صراع يتجسد في النظرة للدين والهوية الدينية أساسا. إذ يظل الدين المصدر الأسمى للقيم ويشكل نظرة الإنسان المغربي عموما والشباب خصوصا لذاته وهويته وللعالم والآخر ويوجه نمط حياته وتقاليده (Bourkia, 2010).

غير أن نظرة الشباب للدين، وكذا الكيفية التي يظهر بها هويته الدينية ويوظف فيها الدين كمرجع لقراءة الأحداث والحكم على الوقائع الاجتماعية باتت تتأثر بعوامل عديدة، تجعل علاقته بالدين تختلف عن تلك التي لأجيال الآباء. فقد كشف المسح الوطني للقيم، أن التعلق بالدين يتأثر بطبيعة كل جيل؛ بحيث يعتقد 64% من المستجوبين أن التعلق بالدين أكثر قوة لدى جيل الآباء منه لدى جيل الأبناء. بينما تشكل نظرة الشباب للمعرفة الدينية يبين نفس المسح تعتبر أن 49% فقط من جيل الآباء على دراية عميقة بالدين، مقابل 51% لصالح الشباب. ما يفسر - وإن بدا الرقم الأخير متكافئا - تحولا ملحوظا في نظرة الشباب للدين، وقدرتهم على التمييز بين الدين كممارسة والدين كمعرفة وتمثل (Bourkia, 2010). الأمر الذي من شأنه أن ينعكس على إدراكهم لهويتهم الدينية ولهوية غيرهم من المسلمين.

يرتبط هذا التحول بمتغيرات أهمها الولوج للتعليم، وتنوع أنماط العمل، وظهور أنواع جديدة من الأسر، كما ساعدت العولمة والشبكات العابرة للحدود الوطنية على التمهيد للنقاشات والتحديات الثقافية التي ستضع القيم والمرجعيات القيمية موضع تحد وتفاوض بين المؤسسات التقليدية للتنشئة الدينية (الأسرة والفقيه) والأفراد (الشباب) الذين أصبحت لهم القدرة على الولوج لمصادر متنوعة ومستحدثة للمعرفة الدينية نتيجة لانتشار الأنترنت.

تشكل الأنترنت بالنسبة ل"جيل اليوم"[3] أهم مصدر لترويج واستهلاك المعلومة الدينية، وأبرز منصة للتعبير عن الهوية والمشاركة الدينية، إذ كثيرا ما نسمع اليوم عبارات من قبيل "جيل الإنترنت" أو "جيل الإعلام" أو "المواطن الرقمي" (Moberg et al., 2020)، وهي مسميات لوصف نمط الحياة الرقمي الذي بات سائدا بين فئة الشباب، وصار يشكل جزء لا يتجزأ من حياتهم وممارساتهم اليومية، إن لم نقل الجزء الأكبر من زمن هذه الحياة.

إن حياة الشباب اليوم، صارت مشبعة بانتشار الأنترنت، وإمكانية الولوج لها أمست متاحة للأغلبية منهم إن لم يكن للجميع. ويتجسد ذلك في الاستعمال المكثف لوسائط ومنصات التواصل الاجتماعي، التي أضحت تشكل الفضاء المفضل للظهور والتفاعل بين أفراد هذه الفئة من المجتمع وخاصة التعبير عن تمثلاتهم حول ذواتهم وهويتهم الدينية. فقد سمح الولوج للأنترنت وعولمة العلاقات الانسانية، بحركية كبيرة للقيم، ما يقدم للأفراد والجماعات فرصة أكبر لاختيار استراتيجيات القيم التي تلائم جيلهم وعصرهم (Bourkia, 2010).

إن المعايير الضمنية أو الصريحة لتحديد فئة الشباب من الناحية الأكاديمية كعينة للبحث تطرح تحديا حقيقيا أمام الباحث في العلوم الاجتماعية (Rachik, 2006)، غير أنه هناك طريقتان شائعتان ميزتا الإرث السوسيولوجي بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن العشرين، لعزل هذه الفئة وهما:

- الطريقة الأولى التي تجعل الشباب متطابقا مع فئة عمرية تتراوح بين 15 و30 عاما.
- والطريقة الثانية تنبني على معايير نوعية؛ ترتبط بتقسيمات اجتماعية وثقافية كالقدرة على أداء بعض المهام والأدوار الاجتماعية (Rachik, 2006).

سنعمل في هذا المقال إذن على محاولة المزاوجة بين الفئة العمرية المتراوحة بين 15 و30 سنة، وكذا المتغيرات الاجتماعية التي ميزت المجتمع المغربي خلال هذه الفترة أي ما بين التسعينات والعقد الأول من القرن العشرين، والتي شكلت فترة عرف فيها التعليم تعميما واسعا، وأضحى الولوج للإعلام العالمي بفعل سياسة تعميم الربط بشبكة الكهرباء متاحا للأغلبية، فضلا عن انتشار الأنترنت، وهو الأمر الذي نعتقده سيشكل فارقا في تشكيل الهوية الدينية للشباب

ويتيح لهم الفرصة للتعبير عنها ومشاركة تمثلاتهم وأحكامهم الدينية بشكل يتجاوز الممارسات التقليدية وسلطة المؤسسات الكلاسيكية.

فكيف ينعكس ذلك على نظرة الشباب لهويتهم الدينية على مستوى الفايسبوك؟ وكيف يوظف الشباب الرقمنة للتعبير عن هويتهم الدينية وتمثلهم الديني لذواتهم ولغيرهم من المختلفين عنهم دينيا؟ هل يتقبلون حضور غير المسلم رقميا، وتعبيره عن هويته ورموزه الدينية أم يرفضون ذلك؟

مقاربة كرونولوجية موجزة لنشأة وتطور دراسات التدين الرقمي

يمكن النظر لمجمل الدراسات المختلفة التي خصصت للعلاقة بين المجالين الرقمي والديني في إطار موضوع واحد هو : "الدين الرقمي" Digital Religion (Campbell, 2013)، والتي تسعى في أغلب جوانبها إلى دراسة وفهم الخصائص العامة والخاصة "للتجربة الدينية الجديدة" (Campbell, 2005)، كتجربة أضحت تعاش بفضل تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، في أبعادها الفردية والجماعية.

لقد تطورت الأبحاث متعددة التخصصات في العلاقة بين الدين وتقنيات الوسائط الرقمية الجديدة إلى مجال حيوي للبحث يشار إليه باسم "أبحاث الدين الرقمي" والتي تمتد على مدى ثلاثة عقود (Campbell, 2017). تميز هايدي كامبل وميا لوفهايم (Campbell and LÖvheim, 2011) بين أربعة موجات رئيسية، شكلت مسارا لنشأة وتطور هذا المجال من البحث هي :

1- الموجة الأولى : المرحلة الوصفية

يمكن اعتبارها مرحلة للملاحظة والاستكشاف، اتخذت خلالها الدراسات المنجزة وظيفة توصيفية توثيقية للأشكال الأولية لحضور التدين والممارسات الدينية على الإنترنت. ظهرت أولى الأبحاث في منتصف التسعينيات عندما بدأ العلماء بتوثيق الطرق المختلفة التي كان المستخدمون والمجموعات الدينية يتفاعلون بها على الإنترنت ويوظفونه في ممارساتهم الدينية، واستقطاب المتدينين لمشاركة معتقداتهم، ونشر المعلومات الدينية (Campbell, 2013). فقد وثق رينجولد هوارد، في كتابه "المجتمع الافتراضي" في بداية التسعينات، بعض أشكال الممارسات الدينية التي بدأت تظهر على الفضاءات الرقمية المبكرة، كمنصات النقاش "Bulletin Board Systems (BBS)" والتي كان من أهم قضاياها الموضوعات الدينية (Goodwin, 2017).فيما ذهب كل من ستيفان أوليري وبريندا براشر في بحثهما الرائد "الإله المجهول للأنترنت" إلى وصف الكيفية التي يمكن أن يؤثر بها الأنترنت على الدين التقليدي، والذي ركزا فيه على تقديم صورة عن توظيف الجماعات الدينية للإنترنت من أجل الوصول لجمهور أكبر (O'Leary and Basher, 1996). وقد اعتبر هذا العمل بمثابة نظرة عامة تأسيسية عن كيفية بدء تفاعل الدين مع الفضاء الرقمي، وظهور الأشكال الأولى للتدين في بيئات الأنترنت. أعقب ذلك مقال تاريخي بعنوان "الفضاء السيبيراني كفضاء مقدس"، يشرح فيه أوليري بالتفصيل ظهور الدين على الإنترنت من خلال وصف كيفية أداء الطقوس عبر الإنترنت، واستيراد المستخدمين حياتهم الدينية للفضاء السيبيراني (Campbell, 2011).

في هذه المرحلة تم استخدام مفهوم "الدين السيبراني" لاقتراح أنواع جديدة من المجتمع الديني وممارسة الطقوس، وتوضيح أن تحالفا جديدا كان ناشئا بين تكنولوجيا الكمبيوتر والدين، حيث جرب الناس نقل حياتهم الروحية والعقلية وممارساتهم العقائدية إلى الفضاء الإلكتروني، يقول باونس في وصفه للأشكال الأولى لاستخدام الجماعات الدينية للأنترنت في مقالته "استكشاف العلاقة بين الروحانية والتكنولوجيا" : "هناك حياة روحية نشطة في الفضاء السيبراني. وفي حين أثرت كل وسيلة إعلامية على الثقافة، فإن الإنترنت تعمل على خلق حركات اجتماعية تستمد هويتها من الفضاء

الإلكتروني. ويؤكد هذا التطور أن الإنترنت ليست مجرد وسيلة، بل هي مكان حقيقي، وبيئة رقمية لحياة العقل" (Bauwnes, 1996).

لقد تميزت هذه المرحلة بتركيز الباحثين على وصف وتوثيق كيفية تواجد الطقوس والعبادات والمعتقدات والممارسات الدينية بالفضاء الرقمي، مثل: دراسة الطقوس الرقمية عند "النيو-باغانيين" في بداية الألفية الثالثة، والتي وصفت كيفية اعتماد هؤلاء الأفراد على الإنترنت لإقامة طقوسهم والتفاعل مع مجتمعات روحية مشابهة. أشارت الدراسة إلى الدور الذي يلعبه الإنترنت في خلق فضاءات افتراضية للطوائف الدينية غير التقليدية، أو دراسة الاستخدام الديني للمنتديات ومجموعات الدردشة (Fernback, 2002).

ورغم أن هذه الدراسات لم تقدم تحليلا معمقا للآثار الناجمة عن استخدام الأنترنت على القيم أو الهوية أو سلطة المؤسسات الدينية التقليدية، فإنها شكلت مرحلة تأسيسية، مهدت لاستكشاف تأثير الأنترنت على الممارسات والمجتمعات الدينية في المراحل اللاحقة، حيث تم اعتبار الإنترنت وسيلة جديدة لتعبير الجماعات والأفراد عن معتقداتهم بعيدا عن القيود المفروضة من طرف المؤسسات والتعاليم الدينية التقليدية.

2- **الموجة الثانية : مرحلة التصنيف**

في هذه المرحلة، سيتجه الباحثون لمحاولة تصنيف الأنماط والاتجاهات المختلفة للممارسات الدينية الرقمية، حيث أنشأوا فئات مثل "الدين على الإنترنت" (Religion Online) الذي يمثل الأنشطة الدينية التقليدية المنقولة والممارسة بالفضاء الرقمي، و"الدين عبر الأنترنت" (Online Religion) الذي يحيل على أشكال جديدة للروحانية تتناسب مع بيئة الإنترنت أو تم إنتاجها داخل هذه البيئة (Campbell, 2013). يقدم هيلاند هذا التصنيف من أجل توضيح الاستخدامات الدينية للأنترنت على أساس إذا ما كانت المعلومات والطقوس تعتمد إلى حد كبير على مصادر وممارسات غير متصلة بالإنترنت أو على أشكال ناشئة عن ممارسة الدين عبر/داخل الإنترنت ذاته (Helland, 2000).

يشمل "الدين على الإنترنت" المواقع والمنتديات التي تقدم محتوى دينيا مستمدا من الممارسات التقليدية، مثل الصلوات والطقوس والتعليم الديني، ويهدف إلى نقل الدين التقليدي إلى الفضاء الرقمي، كما يهدف لجعل الدين أكثر قابلية للانتشار والوصول لأكبر فئة من "المتدينين"، حيث يمكن للأفراد قراءة النصوص المقدسة، والمشاركة في الصلوات، والاستماع إلى المحاضرات الدينية على الإنترنت، ولكن دون أن يعمل على تغيير جوهر الممارسة الدينية أو الهيكل التقليدي للسلطة الدينية. (Helland, 2000)

أما "الدين عبر الأنترنت" أو "الدين الرقمي" فيهتم بالأشكال الجديدة من الروحانية التي تنبثق وتبتكر وتنتشر في الفضاء الرقمي. ويعتمد هذا النوع على تطوير ممارسات دينية غير تقليدية تتماشى مع خصائص البيئة الرقمية، وتمكن الأفراد من ابتكار وممارسة تجارب دينية تتجاوز الطقوس والقيم التي تحددها المؤسسات الدينية التقليدية. في هذا السياق، يشكل الأنترنت مساحة مفتوحة للتجريب الروحي، وتخصيص الممارسات الدينية وإعادة تفسير الدين بطرق مبتكرة تشمل مجموعات الدردشة الدينية، التي توفر مساحات رقمية لتفاعل المتدينين فيما بينهم ومناقشة أفكارهم ومعتقداتهم بنوع من الحرية تتجاوز الأعراف الدينية الرسمية، كما تسمح بممارسة الطقوس الافتراضية، بشكل تام على الأنترنت: كالطقوس الجماعية التي تبث عبر المنصات الرقمية (Helland, 2000). بهذا المعنى يتيح "الدين الرقمي" للأفراد أن يختبروا الدين بطريقة تتناسب مع احتياجاتهم الشخصية وطبيعة الفضاء الرقمي، بعيدًا عن القيود التي تفرضها الأديان التقليدية.

خلال هذه المرحلة تطورت دراسات الدين الرقمي لتنتقل من أعمال التوثيق إلى تصنيف الأنماط والاتجاهات المختلفة للممارسات الدينية على الفضاء الإلكتروني. حيث ركز الباحثون على التفريق بين الطرق التي يستخدم فيها الأنترنت

كوسيلة لنقل وممارسة الدين التقليدي بالفضاء الرقمي، وبين تلك التي تنتج كأشكال جديدة من التعبير الديني ((Campbell and Lovheim, 2011).

3- الموجة الثالثة : المرحلة النظرية

تشكل هذه المرحلة مساحة بحثية مهمة في مسار تطور أبحاث "الدين الرقمي" حيث سيعمل الباحثون على ابتكار أطر نظرية لتحليل استراتيجيات المجتمعات الدينية في تعاملها مع الوسائط الرقمية الجديدة. منتقلين بذلك من محاولتي التوثيق والتصنيف اللتان طبعتا المرحلتين السابقتين، إلى دراسات تستهدف التحليل المعمق لفهم كيفيات تأثير الوسائط والفضاءات الرقمية على التمثلات الدينية وأنماط التدين، بغية بناء أطر نظرية لكشف طبيعة العلاقات المعقدة والتفاعلات المركبة بين الدين والسلطة والهوية والأنترنت (Campbell, 2017). شكلت نظريات مثل : الوساطة، والتشكيل الاجتماعي للتكنولوجيا، وإطار التفاوض، وإطار إعادة تشكيل السلطة الدينية. أبرز النظريات التي اهتمت بتناول كيفية تطور الدين داخل الفضاء الرقمي وفهم تأثير الأنترنت على الطقوس والعقائد الدينية وعلى الهوية الدينية، وسلطة المؤسسات الدينية التقليدية (Campbell, 2010) .

تم اعتماد نظرية الوساطة لفهم الكيفية التي تؤثر بها الوسائط الرقمية على نقل وتشكيل المعاني داخل المجتمعات الدينية. بهدف تحليل كيفية إعادة تشكيل التجارب الدينية باعتماد تلك الوسائط (Serelle, 2016) . فيما تم اعتماد نظرية التشكيل الاجتماعي للتكنولوجيا لفهم الكيفية التي تستخدم بها الجماعات الدينية الإنترنت كوسيلة لإعادة تعريف وتأكيد هويتها، ولفهم كيفية تأثير الأيديولوجيات الدينية على استخدام التكنولوجيا (Barzilai et al., 2005). أما إطار التفاوض الديني مع التكنولوجيا فقد تم تطويره كإطار نظري لفهم الكيفية التي تقوم الجماعات الدينية من خلالها بتكييف استخداماتها للتكنولوجيا الرقمية بطريقة تتناسب مع قيمها وعقائدها، فتتقبل جوانب معينة من التكنولوجيا وترفض أو تعدل أخرى (Campbell, 2010). قدمت كامبل بهذا الخصوص كشفا عن كيفية تبني الجماعات الدينية للتقنيات الجديدة بشكل انتقائي، وفقا لمعايير تتماشى مع معتقداتها. مستندة على عدة دراسات حالة همت كل من المجتمعات المسيحية والإسلامية واليهودية التي تتفاوض مع التكنولوجيا الرقمية (Campbell, 2010). حيث يستفيد المستخدمون المتدينون من بعض المنصات الرقمية الحديثة لتقديم وجهات نظر بديلة ومتنوعة حول الدين، وهو ما يسمح لهم بإعادة صياغة وتشكيل هوياتهم الدينية ضمن فضاء حر مثل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لنشر التعليم الديني مع تجنب الميزات التي قد تعتبر مخلة بالمبادئ الدينية.

لقد ساهمت هذه المرحلة في بناء فهم نظري أعمق لتأثير التكنولوجيا على الدين، ومهدت الطريق لدراسات أكثر تعمقا حول تفاعل العوامل الرقمية والدينية في حياة الأفراد والجماعات، وفتحت المجال لتناول العديد من القضايا الدينية الناشئة بالفضاء الرقمي.

4- الموجة الرابعة : التداخل والتكامل

المرحلة التي يركز فيها الباحثون على دراسة العلاقة المتداخلة بين الممارسات الدينية الرقمية وغير الرقمية، ساعين لفهم كيفية تفاعل العالمين الرقمي والواقعي وتأثيرهما المتبادل على الممارسات الدينية والهويات الروحية. إذ لم يعد ينظر لهذين العالمين كفضاءين منفصلين، بل متكاملين ومتداخلين، ولم تعد الأنترنت مجرد أداة إضافية للممارسات الدينية، بل أصبحت جزء لا يتجزأ من الحياة الدينية للأفراد، تتداخل فيها التجربة الرقمية مع الحياة الواقعية لتشكيل هوية روحية متكاملة (Campbell, 2012). إذ أضحت الوسائط الرقمية تشكل "المساحات الثالثة"، حيث يمكن للأفراد تخصيص تجربتهم الدينية وإنشاء مجتمعات روحية رقمية تعتبر امتدادا للعالم الواقعي(Hoover and Echchaibi, 2014). الأمر الذي سمح بالمشاركة في الطقوس الدينية بمرونة أكبر، وصار من الممكن إنشاء "مجتمعات روحية افتراضية" كامتداد للمجتمعات الواقعية، ما سمح بمزيد من التواصل والتفاعل ضمن بيئة رقمية تستوعب احتياجاتهم الروحية الفردية

والجماعية. يعتبر موقع *Alt-Muslim* نموذجا لبناء "مساحات ثالثة" للمسلمين، حيث يستخدم الإعلام الرقمي لتقديم صورة حديثة عن الإسلام تتجاوز الأشكال التقليدية. ويشجع الموقع على حوار مفتوح وتفاعلي بين المسلمين حول القضايا الحديثة، مما يخلق تجربة دينية جديدة تعتبر "أصيلة" لدى المتابعين (Echchaibi et al., 2013).

ونتيجة لما أتاحه الفضاء الرقمي من مساحة لا محدودة زمكانيا، وللحرية التي باتت في متناول الأفراد فقد أصبحوا قادرين على إعادة تشكيل هوياتهم الدينية، والتعبير عنها بكيفية شخصية وتفاعلية، كمزيج مركب تتداخل فيه العوامل الرقمية وما تتيحه من إمكانيات تكنولوجية من جهة، والعوامل التقليدية المرتبطة بمعتقداتهم وممارساتهم الدينية الواقعية (Campbell and Evolvi, 2020) من جهة ثانية. لقد صار بالإمكان استكشاف هويات دينية مختلفة ومتنوعة ومبتكرة بالعالم الرقمي والتعبير عن المعتقدات بطرق متعددة تتجاوز الحدود التقليدية للسلطة الدينية.

تنبهت السلطات الدينية التقليدية لتأثير المد التيكنولوجي على أنماط التدين، فسعت بذلك عبر مؤسساتها الدينية لتعزيز سلطتها بالفضاء الرقمي، حيث ستظهر هذه المؤسسات والقادة الدينيون كمؤثرين في العالمين الرقمي والتقليدي، وسيحاولون بناء علاقة متكاملة بين هذين العالمين (Hoover and Echchaibi, 2014). ما سيدفعهم لتطوير أساليب واستراتيجيات تعزز شرعيتهم الدينية في الفضاء الرقمي والترويج الديني بما يتماشى ومعطيات العالم الرقمي للحفاظ على سلطتهم كما هو الشأن للمؤثرين الدينيين بوسائل التواصل الاجتماعي (Bolongaro et al., 2013) .

بهذا المعنى لم يعد ينظر إلى الفضاء الرقمي كبديل للحياة الدينية الواقعية أو كامتداد لها وحسب، وإنما أضحى جزء حقيقيا ومؤثرا في التجربة الروحية والاجتماعية اليومية للأفراد والجماعات والمؤسسات الدينية.

نتائج البحث الميداني

1- الإسم المستخدم كتعبير عن الهوية الرقمية

نعلم أننا كأفراد لم نختر أسماءنا، وأن الأمر يتعلق بمعطى اجتماعي سابق عن إرادتنا. إنه اختيار للأبوين أو لأحد أفراد الأسرة، مهما يكن فنحن لم نستشر فيه أو يؤخذ برأينا أو موقفنا. وهي أسماء ترتبط بهويتنا الاجتماعية الواقعية، كما أنها تأخذ طابعا رسميا عندما تدون بسجلنا الرسمي للولادة. إنه إسم يعبر عن الانتماء الهوياتي للجماعة التي ولدنا فيها ويخضع لمعايير ثقافية واجتماعية محددة.

مع ظهور الأنترنت والإمكانيات التي أضحت تتيحها منصات التواصل الاجتماعي، لبناء وإدارة وتسويق الهوية الذاتية (Marwick and Boyd, 2011) بكيفية ذات طابع اختياري (نوعا ما) أصبح بإمكان الأفراد ابتداع أسماء وألقاب تعبر عن ذواتهم وغاياتهم الخاصة، غير أن هذه الألقاب والأسماء (المستعارة) وإن كانت تعكس نوعا من الخصوصية والذاتية، فإنها لا تخلو من أبعاد قيمية وتعبر عن الانتماءات الثقافية، وترتبط بسياقات اجتماعية محددة، وتستهدف الترويج للذات بكيفية تأخذ بعين الاعتبار الجمهور المستهدف. ذلك أن كل بناء للذات يستلزم استراتيجية تهدف إلى أداء فعل اجتماعي أو تحقيق هدف اجتماعي معين (Van house, 2009).

من بين الخمسين حسابا "فايسبوكيا" تمت معاينة أسمائهم المستخدمة، وجدنا أن 29 مبحوثا يستخدمون أسماءهم الحقيقية، مقابل 21 يستخدمون أسماء مستعارة. الأمر الذي أكده البحث الميداني الذي أجريناه حول عينة من 123 شابا وشابة والذي كانت نتيجته على النحو التالي:

الشكل البياني رقم 1 : استخدام الاسم الشخصي الحقيقي على الفايسبوك

المصدر : بحث ميداني شخصي باعتماد منصة google forms 2024.

الملاحظ أن 65 بالمائة صرحوا بكونهم يستخدمون أسماءهم الحقيقية مقابل 35 بالمائة البقية صرحوا بالعكس، أي استخدامهم لأسماء مستعارة، وهو ما يمثل الثلثين من المبحوثين مقابل الثلث فقط. ولئن كانت الفئة الأولى تشكل الأغلبية، فهذا يعبر عن ميل الشباب اليوم نحو مزيد من الإفصاح عن الهوية الذاتية الحقيقية بالعالم الرقمي (Farahbakhsh et al., 2013)، ويعكس الرغبة في التعبير عن نوع من المصداقية والأصالة، والنحو نحو بناء تطابق بين الهوية الواقعية والهوية الرقمية للمستخدم(Hine, 2000).

إن اختيار الإسم أو اللقب المعبر عن الهوية الرقمية لمستخدم الأنترنت يعكس وعيا مسبقا بطبيعة الجمهور المستهدف والسياق الاجتماعي الافتراضي للظهور؛ غير أن هذه الهوية لا تعكس دوما الهوية الواقعية، وإنما تعبر عن بناء مستمر ومتغير يتأثر بطبيعة التفاعلات الاجتماعية، وكذا بالإمكانيات الرقمية التي تتيحها المنصات المستخدمة (Miller, 2000).

إذ يعتمد في عرض الذات رقميا "من خلال الإسم" على أساليب متنوعة، تشمل الرمزية والاستعارة وتتغيا تصدير رسائل محددة والترويج الذاتي لقيم وانتماء هوياتي معين (Marwick and Boyd, 2011). يؤكد جوفمان أن العرض المتعمد للذات هو استراتيجية أساسية جدًا لنحت الشخصية المراد ترويجها أمام الجمهور (Van dijck, 2013). الأمر الذي نستشفه من خلال الألقاب والأسماء المستعارة المستعملة من قبل بقية المبحوثين من قبيل: (اركب معنا، تقتي بالله تكفيني، الثائر على الظلم، المؤمنة بالله، الحياة أمل، آيات الله. وغيرها)[4]

إن لاختيار هكذا ألقاب وأسماء مستعارة علاقة وطيدة بما يسميه مارويش (2011)، "الجمهور المتخيل" Imagined Audience، فعندما يختار المستخدم إسما محددا أو لقبا معينا، فإنه بذلك يستهدف فئة محددة من جمهوره المتخيل أو المفترض. لقب مثل (المؤمنة بالله مثلا) يتوجه برسالة ذات حمولة دينية تعكس الانتماء الديني للمستخدم، وفي العادة تكون موجهة لجمهور متخيل يعكس نفس الانتماء والتوجه الديني. وهو لقب يحيل على رغبة صاحبه في التسويق لهوية ذاتية دينية كجزء من مجتمع ديني معين. لقب أو إسم ذا حمولة سياسية ثورية مثلا (الثائر على الظلم) يعكس رسالة سياسية لجمهور متخيل سياسي، كما يعبر عن الهوية والتوجه السياسي لصاحبه.

وإذا كانت الأسماء المستعارة والرمزية تعبر عن نوع من الخصوصية ورغبة في التميز أو التعبير عن قيم معينة وتروج لانتماءات ثقافية أودينية أو سياسية محددة. فإن الملفت للنظر من خلال عينة حسابات فئة من الشباب والشابات هو نحو الإناث أكثر من الذكور لاستخدام هذه الألقاب المستعارة، حيث إن 17 مبحوثة من أصل 25 تستخدمن أسماء مستعارة، في مقابل 4 ذكور فقط يستخدمونها من أصل 25 مبحوثا.

الشكل البياني رقم 2 : توزيع الأسماء المستخدمة بين الحقيقية والمستعارة حسب متغير الجنس

المصدر: بحث ميداني شخصي 2024

الأمر الذي يعكس ميل الإناث الأكثر لإخفاء هويتهن الحقيقية، وهي مسألة يمكن تفسيرها بعدة دوافع أبرزها طبيعة علاقة المرأة المغربية بالفضاء العام، الذي يعتبر الفايسبوك نموذجا رقميا له، بل وفضاء أوسع من الفضاء الواقعي ذاته، يكون فيه على المرأة أن تظهر فيه الالتزام والخضوع والترويج لما من شأنه أن يحفظ "شرف الأب والإخوة والعائلة ككل"، أمر أكدته الكثير من المبحوثات في تبريرهن لاختيار أسماء مستعارة بدل أسمائهن الحقيقية، إذ صرحت إحداهن قائلة : " لان لا احب ان يتعرفون على اسمي"[5]، مضيفة أخرى :"لأنني اريد أن أبقى مجهولة"، وأكدت إحداهن بالقول : "ما يمنعني من استخدام اسمي في الفايسبوك هو عدم معرفة العائلة لي لكي لا يعرفو عني كل شيئ".

وباستحضار السياق الاجتماعي لعينة البحث فإن الفتاة الشابة تكون تحت المراقبة الاجتماعية أكثر من الشاب الذكر الذي يتمتع بمجال أرحب لاستغلال الفضاء العام والتعبير عن ذاته بكيفية تتجاوز تلك المراقبة أو الخضوع. لذلك نجد أن استخدام الإناث للأسماء المستعارة أكثر من الذكور يرجع أساسا لمحاولة **مفاوضة السلطة التقليدية للمجتمع** في الظهور والتعبير عن الذات والحضور بالفضاء العام، وهي استراتيجية تعكس قدرة المرأة على التكيف مع كل الإمكانات المتاحة للتحرر، التي أضحت تقدمها وسائل التواصل الاجتماعي في أشكال وآليات متعددة نستشف بعضها في مستوى الصور لاحقا.

لا يشكل "اختيار" الاسم في الحساب الشخصي مجرد خطوة عشوائية؛ وإنما هو استراتيجية توظف للتعبير عن الهوية الذاتية، ووسيلة للظهور وإدارة الحساب، وبناء المصداقية. ذلك أن الاسم الرقمي يعبر عن جزء من الفاعلية الاجتماعية التي تميز الشخصية في الواقع الرقمي، ويبرز الفهم المسبق والوعي التام للمستخدم بكيفية توظيف هذا العالم والتفاوض مع الجمهور المتخيل الذي يستهدفه.

2- الصورة الشخصية والهوية الدينية

"تعد دراسة معنى الصورة فرصة مميزة (...) لفهم الانتظام الموضوعي للسلوكيات والتجربة الحية لهذه السلوكيات" (Burgelin,1966). فالصورة باعتبارها رسالة بصرية تتضمن عدة أنماط من "العلامات والإشارات" للذات وللآخرين، تشكل أداة تعبير واتصال تتجاوز كونها مجرد توثيق للحظة زمنية ذاتية (جولي، 2011/2009).

فقد أضحت الصورة أداة للتواصل الاجتماعي (Frosh, 2015)، وتكريسا لرغبة الذات في إيجاد موقع لها ضمن مجموعة من الارتباطات والعلاقات، وخلق نوع من التفاعل مع الجمهور الرقمي. كما سمحت إمكانيتي الاستخدام والمشاركة "العمومية" للصور الشخصية على الفايسبوك، للأفراد بالتعبير عن ذواتهم وتشكيل هوياتهم الرقمية الذاتية، بما فيها التعبير عن انتماءاتهم السياسية والثقافية والدينية.

ومع انتشار الهواتف المحمولة المزودة بكاميرات أضحى بإمكان الأفراد التقاط الصور الشخصية في أي زمان ومكان، ومشاركتها كشكل من التعبير عن الحضور والتواجد في مساحات وعوالم متعددة (Miller, 2020). غير أن التعبير عن هذا الحضور والعرض المستمر الذات لا يعكس دوما سلوكا فرديا محضا، وإنما يعبر في جوهره عن الارتباط الاجتماعي والانتماء الهوياتي للفرد (Burlegin, 1966)، من جهة، كما يأخذ بعين الاعتبار ويستهدف جمهورا متخيلا (Marwick and Boyd, 2011) توجه إليه الإشارات والعلامات المتضمنة في تلك الصورة من جهة ثانية.

سنعمل خلال هذه المحطة على إبراز الدلالات التي تتضمنها الصور المستخدمة من طرف المبحوثين، انطلاقا من تصورين نظريين. الأول ؛ تصور وظيفي تقدم به بيار بورديو لتحليل الممارسات الاجتماعية للتصوير، والذي سنحاول من خلاله الكشف عن العلاقة بين السلوك التصويري للمبحوث وبين الخلفيات الاجتماعية التي تتحكم في هذا السلوك وتوجهه.

فحسب الوظيفية لا يمكن فهم السلوك إلا "على أنه استجابة لموقف موضوعي يفترض مسبقا استيعاب هذا الموقف"(Combessie, 1967) ، ومعنى هذا أن فعل التصوير وعرض الذات من خلال الصورة إنما هو في حقيقته استجابة هذه الذات لدوافع وخلفيات اجتماعية وثقافية تحدد مبادئ ومعايير مسبقة للسلوك والفعل، وهذا يعني أنه يمكن فهم الصورة وما تتضمنه من دلالات ورسائل ومؤشرات كرد فعل يأخذ بعين الاعتبار الشروط الموضوعية والمعنى الموضوعي الذي تحدده الثقافة وتفرضه البيئة الاجتماعية أو الطبقة أو المذهب الديني الذي ينتمي إليه الفرد. والثاني ؛ باعتماد المفهوم النظري لمارويك "الجمهور المتخيل"، والذي يعتبر فيه أن أي عرض للذات على الأنترنت إنما يعكس في حقيقته الأخذ بعين الاعتبار جمهورا مفترضا تستهدفه وتستجيب لمعاييره رسائل الصورة (Marwick and Boyd, 2011).

غير أننا سنعمل أيضا على كشف الدلالات التي تمنحها الذات ذاتها لسلوكها التصويري، والذي قد يتجاوز الشروط الموضوعية لعرض الذات نحو **استراتيجية مقاومة وتفاوض** تشكل فيها هذه الأخيرة هويتها الدينية، وتعرض لذاتها وفقا لغايات ذاتية محضة وخاصة، وتعبر من خلالها عن فاعليتها كذات مستقلة توجد لذاتها وليس دوما لأجل الغير أو الشروط الموضوعية أو الثقافة للمجتمع.

وبهدف تحليل مضمون الصور المجمعة؛ فقد اعتمدنا مقاربة سيميولوجية لرولان بارت والتي تنطلق من الإطار النظري: "التعيين والتضمين"؛ بحيث يستهدف التعيين denotation ملاحظة العناصر البصرية التي تجذب الناظر وتؤثر فيه بشكل مباشر. مثل : (الأشخاص، رجل، مرأة، والألوان واللباس والأشياء والأشكال) انطلاقا من أسئلة مباشرة هي: ما الذي تظهره الصورة؟ وما الذي يجذبنا للوهلة الأولى؟. فيما يستهدف التضمين connotation: القراءة المعمقة للدلالات التي تتضمنها العناصر والرموز المشكلة للصورة، والتي تستهدف الكشف عن الرسائل الضمنية التي تخفيها المؤشرات الكامنة في تلك العناصر، كمؤشرات ترتبط بسياقات ثقافية واجتماعية وتعكس طبيعة الانتماء الهوياتي لصاحب الصورة/الرسالة، انطلاقا من الأسئلة التالية: ما الذي تعنيه العناصر المكونة للصورة كالمظهر، اللباس، كشف أو إخفاء ملامح الوجه، النصوص المرفقة بالصورة، خلفية الصورة والأماكن التي وظفت لها؟ (جولي، 2011/2009).

وهذه أبرز نتائج الملاحظة النتنوغرافية لصور بروفايلات المبحوثين موزعة بين الصور الشخصية وغير الشخصية وحسب الجنسين.

الشكل البياني رقم 3 : توزيع صور البروفايل بين الشخصية وغير الشخصية وحسب متغير الجنس

المصدر : بحث ميداني شخصي، الملاحظة النتنوغرافية 2024.

نلاحظ أنه من أصل 50 حسابا شخصيا، 23 منهم يضعون صورا شخصية كصور تعريفية للبروفايل، فيما 25 يستخدمون صورا غير شخصية، تتضمن في غالبيتها مناظر طبيعية، أو آيات قرآنية، أو أذكارا وأدعية، أو صورا لأماكن يعتبرونها مقدسة، أو لشخصيات دينية، أو رياضية، أو فنية، أو كرتونية. بينما حسابين تركا صاحبيهما مكان الصورة فارغا.

ورغم أن النتيجة تبدو متقاربة بين من يضع صورا شخصية ومن يضع صورا غير شخصية لتقديم ذاته على الفايسبوك، فإن أغلب الشباب يميلون لاستخدام صور غير شخصية للظهور على هذه المنصة التواصلية. الأمر الذي أكده البحث المواز باعتماد المقابلة الرقمية على منصة Google Forms، كانت نتيجته على الشكل التالي :

الشكل البياني رقم 4 : نشر الصور الشخصية على الفايسبوك

المصدر : بحث ميداني شخصي سنة 2024

يلاحظ أن 32 في المائة فقط من المبحوثين صرحوا بأنهم يستخدمون صورهم الشخصية لتقديم ذواتهم على الفايسبوك. أمر يتطلب منا تفسيره الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين الجنسين وكذا الخلفيات الاجتماعية والثقافية التي تؤطر هذا السلوك التصويري في عرض الذات والتفاعل مع الجمهور المتخيل.

إذ أنه حتى فيما يرتبط بعرض الذات عن طريق الصورة الشخصية على الفايسبوك، يتضح أن هناك فارقا كبيرا بين الجنسين، فبالعودة للملاحظة التي أجريناها على الحسابات الشخصية للمبحوثين، نجد أنه من أصل 23 مبحوثا يضعون صورا شخصية 10 إناث فقط اخترن ذلك، وهي نسبة أقل من نسبة الذكور (13 منهم يستخدمون صورهم الشخصية)،

ما أكده البحث الموازي الذي اعتمدنا فيه المقابلة الرقمية، حيث نجد أنه من أصل 60 أنثى 10 منهن فقط تستخدمن صورهن الشخصية (ما يمثل نسبة 17 في المائة) مقابل 83 في المائة المتبقية صرحن بأنهم لا ينشرن صورهن الشخصية.

الشكل البياني رقم 5 : نشر الصور الشخصية على الفايسبوك حسب متغير الجنس

المصدر : بحث ميداني شخصي 2024

يمكن تفسير هذا السلوك (الميل نحو الإخفاء/الاختفاء لدى الإناث بدل الذكور) انطلاقا من التبريرات والتمثلات التي تقدمن بها، حيث ربطته البعض منهن بكونه يرجع للخوف من سوء استخدام صورها الشخصية لغايات "غير أخلاقية"، أو لكونها صور خاصة وذاتية لا ينبغي مشاركتها مع الغير، أو احتراما للعائلة، فيما أغلب هذه التبريرات ذهبت لاعتبار استخدام الصورة الشخصية على الفايسبوك سلوكا "يحرمه الإسلام على المرأة". تقول إحدى المبحوثات : "لا أنشر صوري على الفايسبوك احتراما للدين الإسلامي"، وهو الأمر الذي تؤكده مبحوثة أخرى بالقول : "لأن نشر صورة المرأة حرام قطعا".

هنا يمكن أن نؤكد ما تقدم به بورديو حول كون السلوك التصويري كفعل اجتماعي، يأخذ بعين الاعتبار الخلفيات السوسيو-ثقافية للفرد، ويعكس ارتباطه الطبقي (Burlegin, 1966)، وهو ما يتجلى في تمثل أغلب المبحوثات اللواتي ربطن فعل الإخفاء بمرجعية دينية تعتبره -حسبهن- سلوكا محرما، أو بكونه سلوكا ينتقص من "شرف العائلة، خاصة سلطة الأب". كما نؤكد أيضا تصور مارويك (2011) بخصوص استحضار الجمهور المتخيل الذي يفترض أن تقديم الذات يأخذ بعين الاعتبار نوعا من الجمهور المفترض المستهدف بالفعل التصويري، وفي حالتنا هذه فإن الكثير من التمثلات بما فيها تمثلات فئة الذكور اتجهت لاعتبار الصور مسألة خاصة وذاتية، ينبغي أن تبقى شخصية ولا يتم مشاركتها مع الآخرين، خاصة في العالم الافتراضي، حيث هنالك الكثير من الناس :"المتنمرون، والساخرون، الذين يجب تجنب المشاكل معهم" يقول أحد المبحوثين. فيما يتجنب آخر نشر صوره الشخصية حفاظا عن الخصوصية والمجهولية، وحتى لا يسهل التعرف عليه في الفايسبوك من طرف العائلة، أو من طرف أناس لا يحب أن يعرفوا حسابه الخاص.

وعلاقة بين الصورة الشخصية والهوية الدينية فالملاحظ أن أغلب الصور الشخصية التي يستخدمها الذكور لذواتهم تركز على إظهار الوجه (اللحية) أو صور لكامل الجسم مع خلفيات لأماكن مقدسة كالمساجد، أو رفقة أحد أفراد العائلة خلال تأدية صلاة العيد بالمصلى؛ وهو أمر ينم عن نوع من التصريح بالهوية الدينية، والذي يرتبط كذلك باستثمار للفضاء العام للترويج لهذه الهوية. فيما تلك التي تستخدمها الإناث "المتدينات"، تركز على اللباس فقط بنسبة أكبر، والذي غالبا ما يكون عبارة عن رداء فضفاض يرمز له في الثقافة الإسلامية ب"اللباس الشرعي" والذي ينبغي أن نميز فيه بين "النقاب والحجاب" وهما نمطي اللباس الطاغيين على الصور التي تعتمدها هؤلاء الإناث لذواتهن على الفايسبوك، إذ

يخفي الأول كامل الجسم ولا يظهر منه أي جزء حتى اليدين والوجه، فيما يبرز الثاني الوجه واليدين فقط، غير أن الملاحظ حتى في استخدام هذا النمط الأخير من اللباس فإن أغلب المبحوثات تملن لإخفاء وجوههن بإضافة وتعديل الصورة انطلاقا من الإمكانات التي يتيحها الفايسبوك لهذا الغرض.

هنا نستنتج أن التعبير عن الهوية الدينية في الفضاء الرقمي "الفايسبوك" يتجاوز التعبير عن الذات الفردية للإناث، إنه يعكس الارتباط والانتماء الذي ينبغي أن يتعالى عن هذه الذات، لصالح الكيان الهوياتي للجماعة التي تنتمي لها هؤلاء الإناث. وأن الأسبقية في نظرهن ينبغي أن تظل للهوية الدينية وليس للشخص كذات لها كيان مستقل وهوية خاصة.

إن الحجاب والنقاب كمؤشرين للانتماء الديني ولدرجة تدين وارتباط الأنثى بهويتها الدينية ليس خيارا ذاتيا يعكس رغبتها في الظهور كشخص، وإنما يرمز لرغبة خفية في تصوير الذات "المؤمنة والملتزمة" والمنسجمة مع ما يفرضه الانتماء الديني من سلوكيات وقواعد للوجود والظهور. ولعل هذا الأمر يعود لطبيعة الثقافة الذكورية التي تهيمن على عقلية المغربي، كون العوامل السوسيو-ثقافية تدفع نحو الحد من المشاركة الدينية للمرأة في الفضاءات العامة (Boissevain, 2010)، تلك الفضاءات التي أضحت تشمل حتى العالم الرقمي.

فما قد يستخلصه الملاحظ لحسابات أغلب الفتيات المتدينات عكس الذكور هو أن الأمر لا يتعلق بشخص بذاته متميز عن غيره من الذوات، بقدر ما سيجد ذاته أمام نمط شبه موحد لحسابات فايسبوكية "محجبة/منقبة" يصعب التفريق فيها بين فلانة أو علانة. وهو ما يدفعنا للقول بأن نمط السلوك الديني الرقمي لدى أغلب الإناث يتسم بكونه فعلا اجتماعيا يعكس تمثلا لنمط التدين الذي ينبغي أن تجسده صورة "المرأة المتدينة الملتزمة" ويشكل انعكاسا وامتدادا له، وليس تجاوزا له بالمعنى القوي للكلمة، ففي جميع العوالم (الواقعي أو الافتراضي) تعكس صورة المرأة جسدا ينبغي أن يختفي.

3- موقف الشباب من الحضور الديني الرقمي لغير المسلم على الفايسبوك

استندنا في استجلاء هذا الموقف على آلتين بحثيتين أولهما : الملاحظة النتنوغرافية لمواقف وتفاعلات 50 شابا وشابة على الفايسبوك مع قضايا ترتبط بمناسبات دينية لغير المسلمين، وبالضبط مناسبة الاحتفال بعيد ميلاد المسيح. إضافة إلى آلية المقابلة الإلكترونية عن طريق Google Forms، والتي استهدفت في هذا المستوى رصد تمثل 136 مبحوثا ذكورا وإناثا حول التفاعل مع المناسبات الدينية لغير المسلمين على الفايسبوك. وجاءت النتائج على النحو التالي :

الشكل البياني رقم 6 : التفاعل مع المناسبات الدينية لغير المسلمين

المصدر : بحث ميداني شخصي 2024

71.3 في المائة عبروا عن كونهم لا يتفاعلون مع المناسبات الدينية لغير المسلمين على الفايسبوك، فيما 14.7 في المائة أكدوا أنهم يتفاعلون، بينما 14 في المائة الباقية صرحوا أن الأمر يتم نادرا.

وفي تحليل هذه النتائج، عبرت الفئة الأولى عن كون هذا السلوك لا ينبغي أن يصدر عن مسلم، الذي "لا يجب عليه أن ينشر أو يدعم أية ديانة أخرى" تقول إحدى المبحوثات، ولأنه سلوك "يؤثر على المجتمع والعلاقة مع الله والدين" يؤكد مبحوث آخر، كما أنه ينم عن نوع من "الشرك بالله"، و"لان هدا الشيء سيغضب الله تعالى" يضيف مبحوث آخر.

إن هذه المواقف الرافضة لأي تفاعل مع هذه المناسبة، تنطلق من اعتقاد مسبق راسخ، كون المرء مسلما، فمعناه أنه يعتنق "الدين الأفضل والأصح"، الأمر الذي عبر عنه العديد من المبحوثين بالقول : "لا لا لا وألف لا لأن دين عند لله هو الإسلام"، "لا يعجبني لأنني أفضل ديني على كل الديانات الأخرى"، "هناك دين واحد لدي قال الله وهوا الإسلام لان أتفاعل إلا معا ديني"، "لا نحن مسلمون يجب ان نكون اكثر اخلاص لديننا"، "لا.لانني لا اومن بتلك الديانة".

إن هذه التمثلات تعكس نوعا من "الانحياز التأكيدي" (glossaire, 2023) الذي ينطلق من تفسير الاختيارات والتمثلات والمواقف بكيفية تدعم الاعتقاد المسبق للفرد بامتلاكه للمعرفة الحقة. وفي حالتنا هذه فهؤلاء الشباب يتقدمون بهذا الموقف استنادا لاعتقادهم الراسخ في كونهم يعتنقون "الدين الأصح" مقابل باقي الأديان التي تعتبر في نظرهم "محرفة" أو ألغاها مجيء الإسلام كدين الله خاتم الأديان ومتممها.

إننا أمام مواقف وتمثلات تعكس فكرة "الاعتزاز الذي ينطوي على الإحساس بالتميز عن شعوب الأرض الأخرى" (عدوان، 2011) أو ما يطلق عليه إيريك فروم بـ "النرجسية الجماعية"، التي تتغذى على "اعتقاد أفرادها بأهمية جماعتهم بقدر أهمية حيواتهم، وأهمية أخلاقها وتفوقها بالمقارنة مع باقي الجماعات الأخرى" (فروم 1964/2011). وقد يذهب الأمر حتى للإلغاء الذهني التام للآخر (عدوان، 2011). أمر نلمسه لدى بعض المبحوثين من خلال قولهم: "لا لأنهم يساعدون في نشر دين غير صحيح وهذا يزعجني"، ويضيف في نفس التوجه مبحوث ثان بالقول : "لا أعترف بأي دين أخر إلا الإسلام". ما أكده أيضا مبحوث آخر قائلا: "ارى ان كل تلك الاشياء تفاهات وان دين الحق هو الإسلام" ويقصد هنا بالتفاهات؛ الشعائر والمناسبات المرتبطة بباقي الديانات.

بخصوص الفئة الثانية، والتي صرحت بالتفاعل مع المناسبات الدينية لغير المسلمين، فقد بررت في مجملها هذا السلوك بكونه يندرج في إطار من الانفتاح وحوار الأديان، واحترام حرية التدين؛ إذ يرى أحد المبحوثين أن "كل شخص

حر في إختياراته" وذهب آخر لاعتبار الأمر يتعلق ب"حرية الرأي والتعبير التي تعد جزءا من حقوق الإنسان"، بينما يوافق مبحوث آخر على فكرة الحوار بين الأديان للتواصل والتطلع على معتقدات الديانات الأخرى". وإن كانت هذه الفئة من المبحوثين تشكل نسبة أصغر بكثير من النسبة الرافضة للتفاعل مع غير المسلمين، فإنها تعبر عن عينة من الشباب التي باتت تتطلع اليوم بفضل عولمة التواصل والتحولات التي عرفتها علاقة هؤلاء الشباب بمصادر التنشئة الدينية، إلى الانفتاح على باقي الأديان وتقبل الاختلاف والانسلاخ من "التقوقع الديني"، حيث صارت النظرة للدين عموما وللغير على وجه الخصوص تتأثر بما يروج عن وسائل التواصل الاجتماعي، أكثر من ارتباطها الميكانيكي بالدور الذي كانت تنفرد به الأسرة والمسجد ووسائل الإعلام التقليدية في التنشئة الدينية. لقد أضحت عينة من الشباب اليوم تنحو نحو "التدين الفردي" (Rachik, 2006) وإضفاء الطابع الذاتي على تمثل الدين بدل الطابع الجماعي الرسمي، الذي يفرض رؤية واحدة وموحدة حول الدين والتدين. وهو ما يفسر كون بعض الشباب اليوم يتبنون ممارسات دينية حديثة، ويعيدون مناقشة وتفسير النصوص الدينية وفقا لمعطيات واقعهم المعاصر. من حيث هو واقع معولم ومفتوح على "سوق ضخمة للقيم" (Rachik, 2006)التي تقدم "طرقا جديدة" في السلوك والعيش، وحتى في التفاعل مع الغير ونظرتهم إليه.

إن اعتبار التعبير عن الانتماء الديني وإظهار الهوية الدينية مسألة ترتبط باحترام رأي الغير وديانته من طرف هذه العينة من الشباب يعكس في وعيهم الديني أن "الاسلام لا يفرض على احد" وأن كل شخص حر في اختيار دينه، وأنه "ما دام يحق لي نشر ديني" يقول أحد المبحوثين، "فإن من حق غير المسلم أن ينشر ما يعبر عن دينه أيضا". ولهذه المواقف ما يبررها في تفاعلهم مع السؤال التالي : هل تعتبر أن من حق غير المسلم أن يعبر عن دينه وينشره علانية في الفايسبوك؟ لماذا؟ من نفس البحث.

وإن كانت غالبية الشباب المبحوثين، ينفون تفاعلهم مع المناسبات الدينية كالمناسبة المذكورة آنفا، فإن أغلبهم في المقابل لا يمانعون أن يظهر غير المسلم هويته الدينية وينشر ما يعبر عن انتمائه الديني على الفايسبوك، إذ من أصل 109 مبحوثين تفاعلوا مع هذا السؤال نجد أن عدد الموافقين على نشر غير المسلم ما يعبر عن هويته الدينية بشكل علني على الفايسبوك هو 89 مبحوثا، مقابل 15 فقط عبروا عن رفضهم المطلق للفكرة، أما البقية وهم 5 مبحوثين فقد اعتبروا أن الأمر لا يهمهم. وقد تباينت التبريرات بحسب كل فئة، مع تأكيد النسبة الأكبر على كون الدين الإسلامي هو "دين تسامح" وأنه يحترم باقي الأديان مادام من يعبر عن دينه لا يشكل أي "تهديد" أو يستغل منشوراته على الفايسبوك في معاداة الإسلام. تقول إحدى المبحوثات بهذا الخصوص : "نعم لاني كوني مسلمة اريد ان اعبر عن ديني كما اشاء وكذلك بالنسبة للمسيحي و لملحد كل منا يريد ان يعبر عن دينه" وهو أمر أكده مبحوث آخر بالقول :"نعم، من حق غير المسلم أن يعبر عن دينه وينشره علانية على الفايسبوك. هذا يعود إلى مبدأ حرية التعبير، حيث يحق لكل فرد أن يعبر عن معتقداته وأفكاره. الاحترام والتفاهم بين الأديان يسهمان في تعزيز الحوار والتعايش السلمي، مما يفيد المجتمع بشكل عام".

غير أن الملاحظ كذلك، وهو أنهم يرفضون في غالبيتهم أن يتشارك المسلم ذاته تلك المناسبات على صفحاته الخاصة أو يروج لها لأنها "تضر بالإسلام" بالنسبة لهم وتؤثر على من يشاهدها أو يتابعها، تؤكد إحدى المبحوثات بهذا الخصوص قائلة: "لا يعجبني الأمر لأن ديننا الإسلام فعلينا أن ننشر فقط عنه". ما يؤكده مبحوث آخر بالقول: "لا، لأننا مسلمون لا يجب نشر او دعم أي ديانة أخرى"، فيما اعتبره مبحوث آخر نوع من الخيانة للدين الإسلامي قائلا : "لا نحن مسلمون يجب أن نكون اكثر اخلاص لديننا". لكن هناك استثناءات فيما يخص بعض الشباب بخصوص هذا السلوك إذ عبر أحد المبحوثين بالقول : "أعتقد أن تبادل المنشورات التي تعبر عن ديانات مختلفة يمكن أن يكون تجربة قيمة إذا تم التعامل معها باحترام وانفتاح في إطار التنوع الثقافي والديني مما يعزز من فهمنا للعالم ويساعد على بناء جسور بين الأشخاص من خلفيات مختلفة."

نخلص من خلال رصـــدنا لهذه المواقف تباين تمثلات الشـــباب حول ما يظهر الهوية الدينية لغير المســـلمين عموما، حيث تذهب الأغلبية إلى اعتبار إظهار هذه الهوية على الفايســـبوك حقا لهذا الأخير، الذي يمكنه ممارســـته كما يحق للمسلم ذلك، إلا أنها ترى أنه لا ينبغي التفاعل مع مناسباته، كما لا ينبغي لغير المسلم المساهمة في نشرها أو مشاركتها، وهو أمر يدفع بنا إلى **استخلاص نتيجتين متضاربتين في موقف شباب اليوم من المختلف دينيا على الفايسبوك**: الأولى وهي الدفاع عن حق غير المسلم في الظهور والتعبير عن دينه وهويته الدينية من خلال نشر مناسباته الدينية كما هو حق للمسلم فعل ذلك. والثانية: تلغي حضوره وتقصيه عندما يتعلق الأمر بالتفاعل معه أو مع تلك المناسبات، نظرا لكونه فعلا يضر بالإسلام والمسلم. وهو ما يعكس الارتباط النرجسي بالهوية الدينية لهذه العينة من الشباب. غير أن هنالك عينية تقول بإمكانية الانفتاح والحوار والتعارف والتفاعل في إطار من الاحترام المتبادل الذي يوجهنا إليه الاســـلام ذاته ويعتبره من باب الإنسانية وقبول الاختلاف.

مناقشة النتائج

لقد توصلنا إلى خلاصة أساسية تفيد ميل أغلب شباب اليوم إلى عرض هوياتهم الحقيقة على العالم الرقمي، وهو ما يجســـد تصـــورهم لهذا العالم باعتباره امتدادا لعالمهم الواقعي، ويعبر عن "حياة موازية" لحياتهم الاجتماعية (Mercklé, 2016). غير أننا لاحظنا تباينا واضحا بين الجنسين على هذا المستوى، حيث تميل أغلب الإناث إلى الحفاظ على منسوب أعلى من المجهولية، باعتماد أسماء مستعارة، أو صور تخفي ملامح الوجه، ما دفعنا إلى إعادة التساؤل عن علاقة المرأة والفتاة الشابة على وجه الخصوص بالفضاء العام الذي يعتبر الفايسبوك امتدادا رقميا له. في هذا المستوى تم التأكيد على ما ذهب إليه بيار بورديو بخصـــوص الســـلوك التصـــويري كممارســـة اجتماعية تعكس الانتماء الطبقي (Burgelin, 1966)، بحيث يرتبط هذا الفعل بالســـياق الاجتماعي الذي ينتج فيه ولأجله. ولإن كانت ثقافة الطبقة الاجتماعية تؤثر في السلوك التصويري لمجتمع دراسة بورديو، فإن مجتمع دراستنا تحكمه ثقافته الخاصة، وهي ثقافة محافظة تحدد معايير صارمة لحضور المرأة وتعبيرها عن هويتها في الفضاء العام، الذي لازال إلى يومنا يعتبر فضاء ذكوريا بامتياز. الأمر الذي عكسته أقوال العديد من المبحوثات اللواتي اعتبرن تبنيهن لمستوى أعلى من الخصوصية والمجهولية بالفضاء الرقمي تعبيرا عن "احترام العائلة، أو احترام الذات التي يجب أن تحافظ على شرفها وشرف الأب والإخوة".

وعلاقة بعرض الذات وإبداء الهوية الدينية على الفضـــاء الرقمي، تبين لنا أنه في مقابل الميل الذي أبدته أغلب المبحوثات نحو إخفاء هويتهن الشخصية، فإنهن وخلافا لأغلبية الذكور تملن لإظهار هويتهن الدينية، باعتماد المشاركة والنشر المكثفين للمؤشرات الدينية على صفحاتهن الخاصة: (مثل النصوص الدينية، كصور تتضمن أدعية، أو آيات قرآنية، أو أحاديث نبوية) مع التركيز أكثر على "اللباس الشـــرعي" باعتباره الرمز الأكثر تعبيرا عن هوياتهن الدينية، وهو الأمر الذي نؤكد فيه كذلك تأثير نظرية "الجمهور المتخيل" (Marwick and Boyd, 2011) الذي تســـتحضـــر فيه هؤلاء الشابات المتدينات جمهورا مفترضا مستهدفا بالتسويق لصورتهن الرمزية كفتيات ملتزمات ومتماهيات مع أخلاق ومبادئ الجماعة، حيث ينبغي لمن يقرأ أسماءهن المستعارة (المؤمنة بالله، وآيات الله، المحبة للرسول) وخاصة من يشاهد صورهن التي لا يبدو منها غير لباس فضفاض يخفي كامل الجسد، أن يدرك أن الأمر يتعلق بشخصية مؤمنة وملتزمة، ولا يهم من تكون كشخص.

ولئن كان هذا الميل نحو الاختفاء خلف "ســـتار الإيمان" و"الالتزام" لدى أغلب المبحوثات المتدينات، يعكس "رغبة" في إخفاء الذات الشخصية مقابل التســـويق لذات "مجهولة" لكنها متدينة، فإنه يعكس أيضـــا قدرة هؤلاء الشـــابات على التكيف مع هذا النوع من الازدواجية التي يفرضـــها الولوج لعالم الأنترنت كفضـــاء يمنح حرية تتجاوز المكان والزمان في عرض الذات والتعبير عن الانتماء الديني من جهة، وبين ما يفرضـــه الســـياق الاجتماعي كمجال للمراقبة والإخضـــاع من

جهة ثانية. ذلك أنهن استطعن ابتكار **استراتيجيات ذاتية** "يكيفن بها التكنولوجيا مع أغراضهن واستعمالاتهن الذاتية مع الحفاظ على قيم المجتمع وضوابطه الأخلاقية" (العالية، 2023).

إن في هذه القدرة على التكيف و"الاستخدام الحذر" للفايسبوك من أجل الترويج للذات في التزام شبه مطلق بالقيم والمبادئ الاجتماعية، لا يعكس الخضوع الكلي لمنطق الجماعة، خاصة فيما يتعلق بتدين المرأة الذي يرتبط عادة بالفضاء الخاص (Boissevain, 2010)، وبالسرية بدل الجهر، حيث يطلب منها التزام البيت في أداء الصلوات، أو عدم الجهر بقراءة القرآن خلال ذلك. فولوج المرأة الشابة هنا لعالم الأنترنت وجهرها بتدينها، وإن على حساب هويتها الشخصية، يعبر عن نوع من **التفاوض مع السلطة الدينية التقليدية** (Campbell and Vitullo, 2016)، وهو إعلان ضمني عن إعادة رسم الحدود الفاصلة بين ما هو خاص وما هو عام في الممارسة الدينية على الفضاء الرقمي.

أما بخصوص تمثل الشباب المغربي المتدين لغير المسلم، ولحضور رموزه وهويته الدينية على الأنترنت، فقد خلصنا إلى نتيجتين تبدوان متعارضتان في الظاهر لكنهما متكاملتان في الجوهر؛ الأولى أبدى خلالها أغلبية المبحوثين رفضهم المطلق للتفاعل مع الرموز والمناسبات الدينية للمختلف دينيا معتبرين إياه "فعلا يضر بالدين وبالهوية الدينية للمسلم"، وهو موقف يعبر عن نوع من "التعصب الديني" و"النرجسية الدينية" ويرفض الانفتاح على الآخر، ويعكس الطابع الانحيازي لمقولة "الدين الأفضل" مقابل "الدين الخطإ" أمر جسدته تعبيرات الكثير من مبحوثينا الشباب في أقوالهم التي شددت على "ضرورة الالتزام بعدم التفاعل مع كل ما يرمز لغير الدين الإسلامي أو نشر معتقدات غير المسلمين"، وهي خلاصة تعبر عن الاعتقاد الراسخ في "التفوق الديني" لدى هذه العينة من الشباب، وتفند الادعاء الذي يؤكد على الدور الذي تلعبه وسائل التواصل الاجتماعي كمنصات تروج لثقافة الانفتاح وتقبل الاختلاف. غير أن الأمر لا يلغي الاستثناء الذي عبر عنه البعض ممن دافعوا في تصوراتهم عن ضرورة التفاعل مع غير المسلمين في إطار احترام حرية المعتقد وحوار الأديان مستشهدين بما كان عليه الرسول من "حسن معاملة لغير المسلمين وحسن جوارهم". أما النتيجة الثانية وهي نتيجة ملفتة للنظر في مقابل ما تم التعبير عنه بخصوص التفاعل مع غير المسلم، حيث عبر الأغلبية عن حق المختلف دينيا في التعبير عما يعبر عن هويته ورموزه الدينية، الأمر الذي يعكس توجها نحو القول بنمط من "القبول المتحفظ" يكون فيه حق الظهور حرية شخصية لغير المسلم، شريطة ألا يكون لهذا الظهور تأثير على "عقيدة المسلم" أو "يسيء للدين الإسلامي".

باختصار، نجد أن حضور الشباب على الفايسبوك وإن كان يميل في أغلبيته إلى بناء نوع من التطابق بين الهوية الواقعية والهوية الرقمية، فإن للسياق الاجتماعي ولتمثل الجمهور المتخيل دور أساسي في تفسير الفوارق بين الجنسين بهذا الخصوص. خاصة فيما يتعلق بعرض الهوية الدينية، أو بقبول المختلف دينيا "قبولا متحفظا"، وقد نغامر ونقول "قبولا مشروطا" لتعبيره عن هويته الدينية.

الخلاصة

لقد شكل موضوع الدين والتدين، أحد أهم القضايا التي شغلت الاهتمام السوسيولوجي منذ نشأته، مع الرواد الأوائل كإميل دوركهايم وهربرت سبانسر وماكس فيبر، حتى بيير بورديو. حيث اهتموا بدراسة وظائف وأشكال الممارسات الدينية كنظم اجتماعية وثقافية للتنظيم والعيش داخل الجماعة.

غير أن تطور أنماط التواصل، واكتساح الأنترنت للحياة الإنسانية خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة، وظهور "مجتمعات جديدة"، المجتمعات الشبكية، سيدفع إلى تطوير أشكال مختلفة للتدين، ومعها تصورات جديدة حول الدين ذاته والمؤسسات الدينية، وحول إدراك الأفراد لذواتهم ولهوياتهم الدينية وللمختلفين عنهم دينيا.

الأمر الذي سيشكل واقعا جديدا وفضاء مستحدثا للبحث السوسيولوجي المعاصر، ستطلق عليه هايدي كامبل : "سوسيولوجيا التدين الرقمي"، كمبحث تطور عبر موجات شملت الوصف والتصنيف والتنظير والتداخل والتكامل بين العالمين الواقعي والرقمي في الممارسات الدينية.

وقد شكلت قضية الهوية عامة والهوية الدينية على وجه الخصوص، أبرز ما شغل اهتمام الباحثين في علاقة الدين بالأنترنت. بحيث استهدفت الأبحاث في هذا المستوى محاولة الكشف عن الكيفية التي تشكل بها الأنترنت وتؤثر في بناء هوية الأفراد وإدراكهم لذواتهم ولانتماءاتهم الدينية، بنفس القدر الذي أبرزوا فيه استثمار العالم الرقمي لعرض ذواتهم بكيفية تخضع التقنية الرقمية ذاتها لـ"رغباتهم" وقيمهم وأهدافهم والتعبير عن مواقفهم.

لقد توصلنا في هذا البحث لعدة نتائج بخصوص الهوية الدينية لعينة من الشباب المغربي وعلاقتها بموقفهم من المختلف دينيا على الفايسبوك. نجملها فيما يلي :

ميل أغلب الشباب المتدين اليوم إلى إبراز هويتهم الحقيقية على الفايسبوك واعتباره كفضاء للتواصل، امتدادا لحياتهم الواقعية وبناء علاقات حقيقية والتعبير عن المواقف "بحرية"، مع وجود تباين واضح بين الجنسين على هذا المستوى، حيث تتحفظ أغلب الإناث عن الإفصاح عن هوياتهن الشخصية الحقيقية مقابل الترويج لشخصية متدينة، عبر مؤشرات دينية ترمز للإيمان والالتزام تركزت في معظمها على "اللباس الشرعي" وتوظيف الأسماء المستعارة والنصوص الدينية والأدعية والأماكن المقدسة؛ وهو **أسلوب تفاوضي** يعتمد استراتيجية توازن بين الالتزام الثقافي والاجتماعي بمبادئ وقيم الجماعة من جهة، (الأمر الذي التقينا فيه مع التصور السوسيولوجي لبيير بورديو بكون السلوك التصويري للفرد يعكس الانتماء الاجتماعي والطبقي)، وعرض الذات من جهة ثانية، والذي يسوق لذات تستهدف الظهور والتماهي مع معايير الجمهور المتخيل لمارويك. ما يدفع للقول بأن عرض الذات والهوية الدينية للشباب والإناث خاصة على الفضاء الرقمي هو في جوهره فعل واع ومفكر فيه، يرمي في المستوى الأول للتماهي مع ما يفرضه السياق الاجتماعي وقيم المجتمع الواقعي "الشخصية الجماعية"، كما أنه يستثمر في المساحة الرقمية كل ما هو متاح من إمكانيات و"حرية" للتعبير عن "الذات الفردية".

يعتبر أغلب الشباب أن عرض الهوية الدينية وما يرمز إليها من مناسبات وشعائر على الفايسبوك، حق للمختلف دينيا، كما هو حق للمسلم، غير أنهم يعتبرون التفاعل معها أو مشاركتها من طرف المسلم ذاته أمر مرفوض لما فيه من "ضرر على المسلمين والإسلام"، الذي "يحرم" عليهم الترويج لغير المبادئ والشعائر الإسلامية. وهو أمر يعبر عن نوع من الازدواجية في الحكم، حيث يتأرجح هذا الموقف بين الرفض المطلق للتفاعل مع المختلف دينيا ويعكس (النرجسية الجماعية - بحسب إ. فروم) الناتجة عن الاعتقاد في الانتماء لـــ "الدين الأفضل" أو "التفوق الديني". وبين "القبول المشروط" لحضور ما يرمز للاختلاف الديني ما دام الأمر لا يمس المعتقد الديني للمسلم أو "يفسده".

هناك استثناءات تثير الانتباه، عبرت عن مواقف أكثر انفتاحا وتقبلا للاختلاف الديني على الفايسبوك، من باب الحوار بين الأديان وحقوق الانسان وحرية التدين، والتي نعتبرها عينة من الشباب أضحت تعكس نمو وتطور الوعي الديني المنفتح والمنسلخ عن "عباءة المتدين النرجسي" لصالح "المتدين الكوني الإنساني" الذي يعتبر ذاته جزءا من الكل، لا الكل مقابل الأجزاء. وهو تطور ناتج عن التأثير الذي باتت تحدثه عولمة المعلومة الدينية وتنوع مصادر القراءات والتأويلات للنصوص الدينية بالعالم الرقمي، بدل "الاحتكار التأويلي" الذي لزم المؤسسات الدينية التقليدية لقرون. وهو شكل من النزوع نحو "التدين الفردي" على حساب "التدين السكولائي" تحت سيادة الجماعات الدينية، ما يمكن معه القول بأننا أمام تحول يقوم على التفاوض مع السلطة الدينية للمؤسسات الكلاسيكية بحسب هادي كامبل.

بناء عليه يمكن القول بوجود عقليتين مختلفتين/متناقضتين ضمن عينة الشباب بخصوص النظرة للهوية الدينية الذاتية وللدين ذاته وللغير المختلف دينيا ؛ الفئة الأولى تعتبر أن هويتها الدينية هي الأحق بالظهور وأن دينها هو "الحق"

و"الأفضل" مقابل إلغاء هوية الغير الدينية وتجنب أي تفاعل معه، والتي تتمثل الدين كمصدر للتحريم والإقصاء، فيما الفئة الثانية تعتقد أن التدين حرية شخصية وأن إظهار الهوية الدينية والتعبير عن المعتقد يدخل ضمن الحق في التعبير عن الذات، وهي بذلك تتمثل الدين كمصدر للتعايش واحترام الاختلاف والحوار والانفتاح. وهنا بالذات يأتي دور المؤسسات التربوية والإعلامية في تعزيز ثقافة التعددية وقبول الاختلاف والانفتاح الديني، أخذا بعين التحولات التي باتت تفرضها رقمنة الحياة الدينية للجماعات والأفراد.

ولا يسعنا في الأخير إلا الاعتراف بأن ما تقدمه هذه الورقة البحثية، لا يدعي الشمولية، أو الإحاطة المطلقة بقضية إشكالية لازالت تعتبر "فتية جدا" بالمجتمع البحثي المغربي، اللهم بعض البحوث الأولية التي يمكن تصنيفها ضمن البحوث الوصفية للظاهرة، أي أن الأمر شأنه شأن بحثنا هذا لم يتجاوز بعد المرحلة الأولى من الدراسات المنجزة بالمجتمع الأنجلوساكسوني، الذي انطلقت فيه الأبحاث حول علاقة الدين بالأنترنت منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود. كما لابد لنا من منظور جون بياجي حول "مدى تعقد الظاهرة الإنسانية" أن نعترف أيضا، بنسبية النتائج التي توصلنا إليها والتي لا تسمح بأي إمكانية للتعميم، إذ أنها تخص عينة ضيقة جدا، وفئة اجتماعية تنحدر في أغلبيتها من أوساط قروية أو شبه حضرية، وهي الأوساط المعروفة نسبيا بـ"الحفاظية" والحرص على "الترابط الاجتماعي" و"إعادة "الإنتاج". وهذا لا ينفي عن البحث قيمته العلمية كمحاولة للمساهمة في إثارة الانتباه للقضية بعالمنا العربي عموما وبمجتمعنا المغربي خصوصا، ورسم المعالم الأولية للأطر النظرية والمنهجية للبحث العلمي به.

ملحق الجداول والأشكال البيانية

- الجدول رقم 1: ترميز المؤشرات الدالة عن الهوية الدينية الرقمية من خلال الاسم المستخدم باعتماد برنامج أطلس-تي 9.
- الجدول رقم 2 : ترميز المؤشرات الدالة عن الهوية الدينية الرقمية من خلال صورة البروفايل باعتماد برنامج أطلس-تي 9.
- الشكل البياني رقم 1 : استخدام الاسم الشخصي الحقيقي على الفايسبوك
- الشكل البياني رقم 2 : توزيع الأسماء المستخدمة بين الحقيقية والمستعارة حسب متغير الجنس
- الشكل البياني رقم 3 : توزيع صور البروفايل بين الشخصية وغير الشخصية وحسب متغير الجنس
- الشكل اليباني رقم 4 : نشر الصور الشخصية على الفايسبوك
- الشكل البياني رقم 5 : نشر الصور الشخصية على الفايسبوك حسب متغير الجنس
- الشكل البياني رقم 6 : التفاعل مع المناسبات الدينية لغير المسلمين

الهوامش

(1) يتم اختيار مؤشرات التديّن تبعا للدين المدروس وللكيفية التي يُعاش بها ويتم إدراكه من خلالها. فالصلاة في الإسلام مؤشر مركزي. ومن البديهي أنه كلما أحال مؤشر إلى ممارسة دينية مركزية ومعقدة، مثل الصلاة أو الصيام، إلا وكنا مضطرين إلى تحليله من عدة جوانب تستلزم بدورها أنواعا من المؤشرات الفرعية: أنظر حسن رشيق "الإسلام في الحياة اليومية". ص 3. لقد اعتمدنا في بناء ملاحظتنا على عدة مؤشرات اختلفت باختلاف الجنس: حيث ركزنا مثلا على حضور "اللباس الشرعي، والحجاب" بالنسبة للإناث، وعلى اللحية و"الفوقية" بالنسبة للذكور، كما اعتمدنا مؤشرات مشتركة بين الجنسين تتمثل في مشاركة النصوص الدينية أو الأدعية أو الأماكن المقدسة.

(2) ينتمي برنامج ATLAS.TI، إلى برامج "CAQDAS"، أي برمجيات تحليل محتوى المعطيات الكيفية باعتماد الحاسوب. أنظر: - قاوقو، محجوبة (صيف 2019). المجتمع الافتراضي وإشكالية تجديد منهج البحث السوسيولوجي: نحو بناء نموذج لدراسة التفاعلات الإلكترونية بواسطة الحاسوب. *دورية عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 29 (29)*، 89-114. https://doi.org/10.31430/RXBS6907

(3) أقصد هنا بجيل اليوم : مواليد النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرون، وذلك لاعتبار أنهم ولدوا في إطار الثورة الرقمية والانتشار الواسع لاستعمال الأنترنت، كما أنهم سيجدون أنفسهم في عالم تسوده وسائط التواصل الاجتماعي (فايسبوك، يوتيوب، واتساب ...)

(4) لقد نقلنا الأسماء كما هي بالحرف دون أي تعديل، بما تتضمنه من أخطاء إملائية ولغوية.

(5) لقد نقلت كلام المبحوثين حرفيا دون أي تعديل، أو إضافة، أو تقطيع.

قائمة المراجع

المراجع العربية

- أنجرس، موريس. (2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية. (ترجمة: بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، وسعيد سبعون). ط2. دار القصبة للنشر الجزائر. (العمل الأصلي نشر في 1996).
- جولي، مارتين. (2011). مدخل إلى تحليل الصورة. (ترجمة: جيهان عيسوى). أكاديمية الفنون. (العمل الأصلي نشر في 2009).
- العالية، نادية (صيف 2023). تيبولوجيا الهوية الدينية الرقمية: دراسة سوسيولوجية لتعبيرات الشباب الدينية عبر فيسبوك. عمران، 12 (45)، 7-36. https://doi.org/10.31430/TJQC1033
- عدوان، ممدوح. (2011). حيونة الإنسان (ط.2). دمشق: دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع.
- فروم، إريك. (2011). جوهر الإنسان. (ترجمة: سلام خيربك). سوريا : دار الحوار للنشر والتوزيع. (العمل الأصلي نشر في 1964).
- قاوقو، محجوبة (صيف 2019). المجتمع الافتراضي وإشكالية تجديد منهج البحث السوسيولوجي: نحو بناء نموذج لدراسة التفاعلات الإلكترونية بواسطة الحاسوب. دورية عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 29 (29)، 89-114. https://doi.org/10.31430/RXBS6907
- منديب، عبد الغني. (2006). الدين والمجتمع : دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب. الدار البيضاء : أفريقيا الشرق.

المراجع الأجنبية

- Bahri, N., Merizak, M., Desrues, T., & Bentaïbi, A. (2024). Les jeunes ruraux au Maroc entre aspirations et exclusion. *Revue bibliographique des publications en sciences sociales* en ce premier quart du 21ème siècle.
- Barzilai-Nahon, K., & Barzilai, G. (2005). Cultured technology: The Internet and religious fundamentalism. *The information society, 21(1)*, 25-40. DOI: 10.1080/01972240590895892
- Bauwens, M. (1996). Spirituality and technology: Exploring the relationship. *First Monday, 1(5)*. https://doi.org/10.5210/fm.v1i5.496
- Boissevain, K. « El Ayadi Mohammed, Rachik Hassan, Tozy Mohamed, *L'Islam au quotidien. Enquête sur les valeurs et les pratiques religieuses au Maroc*, Casablanca, Prologues, coll : Religion et société, 2007, 272 p. », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* [En ligne], 128 | 2010, mis en ligne le 04 juin 2010, consulté le 04 février 2025. URL : http://journals.openedition.org/remmm/6560 ; DOI : https://doi.org/10.4000/remmm.6560.
- Bolongaro, K. A. M. (2013). Pauline Hope Cheong, Peter Fischer-Nielsen, Stefan Gelfgren & Charles Ess (Eds.): Digital Religion, Social Media and Culture: Perspectives, Practices and Futures. New York: Peter Lang Publishing, Inc. 2012. *MedieKultur: Journal of media and communication research, 29*(55), 4-p.
- Bourdieu, P. (1984). La jeunesse n'est qu'un mot. *Questions de sociologie*, 143-154.
- Bourqia, R. (2010). Valeurs et changement social au Maroc. *Quaderns de la Mediterrània, 13(2010),* 105-115.
- Burgelin, O. (1966). Pierre Bourdieu. Un art moyen, Essai sur les usages sociaux de la photographie. *Communications, 7*(1), 165-168.
- Campbell, H. (2005). Exploring religious community online. New York: *Peter Lang-Digital Formation Series.*
- Campbell, H. (2010). When Religion Meets New Media. *Routledge*. https://doi.org/10.4324/9780203695371
- Campbell, H. (2011). Internet and religion. *The handbook of internet studies*, 232-250. https://doi.org/10.1002/9781444314861.ch11
- Campbell, H. (2012). Digital Religion: Understanding Religious Practice in New Media Worlds. *Routledge*. https://doi.org/10.4324/9780203084861
- Campbell, H. A. (2012). Understanding the relationship between religion online and offline in a networked society. *Journal of the American Academy of Religion, 80(1)*, 64-93. DOI: 10.2307/41348770
- Campbell, H. A. (2013). Religion and the Internet: A microcosm for studying Internet trends and implications. *New Media & Society, 15(5)*, 680-694.
- Campbell, H. A. (2017). Surveying theoretical approaches within digital religion studies. *New media & society, 19(1)*, 15-24.
- Campbell, H. A., & Bellar, W. (2022). Digital religion. *Taylor & Francis Group*.
- Campbell, H. A., & Evolvi, G. (2020). Contextualizing current digital religion research on emerging technologies. *Human Behavior and Emerging Technologies, 2(1)*, 5-17.
- Campbell, H. A., & Lövheim, M. (2011). Introduction: Rethinking the online–offline connection in the study of religion online. Information, *Communication & Society, 14(8)*, 1083-1096. http://dx.doi.org/10.1080/1369118X.2011.597416
- Campbell, H. A., & Vitullo, A. (2016). Assessing changes in the study of religious communities in digital religion studies. *Church, Communication and Culture, 1*(1), 73-89.
- Combessie, J. C. (1967). P. Bourdieu et collaborateurs, Un art moyen, essai sur les usages sociaux de la photographie, Collection «Le Sens Commun». *Annales, 22*(3), 641-644.
- Dumez, H. (2011). Qu'est-ce qu'un concept?. *Le Libellio d'AEGIS, 7(1, Printemps-Supplément)*, 67-79.

- Echchaibi, N., Stadlbauer, S., Rajabi, S., Evolvi, G., & Kim, S. S. (2013). Third Spaces, Religion and Spirituality in the Digital Age Panel 2. *AoIR Selected Papers of Internet Research*.
- Farahbakhsh, R., Han, X., Cuevas, A., & Crespi, N. (2013, August). Analysis of publicly disclosed information in facebook profiles. In *Proceedings of the 2013 IEEE/ACM International Conference on Advances in Social Networks Analysis and Mining* (pp. 699-705).
- Fernback, J. (2002). Internet ritual: A case study of the construction of computer-mediated neopagan religious meaning. *In Practicing religion in the age of the media: Explorations in media, religion, and culture* (pp. 254-275). Columbia University Press.
- Frosh, P. (2015). Selfies| The gestural image: The selfie, photography theory, and kinesthetic sociability. *International journal of communication, 9, 22*.
- Georges, F. (2009) . Représentation de soi et identité numérique Une approche sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0. *Réseaux, n° 154(2)*, 165-193. https://doi.org/10.3917/res.154.0165.
- glossaire, D. du. (2023). Biais de confirmation. In Y. Citton, M. Lechner, & A. Masure (éds.), *Angles morts du numérique ubiquitaire* (1-). Presses universitaires de Paris Nanterre. https://doi.org/10.4000/11tsr.
- Goodwin, I. (2017). Book review: H. Rheingold. 1993. the virtual community: Homesteading on the Electronic Frontier. reading, *Massachusetts: Addison-Wesley*. ISBN 0-201-60870-7 H. rheingold. 2000. the virtual community: Homesteading on the Electronic Frontier . C.
- Helland, C. (2000). Online-religion/religion-online and virtual communitas. In *J. K. Hadden & D. E. Cowan (Eds.), Religion on the Internet : Research Prospects and Promises*. London : *JAI* Press/Elsevier Science. Vol 8. pp. 205–224.
- Hine, C. (2000). Virtual ethnography. *SAGE Publications*.
- Hoover, S., & Echchaibi, N. (2014). Media theory and the third spaces of digital religion. IN: the third spaces of digital religion. (1st ed. 2023) *Routledge*. 1-36.
- Kozinets, R. (2010). Netnography : Doing Ethnographic Research Online, disponible en ligne: https://www.researchgate.net/publication/267922181_Netnography_Doing_Ethnographic_Research_Online.
- Marwick, A. E., & Boyd, D. (2011). I tweet honestly, I tweet passionately: Twitter users, context collapse, and the imagined audience. *New media & society, 13*(1), 114-133.
- Mercklé, P. (2016). La sociologie des réseaux sociaux. Paris : *La Découverte*. (3ème. Ed).
- Miller, V. (2020). Understanding digital culture. *SAGE Publications*. (2nd. Ed).
- Moberg, M., & Sjö, S. (2020). Digital media, young adults and religion. *Routledge*.
- O'Leary, S. & Brasher, B. (1996) 'The unknown god of the internet: religious communication from the ancient agora to the virtual forum', in Philosophical Perspectives in Computer-Mediated Communication, ed. C. Ess, *State University of New York Press*, New York, pp. 233–270.
- Rachik H. (2006). Jeunesse et changement social, in Bourquia R. (ed.) 2006, *Société, Famille, Femmes et Jeunesse. 50 ans de developpement humain et perspectives 2025, (1)* Rapport général, 195-220.
- Rachik, H. (1991). « Jeunesse et groupes d'âge en milieu rural », Collectif, Jeunesse et société dans les pays du Maghreb, *Faculté des Sciences de l'éducation*, Rabat.
- Serelle, M. (2016). The ethics of mediation: aspects of media criticism in *Roger Silverstone's works. MATRIZes, 10(2).* 75-90. DOI: 10.11606/issn.1982-8160.v10i2p75-90
- Tomas, F. (1999). Castells M., L'ère de l'information, tome 2: Le pouvoir de l'identité. *Géocarrefour, 74(4)*, 312-312. www.persee.fr/doc/geoca_0035-113x_1999_num_74_4_4988

- Van Dijck, J. (2013). 'You have one identity': Performing the self on Facebook and LinkedIn. *Media, culture & society, 35*(2), 199-215.
- VAN HOUSE, Nancy A. (2009). Collocated photo sharing, story-telling, and the performance of self. *International Journal of Human-Computer Studies*, vol. 67, no 12, p. 1073-1086.
- Zerhouni, S. (2019). Jeunes et politique au Maroc: les motifs de la non-participation. *Revista de Estudios Internacionales Mediterráneos, (26)*, 43-54. https://doi.org/10.15366/reim2019.26.003

تقارير الهيئات الحكومية

- Au Plan, H. C. (2004). Rapport national sur la politique de la population 2004: La Jeunesse Marocaine, situation actuelle et perspectives. https://www.hcp.ma/file/231664/
- وزارة العدل المغربية. (2021). مديرية التشريع. مدونة الشغل. المادة 143.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

الأسرة بالمجال القروي المغربي بين التنمية المحلية والتغير الاجتماعي

دراسة في حالة الأسرة بمنطقة ايت بعمران جنوب المغرب

معتصم بوبكر

دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة ابن طفيل كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، القنيطرة، المغرب

البريد الإلكتروني: moatasim1245@gmail.com

ملخص الدراسة

تنطلق هذه الدراسة الميدانية لمؤسسة الأسرة بالوسط القروي لمنطقة أيت بعمران بالجنوب المغربي من منطلق دراسة ميدانية، نحاول من خلالها رصد مجموعة من المتغيرات التي مسّت بنية هذه المؤسسة التقليدية بناء على متغيرين اثنين وهما: التنمية والتغير الاجتماعي.

الكلمات المفاتيح: الأسرة، التنمية، التغير الاجتماعي

Summary of the study

This field study of the Family Foundation in the village centre of the Ait baamran region of southern Morocco is based on a field study, through which we try to monitor a series of variables that have affected the structure of this traditional institution based on two variables: development and social change.

Keywords : Family, development, social change

مقدمة:

تعتبر الأسرة أحد أهم المؤسسات الاجتماعية التي تمّت دراستها من طرف الكثير من الدراسين والباحثين، وذلك من أجل فهم طبيعة هذه المؤسسة وكيفية اشتغالها داخل المجتمع. وعليه ففهم الأسرة هو المدخل الرئيسي لفهم طبيعة المجتمع في كليته.

بناء عليه ووفق النقاش الدائر في الآونة الأخيرة بالمجتمع المغربي تزامنا مع إصلاح مدونة الأسرة، ارتأينا أن نقدم هذه الدراسة الميدانية عن الأسرة بالوسط القروي. وهي دراسة انطلق تحليلها من متغيرين اثنين "التنمية والتغير الاجتماعي". هي دراسة تحليلية جاءت من منطلق الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة تهتم أساسا بواقع الأسرة بالمجال القروي.

لقد قررنا الاشتغال على هذه المؤسسة وربطها بهاذين المتغيرين، وذلك من أجل فهم الآثار الجانبية لهذه التغيرات التي هزّت بنية الأسرة وأدّت بها إلى انتقال سريع من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، وما خلافه هذا الانتقال من أثار سلبية وايجابية. وعليه قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى قسمين، حيث تناولنا في القسم الأول الأسرة في علاقتها بالتنمية وفي القسم الثاني الأسرة في علاقتها بالتغير الاجتماعي.

إشكالية الدراسة:

هل التغير الاجتماعي في علاقته بالأسرة بمجال أيت بعمران القروي هو نتاج للتنمية المحلية؟ أم هو سيروة تاريخية؟

أولا: الأسرة والتنمية المحلية:

تعتبر الأسرة مؤسسة اجتماعية كباقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى، والأسرة بالمجال القروي لمجتمع الدراسة على وجه الخصوص، لازالت مؤسسة اجتماعية تقدم مساعدة لفهم مجتمع الدراسة. حيث أنّ هذه الأخيرة، هي التي تفتح الباب أمام فهم مجموعة من المتغيرات في المجتمع. ومن هنا جلبت هذه المؤسسة اهتمامات الدّارسين والباحثين في مختلف العلوم.

إنّ الأسرة بالمجال القروي لأيت بعمران، مؤسسة لها تاريخ اجتماعي خاص بها كباقي المؤسسات الأخرى. وهذا التاريخ هو الذي سمح لها أن تتبوأ المكانة التي هي عليها الآن.

لقد رأينا في السابق بعض المتغيرات أو بعض العوامل الخارجية والداخلية، والتي ساهمت في إحداث بعض التغيرات الاجتماعية على مستوى بنية الأسرة التقليدية، وسوف نذكرها بعجالة تفاديا للتكرار وهي، (النقود- الزواج الخارجي- البناء- الهجرة). إنّ هذه العوامل ساهمت وبشكل واضح في وضع الأسرة بالمجال القروي لمجتمع البحث في مرمى التغير الاجتماعي.

لقد تعرضت بنية الأسرة بالمجال القروي لأيت بعمران لمجمل التغيرات الاجتماعية، وذلك على مجموع الأصعدة. وهذا التغير ساهمت فيه مجموعة من العوامل داخلية/خارجية. فعلى سبيل المثال، أَصبح تقسيم الأدوار داخل الأسرة واضح وبشكل يبدوا حتى للغريب عن المجال القروي، خصوصا فيما يتعلق بالشق المادي داخل الأسرة. إذ أصبحت المرأة في كثير من الحالات هي التي تتكلف باقتناء بعض المستلزمات التي تكون في حاجة إليها (الأثاث، الأغطية ..)، وذلك بعلم الزوج أو بدون علمه، وهذا الأمر لم يكن في الأسرة سابقا، بل العكس من ذلك.

إنّ الأسرة، خصوصا الممتدة بالمجال القروي لأيت بعمران ظلّت فيها مكانة المرأة محدودة، لكن مع توالي السنوات وخصوصا اندثار الأسرة الممتدة وظهور الأسرة النووية أصبحت مكانة المرأة بنفس مكانة الرجل.

"حينما يتم دراسة إشكالية المرأة والعمل بالمجتمع المغربي، فإنه غالبا ما يتم التطرق لأوضاع المرأة العاملة وأدوارها ومكانتها داخل العمل. ينطلق الدارسون للمرأة والعمل في الغالب من الإحصائيات الرسمية لمديرية الإحصاء، التي تعتمد مقياسا أساسيا في تحديد مفهوم العمل، ألا وهو الدخل الشهري، بمعنى أنّ عمل المرأة هو الذي يدر دخلا نقديا يكون مسجلا في الإحصائيات الرسمية. أما عمل المرأة غير المأجور، سواء داخل منزلها أو خارجه، كالحقل أو السوق، فإنه يتم السكوت عنه، وبالتالي تكون الإحصائيات الرسمية، تعمل وفق تصور ضيق لمفهومي الإنتاج والنشاط الاقتصادي لعمل المرأة بالمجتمع القروي"[129]. وبهذا تكون مجموعة من الدراسات التي تقدم إحصائيات بخصوص عمل المرأة، قد أغفلت جانب مهم والمتمثل في مساهمة المرأة في تنمية الأسرة وبروز دورها الخاص داخل هذه المؤسسة.

تعد هذه التصرفات الجديدة التي أقدمت عليها المرأة داخل مؤسسة الأسرة بالمجال القروي لمجتمع البحث، والمتمثلة في اقتناء ما تحتاجه غير منتظرة الزوج، وبناء على تقنية المقابلة والملاحظة المباشرة ليس بسبب التنمية المحلية، بقدر ما هو بسبب بعض الإعانات المالية التي تحصل عليها الأم من طرف الأبناء خصوصا من يشتغلون في قطاعات معينة كالقطاع الأمني أو التعليم أو الأعمال الحرة، حيث تقدم هذه المساهمات للأم في مناسبات سنوية وهي التي تخول لها أن تؤثث بيتها بالطريقة التي تشاء. لكن بالرغم من ذلك تبقى المرأة في نظرنا غير فاعلة نوعا ما.

[129]- عبد الرحيم عنبي: الأسرة القروية بالمغرب، ص 13.

وعليه لا يمكن نكران مدى أهمية التحول الذي عرفته الأسرة الممتدة في المجال القروي لأيت بعمران وذلك بسبب ظهور بعد مؤشرات نتيجة ما يمكن تسميته بتنمية العالم القروي، تلك المؤشرات التي أدّت إلى بروز نوع من الاستقلال الأسري والانتقال من أسرة ممتدة خاضعة لسلطة الجد الأكبر إلى أسرة نووية ذات سيادة الزوج والزوجة.

وفيما يتعلق بالتنمية المحلية بالمجال القروي للبحث في علاقتها بالأسرة، يمكن القول بأنها تنمية ضعيفة إلى حد ما، بحيث لم يكن هناك مجال قادر على تشغيل النساء بشكل كافي، اللهم إذا استثنينا جماعة "اصبويا" القروية التي تتوفر على تعاونية للاشتغال على منتوج الصبار. لكن وبسبب أزمة كورونا والحشرة القرمزية التي أودت بهذا المنتوج المحلي بشكل كلي، لم تعد النساء تمارس عملها كالمعتاد، زيادة على ذلك تعاونية "تفيوشت" الواقعة بتراب جماعة مستي، والتي تشتغل فيها مجموعة من النساء و التي تهتم بمنتوج زيت الأركان، أما باقي الجماعات الأخرى خصوصا جماعة (تنكرفا، ايت علي، ايت عبلا)، لم تكن هناك مشاريع تنموية تستهدف النساء بالدرجة الأولى.

لكن لا يمكن التغافل عن مدى أهمية استفادة هذه الأسر من مجموع تراب المجال الجغرافي للبحث من برامج هذه التنمية المحلية رغم ضعفها، إذ أصبحت الأسر مسايرة للوضع بشكل طبيعي أكثر من ذي قبل. فلم تكن في السابق تعي تماما مدى أهمية ووظيفة المركز الصحي والخدمات التي يقدمها، ثم الإلمام بوظيفة المدرسة أيضا والإنجاب...، فكل هذه الأمور وإبّان فترة الأسرة الممتدة لم تكن الأسرة بشكل عام والنساء على وجه التحديد على قدر من الأهمية من كل هذه العوامل، والسبب يعود بالدرجة الأولى إلى استفادة الأسرة من برامج فك العزلة عن العالم القروي ولو بشكل ضعيف جدا.

وبناء عليه، وفي ذات السياق دائما، فإن وضعية ومكانة المرأة داخل الأسرة سابقا والآن، لم يعد كما هو عليه، حيث فرضت عوامل التغير الاجتماعي ومؤشراته نفسها أكثر من ذي قبل، وذلك يتجلى في طبيعة الأدوار الاجتماعية واستقلال بشكل محتشم في رأي المرأة، خصوصا فيما يتعلق بالزواج والطلاق اللذان أًصبحها من شأن المرأة بالرغم من التحفظات التي تأسست على العرف والتقاليد.

ولكي نوضح بشكل أكثر أصبح من حق الفتاة اليوم أن تختار لنفسها شريك حياتها وذلك عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي ثم استكمال دراستها، كلها عوامل جديدة تساهم في تعزيز قدرة هذه الاختيارات أكثر. وهذا قبل ظهور الأسرة النووية بالمجال القروي، وتغيير في الأدوار داخل مؤسسة الأسرة، لكن اليوم تغيرت المعادلة وبشكل كبير.

لقد كانت الأسرة خصوصا الممتدة تعمل وفق مبدأ تقسيم الأدوار إذ، "تقوم الأسرة القروية في علاقتها على أساس السلطة، إذ تعد أساس توزيع العمل بين أعضائها، ذلك أن التنشئة الاجتماعية التي كان يتلقاها الأطفال تجعلهم يرتبطون بمؤسسة العائلة، مما جعل من العائلة الممتدة الخاصية الأساسية لهذه المؤسسة. كما أنها تمتص الفرد وتخضعه للسلطة الأبوية، التي تتمركز أساسا بيد الأب أو الجد، أي: بيد كبير الذكور من الأسرة"[130]. إنّ هذا التقسيم في الأدوار والذي يجعل من سلطة الجد الأكبر المسير الفعلي للأسرة لم تعد اليوم، حتى وإن ظلّت فهي شكلية وهذا مؤشر من مؤشرات التغيير في الأدوار.

تعتبر كل هذه المؤشرات غير مسموح بها إبّان سيادة سلطة الجد الأكبر والنظام الأبوي داخل الأسرة الممتدة، حيث أنّ مسألة الاستقلال في الرأي وحرية الاختيار أصبحا معدومي الأفق بشكل واضح، لكن وجراء السيول الجارفة من موجات التغير الاجتماعي بالوسط القروي والذي مس ببنيات الأسرة وسمح للفتاة باستكمال دراستها وبروز نمط جديد من الأسر النووية، عززا من استقلالية الرأي لدى المرأة بشكل محتشم، لكنه في تطور ملحوظ.

وبالرغم من ذلك، هناك تغير اجتماعي طرأ على بنيات المجتمع البعمراني، جراء تدخلات الدولة في هذا المجال وذلك بواسطة كل من، الكهرباء والماء وتعبيد الطرقات بشكل غير كافي لتصبح طرقا في المستوى، وبناء المراكز الصحية والمدارس والاستثمار الشبه ضعيف في المنتوجات المحلية عبر إنشاء بعض التعاونيات والجمعيات ببعض الجماعات، فأصبح هذا التدخل الذي يحمل في طياته عنوان تنمية المجال القروي وفك العزلة، مساهم بشكل أو بآخر في إحداث سلسلة من التغيرات على مؤسسة الأسرة.

إنّ تركيزنا على الأسرة بشكل كبير، لم يأتي من فراغ، بل هو تركيز نحاول من خلاله أن نفهم جوهر التغير، وذلك راجع بالأساس إلى أنّ الأسرة مؤسسة اجتماعية من خلالها يمكن فهم باقي المتغيرات الأخرى حسب الدارسين والباحثين في هذا الشأن، وهذا ما جعل منا أن نضع تركيزنا الشديد على هذه الأخيرة.

إن تدخل الدولة بالمجال القروي عن طريق إنشاء مشاريع تنموية، ساهم بشكل أو بآخر في وضع مؤسسات اجتماعية بهذا المجال في مرمى التغير الاجتماعي، ونخص بالذكر هنا مؤسسة الأسرة كالعادة، وسوف نقوم بتوسيع هذه الفكرة بناء على التقسيم المعد لهذه الدراسة.

130- عبد الرحيم عنبي: الأسرة القروية بالمغرب، مرجع نفسه، ص 223.

ثانيا: الأسرة والتغير الاجتماعي:

سنتناول في هذا المقطع الأسرة في علاقتها بالتغير الاجتماعي في مجال البحث محاولين فهم طبيعة هذا التغير وعوامله وكيف تعاملات معه الأسرة. وبهذا نكون قد استطعنا الجمع بين متغيرين اثنين لهما علاقة مباشرة بمؤسسة الأسرة بالمجال القروي لأيت بعمران وهما (التنمية والتغير الاجتماعي)، ولفهم هذه المتغيرات في علاقتها بالأسرة نكون قد فهمنا جزءا كبيرا من الإشكالية المركزية لهذه الدراسة، زد على ذلك مجموعة من المتغيرات الأخرى في علاقتها بباقي البنيات الاجتماعية في القبيلة.

لقد شهدت الأسرة بالوسط القروي لأيت بعمران هزّات اجتماعية و انتقال كمي ونوعي في آن واحد، خصوصا في العقدين الأخيرين، مما جعل منها محط أنظار الدراسات والأبحاث بشكل واضح، وهذا الانتقال ساهمت فيه مجموعة من المؤشرات ذات الطابع الخارجي و الداخلي في نفس الوقت، مما جعل منها أرضية سهلة لواقع التغير الاجتماعي.

بناء على ما سبق، أدت إنارة المجال القروي لأيت بعمران إلى تحديث مجموعة من التغيرات على مؤسسة الأسرة، حيث ساهم هذا الأخير في بروز و ظهور مجموعة من الأشياء داخل هذه الأخيرة والتي لم تكن من قبل، زد على ذلك تعبيد الطرق و الماء الصالح للشرب والمراكز الصحية و التعليمية التي أحدثتها الدولة بالوسط القروي، وتوظيف الشباب والهجرة والزواج ..، كل هذه العوامل لعبت أدوارا رئيسية في إحداث تغير على مستوى بنية ونظام الأسرة سواء داخلي أو خارجي. حيث ساهمت هذه العوامل في تقليص مجموعة من الأشياء التي كان الإنسان معتاد عنها، على سبيل المثال الماء حيث في السابق كانت النساء تذهب إلى المجاري والعيون لغسل الملابس وسقي الماء وهنا تظهر أدوار أخرى لدى المرأة حيث تسمح لها مثل هذه التجمعات في الحديث بكل أريحية ونظم أنشودات غنائية جماعية وتبادل الأفكار بينهنّ بخصوص الأمراض وتربية الأبناء ..، لكن ومع تحديث المجال القروي وتوفر الماء والكهرباء وظهور آلات جديدة في المنازل لم تعد النساء تلتقي كثيرا مع بعضهنّ البعض وبذلك تكون مجموعة من السلوكات الاجتماعية تقلّصت بشكل كبير.

"شكلت الأسرة القروية، منذ قرون طويلة الركيزة الأساسية للبنية الاجتماعية وذلك بفضل صمودها أمام عوامل التحول، في الوقت الذي تأثرت فيه مختلف التشكيلات الاجتماعية والبنيات القبلية، بالكثير من الأزمات الاقتصادية والصراعات القبلية وبالكوارث الطبيعية، التي تمثلت أساسا في الجفاف والمجاعات والأوبئة. لقد شكّلت الظروف المناخية

والاقتصادية والتاريخية، المتمثلة أساسا في عامل الاستعمار منطلقا حقيقيا لتحولات عميقة، وانتقالا فعليا إلى أشكال اجتماعية واقتصادية جديدة، مما ترك أثرا بالغا على مختلف مناحي الحياة المجتمعية"[131].

ومن المعلوم أن هذه العوامل لم تترك للأسرة مجالا للهروب والاعتماد على مبادئ تقليدية ورثتها عن طريق العادات والتقاليد والانتقال من مجتمع إلى ما بعد الاستعمار، بل عززت هذه العوامل قدرة الأسرة وذلك عن طريق التكيف مع هذا التغير في شتى مجالاته، فتحولات من الأسرة الممتدة إلى النووية الراغبة في تحقيق استقلالها، كما تحولات من أسرة تأسست على معاش اقتصادي ذو الطابع التضامني المبني على تقسيم الأدوار الاجتماعية إلى أسرة تعتمد على اقتصاد السوق.

لقد تخلت الأسرة، إن صحّ التعبير، عن مجموعة من الأدوار التي كانت تلعبها في السابق نتيجة التغير الاجتماعي الذي أصاب المجال القروي بشكل مفاجئ، فتغيرت من دور أسرة منتجة ومعتمدة على استهلاك محلي نتيجة نمط عيشها منذ زمن آفل، إلى أسرة مستهلكة تعتمد على كل ما يوفره السوق والمدينة.

ولعل الأسباب الرئيسية أيضا في تغير بنية ووظيفة الأسرة نجده يكمن في التحويلات المالية التي تتلقاها الأسرة من الأبناء في المدينة أو من دويها في الخارج، بحيث أنّ هذه التحويلات لها عدة أدوار في تغيير نمط عيشها، ولقد عاينا بشكل واضح مدى أهمية هذا القول. وذلك إبّان فترة الحجر الصحي الأول حيث أصبحت جل الأسر بالمجال القروي للبحث غير قادرة على توفير معاش يومي لأفرادها وللماشية والأبقار، وذلك راجع بالأساس إلى عدم الادخار، لأن هذا الأخير من أساسيات استمرار الأسرة والتكيف مع التقلبات المناخية وضعف تساقط الأمطار وتوالي سنوات الجفاف.

لقد كانت الأسرة بالمجال القروي للبحث أسرة تعتمد على ما تنتجه وما تستهلكه في حدود، ودائما ما تتوفر على خزين من مواد أولية كالحبوب والشعير والزيت والسكر والشاي والدقيق بكمية لابأس بها، بحيث يساعدها هذا التخزين على مسايرة وضعيات العيش المتقلبة. لكن، وإبان تخلي الأسرة عن هذه العادة القديمة والمتوارثة واعتمادها بشكل كلي على ما يقدمه السوق من سلع وخدمات دفعت ثمن تخليها عن هذه العادة بتكلفة باهظة نوعا ما.

وقبل الشروع في تحليل هذه المعطيات التي ساهمت في تغيير وضعية الأسرة لابد لنا أن نتوقف عند أهم المحطات التي سمحت لنا برصد مجموعة من التغيرات التي طرأت على هذه المؤسسة، حيث أصبح الآن من الصعب جدا التمييز بين

131- عبد الرحيم عنبي: الأسرة القروية بالمغرب، مرجع سابق، ص 83-84.

نمط عيش الأسرة في الوسط الحضري مع نمط عيشها في الوسط القروي، وذلك راجع إلى عدت اعتبارات، لعل أبرزها يكمن في أدوات تزيين البيت ومعدات كهربائية جاهزة للاستعمال وهواتف ذكية حيث لا يمكن أن نجد أسرة واحدة لم تتوفر على أكثر من هاتف ذكي.

إن كل هذه المؤشرات لم تأتي من فراغ، بل هي نتيجة لعوامل خارجية، هي التي ساهمت في ظهور هذه المؤشرات بشكل أو بآخر، ولعل أبرزها يكمن في تدخل الدولة المتمثل في استهداف هذا المجال، و الذي أشرنا إليه في الفصل السابق، إذ يعد مشروع فك العزلة عن العالم القروي والذي تبنته الدولة باعتباره مشروع تنموي، لكنه يعتبر أيضا سيف دو حدين.

أمّا فيما يتعلق بمجموع الدراسات التي تناولت الأسرة في علاقتها بالتغير الاجتماعي والتنمية المحلية بالأواسط القروية، فيمكن القول بأنها دراسات تختلف عن بعضها البعض، بالرغم من اعتمادنا عليها، وهذا الاختلاف جاء نتيجة المجالات التي تناولتها، ومن المعلوم أن المجالات الجغرافية بالمغرب تختلف باختلاف العادات والتقاليد والأعراف، لكنها تلتقي في نقطة واحدة لعل أبرزها يكمن في دراسة الأسرة بالوسط القروي وكل ما يتعلق بالتغيرات الاجتماعية التي أتت على المجتمع على حين غيرة أحيانا، وأحيان أخرى بشكل متقطع.

خاتمة:

تشكل هذه الدراسة الميدانية التي تهتم بأحد أهم المؤسسات الاجتماعية التقليدية بالوسط القروي المغربي عموما وبمنطقة أيت بعمران على وجه التحديد، دراسة سمحت لنا ولو بشكل متواضع إلى الوقوف على مجموعة من التغيرات التي مسّت بنية هذه الأخيرة وأدّت إلى بروز نمط جديد من التغيرات الاجتماعية والتي هزّت بنية هذه المؤسسة. ولعل أبرزها يكمن في عاملين اثنين (عامل داخلي-خارجي)، كالهجرة والعمل وتدخل الدولة. كلها مؤشرات ساهمت بشكل واضح في إحداث تغيرات على مستوى بنية الأسرة بالمجال القروي لأيت بعمران بشكل يبدو واضح للعيان.

إنّ الأسرة كانت إحدى أهم المؤسسات الاجتماعية بناء على مجموعة من الأدوار التي تقوم بها، لعل أبرزها يكمن في الوظيفة البيولوجية (الانجاب) لأنها توفر للمجتمع يد عاملة تساهم في تنمية الإنتاج، لكن في السنوات الأخيرة تقلصت هذه الوظيفة لعدة عوامل لعل أبرزها، العزوف عن الزواج وبلوغ الشيخوخة ذروتها في المجتمع القروي، بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية كالهجرة. كل هذه المؤشرات ساهمت بشكل كبير في تغيير من واقع الأسرة بالوسط القروي، لهذا لا زالت تحتاج إلى الكثير من الدراسات خصوصا في مجتمع لا زال في طور التحول.

الأسرة هي رافعة للتنمية ومؤسسة لا يمكن التخلي عن الأدوار الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تقوم بها، خصوصا وأنها أســرة تقليدية في طابعها، وبالرغم من ذلك تكيّفت مع مجموعة من العوامل والمتغيرات التي غيّرت بنيتها وحولتها، وبالخصــوص في المجال القروي الذي ظلت فيه الأســرة إلى اليوم تقاوم وتصــارع معادلة التحديث والتقليد فهي تقف بين الهنا والهناك. وبالرغم من ذلك لم تفرط ولو بشــكل كبير في عاداتها وتقاليدها وكل ما يتعلق بالموروث الثقافي، لكن هذا لا يمكن أن ننكر أنها تعرضت لهزّات عنيفة غيّرت فيها مجموعة من الأشياء.

لائحة المراجع:

- عبد الرحيم عنبي: الأســرة القروية بالمغرب، من الوحدة الانتاجية إلى الاســتهلاك، دراســة ميدانية لاتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي المغربي.

تدهور التربة بالمغرب التحديات والافاق

Dégradation des sols au Maroc : défis et perspectives

ياسين الشاوي [1] ، ذ. لمصطفى وادريم [2]

1طالب باحث بسلك الدكتوراه جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية chaouiy23@gmail.com

2 أستاذ التعليم العالي جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعوم الإنسانية المحمدية ouadrim11@gmail.com

Laboratoire Dynamiques des Espaces et des Sociétés
Facumté des lettres et des Sciences Humaines de Mohammedia
Université Hassan ll de Casablanca

ملخص:

إن تدهور التربة في المغرب هو نتيجة لمجموعة من العوامل الطبيعية والمناخية تعرية (érosion)، جفاف (sècheresse) وبشرية (anthropiques) (تطهير، رعي جائر، اقتلاع الغابات وسرعة التحضر والتمدين على حساب الاراضي الزراعية، **النفايات الصلبة المنزلية والنفايات الصناعية والنفايات السائلة** وما إلى ذلك ...). ويعتبر الرعي الجائر (surpâturage) والبناء فوق الاراضي الزراعية والتملح واستنزاف الفرشات المائية الجوفية والتكثيف الزراعي وإزالة الغابات هي الأسباب الرئيسية للتدهور.

هذا التدهور يؤثر على الأراضي الغير مسقية البور (Bour) والأراضي المروية المسقية(irriguées) والواحات (les oasis) والمراعي (les parcours). يقدم هذا المقال مفهوم ومنهج تقييم تدهور التربة ويقدم اشكالية هذا التدهور في المغرب (المبحث الاول). ثم تقدير تكلفة تدهور الأراضي الزراعية المزروعة والمراعي (المبحث الثاني). ثم استنتاجات ومقترحات في خاتمة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: التربة، الاراضي الزراعية، المراعي، التملح، التصحر، الاجتثاث، التدهور.

Abstract:

Land degradation in Morocco is the result of a combination of natural and climatic factors: erosion, drought and anthropogenic (clearing, overgrazing, uprooting of forests, rapid urbanization and urbanization to the detriment of agricultural land, household solid waste, industrial waste, liquid waste, etc.). Overgrazing (overgrazing), construction on agricultural land, salinization, depletion of groundwater, agricultural intensification and deforestation are the main causes of degradation.

This degradation affects non-irrigated land (Bour), irrigated land (irrigated), oases and pastures (parcours). This article presents the concept and methodology for assessing soil degradation and presents the problem of this degradation in Morocco (the first section). Then estimate the cost of degrading cropland and pasture (Section Two). Then conclusions and suggestions at the conclusion of the study.

Keywords: soil, agricultural land, pasture, salinization, desertification, eradication, degradation.

مقدمة:

تدهور التربة (بالإنجليزيّة: Soil Degradation) هو فقدان القدرة الإنتاجيّة للأرض، من حيث فقدان التنوّع الحيوي، وخصوبة التربة؛ وذلك بسبب التلوث الصناعي، والزراعي، والتجاري، والتغييرات المناخيّة طويلة الأمد، والتوسع الحضري، والرعي الجائر، بالإضافة إلى الممارسات الزراعيّة غير المستدامة، ومن الجدير بالذكر أنّ جميع التربة السطحية قد تصبح غير منتجة إذا استمرت معدلات الخسارة الحاليّة، الأمر الذي جعل من مشكلة تدهور التربة قضيّة عالميّة يجب مناقشتها ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها.

يمثِّل تآكل التربة خطراً عالميًّا رئيسيًّا يتهدَّد استدامة النظم الإيكولوجية الزراعية وإنتاجية الأراضي. وتُستخدم تقنيات متطورة لقياس حجم ومصادر تآكل التربة، الذي يمكن مكافحته عن طريق اتِّباع ممارسات كفؤة للحفاظ على التربة.

تبلغ المساحة المتضررة من تدهور الأراضي في الوقت الراهن 1,9 مليار هكتار على الصعيد العالمي، أو نحو 65% من موارد التربة في العالم. والتعرية هي المساهم الأكبر في هذا التدهور بنسبة 85 % ويعتمد قرابة 1,5 مليار شخص – أي ربع سكان العالم – اعتماداً مباشراً على إنتاج الأغذية من الأراضي المتدهورة. تفقد النظم الزراعية في العالم ما يزيد على 32 مليار طن من التربة الخصبة سنويًّا نتيجة لتآكل التربة. وتُقدَّر التكلفة الاقتصادية المرتبطة بتآكل التربة في المزارع وخارجها بمبلغ 400 مليار دولار أمريكي سنويًّا وبالاشتراك مع الفاو يعمل المغرب، على تعزيز القدرات واستخدام التقنيات المتطورة والمتقدمة من أجل تحسين ممارسات مكافحة تآكل التربة، بما يدعم إنتاج المحاصيل والمحافظة على الموارد الطبيعية.

المبحث الاول:

1-تدهور التربة: المفهوم ومقاربة التقييم –La dégradation des sols: concept et approche d'évaluation

يمثل تدهور التربة تغيرًا في بنية التربة، حيث يؤدي إلى انخفاض في قدرة النظام البيئي (écosystème) على توفير السلع والخدمات للمستفيدين منه[132].

تعتبر التربة مكون اساسي من مكونات النظام البيئي حيث تقدم خدمات إقتصادية وبيئية وثقافية وتنظيمية (régulation) (MEA 2005). وتدهورها لا يؤدي فقط إلى خسارة في الإنتاج الزراعي، ولكن أيضًا في فقدان التنوع البيولوجي (Une perte de la biodiversité)، وانخفاض عزل الكربون (la séquestration du carbone)، وتوحل السدود (l'envasement des barrages) وأثار جانبية أخرى. يلخص الجدول رقم (1)، دون أن يكون شاملاً، العلاقة بين أسباب تدهور التربة وتأثيراتها.

يؤدي تدهور الأراضي الزراعية والمراعي إلى تأثيرات في الموقع (sur site)، مثل انخفاض الإنتاجية أو فقدان قيمة الأرض؛ والتأثيرات خارج الموقع، مثل تغرين السدود أو البحيرات (l'envasement des barrages ou des lacs)، والتي بدورها يمكن أن تؤثر على التنوع البيولوجي (بيمينتيل وآخرون 1995). يقدّر هذا الفصل الآثار الموضعية لتدهور الأراضي.

جدول رقم (1): التصحر وتدهور الأراضي و آثارها

[132] www.fao.org

أسباب التصحر وتدهور الأراضي	التأثير على خدمة النظام البيئي	الوقع
مناخ الديموغرافيا نظم الإنتاج الزراعي فقر السياسات العمومية	الإنتاجية الزراعية	خسارة المحصول الزراعي سوء التغذية
	الثروة الحيوانية / الرعي	فقدان الأعلاف ومنتجات الثروة الحيوانية
	الماء	ترسيب المجاري المائية والسدود انخفاض مخزون الأسماك الأمراض التي تنتقل بالماء
	التنوع البيولوجي	فقدان الأنواع الأيقونية (emblématiques)
	كربون	انبعاثات الكربون
	السياحة البيئية والاستجمام	انخفاض في عدد الزوار(السياح)
المصدر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2018 (PNUD)		

تقديرات الإنتاجية وخسارة الأرض تبنى على أساس طريقة تغيير الإنتاجية.

تقدر هذه الطريقة تكلفة تدهور الأراضي حسب التغير في الإنتاجية بسبب التعرية (érosion)، التملح (salinisation) أو الاجتثاث(défrichement)[133]. فالإنتاجية تعتمد على عدة عوامل، مثل العمالة والمدخلات ونوع التربة والتعرية؛ ومع ذلك، بسبب عدم القدرة على عزل تأثير الانجراف (érosion) على العائد، سيتم افتراضه، كل الأشياء متساوية في المكان، تترجم آثاره إلى انخفاض في العائد زراعي. التقدير يستند إلى تقييم الخسارة من الناحية المادية (قنطار/ هكتار)، وكذلك فقط من الناحية النقدية باستخدام الأسعار الزراعية[134].

تدهور التربة لمدة عام له تأثيرات لعدة سنوات متتالية. بعض علماء التربة مثل **(Magrath and Arens 1989)** يعتقدون أنه يمكن أن يكون دائمًا في حالة عدم وضع حد لهذا التدهور. هذه الدراسة تقدر تكلفة التدهور من خلال القيمة الحالية أو المستقبلية لضرر على مدى 25 سنة مع أ معدل تحيين 6٪.

من أجل تكييف البرنامج الوطني لمكافحة التصحر **(PANLCD)** لخصوصيات الجهة،

[133] طريقة بديلة هي تلك القائمة على تكلفة الاستبدال. تقدر هذه الطريقة تكلفة التدهور على أساس النفقات التي يجب تكبدها لاستبدال الأصل التالف. هذه هي الطريقة أيضا المستخدمة من قبل اصحاب الخطة الوطنية لإدارة احواض تصريف المياه في المغرب (HCFELCD).

[134] عائد مردودية تربة معينة هو نتيجة تفاعلات العناصر التالي: مغذيات التربة، المادة العضوية، عمق التربة والقدرة على الاحتفاظ بالمياه. لذلك، يشمل الانخفاض في المردودية كذلك فقدان عناصر التسميد **(Barbier 1995)**. وبالتالي هذا الفصل فقط يقدر الانخفاض في الغلة بسبب التدهور.

قسّم (HCEFLCD 2013) المغرب إلى ثماني "مناطق متجانسة[135] حيث خص كل واحدة من هذه المناطق بتحليل قاد لكل منهم تحليل[136] (DPSIR).

2-1 الأراضي الفلاحية -terres agricoles

سنعالج من خلال هذا المحور تقدير تكلفة تدهور الأراضي الزراعية البعلية (terres des cultures pluviales)؛ وتكلفة تملح الأراضي الزراعية المروية (la salinisation des terres de cultures irriguées). من خلال تقسيم الأراضي، الجدول رقم (2)، فضلا عن أهم التهديدات (les menaces) المرتبطة بهذا التدهور.

جدول رقم (2): الأراضي الزراعية والتهديدات (مليون هكتار)		
الأراضي الزراعية	المساحة (مليون هكتار)	التهديدات الرئيسية
الأراضي الر اقدة (Jachère)	0,5	
الزراعة المسقية	1,5	التملح والتمدين
الزراعة البعلية	7	التعرية المائية والريحية و التمدين
المجموع	9	
المصدر: المصادر: MAPM؛ FAOSTAT. MATEE (2004) ؛ (HCEFLCD 2018)		

1-2-1 تكلفة تدهور الأراضي المخصصة للمحاصيل البعلية – Coût de la dégradation des terres de culture pluviale

تدهور هذه الأراضي هو نتيجة لعوامل طبيعية (تآكل بشكل أساسي التعرية المائية) وعوامل بشرية (HCEFLCD 2013). كإزالة الغابات (la déforestation)، وإدارة المحاصيل غير الفعالة (cultures inefficientes) كلها عوامل تؤدي إلى تفاقم تأثير التعرية (ريم 2015). فتقدير تكلفة التدهور الناتج عن تأثير التعرية التي تتعرض لها الأراضي الزراعية البعلية هو ناتج عن مزيج كل هذه العناصر[137].

يعكس هذا التقدير فقط تكلفة خسائر المحاصيل الزراعية؛ الخسائر الاخرى، مثل فقدان التنوع البيولوجي وعزل الكربون لا يمكن حساب تكلفتها بسبب نقص المعلومات.

تقييم خسارة الغلة بسبب التعرية يحتسب على أساس طريقة تغيير الإنتاجية. عبر أربع خطوات: 1) تحديد معدلات التعرية المائية؛ 2) تقدير مدى تدهور الأراضي؛ 3) تقدير العلاقة السببية بين التعرية والمردودية الزراعية؛ 4) تقييم التكلفة الاقتصادية للتعرية؛

- ✓ تحديد معدلات التعرية المائية -Déterminer les taux d'érosion hydrique

[135] استند تحديدهم إلى ثلاثة معايير: الشكل التضاريسي والمناخ والتربة الرئيسية.

[136] Forces motrices (Drivers), pressions (Pressures), états (State), impacts (Impacts) et les réponses (Réponses). Cette analyse met en relief les interactions entre la société et l'environnement.

[137] على العكس من ذلك، أظهرت العديد من التجارب الملموسة في هذا المجال أنه من خلال التهيئة والإدارة المناسبين، عن طريق التفاوض مع الفلاحين والتي قد تشمل فترات راحة، من الممكن استعادة الموارد الرعوية والنباتية، وضمان حصيلة مائية أفضل، بتقليل من خطر الفيضانات في اتجاه مجرى الواد (HCP،" الزراعة 2030 ").

الأراضي الزراعية مهددة أكثر من قبل انجراف التربة. بسبب الاستغلال المتكرر لها (ضعف الراحة - faiblesse de la jachère) عبر التكثيف الزراعي. وعدم كفاية تدابير حماية التربة. في المغرب، التعرية المائية شديدة مع وجود تدهور نوعي، ففي احواض التصريف الريفية تتجاوز التعرية المائية 20 طن / هكتار / سنة بسبب شدة الانحدارات، وبين 10 و20 طن / هكتار / سنة، في منطقة مقدمة الريف، وبين 5 و10 طن / هكتار / سنة في الأطلس المتوسط والكبير، وأقل من 5 طن / هكتار / سنة، في مناطق أخرى **(REEM 2015)**.

للأسف، الجهات الرسمية في المغرب ليس لديه بيانات ومعلومات كافية على التعرية المائية للأراضي الزراعية.

من أجل تحديد بدقة معدلات الانجراف السائدة

في البلاد، لذلك اكتفينا في هذه الدراسة على استخدام المعلومات التي تخص نظام التعرية المائية المستقاة

من دراسة(HCEFLCD 2018) .

وفقًا لدراسة(HCEFLCD 2018) ، في حالة تعرية مائية ضعيفة

تهيمن على 75٪ من سطح التربة المغربية،

مع معدلات تآكل تتراوح بين 5 و10 طن / هكتار / سنة (الجدول رقم 3). وفي حالة المساحة الزراعية المفيدة **(SAU)**[138]، يمكننا أن نفترض أنها تعرف نفس درجات انجراف التربة على المستوى الوطني. وبالتالي، فإن 6.4 ٪ من **(SAU)** سوف تتآكل بشكل طفيف للغاية، و75٪ من **(SAU)** تعرف تعرية مائية ضعيفة (faiblement érodée) (على سبيل المثال أراضي السهول والهضاب المفتوحة على المحيط الأطلسي) ومن المساحة الزراعية المفيدة (SAU)، 10٪ تعرف تعرية مائية متوسطة (moyennement érodée) و8.7٪ من المساحة الزراعية المفيدة **(SAU)** تتعرض لتعرية مائية قوية وشديدة.

جدول رقم (3): حالات التآكل المائي للتربة في المغرب

فئة التعرية المائية	< 5 t/ha	5-10 t/ha	10-20 t/ha	> 20 t/ha
درجة التعرية المائية	ضعيفة جدا	ضعيفة	متوسطة	قوية
المساحة المتضررة (٪ من المجموع)	6,4	74,9	10,0	8,7

المصدر: (HCEFLCD 2018)

في حوض التصريف بمنطقة الريف، أظهرت القياسات على قطع الأراضي النتائج التجريبية معدلات تآكل تقدر ب 18 طن / هكتار / سنة على مستوى الأراضي المزروعة جزئياً وبمعدل 74 طن / هكتار / سنة على مستوى الاراضي المزروعة بالكامل (HCEFLCD). **صادقي وآخرون. (2004)** وجد معدل تآكل متوسط لكل الجريان السطحي[139] من طن / هكتار / سنة في مستجمعات مياه وادي بوسواب **(oued Boussouab)** (الريف الشرقي، المغرب).

[138] La Surface agricole utile (SAU)

139 L'érosion en nappe s'entend du déplacement des particules de sol provoque par le choc des gouttes de pluie et les eaux de ruissellement. Elle se produit habituellement d'une manière égale sur une pente uniforme et passe inaperçue jusqu'a ce que la quasi-totalité de la couche arable productive ait été enlevée (Ritter 2012).

وبالنظر إلى المعلومات الواردة أعلاه، نحتفظ بأربعة قياسات:

5 و10 و20 و50 طن / هكتار / سنة التي سنقاطعها (nous allons croiser) مع القياسات الي تم اخذها على مستوى مساحات الأراضي الزراعية المتدهورة.

✓ تحديد مساحة الأراضي المتدهورة

لتقدير تأثير التعرية المائية على الأراضي الزراعية، سنأخذ مساحة زراعية بها محاصيل بعلية تبلغ 7 ملايين هكتار (الجدول رقم 4). يهدد الانجراف المائي كامل التراب المغربي. كما يشير **(MADREF 2001)** إلى أنه من بين 7.7 مليون هكتار من الأراضي المزروعة المدرجة في عام 1973، فإن 2 مليون هكتار من الأراضي الزراعية "تتطلب تدخلاً عاجلاً من خلال إجراءات إعادة التأهيل **(des actions de réhabilitation)** ومكافحة الانجراف". لذلك يمكننا أن نفترض أن هذه 2 مليون هكتار معرضة

لتآكل شديد، والذي من شأنه أن يتوافق مع معدل تآكل قوي **(une érosion forte)** يزيد عن 20 طن / هكتار / سنة.

إلى جانب هذه (2 مليون هكتار) من الأراضي الزراعية، فإن 3.5 مليون هكتار ستعاني من تآكل منخفض إلى متوسط **(une érosion faible a moyenne)**[140] ، أي ما بين 5 و10 طن / هكتار / سنة (الجدول رقم 5). باستخدام معدلات التعرية الأربعة المشار إليها سابقا، ومع الأخذ في الاعتبار أن التعرية المنخفضة **(l'érosion faible)** هي السائدة، يقدر الجدول رقم 6، توزيع المساحة الزراعية حسب درجة التعرية **(degré d'érosion)**. لكل درجة من درجات التعرية، سيحتفظ التقدير بمتوسط قيمة الفترة الزمنية الموجودة في الجدول.

جدول رقم (4): توزيع المساحات الزراعية حسب درجة التعرية		
درجة التعرية	المساحة الزراعية المتضررة (affectée) (مليون هكتار)	معدل التآكل (érosion) (طن / هكتار / سنة)
ضعيفة	3,5	10-5
قوية	2	50-20
مجموع المساحة الزراعية البعلية الصالحة للاستخدام	7	-
المصدر: MADREF (2001) للمساحة الزراعية المتأثرة بدرجة عالية من التعرية، ومؤلفون أخرون لتقدير المساحة الزراعية المتأثرة بدرجة منخفضة من التعرية وHCEFLCD (2013) لمعدلات التعرية.		

140 Chiffre arrête en accord avec des cadres du MAPM lors d'une réunion tenue le 4 mai 2016 au siège de ce ministère.

✓ العلاقة بين التعرية والمردودية الزراعية- Relation entre érosion et rendement agricole

عدم وجود أي معلومات حول العلاقة بين التعرية والمردودية الزراعية في المغرب، جعلنا نستخدم في دراستنا البيانات المستقاة من بحوث **Den Biggelaar(2004)**، الذي قدر **علاقة السبب والنتيجة** بين التعرية والغلة (المردودية) لخمس قارات وخمسة محاصيل[141] وعشرة أنواع مختلفة من التربة. أجريت هذه الدراسة العالمية على أساس 179 تجربة حول العالم. وهذا يعني أنها استوعبت **جميع الاختلافات في المناخ والتربة وجميع استخدامات الأراضي**، مما يبرر استخدامها في حالة بحثنا في المغرب. قام المؤلفون بحساب خسارة الغلة (معبرًا عنها بالنسبة المئوية) بعد زيادة طن واحد من التعرية لكل هكتار. تحليل تراجع غلة القمح[142] 81 للقمح باستخدام بيانات **Den Biggelaar(2004)** مكن من **إنشاء العلاقة التالية**:

$$r = (Ewp)^{1,224} * 0,0114 \quad (1)$$

r= انخفاض نسبي في المردودية (الغلة) بسبب التعرية

Ewp= معدل التآكل (التعرية)

تعني العلامة الإيجابية للمعامل (r) أنه عندما تزداد التعرية، يزداد تراجع المردودية (الغلة). يترجم هذا المعامل مرونة (l'élasticité) فقدان الغلة (rendement) فيما يتعلق بالتغير النسبي في درجة التعرية.

يصعب تحديد معدلات التعرية وتوزيع الأراضي المتآكلة حسب نوع المحصول؛ ومع ذلك، وبالنظر إلى أن الحبوب تشغل جزءًا كبيرًا (65٪) من المساحات الزراعية المفيدة **(SAU)**، فإننا نفترض أن جميع الأراضي مزروعة بالحبوب (céréales) وبشكل خاص من القمح (blé). لذلك، سيتم تطبيق المعادلة (1) على القمح (blé)، ثم يتم تطبيقها (extrapolée) على جميع الحبوب (céréales). يوضح الجدول رقم 7 5.5 تطبيق هذه المعادلة لحساب معدل إنخفاض المردودية في أربعة قيم لمعدلات التعرية (taux de l'érosion) **(Ewp)**.

متوسط محصول القمح في المغرب 13.5 قنطار / هكتار 82. ينتج عن هذا انخفاض في المحصول من 0.0108 قنطار/ هكتار (بمعدل 5 طن / هكتار) إلى 0.18 قنطار / هكتار (بمعدل 50 طن / هكتار). هذا يتوافق مع انخفاض في العائد بنسبة 0.08٪ (بمعدل 5 طن / هكتار) تكافؤ 0,01 قنطار / هكتار، ككمية لتراجع محصول القمح إلى 1.37٪ (بمعدل 50 طن / هكتار) تكافؤ 0,13 قنطار / هكتار، ككمية لتراجع محصول القمح.

جدول رقم (5): خسارة الغلة (المردودية) بسبب التعرية		
معدل التعرية (التآكل) (طن / هكتار/ سنة)	انخفاض المردودية (بالنسبة المئوية (%) في السنة)	انخفاض المردودية (ف / هكتار)
Ewp	$r^{\cdot} = (Ewp)^{1,224} * 0,0114$	$\Delta R = r^{\cdot} * R \ (R = 13,5)$

141) القمح والذرة والبطاطس وفول الصويا والدخن والذرة الرفيعة. Blé, maïs, pommes de terre, soybean, millet, sorgho)

142 تم إجراء التراجع (La régression) على اساس 39 ملاحظة؛ R2 = 0.707؛ يبلغ t للطالب 9.7 و11.4 على التوالي بالنسبة للمعامل (le coefficient) والثابت (constante).

5	0,08	0,0108
10	0,19	0,0255
20	0,45	0,06
50	1,37	0,18
المصدر: منظمة الأمم المتحدة الغذاء والزراعة (FAOSTAT) 2017		

✓ حساب التكلفة الاقتصادية للتعرية –Calcul du coût économique de l'érosion

يتم حساب تقدير هذه التكلفة من خسارة محصول الحبوب (céréales) وسعر القمح اللين (blé tendre). وبذلك تقدر خسارة المحصول السنوية بسبب التعرية بـ 83.8 مليون الدراهم (جدول 8). بافتراض (En supposant) أن التعرية التي تحدث في سنة الأساس(2021) (année de référence) تسبب خسائر في المردودية الزراعية لفترة مستقبلية (25 سنة)،

جدول رقم (6): التكلفة الاقتصادية لتعرية المائية				
تضرر الاراضي الزراعية بالتعرية				
	تعرية ضعيفة	تعرية قوية	المجموع	
المساحة الزراعية المتضررة من الانجراف (مليون هكتار)	3,5	2	5,5	(1)
معدل التعرية (طن / هكتار / سنة)	5-10	20-50	غير متوفرة	-
انخفاض في المردودية (قنطار / هكتار)	0,018	0,123	0,048	(2)
خسارة في إنتاج القمح (القنطار)	64589	246 000	310 589	(3) = (1)*(2)
سعر القمح (درهم / قنطار) سنة 2017	270	270	270	(4)
التكلفة السنوية للتعرية (بملايين الدراهم)	17,4	66,4	83,8	(3)*(4)
سعر القمح (درهم / قنطار) سنة 2022	300	300	300	(5)
التكلفة السنوية للتعرية (بملايين الدراهم)	19,4	74	93,4	(3)*(4)
القيمة الحالية لتكلفة التعرية(بملايين الدراهم)	249	945	1194	
المصدر: (2) -متوسط تخفيضات الغلة لمعدلات التعرية من 5-10 طن / هكتار / سنة و20-50 طن / هكتار / سنة. (3)- MEF 2015.				

وستبلغ القيمة الحالية (سنة 2022) لهذه الخسارة 1.2 مليار دراهم بمعدل تحيين 6٪.

2-2-1 تكلفة تملح الأراضي المسقية -Coût de la salinisation des terres irriguées

الزراعة المسقية (L'agriculture irriguée) قطاع مهم. ففي المتوسط ، تمثل 45٪ من القيمة المضافة الزراعية، و75٪ من الصادرات و25٪ من الوظائف على المستوى الوطني **(CESE 2014)** بينما تشغل فقط 16.7٪ من مساحة الاراضي الزراعية المستغلة **(SAU)**[143]. وبلغت المساحة المجهزة للري 1.5 مليون هكتار[144] (الجدول 9 5.2).

التملح (La salinisation) هو تراكم الأملاح في التربة الذي يقلل المردودية ويمكن أن يلحق الضرر بالأرض التي يتعذر إصلاحها (المربع 5.1). في المغرب، يعتبر تملح الأراضي الزراعية ظاهرة مهمة، وذلك لعدة أسباب، مثل الإفراط في استغلال المياه الجوفية (surexploitation des nappes)، وخاصة المياه الجوفية الساحلية[145] ؛ ارتفاع منسوب المياه الجوفية الناتج عن سوء استخدام مياه الري ؛ سوء تصريف داخل التربة بسبب الافتقار إلى صيانة شبكات الصرف[146] وعدم إتقان تقنيات الري ، ولا سيما استخدام الري بالجاذبية (irrigation gravitaire) (الفاو 2015) ((FAO 2015)).

تقدّر هذه الدراسة خسارة المحصول الزراعي (rendement agricole) فوق الأراضي المسقية بسبب التملح (la salinisation). يعتمد التقييم (évaluation) على التغيير في طريقة الإنتاجية (changement de productivité). يتم تنفيذه عبر أربع خطوات: (أ) تقدير المساحة المروية المتأثرة بالملوحة. (ب) تحديد مستوى الملوحة. (ج) تحديد العلاقة بين الملوحة والمردودية الزراعية. (د) تقدير التكلفة الاقتصادية للملوحة.

- تقدير المساحة المسقية المتأثرة بالملوحة- Estimer la surface irriguée affectée par la salinisation

في عام 2000، قدرت منظمة الأغذية والزراعة (FAO)[147] أن 150.000 هكتار من الأراضي المسقية مملحة بسبب الزراعة المكثفة (agriculture intensive) وممارسات الري غير الملائمة(pratiques inappropriées) . وفي سنة 2017 أعطت كتابة الدولة المغربية المكلفة بالبيئة ((MdE (2015) رقم 160،000 هكتار كسطح معرض للتملح. **نستخدم هذا الرقم الأخير كتقدير لآخر سنة متاحة**. وهذا **أقل من الو اقع**، نظرًا لاستمرار عوامل التملح، ولا سيما ندرة الامطار بسبب توالي سنوات الجفاف، التكثيف الزراعي، استعمال الاسمدة والمبيدات الزراعية وعدم كفاية تجفيف الأراضي المسقية (insuffisance du drainage)[148] وتدهور جودة مياه الري.

إن عدم وجود بيانات تخص توزيع الأراضي المسقية المتأثرة بالملوحة حسب المحاصيل، جعلنا نعتمد في دراستنا تطبيق النسب المتعلقة بكل محصول على المستوى الوطني على مساحة 160.000 هكتار من الاراضي المسقية المتأثرة بالملوحة.

---

143 http://www.agriculture.gov.ma/pages/lirrigation-au-maroc.

144 تبلغ المساحة المجهزة للري 1.52 مليون هكتار، ولكن هناك 1.34 مليون هكتار مروية بالفعل. مع الأخذ في الاعتبار مؤشر كثافة الاستغلال (indice d'intensité d'exploitation) البالغ 127.6، تبلغ المساحات المسقية بالفعل 1.71 مليون هكتار (منظمة الأغذية والزراعة، أكواستات (FAO, Aquastat)).

145 يقدر العجز المائي بنحو 4000 مليون متر مكعب، يأتي 1000 مليون متر مكعب من العجز ناتجة عن الاستغلال المفرط للمياه الجوفية (CESE 2014).

146 في الواقع، يتم تجفيف 44٪ فقط من إجمالي المساحة المجهزة للري (FAOSTAT)، مما يزيد من مخاطر تملح الأراضي غير المصابة (المتضررة).

147 http://www.fao.org/nr/water/aquastat/countries_regions/mar/indexfra.stm et base de données AQUASAT.
http://www.fao.org/nr/water/aquastat/data/ query/results.html

148 تمثل المناطق المجهزة للصرف (2017) 45.4٪ من مجموع الأراضي المجهزة للسقي.

وبالتالي، إذا كان القمح (le blé) يغطي 21.6٪ من **الأراضي المسقية** (des terres irriguées) **على المستوى الوطني**، فمن المفترض أن **نفس النسبة** من مساحة 160.000 هكتار **المتأثرة بالملوحة مزروعة**

بالإضافة إلى ذلك، تساهم الزراعة المسقية بنسبة 81٪ من إجمالي حجم الإنتاج الزراعي (CESE 2014)، 86٪ من المحاصيل الصناعية المسقية، ولا سيما إنتاج السكر بالكامل، و89٪ من المزارع - بما في ذلك 100٪ من الحوامض، و55٪ في السوق. البستنة، 81٪ من العلف، وحوالي 20٪ من إجمالي إنتاج اللحوم والحبوب (HCP 2014).**بالقمح**[149]. يعرض الجدول 5.8 (العمود الثاني) التوزيع حسب المحصول الزراعي بالأراضي المسقية المتأثرة بالملوحة (la superficie affectée par salinisation).

- تحديد مستوى التملح -Déterminer le niveau de salinité

إن تقص وشح المعطيات والبيانات الدقيقة عن مستوى الملوحة بشكل عام وعن العتبة الحرجة للتملح حسب نوع المحصول (type de culture). جعلنا نضع بعض الافتراضات (hypothèses) حتى نتمكن من تقدير مستوى الملوحة (salinité) على أساس المعلومات الموجودة.

استهدف **مشروع GLADIS / LADA** بحساب **مخاطر الملوحة** (le risque de salinité) بسبب الري في المغرب من خريطة العالم التفاعلية (carte mondiale interactive)[150]. يعبر هذا المؤشر عن **"تملح زائد"** (l'excès de salinisation). يحدث هذا الأخير عادة في وجود أنظمة الري غير الكافية، لحساب مخاطر الملوحة استخدم مؤلفو المشروع خريطة العالم للمناطق المسقية بالإضافة إلى الإحصاءات المتعلقة بالأراضي المسقية المتأثرة بالملوحة المأخوذة من قاعدة بيانات **(AQUASTAT (LADA 2011))**.

يؤثر التملح على التربة حيث يقلل من إنتاجيتها. يتم التعبير عنه بمؤشر قيمته تتراوح بين 5 (لا توجد مخاطر) و29 (مخاطر عالية جدًا). يظهر **مشروع GLADIS / LADA** أن الخطر كبير جدًا في المناطق التي تعرف سقيا مكثفا الذي يهيمن عليه نظم المحاصيل الحقلية المكثفة **(HCEFLCD (2011))**. يؤكد هذه الملاحظة بتحديد أن المناطق الأكثر المعنية تقع في المناطق التي تعرفا نظام الري المكثف **(ورززات، تافيلالت، حوز، ملوية السفلى، تادلة، سوس ماسة والغرب)**. تظهر الخريطة أن المخاطر الملوحة في المغرب معتدلة إلى عالية. على سبيل المثال، في منطقة تادلة أزيلال معدل الملوحة بالأراضي المروية يتراوح ما بين 0.1 إلى 24.6 دس / م (DeciSiemens par mètre)، في منطقة مكناس تافيلالت، يتراوح هذا المعدل بين 4 و16 دس / م (DeciSiemens par mètre). **(كتابة الدولة المكلفة بالبيئة 2017)**.

هذه الملاحظات تجعل من الممكن التأكيد على أن الملوحة (la salinité) التي تؤثر على الأراضي المسقية بالمغرب معتدلة (**modérée**) بشكل عام. وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن تدهور التربة الذي يسببه التملح يكون أكثر حدة في الأنظمة الحارة والجافة (en régime chaud et sec) مثل المغرب، بينما يكون بأقل حدة في المناخات الباردة والرطبة (les climats froids et humides).

---

[149] هناك، على سبيل المثال، خطر المبالغة في تقدير حصة الحبوب (céréales) والبقوليات (légumineuses) في المناطق المالحة عندما يكون لها عتبة حرجة عالية (un seuil critique élevé). إن معدل تملح (Un taux de salinisation) أقل من هذا الحد يعني أن هذه المحاصيل لا تتأثر بالملوحة، وبالتالي فإن هذين المحصولين قد لا يكونا من بين المحاصيل المتأثرة بالملوحة.

[150] Où chaque pixel correspond à une résolution de 9×9 km.

وفقًا للإطار (1)، فإن **الملوحة المعتدلة** تتوافق مع **التوصيل الكهربائي** (conductivité électrique) من 4 إلى 8 دس/ م (DeciSiemens par mètre). سنحسب **تكلفة التملح** (le cout de salinisation) لهاتين القيمتين وسنحتفظ بمتوسطهما.

- **العلاقة بين تملح التربة ومردودية المحصول الزراعي - la relation entre la salinité et le rendement agricole**

تستخدم معظم الدراسات التي تمت مراجعتها واعتمادها في هذا البحث، المنهجية (la méthodologie) التي طورها كل من **(Maas et Hoffman (1977))**، **(Maas (1990))** و **(Maas et François (1994))**، **لحساب التباين** (la variation) **في مردودية مختلف المحاصيل الزراعية النباتات** (Des différentes cultures et plantations) وفقًا لمستوى الملوحة الملحوظ(niveau de salinité constate) ، حيث تم استخدام هذه المنهجية من قبل **منظمة الأغذية والزراعة(FAO)**[151] وسنستخدمها في هذه الدراسة **لحساب خسارة المحصول الزراعي**(la perte de rendement agricole) **و انخفاض مردوديته في المغرب بسبب تملح التربة**. وسنعتمد في ذلك **المعادلة الرياضية التالية**:

$$\acute{r} = B*(CE - A)$$

ŕ=الخسارة المتعلقة بالمردودية

B= انخفاض في المردودية بسبب وحدة واحدة إضافية من الملوحة (٪)

CE= مستوى الملوحة الملحوظ (ds / m)

A= عتبة الملوحة الحرجة (seuil critique) التي بعدها تبدأ غلة المحاصيل الزراعية في الانخفاض (ds / m)

تقدر المعادلة أعلاه خسارة الغلة الزراعية الناتجة عن مستوى الملوحة فوق العتبة الحرجة لكل نوعية محصول زراعي. بالإضافة إلى ذلك، يقدم الجدول (7) العتبات الحرجة والانخفاض في المحصول بعد زيادة الملوحة لأنواع مختلفة من محاصيل الفاكهة والنباتات. هذا الجدول يجعل من الممكن تقييم مردودية المحاصيل الزراعية المختلفة (des différentes cultures) في علاقة بتملح التربة (la salinité)[152].

جدول رقم (7): العتبة الحرجة و انخفاض في المردودية لكل محصول زراعي

زراعة / غرس	العتبة الحرجة (DeciSiemens par mètre)	انخفاض في المردودية بسبب وحدة ملوحة إضافية فوق حد العتبة الحرج (٪)
قمح	6,0	7,1

[151] http://www.fao.org/docrep/005/y4263e/y4263e0e.htm

[152] Par exemple, la CE constatée du blé est de 10 ds/m ; en utilisant l'équation (2) et les informations du Tableau 5.9, la baisse du rendement du blé est estimée à 28,4 % [7,1*(10 – 6)].

طماطم	2,5	9,9
البرسيم (علف) - Luzerne (fourrage)	2	7,3
علف الشعير-Orge fourrage	6,0	7,1
الحمضيات (البرتقال)- Agrumes (Oranges)	1,3	13,1
شمندر سكري -Betterave à sucre	7,0	5,9
قصب السكر-Canne a sucre	1,7	5,9
حبوب ذرة -Mais	1,7	12
أرز-Riz	3,0	12
المصدر: منظمة الأغذية والزراعة http://www.fao.org/docrep/005/y4263e/y4263e0e.ht		

➢ تقدير تكلفة التملح -Estimer le coût de salinisation

نحن نقدر هذه التكلفة من خلال خسارة غلة المحاصيل المختلفة بالنسبة للأرض المتأثرة بالملوحة والسعر لكل منتج.

جدول رقم (10): تقدير تكلفة تملح الأراضي الزراعية بالدرهم

الزراعة	المحاصيل المسقية SAU (000 هكتار)	المساحة المتضررة بالملوحة (هكتار)	المردودية (قنطار/هكتار)	ثمن البيع عند الانتاج (درهم/قنطار)	خسارة في المردودية بسبب التملح (%)		تكلفة التملح بمليون الدرهم	
					CE =4 ds / m) مستوى الملوحة الملحوظ	CE =8 ds / m) مستوى الملوحة الملحوظ	CE=4 (ds / m) مستوى الملوحة الملحوظ	CE=8 (ds / m) مستوى الملوحة الملحوظ
القمح	370	34 600	16,5	263	0	14,2	0	21,2
أرز-Riz	20	1 870	70,7	...	12	60	...	...
حبوب ذرة -Mais	70	6 546	8,6	271	27,6	75,6	4,2	11,5
حبوب مختلفة	80	7 481	8,7	271	0	14,2	0	2,5
الطماطم	209	19 544	172,1	236	14,9	54,5	117,9	432,2
البقوليات	15	1 403	128,1	759	0	0	0	0
شمندر سكري - Betterave à sucre	44	4 115	555,9	45	0	5,9	0	60,1
قصب السكر- Canne à sucre	11	1 029	625,1	29	13,6	37,2	2,5	68,1

علف	200	18 703	...	285	0	14,2	...	...
محاصيل أخرى	23	2 151	...	285	0	0	...	...
الحوامض	101	9 445	147,4	274	35,4	87,8	134,9	
فواكه مختلفة	147	13 746	...	...	...	...	...	...
أشجار الزيتون	330	30 859	13,9	...	...	...	...	...
أشجار زيت النخيل	70	6 546	...	...	...	...	...	...
العشب والأعلاف	21	1 964	...	...	...	...	...	...
المجموع	1 711	160 000	...	...	...	...	259,4	930,4
	(1)	(2)	(3)	(4)	(5)	(6)	=(2)*(3)*(4)*(5)	=(2)*(3)*(4)*(6)
المصدر: AQUASTAT -2017								

يمكن ملاحظة أن الحوامض والطماطم (agrumes et les tomates) هي الأكثر **عرضة للتهديد** (les plus menaces) بسبب **عتباتها الحرجة** (seuils critiques) **المنخفضة**. وتتراوح **التكلفة الإجمالية للتملح** (total de salinisation Le cout) **بين 259 و930 مليون درهم بمتوسط 595 مليون درهم في السنة.**

جدول رقم (11): التكلفة الإجمالية لتدهور الأراضي في عام 2017				
	الحد الأدنى (مليون درهم)	الحد الأعلى (مليون درهم)	القيمة المتوسطة (مليون درهم)	الناتج الداخلي الخام (PIB %)
الاراضي الفلاحية				
تدهور الأراضي الزراعية البعلية	1 071	1 071	1 071	0,12%
تملح الأراضي المسقية	259	930	595	0,06%
مجموع تكلفة (الأراضي الزراعية)	**1 330**	**2 001**	**1 666**	**0,18%**
المصدر: تقرير مجموعة البنك الدولي رقم MA-105633 لسنة 2017 ص 84				

خلاصة:

كلف تدهور التربة (الاراضي الزراعية والمراعي) في عام 2017، خسارة في الميزانية العامة المغربية ما يقارب 5 مليارات درهم أي ما تمثل 0.54٪ من **الناتج الداخلي الخام (PIB)**. تأخذ هذه الدراسة في الاعتبار، الخسائر المرتبطة بالقيمة الاقتصادية الاجمالية، كما تأخذ بالتكلفة المرتبطة بفقدان الكربون بسبب الاجتثاث والتصحر.

تم إطلاق الدراسة المرتبطة بتدهور التربة (الاراضي الزراعية والمراعي) في عام 2001 وتم تحينها في **عام 2010**. بناءً على خصوصيات (les spécificités) كل جهة **(2013-1011 HCEFLCD)**، حدد PANLCD ثماني "مناطق متجانسة" من أجل

تكييف الإجراءات الأكثر صلة بها. ومن بين هذه الإجراءات، هناك "برامج لتنمية المراعي وإدارتها بشكل مستدام"، و "برامج لتهيئة الاحواض النهرية bassins-versants " و "استراتيجية غابات المغرب 2020-2030".

ويمكن الحدُّ من تدهور التربة عن طريق اعتماد ممارسات ملائمة للحفاظ على التربة، مثل الزراعة البينية وإنشاء أحواض لحبس المياه وبناء المصاطب. ومع ذلك، فلا يمكن أن تتسم هذه التدابير بالفعالية ما لم تُحدَّد المناطق المعرضة لخطر التعرية وفقدان التربة. ومن ثمَّ فإنَّ تحسين إدارة الأراضي يتطلَّب نهجاً كميًّا يكفل تحديد تلك المناطق المعرضة للخطر على نحو أفضل. ويحظى وضع وصقل الأساليب اللازمة لدراسة توازن الرواسب وتتبُّعها بالأهمية من أجل تحديد المناطق الأكثر تضرُّراً من تآكل التربة وإنتاج الرواسب.

المراجع

1-**احمد لعوينة Laouina، رشيدة نافع R،Nafaa ، شاكر M،Chaker ، الناصري Naciri، R ، 2001**. "مراعي الغابات والسهوب في المغرب. عملية التحلل وتأثيرها على الجريان السطحي والتعرية ". في ورشة العمل الدولية من 20 إلى 21 أبريل 2001. التغيرات في استخدام الأراضي والغطاء والموارد المائية في منطقة لبحر الأبيض المتوسط. (تونس). معهد المناطق الجافة، 2001. ص15. الرسالة الإعلامية 2002، ص.15

2-**رشيدة نافع،1998**، أستاذة التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الانسانية المحمدية جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء. **الاحواض النهرية بالمغرب وإشكالية التهيئة، أعمال الملتقى السابع للجيومورفولوجيين المغاربة 18-19 مارس 1998.**

3-**مصطفى وادريم،2003** أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الانسانية المحمدية جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، رسالة دكتوراه، **"دراسة جيومرفولوجية لمنطقة شياظمة شمال الصويرة".**

4-ابو الحسني Abolhassani، 2011إدارة المراعي في إيران، تحليل ودراسة حالة لمراعي وتقدير التكلفة الاجتماعية والاقتصادية لها، مقال رقم 14686. http://www.secheresse.info/spip.php .

5-أشركوك Acherkouk ، والهوميزي El Houmaizi. 212 "دراسة تأثير الاستراحة الرعوية في مراعي السهوب بشرق المغرب على استعادة الغطاء النباتي". المجلد 23، العدد 2، أبريل-ماي-يونيو 2012. متاح على:
‹http://www.jle.com/fr/revues/sec/e-docs/ etude_de_limpact_dune_mise_en_repos_pastoral _dans_les_paturages_steppiques_de_loriental_du_maroc_sur_la_restauration_de_la_vegetation_ 293679/article.phtml?tab=texte#tbl4›.

6-أنطونيا Antonia، دربوكس Darboux، 2009: تآكل التربة. متاح على:
‹http://alimentation-sante.org/wpcontent/uploads/2012/08/Lerosion-des-sols.pdf›.

7-بن إبراهيم كوثر فكري Benbrahim Kawtar Fikri، محمد إسماعيلي Mohammed Ismaili، سناء فكري بن إبراهيم Sanae Fikri Benbrahim، عبد اللطيف تريبك Abdellatif Tribak، 2004. "مشاكل التدهور البيئي بسبب التصحر وإزالة الغابات: تأثير الظاهرة في المغرب". في الجفاف رقم 4، المجلد. 15 دجنبر2004. بولنوار Boulanouar. بنخال Benlekhal، 2006. "تربية الأغنام في المغرب: من الإنتاج إلى الاستهلاك" في تربية الأغنام وأنظمة إنتاجها في المغرب.

8-كوستانزا روبرت Costanza Robert، رالف دارج Ralph d'Arge، رودولف دي جروت Rudolf de Groot، ستيفن فاربيرك Stephen Farberk، مونيكا جراسو Monica Grasso، بروس هانون Bruce Hannon، كارين ليمبورغ Karin Limburg، شهيد نعيم Shahid Naeem، روبرت ف Robert V.أونيل O'Neill، خوسيه بارويلو، Jose Paruelo ، روبرت ج Robert G.راسكين Raskin، بول سوتونك Paul Suttonkk ومارجان فان دن بيلت Marjan van den Belt، 1997: "قيمة خدمات النظم الإيكولوجية في العالم ورأس المال الطبيعي". الطبيعة مجلد رقم. 387 -15 ماي 1997.

9-Den Biggelaar، 2004. "التأثير العالمي لتآكل التربة على الإنتاجية: التأثيرات على غلات المحاصيل والإنتاج بمرور الوقت". التقدم في الهندسة الزراعية، المجلد 81. متاح على: http://www.researchgate.net/publication/48856404

10-الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ GIEC، 2003. توصيات الممارسات الجيدة لاستخدامات الأراضي، والتغيرات وتضرر الأراضي والغابات. برنامج الأمم المتحدة للبيئة،

11-الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، 2006. المبادئ التوجيهية لاختبارات بشأن غازات الاحتباس الحراري الاختبارات. المجلد 4.

12-المندوبية السامية للتخطيط HCP، 2007. الزراعة 2030. أي مستقبل للمغرب؟ دراسة في إطار التفكير المرتقب حول المغرب 2030. متاح على: ‹http://www.hcp.ma/file/104422/› (15.05.2016).

13-HCEFLCD، 2013. برنامج العمل الوطني لمكافحة التصحر: التحديث والتكيف مع الخصائص الإقليمية. متاح على: http://www.abhatoo.net.ma/maalama-textuelle/développement- économique-et social / développement -économique / environnement /التصحر / برنامج العمل الوطني من أجل مكافحة التصحر -التحديث والتكيف مع خصوصيات المنطقة ›

14-Laouina، 2006: "إدارة الموارد المستدامة الموارد الطبيعية والتنوع البيولوجي في المغرب "في أفق مغرب 2030. (المندوبية السامية للتخطيط HCP)،

15-MADRPM، 1998. الاحصاء العام للفلاحة، النتائج الأولية. مديرية البرمجة والشؤون الاقتصادية، وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري. شتنبر.1998

16المحياوي Mahyou، تايشون Tychon، بلغي Balaghi، ميموني Mimouni، 2010. "تصحر، المراعي القاحلة في المغرب". Tropicultura، ص 114-107.

17صديقي Sadiki، بوحلاسة Bouhlassa، أوجار Auajjar، فلاح Faleh، مكير Macaire، 2004، الريف الشرقي (المغرب): حالة حوض وادي بوسواب، في نشرة المعهد العلمي، الرباط، قسم علوم الأرض، 26، 69-79.

18-UNCCD 1994، اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر، 1994. متاح على: ‹ http://www.unccd.int/Lists/SiteDocument Library / ConventionText / conv-eng.pdf›.

19-الوزارة المنتدبة لدى وزير الطاقة والمعادن والمياه والبيئة المسؤول عن البيئة (REEM) 2015. تقرير عن حالة البيئة في المغرب.

20-مشروع GLADIS / LADA: نظام معلومات تدهور الأراضي العالمي. متاح على: ‹http://www.fao.org/nr/lada/index.php?option=com_content&view=article&id = 161 & Itemid = 113 & lang = ar›.

21-مبادرة ELD، 2014. مبادئ التقييم الاجتماعي والاقتصادي للإدارة المستدامة للأراضي الرعوية الدورة التدريبية المكثفة المفتوحة عبر الإنترنت حول اقتصاديات تدهور المراعي. دليل الممارس. متاح على: ‹http: //eld-Initiative. Org / fileadmin / pdf / ELD-Guide-du-Practiceicien_fr_web.pdf › و‹ www.eld-initiative.org ›. (15.05.2016).

22-منظمة الأغذية والزراعة FAO، 2000. "إمكانيات موارد الأراضي والمعوقات على المستويين الجهوي والقاري ". في تقرير موارد التربة في العالم 90.

23-Administration des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols (1995) - Plan d'aménagement anti-érosif du bassin versant de l'oued Ouergha en amont du barrage EL Ouahda. Rapport réalisé par Le Landais F. et Fabre G. (BRL-GERSAR).

24-SADIKI A. Estimation de l'état de dégradation des sols dans le bassin versant de l'oued Boussouab, Maroc nord oriental : Application du modèle empirique (USLE), de la technique du radio-isotope 137Cs et de la susceptibilité magnétique, Thèse d'Etat, Faculté des Lettres et des Sciences humaines. L'UNIVERSITÉ MOHAMMED PREMIER FACULTÉ DES SCIENCES OUJDA, 288P.

25-Faleh A. (2004) - Quantification qualitative et quantitative et modélisation mathématique de l'érosion hydrique dans les bassins versant d'Aknoul et Merkat (Prérif central et oriental). Thèse d'Etat, Faculté des Lettres et des Sciences humaines d'Oujda, 372p.

دراسة تحليلية لمعرفة أسباب ارتفاع سعر الصرف في الاقتصاد السوداني خلال الفترة (2023–2024)

An analytical study to identify the reasons for the rise in the exchange rate in the Sudanese economy During the period (2023-2024)

د.**ابتسام محمد عبدالباقي عبدالله**، أستاذ الاقتصاد القياسي المشارك، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة بخت الرضا، الدويم، السودان

أ.د.**صلاح محمد ابراهيم أحمد**، أستاذ الاقتصاد، عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة النيل الأبيض، كوستي، السودان

الملخص

هدفت الدراسة لمعرفة الاتجاه العام لسعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023م – 2024م، مشكلة الدراسة تكمن في الارتفاع المستمر لأسعار الصرف شهرياً، وتطبيق منهجية الإتجاه العام لدراسة تغيرات سعر الصرف في السودان خلال الفترة المحددة، فروض الدراسة يوجد ارتفاع مستمر لسعر الصرف الشهرية خلال فترة الدراسة، وتوجد مشكلة إرتباط ذاتي في بيانات سعر الصرف الشهرية خلال الفترة المحددة، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي(الاتجاه العام) في التعرف على مشكلة البحث " تغيرات أسعار الصرف" " أخبار السودان"باستخدام برنامج E-views10، وأهم النتائج يوجد اتجاه عام لسعر الصرف في السودان خلال فترة الدراسة، وعدم عشوائية بيانات سعر الصرف في السودان خلال فترة الدراسة، كما توجد مشكلة ارتباط ذاتي لسلسلة بيانات سعر الصرف في السودان خلال فترة الدراسة، وعدم سكون السلسلة في مستواها وسكونها بعد أخذ الفرق الأول، وأهم توصية تشجيع الإنتاج والاستثمار في القطاعات الإنتاجية، واتباع السياسات النقدية التى تعمل على خفض معدلات التضخم وضبط المضاربة بالعملات.

الكلمات المفتاحية: دراسة تحليلية، أسباب، سعر الصرف، الاقتصاد الكلي السوداني

Abstract

The study aimed to know the general trend of the exchange rate in Sudan during the period 2023-2024. The problem of the study lies in the continuous rise in exchange rates monthly, and the application of the general trend methodology to study exchange rate changes in Sudan during the specified period. The study hypotheses: There is a continuous rise in the monthly exchange rate during the study period, and there is a problem of self-correlation in the monthly exchange rate data during the specified period. The study used the descriptive and analytical approach (general trend) to identify the research problem "changes in exchange rates" "Sudan News" using the E-views10 program, and the most important results are: There is a general trend in the exchange rate in Sudan during the study period, and the non-randomness of the exchange rate data in Sudan during the study period. There is also a problem of self-correlation for the exchange rate data series in Sudan during the study period, and the non-stagnation of the series at its level and its stagnation after taking the first difference. The most important recommendation is to encourage production and investment in productive sectors, and to follow

monetary policies that work to reduce inflation rates and control currency speculation.

Keywords: Analytical study, causes, exchange rate, Sudanese macroeconomics

مقدمة :

يعتبر سعر الصرف من أهم المتغيرات الاقتصادية في السودان حيث واجه الكثير من التقلبات بسبب ارتباط الدولار بالذهب، وتبني معظم الدول الكبرى العمل بنظام سعر الصرف العائم الذي تتميز أسعار الصرف فيه بالتقلبات المستمرة، وأيضاً ارتفاع قيمة الدولار مقابل العملة المحلية أصبح يؤثر على العديد من النشاطات الاقتصادية الاخرى، وبالتالي ارتفاع معدلات التضخم، كما يؤدي ذلك إلى ضعف القوة الشرائية للعملة المحلية، ومن البديهي أن يكون لسعر الصرف أهمية كبرى لأي إقتصاد ما، لأنه يؤثر تلقائياً على متغيرات الاقتصاد السوداني الكلية، وبالذات تأثيره على نظام الأسعار في الأسواق المحلية والعالمية، وعلى حركة اتجاه التجارة الخارجية، وعلى حركة رؤوس الأموال بين الدول، وبالتالي على معدلات التضخم، وعليه نجد أن سعر الصرف يمثل علاقة التحول بين العملات، وهذا يعتمد على علاقات العرض والطلب بين عملتين فأكثر في أسواق النقد، وبمعني أن قيمة الوحدة من العملة المحلية بما يقابلها من العملة الأجنبية، ونجد سعر الصرف والتضخم لهما ارتباط وثيق ويؤثران بشكل كبير على تدهور الاقتصاد السوداني بسبب ظهور عجز في الميزانية المالية.

الفصل الأول: الاطار العام للدراسة

مشكلة الدراسة :

تكمن في الارتفاع المستمر لأسعار الصرف شهرياً، وتطبيق منهجية الإتجاه العام لدراسة تغيرات سعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023م – 2024م.

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من أهمية تغيرات سعر الصرف وأثرها على المؤشرات الاقتصادية.

هدف الدراسة :

معرفة الاتجاه العام لسعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023م – 2024م

فروض الدراسة :

1- يوجد ارتفاع مستمر لسعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023م – 2024م .

2- توجد مشكلة إرتباط ذاتي في بيانات سعر الصرف الشهرية في السودان خلال الفترة 2023م – 2024م.

منهجية الدراسة :

إتبعت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي(الاتجاه العام) في التعرف على مشكلة البحث " تغيرات أسعار الصرف" " أخبار السودان"باستخدام برنامج E-views10

حدود الدراسة:

حدود مكانية: جمهورية السودان، البنك المركزي

حدود زمنية: خلال الفترة(2023 – 2024).

حدود موضوعية: ظاهرة ارتفاع أسعار الصرف شهرياً.

مصادر البيانات :

المصادر الاولية : أخبار السودان – النشرة الاقتصادية

المصادر الثانوية : المراجع

نموذج الدراسة :

1. النموذج المختار إن EX دالة في الزمن

$$EX= \alpha_0 + \alpha_1 * t$$

2. النموذج المقدر

$$Ext = -12.5443 + 111.805*t$$

أي إذا تغير الزمن بوحدة واحدة " شهر" تتغير قيمة سعر الصرف بنسبة 111.895 ،أي معدل التغير(ارتفاع) سعر الصرف كل شهر 111.895, في السودان خلال فترة الدراسة نسبة ل المضاربة بالدولار , تراجع قطاعات الإنتاج, والصراع المسلح المستمر , ارتفاع معدلات التضخم أدى الي تدهور الجنيه السوداني, عدم الاستقرار السياسي, وتغيرات الطلب على العملات الاجنبية والعقوبات الاقتصادية المفروضه على السودان.

الفصل الثاني: الاطار المفاهيمي والنظري

سعر الصرف:

يعرف سعر الصرف الأسمى بأنه معدل تبادل العملات الأجنبية مقابل العملة الوطنية أي هو سعر العملة المحلية بالنسبة للعملة الأجنبية أو العملات الأجنبية سعر الصرف عن العلاقة العكسية لأسعار السلع والخدمات بين الدولة المعنية والدول الأخرى (عبد الفتاح وعبد العظيم 1987م).

سعر الصرف الأسمى الفعال Effective Exchange Rate:

هو عبارة عن مؤشر يقيس متوسط التغير في سعر الصرف لعملة معينة بالنسبة لعدة عملات أخرى خلال فترة زمنية محددة "بالنسبة نسبة أساس مناسبة اقتصادياً" وهذا المؤشر يساوي متوسط عدة أسعار صرف ثنائية وبما يتطابق والهدف المنشود منه فعندما تهدف لقياس عائدات صادرات سلعة أو عدد من السلع لدولة معينة فإننا نقوم باستخدام حصص الدول المنافسة "سي بول هالوود– رونال ماكدونالد 2007".

سعر الصرف الحقيقي الفعلي "الفعال":

هو متوسط أسعار الصرف الحقيقية الثنائية بين البلد وكل من شركائه التجار بين مد جحا يحصص التجارة الخاصة بكل شريك ويتم قياس التعادل الكلي لعملة ما مع غيرها وهو ينبه الى مدى وجود تقييم غير سليم

لأسعار الصرف من خلال الحصول على تقييم تقديري من سلسلة أسعار الصرف الحقيقة الفعالة وجود مشكلة في تقييم سعر الصرف الأسمى الأساسي.

"سي بول هالوود– رونالد ماكدونالد 2007".

سعر الصرف الحقيقي Real Exchange Rate (ReR):

تم تعريف سعر الصرف الأسمى على أنه سعر صرف احدى العملات بدلالة عملة أخرى فإن سعر الصرف الحقيقي سوف يعادل سعر الصرف الأسمى الذي يتعادل طبقاً للاختلاف بين المستويات النسبية للأسعار المحلية مع المعدلات النسبية للأسعار الأجنبية ويهدف سعر الصرف الحقيقي على أنه عدد الوحدات من السلع الأجنبية اللازمة لشراء وحدة واحدة من السلع المحلية، وهذا يعني أن سعر الصرف الحقيق يعتبر مفهوماً حقيقياً يقيس الأسعار النسبية لسلعتين، ولو افترضنا أن مستوى الأسعار العام في بلد ما هو P وفي البلد الأجنبي هو P^* وفرضنا إن E سعر الصرف الأسمى الحقيقي يعرف كالاتي:

$e = E\frac{P^*}{P}$ حيث e يعكس الأسعار الأجنبية بدلالة الأسعار المحلية.

P: مستوى الأسعار العام و P^*: مستوى الأسعار في البلد الأجنبي، E: سعر الصرف. وبطريقة أخرى $ReR = e\frac{PT}{PN}$ حيث P^T أسعار السلع القابلة للتجارة الخارجية، P^N أسعار السلع المحلية.

E: سعر الصرف الأسمى.

نظرية تكافؤ القوة الشرائية:

$ReR = E\frac{P^*}{P}$ ومن المعادلة يتم اشتقاق لوغاريثم سعر الصرف الحقيقي:

$$LnReR = Ln(E) + Ln(P^*) - Ln(P)$$

سعر الصرف التوازني: $e^* = \frac{P_t}{P_n}$ حيث P_t أسعار السلع الداخلية في التجارة الخارجية P_n أسعار السلع غير داخلية في داخلة في التجارة الخارجية (معروف 2006م).

سعر الصرف العاجل Spotexchangeratp:

وهو السعر الذي يتعلق بالتسليم المباشر حسب السعر المتفق عليه وعادات السوق وكفاءة الاتصالات ويمكن أن يحدث تأثير زمن لمدة يومين بين سعر الشراء وسعر البيع (معروف 2006م).

سعر الصرف الآجل Forward Exchange rate :

ويقصد بهذا السعر تبادل عملة دولة معينة بعملة دولة أخرى، حيث يتم التسليم في وقت لاحق حسب السعر المتفق عليه، ويتراوح وقت التسليم بين 20– 90 يوماً أو أكثر من ذلك ويحدد سعر الصرف الآجل وفقاً.

سعر الصرف الحقيقي: The real Exchange rate:

إن حدوث تغيير في سعر الصرف الأسمى "nominal Exchange rate" قد لا يعطي صورة كاملة عن مدى التغيير الذي يحدث في القدرة التنافسية الدولية للبلد موضع الاهتمام. على سبيل المثال، إذا حدث انخفاض Jeprecition في القيمة الأمية للعملة بمعدل أقل من نسبة ارتفاع مستوى الأسعار قياسياً إلى

الوضع في دولة أخرى، ويستخدم مفهوم سعر الصرف للتوافق مع هذا النوع من المشاكل. ويتم حساب سعر الصرف الحقيق Q بالصيغة التالية:

$$Q = S(P^*/P)$$

سعر الصرف الحقيقي هو عبارة عن سعر الصرف الأسمى مرجحاً بمستويات الأسعار النسبية "وهناك مقاييس أخرى عديدة يمكن استخدامها ومن بينها مستويات الأجور النسبية" إذا كان معدل التضخم في الدولة المعنية أسرع من نظيره في دولة أخرى، سعر الصرف الحقيقي. وجدير بالذكر أن الهبوط في Q يعد ارتفاعاً appreciation في سعر الصرف الحقيقي يقلل من التنافسية الدولية للبلد موضع الاعتبار، بينما الارتفاع في Q يؤدي الى زيادة التنافسية الدولية لذلك البلد "سي بول هالوود– رونالد ماكدونالد 2006م".

أنواع سعر الصرف السائدة:

سعر الصرف الثابت Fixed Exchange rate :

عمل هذا النظام بكفاءة عالية قبل عام 1971م، حيث التزمت كل الدول الأعضاء في صندوق النقد الدولي بإيداع قدر محدد من عملاتها الوطنية في حساب احتياطي طرف الصندوق "صندوق الأمانات"، كما تم طرح حقوق السحب الخاصة (SDRS) بعد انهيار نظام بريتونوودز بعد العام 1971م. "محمد دهب كبادة". حيث تقوم البنوك المركزية ببيع وشراء العملات ويتم تحديد قيمة عملة كل دولة مقابل الدولار، ويكون البنك المركزي على استعداد للتدخل في أي وقت للتحكم في العرض والطلب للمحافظة على قيمة عملته واستقرار سعر الصرف. وفي ظل نظام سعر الصرف الثابت يمكن للدولة أن تخفض ولمعالجة الاختلال تلجأ الدولة إلى سياسة تخفيض سعر الصرف كما تلجأ لاستخدام احتياطاتها من العملات الأجنبية أو الاقتراض من الخارج لسد الفجوة بين الصادرات والواردات. "محمد هب كبادة، سياسات سعر الصرف وأثرها على الأداء الاقتصادي".

سعر الصرف المعدل:

قامت البنوك المركزية في عام 1960م بتغيير أسعار صرف عملاتها، حيث تم انتهاج هذا النظام والذي بموجبه تمكنت البنوك المركزية أن تدخل وتعدل سعر صرف عملاتها إذا اتضح أن ذلك السعر ليس السعر الواقعي أو سعر التوازن "معروف 2006م".

سعر الصرف المدن المدار Exchange rate Managed Fioating:

ظهر هذا النظام في بداية عقد السبعينيات بعد انهيار نظام سعر الصرف المعدل حيث تحولت معظم الدول الى هذا النظام. والذي يحدد فيه سعر الصرف وفق عوامل العرض والطلب، بحيث إذا انخفض الطلب على الدولار الأمريكي ينخفض سعر الصرف تلقائياً بصورة مرنة لا تدخل فيها وبشكل مدار "معروف، 2006م".

سعر الصرف الزاحف:

هذا النوع يسود في الدول التي تعاني من معدلات تضخم مرتفعة، وهناك محددات مختلفة لتحويل الزحف مثل الزحف في الماضي وما كان عليه معدل التضخم وما سيكون عليه في المستقبل. حيث يتم تحديد حدود دنيا وحدود عليا لتضييق الفجوة بين سعر الصرف في السوق الرسمي والسوق الموازي .

نظام سعر الصرف المتغير أو المقوم Fiouting Exchange Rate:

جاءت اتفاقية بريتونودز لتوقف تحويل العملات الى ذهب فيما عدد الدولار الأمريكي حيث فرجت آنذاك الولايات المتحدة من قاعدة الذهب وقد استمر الدولار الأمريكي هذا الدور كعملة رئيسية في العالم تحدد على أساسها باقي العملات الدولية من قوة وحجم الاقتصاد الأمريكي في العالم وتبع ذلك ضعف الدولار الأمريكي يعاني من العجز في ميزان المدفوعات خاصة في تعامله وبدأ المتعاملون مع أمريكا يطالبون بتحويل ما بحوزتهم من دولارات الى ذهب حتى أصحبت موجودات في أمريكا من الذهب لا تغطي حجم الدولارات التي توجد خارج أمريكا هذه الصعوبات أدت الى أن الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ قرارات في عام 1970م يقضي بوقف تحويل الدولارات الى ذهب وبهذا القرار تم القضاء على اتفاقية بريتونوودز وانتهى عصر سعر الصرف الثابت ففي عام 1973 أعلنت معظم دول أوربا والولايات المتحدة الأمريكية تعويم عملاتها.

وهذا يعني أن سعر صرف العملات يتحدد على أساس العرض والطلب على العملة هذا دليل على عدم وجود سعر ثابت للدولار يعتمد على عوامل عديدة من أهمها:

قوة الاقتصاد الداخلي، وحجم تعاملاتها الخارجية، وموقف ميزان المدفوعات وسعر الفائدة "فائز ابراهيم 2000م".

تغييرات ظروف السوق وأسعار الصرف:

Changing Market Condition and Exchange Rates:

عندما تتقلب أسعار الصرف بحرية فإن القيمة السوقية لعملة دولة ما سوف ترتفع أو تنخفض استجابة للتغيير في ظروف السوق، ولكن "ما هي العوامل التي تسبب التغيير في أسعار الصرف" (عبد الفتاح وعبد العظيم 1987م).

تقلب سعر الصرف Exchange Rate Vdatility:

كما سبق أن واضحنا، فإن إحدى السمات الرئيسية للتجربة المعاصرة مع تعويم أسعار الصرف، وكانت تتمثل في تقلب أسعار الصرف يمكن النظر الى التقلبات الراهنة في أسعار الصرف من أربعة زوايا مختلفة هي:

أولاً:كانت أسعار الصرف متقلبة على أساس تاريخي onahistoricaibasis على سبيل المثال، فقد زادت تقلبات أسعار صرف عملات الدول الصناعية وعلى أساس المتوسط الشهري وكانت التقلبات قد زادت من 0,20% في فترة من (1961– 1970م) جزء من تطبيق نظام بريتونوودزا الى 1,18% في فترة من 1974– 1983م.

ثانياً: كانت أسعار الصرف متقلبة بالنسبة لما يطلق على المحددات الرئيسية مثل المعروض النقدي، مستويات الدخل مستويات الأسعار وتوازن الحساب الجاري مثال أسعار السلع والمعروض النقدي "وكان هذا الأمر حقيقياً بغض النظر عن المؤشر الذي تم اختباره للتير عن أسعار السلع أو مقياس لمعروض النقدية"، ولكنها أظهرت مقدار تقلب مماثل لما شهدتها أسعار الأصول المالية الأخرى مثل الدين الحكومي "government debt" وقد تم التعبير عنه بمعادلات التغاير لمعدلات الفائدة على اذون الخزانة كنوع من التقريب، باعتبارها تعبر عن مقلوب سعر هذه الأذون.

أخيراً: كانت أسعار الصرف متقلبة بالنسبة للتغير الذي تم التنبؤ به من خلال الزيادة المدفوعة على سعر الصرف الأجل.

"ويبدو هذا الأمر صحيحاً بغض النظر عن العملة المختارة" (جون هدسون 1987م).

الفصل الثالث: التطور التاريخي لسعر الصرف في السودان:

شهد السودان خلال الفترة "1956– 2004" سوقين لسعر الصرف تشمل السوق الرسمية التي يتم التعامل عبر النوافذ الرسمية كالبنوك وصرافات النقد الأجنبي وغيرهم من المضاربين في أسعار العملات بالإضافة الى نوعين من الأسواق الا وهما السوق الرسمي والسوق الموازي اللذان ظهرا في السودان في عام 1979م والذين لم يكن لهما وجود من قبل خاصة في الفترة "1956– 1979م".

1– سعر الصرف للفترة (1956– 1978م):

شهدت تلك الفترة استخدام سعر الصرف الثابت حيث كان يقوم بنك السودان المركزي ببيع وشراء العملات الأجنبية وإذا لم يكن البيع عن طريق بنك السودان فإنه يكون على استعداد للتدخل في أي وقت من ناحية العرض والطلب ليمنع تغيير سعر عملته عن المستوى المحدد لها واستمر التعامل بهذا النظام في السودان منذ اصدار الجنيه السوداني وحتى عام 1978م.

2– سعر الصرف خلال الفترة "1979– 1984م":

شهدت هذه الفترة استخدام أكثر من سوق واحد لسعر الصرف ففي عام 1979 تم تعديل لائحة التعامل بالنقد الأجنبي للعام 1979 وتتمثل سماتها الأساسية في الاتي:

أ– حرية حيازة إدخال وإخراج النقد الأجنبي دون قيود.

1–السماح للمقيمين بفتح حسابات بالنقد الأجنبي تتم تغذيتها واستخدامها دون قيود.

2–التعامل من خلال سوقين رسمي وسوق موازي وحدد لكل سوق موارده.

3– بالإضافة الى ذلك تم إصدار عدة قوانين ومنشورات تنظم التعامل بالنقد الأجنبي، وكذلك شهد عام 1979م استخدام سعر الصرف المعدل والذي بموجبه تمكن بنك السودان المركزي من تعديل سعر العملة خاصة في حالات اكتشاف أن ذلك السعر ليس هو السعر الواقعي أو السعر التوازني حيث ظل سعر صرف الجنيه السوداني مقابل الدولار ثابتاً في حدود 1,30 جنيه للدولار الواحد في السوق الرسمي منذ عام

1982م وتم إلغاء السعر الموازي واستعيض عنه بالسعر الحر في العام 1983م وقد استمر السعر ب 1,30 جنيه للدولار الواحد حتى عام 1984م.

3- سعر الصرف خلال الفترة "1985- 1989م":

تم في عام 1985م تخفيض السعر الرسمي بنسبة 48% ليصبح 2,50 جنيه للدولار الواحد واستمرت سياسة التخفيض لسعر الصرف حتى عام 1986م حيث تم قيام سوق الموارد أسعار الصرف المختلفة بواسطة لجان متخصصة وواصل سعر الصرف في الانخفاض حتى بلغ 4,90 جنيه للدولار بنهاية عام "1986م" وتم تخفيض سعر الصرف بنسبة 45% بنهاية عام 1987م في العام 1988م ثم تخفيض السعر بنسبة 62%.

4- سعر الصرف خلال الفترة (1990 – 1996م)

استمرت سياسة التخفيض خلال العامين (1990م – 1996م) إلى أن تحرير سعر الصرف وتعوتمة بتبني سياسات التحرير الاقتصادي في مطلع فبراير 1992م كجزء من سياسات الإصلاح الاقتصادي التي انتهجها السودان في تلك الفترة ، والتي هدفت إلى معالجة المشكلات التي تواجه ميزان المدفوعات وإعطاء قيمة واقعية للجنية السوداني مقابل العملات الأجنبية وهذا الإطار ثم توحيد الصرف للجنبة السوداني وألغي نظام السوق الرسمي والأسواق المصرفية الحرة واستعيض عنهما بأسواق حرة موحدة للتعامل بالنقد الأجنبي ، وفي إطار تحرير وتطوير سوق النقد الاجنبي ثم إنشاء عدد من الشركات الصرافة عام 1995م وصدرت لائحة بتنظيم أعمالها وعلاقتها مع بنك السودان وفي عام 1996م تم تحديد السعر الذي تتعامل به البنوك وشركات الصداقة المعتمدة يومياً بناءاً على السعر الذي يحدده بنك السودان المركزي.

5- سعر الصرف خلال الفترة (1997م – 2001م)

شهدت هذه الفترة استئناف علاقة السودان مع صندوق النقد الدولي وهي علاقة جزئية دون مساعدات مالية من الصندوق في إعطاء التفاوض والتعاون من خلال البرنامج التي تم اتفاق عليه اعتماد التعامل بطريقة سعر الصرف الزاحف ومن أهم ملاحم هذا النظام التحديد سعر الصرف الرسمي تتخذه الدولة لتحفيز من قيم عمليها بمقدار صغير أسبوعياً أو يومياً على حسب ما يعتدي الأمر بالإضافة إلى أنه وسيلة تعديل سعر الصرف يتضمن ثبيت قيمة أسمية وتكون القيمة الإسمية أكبر من القيمة الحقيقية وتتراوح بحدود معينة يجزي من المية وهذا القيمة الاسمية يتم تعديها بصورة نظامية وتبين وثيقة معينة تحددها السلطان المختصة.

اما الفترة خلال العاملين 1997م – 1998م فقد متميزات باستقرار نسبة لسعر الصرف النسبي لتدعيمها لبعض الاجراءات من أجل استكمال السياسيات وتحديد اقتصادية وتمثلت تلك الاجراءات في إلغاء تحديد سعر الصرف من تلك السودان المركزي وتم السماح في البنوك التجارية لقيام بتحديد سعر الصرف وبناء على قوة لعرض والطلب على أن يقوم بنك السودان المركزي بأعداد متوسط التوجيهي للبنوك أما في عام 1999م فقدت استحداث بتلك السودان المركزي إليه التدخل في سوق النقد الاجنبي عن الطريق الشراء

البيع والعملات الاجنبية من وإلى البنوك والشركات والصرافة على قرفة التعامل النقد الاجنبي وذلك مقابلة عملات الاستيراد ومن أهم .

إبراز التطورات التي شهدتها هذه الفترة من 2000م – 2001م فيما يتعلق بالسوق النقد الأجنبي وتحديد سعر الصرف كما تم السماح لكافة البنوك التجارية ويعتمد بمزاولة عمليات النقد الأجنبي وفقاً للسياسات الداخلية التي تحددها إدارة الهدف بمعني المنشورات بنك السودان المركزي.

6- سعر الصرف خلال الفترة (2002م – 2004م)

استخدم خلال هذه الفترة نظام سعر المدن المدار ثم الاستهداف عرض النفود في تحقيق معل النمو إيجابه النتائج المحلية الإجمالي واستقرار المستوي العام الأسعار وفق البرنامج الاقتصادي السنوي المتفق عليه النقود الدولي وأصبح سعر الصرف من ضمان الأدوات التي تستخدم في إدارة السيولة .

ويستهدف في سياسات النقود الأجنبي لعام 2002م المحافظ على استقرار سعر الصرف الدينار السوداني واستمرار في تحديد التعامل بالنقود الاجنبية بالإضافة إلى تعديل هامشية الذي يتحرك في سعد التاشيري المعلن بواسطة بنك السودان المركزي من 1% إلى 1.5% ثم إلى 2% وذلك حسب حركة السوق إما في عام 2003م وقد استهداف سياسات النقود الاجنبي أيضاً المحافظة الأجنبي هذا بالإضافة إلى تعزيز الموارد النقد الأجنبي أيضاً المحافظة على استقرار سعر الصرف والاستمرار في تحرير التعامل بالنقود الاجنبي هذا بالإضافة إلى تعزيز الموارد النقد الأجنبي أيضاً المحافظة على استقرار سعر الصرف والاستمرار في تحرير التعامل بالنقود الاجنبي هذا بالإضافة إلى تعزير الموارد النقد الأجنبي بالمصرف والصرفات من خلال توفير بيع النقد الاجنبي عبر نافذة البنك المركزي كما تم وضع التدبير والترتيبات اللازمة الإدارة احتياطات الدولة من النقد الاجنبي وحرص وتسجيل رأس المال المستمر.

وعلى الرغم من أن الخمسة أعوام الأخيرة قد شهدت استقرار نسبة في سعر الصرف ، إلا أن الواقع العملي يشير إلى أن هنالك عدة ، أنماط سعر الصرف يمكن إيجازها في ما يلي :

1. سعر النبك المركزي : هو الذي يتعامل بنك (السودان) المركزي لبيع وشراء كل المعاملات.
2. أسعار المصارف التجارية : وهي أسعار تحديدها المصاريف إذا أن هنالك حدود لتحريك أسعار الشراء والبيع .
3. السعر التأشيري : يتم احتسابه من واقع العمليات التي تم في سوق النقد الأجنبي بالبلاد عن طريق كل المتالين فيها عبر المصارف والصرفات في بنك السودان ، المركزي في نظاق قدرة 1% حول السعر التاشيري الاغراض بواسطة بنك السودان.
4. أسعار الشركات الصرفات : ويتم تحديدها بناءاً على مؤشرات السوق وأسعار صرفات المصارف وأسعار البنك المركزي.
5. أسعار السوق الموازي : وهي تشكل أفضلية بالنسبة للبائعين وما ملجأ هام ورئيسي للأجانب في حالة الطلب وعدم الحصول على احتياجاتهم عن طريق الشراء من القنوات المصرفية ويتكون السوق الموازنة

من التحويل من حساب إلى حساب والتعامل خارج القنوات ، الرسمية هنالك عدة أسعار سلبية في أسواق الموازنة منها تغير الأسعار الصرف من غير مبادرات اقتصادية منطقية الأمر الذي يؤدي إلى تقلبات في قيمة العملة الوطنية مقابل العملات الاجنبية الأخرى.

جدول رقم(1) يوضح أسعار الصرف التأشيرية من البنك المركزي والبنوك التجارية2004/2000م

السوق الموازي	التاشيري	البنوك التجارية	بنك السودان	الأعوام
258.5	256.8	257.3	256.8	2000
265.0	262.6	260.8	262.6	2001
268.0	262.2	266.2	262.2	2002
264.0	263.0	261.9	263.0	2003
262.5	250.7	260.7	251.7	2004

المصدر بنك السودان المركزي لإحصائيات من المصارف التجارية يتضح من الجدول أعلاه أن الفترة قد شهدت استقرار كبير في سعر الصرف الدينار السودان مقابل الدولار الامريكي ، حيث أن هنالك فروق طفيفة في أسعار الصرف في الأسواق الاربعة المذكورة الي أن يكاد يكون هنالك توحيد في أسعار الصرف وذلك سياسات والجهود التي بذلتها السلطات النقدية والمالية خلال هذه الفترة والتي تهدف إلى مجموعة من الاصلاحات الاقتصادية والمالية من بينها استقرار قيمة العملة الوطنية و يلاحظ انخفاض سعر البنك السوداني المركزي لتبنية في سبتمبر 2004م سياسة رفع قيمة الدولار السوداني مقابل الدينار الامريكي نسبة لتحسين مواقف الاحتياط بالنقد الاخير وقد وصل سعر الصرف الدينار السوداني 238.31 مقابل الدولار في نهاية اكتوبر 2005م سياسات النقود الاجنبية

ثانياً : موارد النقد الأجنبي :

سعي البنك المركزي في التحرك الخارجي لاستقطاب موارد نقد أجنبي ، مما كان له الأثر المباشر في زيادة موارد النقد الأجنبي وبالتالي المساهمة في تحقيق استقرار نسبي في سعر الصرف كما قام البنك المركزي بتعديل فترة استيراد حصيلة الصادر بالنسبة للاعتماد لتصبح شهراً بدلاً عن شهرين كما تم تحديد شهر واحد فقط للاحتفاظ بحصيلة الصادر لحساب الصادر .

ثالثاً : استقرار سعر الصرف :

سعي البنك المركزي في التحرك الخارجي لاستقطاب موارد نقد اجنبي ، مما كان له الاثر المباشر في زيادة موارد النقد الاجنبي وبالتالي المساهمة في تحقيق استقرار نسبي في سعر الصرف كما قام البنك المركزي بتعديل فترة استيراد حصيلة الصادر بالنسبة للاعتماد لتصبح شهراً بدلاً عن شهرين كما تم تحديد فترة شهر واحد فقط للاحتفاظ بحصيلة الصادر لحساب الصادر.

ثالثاً : استقرار سعر الصرف:

استمر البنك المركزي في اتباع سياسة سعر الصرف المدن المدار وانتهاج سياسة التصحيح المستمر في سعر صرف الجنية السوداني مقابل العملات الأجنبية بهدف التوصل إلى سعر صرف متوازن ومستقر ، حيث ثم تصحيح اسعار الصرف في يونيو 2012م ضمن حزمة الإجراءات الاقتصادية التصحيحية التي أتبعتها الدولة لتخفيف الأثار السالبة لانفصال دولة جنوب السودان .

برنامج إصلاح السياسات المتعلقة بالنقد الأجنبي والتجارة الخارجية للصندوق النقد الدولي للفترة (1978م – 1986م) :

أعلن هذا البرنامج في 15 سبتمبر 1979م ، في مؤتمر صحفي عقدة وزير المالية والاقتصاد والوطني آنذاك ، ونقلته صحيفة الأيام الصادرة يوم 1979/9/16م ، أهم بنود البرنامج على النحو التالي :

1. توحيد سعر الصرف الرسمي للجنية السوداني بتضمين ضريبة التحويل وحافز .
2. إلغاء السعر التشجيعي لتحويلات المغتربين.
3. تطبيق سعرين للجنية السوداني أحدهما رسمي ويطبق على الصادرات والواردات والتحويلات في الكشفين المرفقين والأخر تشجيعي ويحدد سعره حسب مؤشرات السوق يطبق على الصادرات والواردات والتحويلات بخلاف المضمنة في الكشفين المرفقين.
4. إلغاء الرسم الاضافي وضريبه التنمية على الواردات.
5. السماح للمقيمين وغير المقيمين من السودانيين وغيرهم بفتح حسابات جارية بعملات أجنبية ، ومنح السودانيين منهجأو الحاصلين على رخص استيراد أولية في الحصول على رخصة استيراد لاستخدام أرصدتهم في تمويل عملياتهم.
6. يسمح بيع وشراء العملات الاجنبية لدي البنوك المرخص لها بالاسعار الواقعية المرنة وقد تحديد سر الدولار 80 قرش سودانياً.
7. تلغي القيود الحالية على إدخال وتحويلات العملات الاجنبية إلى داخل وخارج القطر وفقاً لإجراءات وضوابط مرنة وواقعية.

المذكرة الأولي لصندوق النقد الدولي حول تخفيض الجنية السوداني :

في هذا الجانب سنقوم باستعراض أهم ما ورد في مذكرة صندوق النقد الدولي حول (سعر صرف الجنية السوداني والإجراءات المتصلة به) ولعله من المناسب ملاحظة ان هذه المذكرة ، والتي لا تحمل تاريخاً ، تحتوي على إحدي عشرة صفحة بالإضافة إلى رسميت بيانيين وقد اشتملت على سبعة أقسام محتوياتها كما يلي :–

مقدمة : عدم التوازن الداخلي ، علاقة التكاليف بالأسعار ، تعديل سعر الصرف الوقع على ميزان المدفوعات توقع على (التركيز) والميزانية ، الوقع على تكاليف المعيشة.

لاحظت المذكرة في مقدمتها أنه على مدي السنوات القليلة الماضية تسبب عدد من التطورات الاقتصادية والخارجية ، كعمليات الميزانية ، والتوسع في الإنتمان والعلاقات بين التكاليف والأسعار ، في إحداث خلل

هيكلي في الاقتصاد السوداني وقد انعكست هذه التطورات في عدم التوازن الحاد في الميزانية العامة وميزان المدفوعات هذا وقد حدد الهدف الأساسي من هذه الخطوات الاصلاحية على أنه (زيادة معدل النمو من خلال ترشيد توزيع الموارد ومن ثم الاستغلال الامثل للميزة المقارنة الاقتصادية السوداني خصوص في الزراعة والصناعة الزراعة . " على عبدالقادر على – 1990م" .

ربط الجنيه السوداني بسلسلة العملات:

نحو تجربة ثابتة للصندوق:

كما سبق وذكرنا فسوف يهتم هذا القسم باستعراض محتويات مذكرة صندوق النقد الدولي فيما يتعلق بتحديثه الثانية في مجال سعر الصرف، وذلك بعرض التوثيق من ناحية يتسنى لنا التعليق على هذه المحتويات فيما يعد من ناحية ثابتة، وهذا يستخدم باتباع التسلسل الأصلي لمذكرة الصندوق حسبما أوردنا في المقدمة. (على عبد القادر، 1990).

سياسة سعر الصرف:

يشمل هذا الجزء من مذكرة الصندوق على جزأين فرعيين وعلى النحو التالي:

أ- التجربة حديثة العهد:

يقول الصندوق في مذكريه إنه (خلال السنوات الماضية وجد السودان أنه من الضروري القيام بتخفيض سعر صرف الجنيه السوداني مقابل الدولار الأمريكي عدة مرات ولما كانت الفترة الزمنية بين كل تخفيض وآخر طويلة، فقد أصبحت معلومات عامة، ومن ناحية أخرى. لقد كان لمثل هذه التعديلات خيرها قبيل تنفيذها ومن ثم أصبحت معلومات عامة، والتي فرضت تكلفة حقيقية. ولقد كان لمثل هذه التعديلات الكبيرة عدد من النتائج السلبية من أهمها الارتفاع الحاد في أسعار المستويات أو السندات (بما في ذلك أسعار الواردات الأساسية كبترول– والقمح– والسكر) والمضاربة والتي فرضت تكلفة حقيقية على الاقتصاد، وبعض الأثار والنفوذية التي خابت المجموعات المعيشية فقد اكتسبت تعديلات سعر الصرف صفة (الانكماش) التي أدت دورها الى آثار المعارضة السياسية مما جعل تنفيذ التعديلات الأحقية في سعر الصرف من الصلاحيات بالمكان.

(ولقد كان موجه المعارضة التي صاحبت "تخفيضات" عامي 1981م– و1982م عدد الأثار الاقتصادية الضارة. فعالجتها تأسست التوقعات فيما يتعلق بتخفيض أن قام المصدرون بالاحتفاظ بسلعهم للحصول على غنائم مالية بالعملة المحلية، وفي نفس الوقت قام عدد من التجار المحليين ببناء مخزوناتهم من سلع الصادر والوارد لنفس الهدف وتم مكافئتهم بارتفاع قيمة هذه السلع بالعملة المحلية بعد تنفيذ تخفيض سعر الصرف وقد سبب هذا في تعديل للدخل من المستهلكين والمنتجين الى تجار هذه وقد تطلب نشاطات بناء المخزون السلعي هذه تمويل اضافياً من البنوك والذي كان يمكن ترفقه في مجالات أكثر إنتاجية في الاقتصاد وبالإضافة الى ذلك فقد زاد الضغط على الاحتياطي الرسمي من النقد.

ب–التعديلات المستقبلية لسعر الصرف:

يقول الصندوق أن هذا الصندوق العوامل الأربعة الارتفاع الحاد في الأسعار والانكماش السياسي لتخفيض وسوء تخفيض المواد بسبب المضاربة والآثار السلبية على توزيع الدخل التخصيص التخفيضات الكبيرة في سعر الصرف لشدة الحجة الفاشلة لاتباع منهج التعديل التدريجي لسعر الصرف بينما يعتبر سعر الصف الرسمي حالة ملمة ويتضامن سعر الصرف تنافسات الصادرات السودانية في الاطار الحالي لتراكم التكاليف والأسعار العالمية والانتاج والا أن ليس من المتوقع تستمر هذه الظروف والتغيير في العام من هذه العوامل وخصوصاً تكلفة الانتاج التي تتأثر بتحريك سعر الصرف وسوق الحر وسيتطلب تحرير السوق في سعر الصرف الرسمي للأغراض التنافس وهذه بينما لا يتوقع مثل هذه التغييرات (في العوامل المذكورة) خلال الأشهر القليلة الا أن مراقبة سعر الصرف الرسمي وضوء تطوير هذه العوامل كما لا بد من لعدم استبعاد تعديل احتمال تعديل جديد لسعر الصرف.

هنالك عوامل أخرى ربما أشار إليه الحاجة الى هذا التعديل حول أساسي لسعر الصرف يوجد هنالك طلب زيادة عن النقد الأجنبي في إطار السوق الرسمي خصوصاً فيما يتعلق بالواردات الأساسية وقد تم مقابلة هذا الطلب من خلال السوق الحر إلا أن هذا قد يتسبب في إشباع سعرتي الصرف الرسمي مما أدى الى ترشيد سياسة والتشرد في السياسات النقدية والمالية ويستخدم سعر الصرف تعديل سعر الصرف الرسمي (على عبد القادر 1990).

التعديل التاريخي لسعر الصرف:

ويشتمل هذا الجزء من مذكور الصندوق النقد على جزئي على النحو التالي:

أ- مزايا التعديل التدريجي:

يقول صندوق النقد أن إذا ما قبلت الحجة القائلة بأنه يستخدم تعديل سعر الصرف مرور الزمن فيبدو أن هنالك ثلاثة مميزات من التغير الدوري والمحدود النية لسعر الصرف في مقابل التغيرات المشبعة كبيرة النسبة:

التغيرات المحدودة تستعمل على نهدي القضية السياسية الاجتماعية التي تثيرها على التغيرات الكبيرة وعلى الاتفاق على ارتفاعات التدريجية للأسعار ويمكن أن يخفض سعر الصرف بالنسبة للدولار بطريقة دورية كما يجري التخفيضات على عن طريق ربط الجنيه وسلسلة من العملات وإذا اتبعنا المنهج التدريجي لتخفيض سعر الصرف فإن الاتفاق مع صندوق فيما يتعلق بسياسة سعر الصرف الرسمي على مدة زمنية معلومة لتخفض سعر الصرف الذي تم الاتفاق عليه فسوف يؤدي الى فتران بعض المكاسب من ادخال نظام الرابط من سلاسلا من العملات لتخفيض المضاربة. (على عبد القادر 1990م).

ب-التعديل بواسطة العملات أم مقابل عمل واحدة:

يقدم الصندوق (أن التعديل التدريجي في حالة ربط الجنيه السوداني بالدولار الأمريكي مقارنة بحالة ربط الجنيه بسلعة، من العملات، أو لا ستظل قيمة الجنيه السوداني ثابتة على مدى كل الفترات التي تفصل

بين تعديل آخر. ولتخفيض المرونة السياسية سعر الصرف فإنه المهمة أن يتعود الجمهور على حقيقة التدريج اليومي لقيمة الأجنبي.

ثانياً إن سيصبح الاتجاه العام للقيمة المتبادلة للجنيه السوداني واضحاً مقارنة بحالة الرابط بسلعة العملات. ففي حالة (السلعة) سعر الصرف تلقائياً مما لاتي تفرضها السياسة أو من ثم فإذا الاتجاه العام لن يكون مفتوحاً. ومن المتوقع ان تؤدي الى حالة عدم التيقن فيما يتعلق بسلوك سعر الصرف في هذه القصير التي ستقررها اتباع السياسة الجديدة، ومن ثم السياسة الربط بسلعة العملات عنصر أكبر من المرونة في سياسة سعر الصرف وسيكون من المفضل ادخال نظام السلعة في الوقت حيث لا يوجد توقعات حول إجراءات تخفيض في سعر الصرف العملة، هذا وسوف يترتب على التغيرات في العملات في سلعة تغيرات في سعر الصرف الجنيه السوداني مقابل الدولار أما تحديدها تغيرات الأوزان بالنسبة لهذه العملات). باستبعاد الجمهور على هذه التطورات قبيل الصرف الرسمي فإنه يمكن استخدام السلعة لبلوغ هذا الهدف تخفيضات طفيفة ولاتي ستكون معلقة جانبياً بواسطة التحركات التلقائية للدولارات الأخرى). "على عبد القادر 1990"

أنواع التقلبات:

يمكن تقسيم هذه المعلمة المالية إلى الفئتين التاليتين:

أ- تقلبات الأسعار الفعلية والتاريخية- التغير الحقيقي في قيمة الموجودات خلال الفترة الماضية.

ب-التقلبات المحتملة أو المتوقعة- النطاق المتوقع لتقلبات الأسعار، مما يسمح بالمراهنة على الخيار الأكثر ربحية: يتم احتساب هذا المؤشر على أساس القيمة اللحظية للأصل تحسباً لسقوط أو ارتفاع في السعر مع مراعاة التقلبات التاريخية.

أسباب تقلبات سعر الصرف:

ترى ما الأسباب التي تجعل تلك العملات تتقلب هذا التقلب المتباين والواضح دوماً بالطبع العامل الرئيسي لتغير سعر العملة بين الارتفاع أو الانخفاض هو العرض والطلب كأي سلعة أخرى فكلما زاد الطلب زاد سعر الصرف وكلما عرف المستثمرون عن سلعة ما قل سعر صرفها.

إن مرونة أسعار الصرف تجعل العرض والطلب أهم ملامح التعامل بها وكذلك لو قل المعروض من عملة ما أو ازداد الطبع وطرحها في الأسواق هذا التعامل أيضاً يؤثر تماماً على سعر العملة.

تقلبات أسعار الصرف أو التقلبات غير واضح:

فزيادة المعروض منها يقلل سعرها بطبيعة الحال وعلى عكس قلة المتاح منها ويتأثر المعروض من عملة ما ببعض العوامل كالتضخم والظروف الخاصة بالدولة سياسية اقتصادية والسياسة النقدية للدولة أيضاً.

تقلب سعر الصرف Exchange Rate Volatillty:

إن احدى السمات الرئيسية للتجربة المعاصرة مع تعويم أسعار الصرف، كانت تتمثل في تقلب أسعار الصرف، وعلى وجه الخصوص تقلباتها على بالنسبة لبعض معايير السوق، ويرى بعض المعلقين أنها قد شهدت تقلبات مفرطة. ويمكن النظر الى التقلبات الراهنة في أسعار الصرف من زوايا مختلفة:

1- كانت أسعار الصرف متقلبة على أساس تاريخي.
2- كانت أسعار الصرف متقلبة بالنسبة لما يطلق عليه المحددات الرئيسية.
3- كانت أسعار الصرف متقلبة بالنسبة للتغير الذي تم التنبؤ به من خلال الزيادة المدفوعة على سعر الصرف الآجل.

أنواع مخاطر تقلبات العملات الأجنبية:

ونستطيع التمييز في هذا لامجال بين ثلاثة أنواع هي :

1- مخاطر التحويلات: وتظهر هذه المخاطر أثناء الأنشطة العادية للمنشئة وفي حالة التحويلات المتعلقة بالصادرات، فإن مبعث الخطر عندما يكون السعر المتفق عليه بعملة أجنبية ويحث تغيير في سعر الصرف هذه العملة فيما بين تاريخ التعاقد وتاريخ الدفع الفعلي في مواجهة عملة يمكن أن يحدث في حالة انخفاض قيمة العملة المحلية يحصل في مقابل صادراته المقومة دولار على كمية أقل من الجنيهات الإسترلينية.

2- مخاطر الانتقال وتثور هذه الصورة من صور المخاطر عندما تلتزم الشركة بتقدير قيمة اصولها والتزاماتها في الخارج كجزء من ميزانيتها الشركة بعملتها المحلية ونفس الشي بالنسبة للاستثمار وذلك انخفاض في القيمة العملة الصافي الأصول يظهر في حالة التخلص من الأصول بالبيع واسترداد عوائد البيع المنخفضة والمثال على ذلك ما يحدث للشركات البريطانية في أواخر الثمانينات في نيجيريا وبصفة عامة لا يمكن تقديم حلول كاملة مخاضر تحويلات ينبغي فقط على المستثمر في بلد ما.

3- المخاطر الاقتصادية وتثور هذه المخاطر عندما تختار شركة عالمية إحدى الدول فيما وراء مصدر لتوريد احتياجاتها الأولية أو تختارها كسوق لصادرتها.

الفصل الرابع: الإطار التحليلي

التحليل البياني والوصفي:

البيانات الشهرية لسلسلة سعر صرف الجنيه السوداني(EX) خلال الفترة 2023-2024م.

جدول رقم (2) الإحصاءات الوصفية لبيانات سعر صرف الجنيه السوداني خلال الفترة 2023-2024م

	EX
Mean	1268.435
Median	1067.500
Maximum	2950.000
Minimum	570.9000
Std. Dev.	801.7619
Skewness	0.963419

Kurtosis	2.563935
Jarque–Bera	3.577621
Probability	0.167159
Sum	27905.57
Sum Sq. Dev.	13499266
Observations	22

جدول رقم (3) يوضح البيانات لأسعار الجنيه مقابل العملات الأجنبية:

الشهر	نوع العملة	سعر الشراء
يناير	الدولار	578.00
فبراير	الدولار	587.8558
مارس	الدولار	588.19
ابريل	الدولار	607.00
مايو	الدولار	585.00
يونيو	الدولار	570.9
يوليو	الدولار	617.93
اغسطس	الدولار	588.00
سبتمبر	الدولار	629.69
أكتوبر	الدولار	920.00
نوفمبر	الدولار	1050.00

ديسمبر	الدولار	1085.00

المصدر: إعداد الباحثان من خلال البيانات والأسعار السائدة في الميدان للعام 2023م

جدول رقم(4) يوضح أسعار الجنيه مقابل العملات الأجنبية للعام 2024:

الشهر	نوع العملة	سعر الشراء
يناير	الدولار	1095.00
فبرائر	الدولار	1250.00
مارس	الدولار	1420.00
ابريل	الدولار	1175.00
مايو	الدولار	1840.00
يونيو	الدولار	1920.00
يوليو	الدولار	2350.00
اغسطس	الدولار	2700.00
سبتمبر	الدولار	2880.00
أكتوبر	الدولار	2950.00
نوفمبر	الدولار	2900.00
ديسمبر	الدولار	2850.00

المصدر: إعداد الباحثان من خلال البيانات المتداولة في الميدان للعام 2024م

نتيجة رقم (1) التوزيع البياني لسلسلة سعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023–2024م

شكل رقم(1) يوضح الاتجاه العام لأسعار صرف الجنيه السوداني مقابل الدولار للعامين 2024/2023م

المصدر: الباحثان من مخرجات برنامج E-views

نتيجة رقم (1)اعلاه نلاحظ أن سلسلة سعر الصرف متزايدة عبر الزمن وذلك لعدة أسباب منها ل المضاربة بالدولار, تراجع قطاعات الإنتاج, والصراع المسلح المستمر, ارتفاع معدلات التضخم أدى الي تدهور الجنيه السوداني, عدم الاستقرار السياسي, وتغيرات الطلب على العملات الاجنبية والعقوبات الاقتصادية المفروضه على السودان.

نتيجة رقم (2)التحليل الوصفي لسلسلة سعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023-2024م

Probability	Jarque-Bera	Kurtosis	Kurtosis	Skewness	Std. Dev	Minimum	Maximum	Median	Mean
0.167159	3.577621	2.563935	0.963419	0.963419	801.7619	570.9000	2950.000	1067.500	1268.435

المصدر: الباحث مخرجات برنامج E-views

من النتيجة رقم(2) نلاحظ أن متوسط سعر الصرف 1268.435, اكبر قيمة 2950 وأقل قيمة 570.9 , والانحراف المعياري 801.7619 والقيمة الاحتمالية لجارك بيرا هي 0.167159 وهي أكبر من القيموة المعيارية 5% مما يدل على عدم العشوائية في تغيرات سعر الصرف بمعنى ان ارتفاع سعر الصرف في السودان خلال فترة الدراسة جاء نتيجة لتأثيرات الحرب.

lk

نتيجة رقم (3)التحليل الوصفي لسلسلة سعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023–2024م

Date: 02/13/25 Time: 20:54
Sample: 2023M01 2024M12
Included observations: 22

Autocorrelation	Partial Correlation		AC	PAC	Q-Stat	Prob
. |******|	. |******|	1	0.840	0.840	17.749	0.000
. |***** |	. | . |	2	0.688	−0.063	30.228	0.000
. |**** |	. *| . |	3	0.512	−0.169	37.504	0.000
. |*** |	. | . |	4	0.354	−0.056	41.181	0.000
. |**. |	. | . |	5	0.238	0.038	42.943	0.000
. |* . |	. *| . |	6	0.114	−0.131	43.368	0.000
. | . |	. |* . |	7	0.070	0.153	43.539	0.000
. | . |	.**| . |	8	−0.025	−0.231	43.563	0.000
. *| . |	. *| . |	9	−0.109	−0.089	44.045	0.000
. *| . |	. | . |	10	−0.169	0.020	45.301	0.000
.**| . |	. *| . |	11	−0.234	−0.078	47.919	0.000
.**| . |	. *| . |	12	−0.296	−0.170	52.549	0.000

المصدر: الباحث مخرجات برنامج E-views

نلاحظ من النتيجة رقم (3) أن سلسلة سعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023–2024م، تعاني من مشكلة الارتباط الذاتي', لان توزيع البيانات خرج عن حدود الثقة(الخطين الوهميين).

نتيجة رقم (4)تحليل السكون لسلسلة سعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023–2024م

Null Hypothesis: D(EX) has a unit root
Exogenous: Constant, Linear Trend
Lag Length: 0 (Automatic - based on SIC, maxlag=4)

		t-Statistic	Prob.*
Augmented Dickey-Fuller test statistic		-6.561268	0.0002
Test critical values:	1% level	-4.498307	
	5% level	-3.658446	
	10% level	-3.268973	

*MacKinnon (1996) one-sided p-values.

المصدر: الباحث مخرجات برنامج E-views

نلاحظ من النتيجة رقم (4) أن سلسلة سعر الصرف في السودان خلال الفترة 2023-2024م، مستقرة عند الفرق الأول بوجود قاطع واتجاه عام, ولان القيمة الاحتمالية لاختبار ديكي فولر (0.0002) أقل من 5%.

هناك عدة أسباب تؤثر في ارتفاع سعر الصرف مقابل الجنيه السوداني للفترة 2023/ 2024م هي على النحو التالي:

أسباب اقتصادية:

1/ تضخم اقتصادي: ارتفاع معدلات التضخم في السودان يمكن أن تؤدي إلى انخفاض قيمة الجنيه السوداني مقابل العملات الأجنبية.

2/ عجز الميزانية: عجز الميزانية الحكومية يمكن أن يؤدي إلى زيادة الطلب على العملات الأجنبية مما يؤدي إلى ارتفاع سعر الصرف.

3/ ضعف الإنتاجية في القطاعات الاقتصادية الرئيسة وضعف الصادرات وحصائل الصادر التي تعود بعملات أجنبية لخزينة الدولة لتغطية التزامات ومتطلبات احتياجات الدولة من السلع الضرورية والحيوية والاستراتيجية المستوردة، بمعني الطلب على النقد الأجنبي أكبر من العرض، وتعاني الدولة من شح النقد الأجنبي وكل هذا يمكن أن يؤدي إلى تدهور قيمة الجنيه السوداني وارتفاع سعر الصرف.

أسباب سياسية:

1/ الاستقرار السياسي: عدم الاستقرار السياسي والحرب والفوضى والدمار في المصارف والبنك المركزي السوداني مما أدى إلى تداول العملات الأجنبية في أيدي الجمهور وتوسع السوق الموازي وأصبحت الفوضى عارمة مما أنعكس ذلك على تدني قيمة العملة المحلية وتقليل الثقة في الجنيه السوداني، مما يؤدي إلى ارتفاع سعر الصرف.

2/ العقوبات الاقتصادية: العقوبات الامريكية والحصار الاقتصادي وايقاف التحاويل للأموال يمكن تؤدي إلى انخفاض قيمة الجنيه السوداني.

3/ المضاربات بالعملات الأجنبية من قبل الأفراد والشركات والبنوك وسماسرة السوق الموازي وضعاف النفوس وتجار العملة الأجنبية، وبالذات المصارف المملوكة لدول خارجية أخرى.

أسباب خارجية:

1/ تغيرات أسعار العملات الأجنبية وخاصة الدولار الأمريكي يمكن أن تؤثر على سعر الصرف في السودان، وبالذات أن السودان أكبر مستورد للنفط ومشتقاته والطاقة.

2/ تغيرات أسعار النفط يمكن أن تؤثر على سعر الصرف

3/ الأزمة المالية العالمية: أثرت على الاقتصاد العالمي وخاصة الاقتصاد السوداني مما أثر على سعر الصرف في السودان والسودان لا ينعزل عن الاقتصاد العالمي.

أسباب أخرى:

1/ سياسات البنك المركزي السوداني متمثلة في الزيادات في سعر الفائدة لها تأثير على سعر الصرف.

2/ الطلب المتزايد على العملات الأجنبية وبالذات من قبل المستثمرين الأجانب والمحليين تؤدي إلى التأثير على سسعر الصرف

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

1/ يوجد اتجاه عام لسعر الصرف في السودان هلال الفترة 2023–2024م.

2/ عدم عشوائية بيانات سعر الصرف في السودان خلال فترة الدراسة 2023–2024م.

3/ توجد مشكلة ارتباط ذاتي لسلسلة بيانات سعر الصرف في السودان خلال فترة الدراسة 2023–2024م.

4/ عدم سكون السلسلة في مستواها وسكونها بعد أخذ الفرق الاول.

ثانياً: التوصيات

1/ تشجيع الأنتاج والاستثمار في القطاعات الإنتاجية, واتباع السياسات المالية التى تعمل على خفض معدلات التضخم وضبط المضاربة بالعملات.

قائمة المراجع:

1– جون هدسون ومارك هدندر، العلاقات الاقتصادية الدولية تأليف: طه عبدالله منصور وآخرون للعام (407/هـ– 1987م).

2– فياء مجيد، اقتصاديات النقود والبنوك للعام 2002م. مؤسسة شباب الجامعة، 1–4 شارع الدكتور مصطفى شرفة.

3– سي بول هالوود– رونالد ماكدونالد، النقود والتمويل الدولي 2007م، دار المريخ للنشر.

4- فايز ابراهيم الحبيب، مبادئ الاقتصادي الكلي، الطبعة الثالثة 1994م الساعة 11 صباحاً 2000م الدار الجامعة للنشر.
5- قدير عمر مدني، مجلد السياسات الاقتصادية، السياسات التجارية المؤتمر الاقتصادي الأول، الخرطوم ديسمبر 1982م.
6- على توفيق الصادق، معيد على الجارحي، نبيل عبد الوهاب لطيفة السياسات النقدية في الدول العربية، صندوق النقد العربي– معهد السياسات الاقتصادية، أبو ظبي 1996م.
7- تقارير بنك السودان السنوية خلال فترة الدراسة.
8- موريس سمية(2009م– 2010م) آثار تقلبات أسعار الصرف على العائدات النفطية (دراسة الجزائر).
9- الطيب الهادي منواي يحي، قياس أثر تقلبات سعر الصرف على المؤشر العام للأسعار الأسهم في سوق الخرطوم.
10- جون هدسون ومارك هدندر العلاقات الاقتصادية الدولية.
11- بلقاسم العباس، أساسيات أسعار الصرف المعهد العربي للتخطيط، الكويت العدد 23 السنة الثانية نوفمبر 2003م الساعة 10 صباحاً.
12- على عبد القادر على: تعديل سعر الصرف الرسمي للعام 1990م.
13- محمد ابراهيم وآخرون في تغير سعر الصرف بالنسبة للعام 2007م.
14- محمد دهب كبادة في سعر الصرف السائدة للعام 1971م، وسياسات سعر الصرف وآثرها على الأداء الاقتصادي.
15- فائز ابراهيم للعام 2000م.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

القضاء على دور الصفيح بين المكتسبات و الإكراهات

حالة المقاطعة الجماعية سيدي مومن –الدار البيضاء-

طـارق أبو الهـدى[1]

1.د: باحث في الجغرافية البشرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، شارع الحسن الثاني، ص. ب. 546 المحمدية، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء. Abouelhouda1988@gmail.com

ملخـــــــص:

يشغل موضوع القضاء على دور الصفيح، حيزا كبيرا من اهتمامات السياسة العامة للدولة الرامية إلى جعل مدننا فضاءات للحياة والرقي الفردي والجماعي، وقاطرات للتنمية الاقتصادية، تغذو فيها جودة الحياة والولوج إلى الخدمات والمرافق أفضل، لأجل ذلك بادرت المصالح المعنية إلى اتخاذ مجموعة من البرامج والأوراش الهادفة إلى القضاء على دور الصفيح بكل المدن المغربية.

في هذا الإطار، تعد المقاطعة الجماعية سيدي مومن، من بين المجالات التي استفادت من هذه البرامج والأوراش، إلا أن مجموعة من المشاكل والإختلالات أدت إلى عدم الوفاء بالمواعيد النهائية للقضاء على هذه الظاهرة، بحيث وإلى حدود إنجاز هذا المقال، لازالت حصيلة المنجزات لا ترقى إلى مستوى جسامة التحديات، خاصة في ظل إستمرار انتشار هذا النوع من السكن، رغم المجهودات المبذولة للقضاء عليه.

الكلمات المفاتيح: دور الصفيح – الإستثناءات العمرانية – التنمية المحلية

Abstract:

The issue of the elimination of the phenomenon of tin Houses holds a significant place among the public policy concerns of the state aimed at transforming Our cities into spaces of life and individual and collective development, while economic development trains feed into This by enhancing the quality of life and facilitating access to better services and amenities. In this context, various programs and workshops have been initiated to eliminate informal settlements Or Tin houses in Moroccan cities.

Within this framework, the Sidi Moumen district remains one of the areas benefiting from these efforts. However, a set of problems and disturbances has led to delays in meeting deadlines to overcome this phenomenon, As this article is being written, the accumulated outputs still do not rise to the level of the challenges, especially with the continued spread of this type of housing, despite all the efforts dedicated to eliminating it.

- **مقـدمـــــــة:**

شكلت الأحياء الصفيحية جزءا مهما من النسيج العمراني للمقاطعة الجماعية سيدي مومن، مما استلزم معه تدخل الدولة عبر مجموعة من الأشكال للقضاء على هذا النوع من السكن، وحل الإشكاليات المرتبطة به، خاصة في ظل ما باتت تطرحه هذه الأحياء من مشاكل عمرانية، وبيئية، واجتماعية، ومجالية وأمنية صعبة. ففي ظل محدودية الإستثناءات العمرانية في القضاء على السكن الصفيحي بسيدي مومن، وتراكمه على المجال، عملت الدولة في إطار البرنامج الوطني " مدن بدون صفيح" على تنويع تدخلاتها بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن، وذلك عبر تنزيل برنامج استعجالي وآخر شمولي يرمي إلى القضاء على دور الصفيح بشكل كلي وخلق تنمية محلية، من خلال إعادة إيواء ساكنة الدواوير وتوفير العديد من المرافق العمومية.

لكن، ورغم هذا المشاريع والأوراش التي باشرتها السلطات الإدارية العمومية لاحتواء الظاهرة والقضاء عليها بشكل نهائي، إلا أن عمليات الإيواء قد عرفت عدة مشاكل وتعثرات استعصى معها القضاء على هذا النوع من السكن من المشهد الحضري للمقاطعة.

- **إشكاليـة البحـث:**

تندرج إشكالية هذا البحث في الوقوف على مدى نجاعة البرامج والمشاريع العمومية في القضاء على الأحياء الصفيحية، أي ان ما يشغلنا في هذا المقال هو الإجابة عن السؤال الإشكالي التالي:

إلـى أي حد ساهمت البرامج والأوراش العمومية في القضاء على السكن الصفيحي بسيدي مومن؟

- **أهـداف البحـث:**

انطلاقا من إشكالية هذا البحث يمكن تحديد أهدافه في النقاط التالية:

- ✓ الوقوف على المجهودات المبذولة لحل إشكالية أحياء الصفيح بالمجال المدروس.
- ✓ تحديد أهم المشاريع المنجزة في هذا الإطار.
- ✓ تحديد أهم التحديات التي تحول دون القضاء على دور الصفيح.

I. أشكال التدخل العمومي لحل إشكالية دور الصفيح بسيدي مومن.

يشكل قدم انتشار الأحياء الصفيحية بسيدي مومن منذ عهد الإستعمار، وتوافد عدد كبير من المهاجرين القرويين من مختلف الجهات، خاصة خلال فترة التسعينات، بالإضافة إلى تأخر تدخل الدولة للقضاء على هذا النوع من السكن، من أهم العوامل المفسرة لتراكمها على المجال، إذ أصبح هذا النوع من السكن إحدى مميزات المورفولوجيا العمرانية للمقاطعة الجماعية سيدي مومن، وذلك من خلال ضمها إلى حدود سنة 2004 ما مجموعه 33 سكن صفيحي.

أمام هذا الانتشار الكبير، عملت الدولة على وضع مجموعة من البرامج والأوراش الهادفة إلى القضاء على دور الصفيح بسيدي مومن، خاصة في ظل تزايد وتفاقم المشاكل التي يطرحها هذا النوع من السكن، سواء على المستوى الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو البيئي، بالإضافة إلى العائق الكبير الذي تشكله هذه الأحياء الصفيحية أمام التنمية المحلية للمنطقة، وكذا التنمية الحضرية للعاصمة الاقتصادية ككل.

1. دور الاستثناءات العمرانية في القضاء على دور الصفيح بسيدي مومن.

شكلت الإستثناءات العمرانية بسيدي مومن، أولى الآليات المعتمدة من طرف الدولة للقضاء على دور الصفيح بالمنطقة، إذ حاولت السلطات العمومية من خلال مجموعة من الاتفاقيات المبرمة بين وزارة الإسكان والتعمير، والمؤسسات العقارية المنعشة إلى حل إشكالية هذه المعضلة السكنية، وذلك من خلال مساهمة الملاك المستفيدين من هذه الاستثناءات، إما عن طريق تخصيص 20 في المائة من المساحة المبنية الإضافية كما هو الشأن بالنسبة للمشروع السكني الضاوي مومن، وإقامة الشرف، ومباني البيضاء، أو بإسكان جميع قاطني الحي الصفيحي في حالة ما إذا كان العقار الذي يقام عليه المشروع السكني يوجد به هذا النوع من السكن، كما هو الشأن بالنسبة لدوار السكويلة، والذي استفاد جزء مهم من قاطنيه من إعادة الإسكان في إطار المشروع السكني أناسي. والجدول التالي يبين أهم المشاريع السكنية التي ساهمت بنسبة 20 في المائة من المباني الإضافية لصالح قاطني أحياء الصفيح بسيدي مومن.

الجدول رقم 01: بعض المشاريع السكنية التي ساهمت في إعادة إسكان قاطني أحياء الصفيح

اسم المشروع	عدد الشقق الإضافية	عدد الشقق الموهوبة	نسبة المساهمة من المساحة المبنية بالمائة
الضاوي مومن	21	04	20
لافالي	38	07	
بوان كاري	82	61	
مباني البيضاء	-	03	
الشرف	330	60	
الزركي	16	01	
سلمى	28	06	
زون سيد	38	08	
النعمانية	18	04	

المصدر: عمالة مقاطعة سيدي البرنوصي، قسم التعمير، مصلحة دور الصفيح سنة 2021.

يتضح من خلال الجدول أعلاه، أن نسبة مساهمة المشاريع السكنية لحل مشكل الأحياء الصفيحية بسيدي مومن، قد جاءت ضعيفة مقارنة بأهمية وهول الظاهرة، إذ نجد بعض المشاريع قد ساهمت بثلاث شقق، كما هو الشأن بالنسبة لإقامة مباني البيضاء، فيما نجد مشاريع أخرى قد ساهمت بشقة واحدة فقط كما هو الشأن بالنسبة لإقامة الزركي، الشيء الذي يؤكد فشل هذه العمليات في التخفيف ولو بشكل نسبي من حدة السكن الصفيحي بالمنطقة. مما دفع بالجهات المعنية إلى تبني مجموعة من الأوراش والبرامج الأخرى لحل مشكل الأحياء الصفيحية بالمدن المغربية، أهمها برنامج "مدن بدون صفيح" الذي أعلن عنه سنة 2004.

2. برنامج "مدن بدون صفيح" ودوره في القضاء على دور الصفيح بسيدي مومن:

تعتبر المقاطعة الجماعية سيدي مومن من بين المقاطعات التي شملها "برنامج مدن بدون صفيح" الرمي إلى القضاء بشكل كلي على السكن الصفيحي، وفي هذا الإطار ومن أجل تحقيق أهداف هذا الورش الوطني بالمنطقة، تم تبني سنة 2004 برنامج استعجالي يرمي إلى جعل المقاطعة خالية من أحياء الصفيح في أفق 2012، وذلك من خلال برمجة عدد من الأوراش، سواء تلك المتعلقة بإعادة الهيكلة أو تلك المرتبطة بالسكن المنخفض التكلفة، حيث استهدفت هذه البرامج الأحياء الصفيحية الكبرى بالمقاطعة، وهي كريان طوما، والسكويلة، وزرابة، والرحامنة، إلا أن الأهداف المسطرة لهذا البرنامج الإستعجالي، لم يتم تحقيقها

على أرض الواقع، إذ وإلى حدود سنة 2011 تم القضاء فقط على حوالي 5585 براكة، بكل من كريان طوما والسكويلة من أصل 14045 (مجموع عدد البراريك الأحياء الأربعة السالفة الذكر) فيما تأخرت عملية إعادة الهيكلة بكل من كريان زرابة والرحامنة، مما يعكس فشل هذا البرنامج الإستعجالي كما هو مبين من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 02: حصيلة برنامج مدن بدون صفيح بسيدي مومن ما بين 2004 و2011.

الأحياء الصفيحية	عدد البراريك	عدد البراريك المهدمة	نسبة الهدم بالمئة
السكويلة	6373	4200	65,9
طوما	1989	1385	69,6
الرحامنة	4774	0	0
زرابة	909	0	0
المجموع	**14045**	**5585**	**39.7**

المصدر: عمالة مقاطعة سيدي البرنوصي قسم التعمير مصلحة دور الصفيح سنة 2021.

يتضح من خلال معطيات الجدول أعلاه، أن نتائج البرنامج الإستعجالي بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن، لم تكن وفق طموحات الجهات المعنية الرامية آنذاك إلى القضاء على دور الصفيح بشكل كلي في أفق سنة 2012، بحيث وإلى حدود سنة 2011 لم تتجاوز نسبة هدم "البراريك" بسيدي مومن 39.7 في المائة. موزعة بين دور السكويلة التي وصلت به نسبة الهدم إلى حوالي 65,9 في المائة، وكريان طوما التي وصلت به نسبة الهدم إلى 69,6 في المائة، فيما لم تشهد الأحياء الصفيحية الأخرى التي يشملها البرنامج أي تدخل.

ويمكن تفسير هذا التأخر في عملية القضاء على دور الصفيح بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن، بمجموعة من الإكراهات التي تواجه عملية الهدم، فإلى جانب إشكالية توفير الوعاء العقاري، تعرف هذه الأحياء الصفيحية نموا سرطانيا، ينتج عنه العديد من الصعوبات خاصة تلك المرتبطة بعملية الإحصاء، هذا دون إغفال إشكالية رفض بعض الأسر لعملية إعادة الإيواء، إما بسبب بعد موقع المشروع السكني (بعض المشاريع السكنية أنجزت خارج مدينة الدار البيضاء)، أو بسبب رغبة بعض أرباب الأسر في استفادة أبنائها أيضا من عملية إعادة الإيواء.

ومن أجل تجاوز هذه المشاكل والصعوبات، كان من اللازم على المصالح المعنية إعادة النظر في طبيعة البرامج المتبعة للقضاء على دور الصفيح بسيدي مومن أنداك، ووضع برنامج أخر أكثر شمولية ويتلاءم مع طبيعة السكن والسكان.

وتنفيذا لذلك، تم الإعلان في شهر فبراير من سنة 2011 عن وضع برنامج شمولي بكلفة اجمالية تقدر بحوالي: 2511,250,000,00 درهم، يهدف إلى تنمية المقاطعة الجماعية سيدي مومن عن طريق إعادة إيواء ساكنة (دواوير السكويلة، طوما، الرحامنة، وزرابة)، وإعادة هيكلة سيدي مومن القديم، وإعادة إسكان باقي الدواوير الأخرى، بالإضافة إلى إنجاز العديد من المرافق العمومية بالمنطقة، كما هو مبين من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 03: أهداف البرنامج الشمولي لتنمية المقاطعة الجماعية سيدي مومن

	أهداف المشروع	المؤسسة المسؤولة عن انجاز المشروع	التكلفة بالدرهم
قطاع السكن	إعادة إيواء ساكنة دواويرالسكويلة، طوما، الرحامنة،زرابة	العمران	1671,000,000,00
	إعادة هيكلة سيدي مومن القديم	إدماج السكن	
	إعادة إسكان دواوير أخرى بسيدي مومن	إدماج السكن	
المرافق العمومية	سبع مدارس ابتدائية، أربع اعداديات، اثنان ثانويات، أربع مراكز صحية، سبع مرافق إدارية، خمس دور الشباب	العمران	184,000,000

المصدر: عمالة مقاطعة سيدي البرنوصي قسم التعمير مصلحة دور الصفيح سنة2021

يهدف البرنامج الشمولي كما هو مبين من خلال معطيات الجدول أعلاه، إلى تنمية المقاطعة الجماعية سيدي مومن، سواء على المستوى السكني من خلال إعادة إيواء وإسكان الأحياء الصفيحية المعنية، أو على المستوى الإجتماعي من خلال انجاز بعض المرافق العمومية بالمنطقة.

هذا وقد حظيت دواوير السكويلة، طوما، الرحامنة، زرابة، باهتمام أكبر من خلال هذا المشروع، نظرا لمجموعة من الإعتبارات والمعايير المرتبطة بارتفاع مؤشرات الفقر والهشاشة، وهذا ربما ما يفسر خلال هذه المرحلة ارتفاع عدد المستفيدين بكل من دوار السكويلة وطوما مقارنة مع باقي الدواوير الأخرى، كما هو مبين من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 04: تقدم عملية الإيواء بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن إلى خلال سنة 2011

الدواوير	عدد البراريك	عدد المستفيدين	عدد البراريك المتبقية	نسبة الهدم بالمائة
السكويلة	6077	3838	2269	63
طوما	1983	1323	660	67
الرحامنة	4994	-	4994	-
زرابة	603	-	603	-
المجموع	13657	5161	8496	37

المصدر: عمالة مقاطعة سيدي البرنوصي قسم التعمير مصلحة دور الصفيح سنة 2021.

يتضح من خلال المعطيات التي يتضمنها الجدول أعلاه، أن عملية الهدم خلال هذه المرحلة شملت فقط دواوير السكويلة وطوما، وذلك من خلال استفادة ساكنة هذه الدواوير الصفيحية من إعادة الإيواء بكل من مشروع السلام 1 الذي خصص لإعادة إيواء ساكنة دوار السكويلة، والسلام 2 الذي خصص لإعادة إيواء ساكنة دوار طوما وجزء من ساكنة دور السكويلة، وذلك عن طريق إشراك أسرتين في كل بقعة مساحتها 84 متر مربع تتكون من طابق أرضي وثلاث طوابق (R+4) بقيمة مالية تصل إلى 70000 درهم، ويقدم دعم مالي من طرف الدولة قيمته 15000 درهم لكل "براكة" تم هدمها، مع اعفاء المستفيدين من جميع

الضرائب، وتقديم لهم العديد من التسهيلات فيما يخص الحصول على قروض للبناء، كما تم تسهيل الإجراءات الإدارية عن طريق خلق ما يعرف بالشباك الواحد والذي يتكون من جميع المصالح المعنية والمتمثلة في:

السلطات المحلية.

- المؤسسات المكلفة بإنجاز المشروع (شركة العمران، شركة إدماج سكن)
- البنك المكلف بمنح القروض وممثل الصندوق المركزي للضمان.
- الموثقون المكلفون بعقد التفويت.
- المعتمد المكلف بالتزويد بالماء والكهرباء.

كل هذه الإجراءات التسهيلية، ساهمت في تسريع عمليات الهدم، وتشجيع ساكنة الأحياء الصفيحية على طلب الإستفادة من عملية الإيواء، خاصة خلال الفترة الممتدة ما بين 2010 و2013، وهي المرحلة التي عرفت ارتفاعا كبيرا في عدد المستفيدين، حيث وصلت نسبة الهدم بالأحياء الأربعة، إلى 58 في المائة كما هو مبين من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 05: تقدم عملية الإيواء بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن خلال سنة 2013

الدواوير	عدد البراريك	عدد البراريك المهدمة	النسبة المئوية
السكويلة	6077	6077	100
طوما	1983	1481	75
زرابة	603	326	54
الرحامنة	4994	151	3
المجموع	**13657**	**8035**	**58**

المصدر: شركة العمران 23 أبريل 2013.

كما هو مبين من خلال المعطيات الواردة بالجدول أعلاه، شهدت الدواوير الأربعة تطورا كبيرا في عدد الأسر المستفيدة من عملية إعادة الإيواء، حيث وصلت نسبة هدم "البراريك" بدوار السكويلة إلى مائة في المائة، يليه دوار طوما بنسبة 75 في المائة، تم دوار زرابة بحوالي 54 في المائة، فيما لم تتجاوز نسبة الهدم بدوار الرحامنة 3 في المائة فقط.

ويمكن تفسير هذا التبيان في عمليات الهدم بين الدواوير الصفيحية الأربعة، بمجموعة من العوامل والإكراهات التي تختلف من دوار لآخر، فمثلا على مستوى دوار طوما نجد، هناك مجموعة من البنايات العشوائية التي كانت تضم غرف معدة للكراء يقطنها أكثر من أسرة، استدعى من الجهات المسؤولة إيجاد الحل الأنسب من أجل تعويض كل تلك الأسر بالإضافة إلى المالك الأصلي للمسكن. هذا بالإضافة إلى امتناع بعض الأسر عن هدم منازلهم إلى حين استفادة أبنائهم الذين يقطنون معهم، فيما رفض البعض الآخر موقع الإيواء الذي يتواجد بمقاطعة أهل الغلام، أما بالنسبة لدوار زرابة، فإن من أهم عوامل تأخر عملية إعادة الإيواء، هو تأخر انطلاقتها بحيث لم يتم الإعلان عنها إلا بتاريخ 21 أبريل من سنة 2010.

من جهة أخرى، يشهد كريان الرحامنة الذي يعد من بين أكبر الأحياء الصفيحية بسيدي مومن، تأخرا كبيرا في عمليات الهدم، بل أكثر من ذلك يعرف تزايدا متواصلا في عدد الأسر، مما يطرح معه إشكالية ضبط عددهم خلال الفترة الممتدة ما بين الإحصاء الأولي وعملية الإيواء، كما أن إيجاد الوعاء العقاري الكافي لإيواء أكثر من 6007 أسرة من بين أهم العوامل التي ساهمت في بقاء هذا الحي الصفيحي إلى حدود أنجاز هذه الدراسة.

ومن أجل تجاوز هذا التأخر، والقضاء بشكل كلي على دور الصفيح بمدينة الدار البيضاء وخاصة بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن، تم عقد بتاريخ 24 أبريل من سنة 2014 عدة اتفاقيات في إطار برنامج القضاء على السكن الغير اللائق بالمدينة ككل، بكلفة اجمالية بلغت مليار و938 مليون درهم، وقد همت هذه الاتفاقيات منطقة سيدي مومن بشكل مباشر من خلال اتفاقية انجاز برنامج تكميلي لإعادة إيواء قاطني دور الصفيح، بالإضافة إلى اتفاقية إعادة إسكان الدور الآيلة للسقوط وذلك من خلال استفادة من شقق مقابل مبلغ مالي قدره 100000 درهم.

هذه الاتفاقيات، كان لها دورا كبيرا في القضاء على العديد من الدواوير الصفيحية بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن بشكل نهائي، حيث تمت إعادة إيواء البعض منها داخل تراب المقاطعة والبعض الآخر خارج مدينة الدار البيضاء. كما هو مبين من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 06: بعض مشاريع إعادة إيواء قاطني دور الصفيح بسيدي مومن

الدواوير	مشروع الإيواء	موقع الإيواء
طوما	السلام 2- الريان -الأمان	سيدي مومن
السكويلة	السلام 1 و2- الأمان 1و4	سيدي مومن

زرابة	البراكة	سيدي مومن
الغالية	الرشاد	مديونة
مولاي هشام	الرشاد	مديونة
صقلي	الحمد	مديونة
بوعزة بن الطيبي	الحمد	مديونة
منزه	الحمد	مديونة
جزء من بن دحان	الحمد	مديونة
عريب	رياض الادماج	سيدي حجاج
لاكوطا	رياض الادماج	سيدي حجاج
الفناجرا	رياض الادماج	سيدي حجاج
البيرات	رياض العمران	سيدي حجاج
جزء من بن دحان	تجزئة الليومن	تيط مليل

المصدر: المقاطعة الجماعية سيدي مومن قسم التعمير سنة 2022.

يتضح من خلال الجدول أعلاه، أن معظم المشاريع السكنية المعدة لإعادة إيواء قاطني دور الصفيح بسيدي مومن، تم تشيدها بضواحي العاصمة الاقتصادية، وخاصة على مستوى تراب عمالة مديونة، وجماعة سيدي حجاج واد حصار، فباستثناء دواوير طوما، السكويلة، زرابة، التي تمت إعادة إيواء ساكنتها داخل المقاطعة الجماعية سيدي مومن، فإن كل الدواوير الأخرى، تم ترحيلها خارج مدينة الدار البيضاء.

ويرجع السبب وراء هذا الترحيل حسب السلطات الإدارية العمومية، إلى عدم وجود الوعاء العقاري الكافي داخل مدينة الدار البيضاء لإعادة إيواء كل هاته الدواوير، خاصة في ظل ارتفاع الكبير في عدد الأسر القاطنة بها، هذا دون إغفال العديد من الأحياء الأخرى التي لم تستفد بعد من عملية إعادة الإيواء، كما هو الشأن بالنسبة للدواوير الرحامنة، أمزاب، السكاكري، الوجدي، الدراعو وغيرهما من الأحياء الصفيحية التي لازالت تشغل مساحات مهمة داخل تراب المقاطعة الجماعية سيدي مومن (انظر الخريطة رقم...)، الشيء الذي يحيلنا إلى التساؤل عن الأسباب أو العوائق التي أدت إلى فشل برنامج "مدن بدون صفيح" في القضاء على أحياء الصفيح بسيدي مومن، والتي لاتزال قائمة إلى حدود إنجاز هذه الدراسة.

المصدر: الصورة الفضائية سبوت 2022

وضع و إنجاز: الطالب الباحث طارق أبو الهدى

II. تحديات القضاء على دور الصفيح بسيدي مومن:

عرف البرنامج الوطني "مدن بدون صفيح" مجموعة من العراقيل والإشكاليات التي حالت دون الوصول إلى الأهداف المتوخاة منه، والرامية بالأساس إلى القضاء بشكل كلي على أحياء الصفيح، فرغم ما تم تحقيقه من أهداف باستفادة 270 ألف أسرة حتى نهاية 2022، والوصول إلى 59 مدينة بدون صفيح، إلا أنه لازالت العديد من المدن الأخرى تعرف انتشارا كبيرا لهذا النوع من السكن.

وفي هذا الإطار يشكل المجال المدروس، نموذجا للمناطق التي غلبت فيها "البراريك" مساعي ومجهودات السلطات العمومية في القضاء على هذه الظاهرة التي أصبحت راسخة بسيدي مومن، ويصعب استئصالها، نظرا لكونها نسجت من خيوط متشابكة ومركبة، يختلط فيها القصور التصوري بتراكم الأخطاء السياسية والتخطيطية، وبالفساد الإداري وإكراهات الحاجة الملحة في السكن، خصوصا في ظل النمو الديمغرافي السريع الذي شهدته المنطقة، والذي ساهم فيه توافد عددا كبيرا من المهاجرين من مختلف البوادي المغربية، وعموما يمكن تحديد أهم تحديات القضاء على دور الصفيح بسيدي مومن في النقاط التالية:

1. أحياء الصفيح بسيدي مومن ظاهرة راسخة:

ساهم قدم ظاهرة أحياء الصفيح بسيدي مومن، وتأخر تدخل الدولة في القضاء عليها، في تراكم هذا النوع من السكن بالمنطقة، وجعله يشكل نسبة مهمة من المجال المبني داخل تراب المقاطعة الجماعية سيدي مومن. مما جعل من المجهودات المبذولة عبر مختلف أشكال التدخل غير كافية للقضاء على هذه الظاهرة، بحيث أن عملية إعادة الإيواء التي تمت بسيدي مومن نتج عنها استهلاك مفرط للعقار، خصوصا في ظل الارتفاع الكبير لعدد أسر هذه الدواوير، ورفضهم الاستفادة من طرق التدخل الأخرى، وخاصة من عملية إعادة الإسكان، بحيث أن جل الأسر تفضل الاستفادة من البقع الأرضية من أجل البناء الذاتي.

2. التزايد المستمر في عدد "البراريك":

شكل التزايد المستمر في عدد الأسر، إحدى أهم الإشكاليات التي واجهة عملية القضاء على دور الصفيح بسيدي مومن، فرغم المجهودات المبذولة من أجل المراقبة والحد من تفريخ هذا النوع من السكن، إلا أنه ظل يتزايد بشكل متواصل كما هو مبين من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 35: إرتفاع عدد الأسر بعض الدواوير بسيدي مومن

الدواوير	عدد الأسر خلال الإحصاء الأول	عدد الأسر خلال انطلاق عمليات الإيواء
السكويلة	6829	7527
طوما	2401	3501
زرابة	1057	1100
الرحامنة	5895	6007
المجموع	**16182**	**18202**

المصدر: مجموعة شركة العمران سنة: 2021

يتضح من خلال معطيات الجدول أعلاه، أن عدد أسر الدواوير الأربعة، عرف تزايدا مهما خلال الفترة الممتدة ما بين الإحصاء الأولي، وبداية انطلاق عمليات التدخل، حيث ارتفع عدد الأسر من 16182 إلى 18202 أسرة، أي بزيادة وصلت إلى ما مجموعه 2020 أسرة، الشيء الذي يطرح معه إشكالية ضرورة الزيادة في عدد البقع المخصصة للأسر المستفيدة.

3. عدم إستجابة المستفيدين لأشكال التدخل المقترحة:

ساهم رفض بعض الأسر لأشكال التدخل المقترحة بسيدي مومن، في عرقلة عملية القضاء على دور الصفيح بالمقاطعة، ففيما يخص عملية إعادة الإيواء نجد أن هناك بطء كبير في الاستجابة لهذه العملية، نظرا للمشاكل والصعوبات التي يجدها المستفيدين في القدرة على بناء البقع الممنوحة لإعادة الإيواء، مما يتطلب منهم البحث عن ممول لعملية البناء إذ يتم إدراجه كمستفيد ثالث في البقعة. فيما بعض المستفيدين يرفضون الإستجابة لهذه العملية بسبب موقع المشروع المخصص لإعادة الإيواء.

أما فيما يخص عملية إعادة الإسكان، فإن نتائجها تبقى محدودة جدا بسيدي مومن، نظرا لعدم استجابة ساكنة الدواوير لهذا المقترح ورغبتهم في الإستفادة من بقع للبناء الذاتي. فيما البعض يرفض هذه العملية لعدم قدرته على دفع الأقساط الشهرية الملزم بدفعها عند الإستفادة.

بالإضافة إلى كل هذه التحديات، نجد أيضا أن من بين أهم الإشكالات التي ساهمت في بطء عمليات إعادة الإيواء بالمنطقة، تلك المرتبط بالحياة الإجتماعية للأسر، خاصة فيما يخص النزاعات العائلية بين الأزواج في أحقية ملكية البقعة المخصصة للاستفادة، بالإضافة إلى رفض بعض الآباء لهدم منازلهم إلى أن يستفيد أبنائهم من بقعة خاصة بهم. لكن ورغم كل هذه الإكراهات إلا أن ذلك لم يمنع من نجاح بعض عمليات إعادة الإيواء، كما هو الشأن بالنسبة لمشروع السلام 2 المشيد فوق تراب مقاطعة أهل الغلام.

4. المنـــاقشـــة:

من خلال هذه الدراسة، يمكننا بكل تأكيد أن نلخص الإشكالية الترابية الأولى بسيدي مومن، في إنتشار أحياء الصفيح، هذا النمط الذي ورغم المجهودات المبذولة للقضاء عليه، إلا أنه لازال إلى الآن ينتشر فوق تراب المقاطعة الجماعية سيدي مومن، لدى لابد من إتخاذ إجراءات وتدابير أكثر صرامة للحد من تواجده وانتشاره بالمجال، وذلك من خلال معالجة بعض النقائص التي تحول دون التحكم الجيد في البرامج العمومية الموجهة للقضاء عليه، عن طريق ضبط عدد المستفيدين، مع تحديد معايير أهلية موحدة، وقاعدة بيانات موثوقة، وضبط مخطط تمويل واقعي مع الحرص على إحترامه، وتصفية الوعاء العقاري وعقلنة إستغلاله، مع ضرورة احترام آجال تنفيذ العمليات، وتحديد واضح للمسؤوليات مختلف الفاعلين.

وفي نفس السياق، ينبغي التعامل بقدر أكبر من الصرامة في مكافحة السكن الصفيحي، عبر تعزيز آليات المراقبة والردع، لاسيما على المستوى القانوني، والتواصل المناسب لترويج مختلف عروض الدعم العمومي لمحاربة السكن الغير اللائق، ووضع حد للإنطباع السائد، والذي يوحي لساكنة الأحياء الصفيحية، أن لهم الحق في بقع أرضية مجهزة، ورفضهم التام لأشكال التدخل الأخرى مثل شقق السكن الإجتماعي.

مراجـــع عامـــة:

- **امدافعي محمد**، "التحولات المجالية ودور المؤسسة الجماعية في تدبير المجال: حالة ضاحية مدينة الدار البيضاء"، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب تخصص جغرافية، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال. السنة الجامعية:2001-2002.
- **الشويكي مصطفى**.،"تدبير المجال الحضري بالدار البيضاء: الرهانات والميكانزمات" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 85، الطبعة الأولى 2000
- **المسعودي خالد**، "ميتروبولية الدار البيضاء الكبرى: دراسة جغرافية" أطروحة الدكتوراه، تخصص جغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، 2016-2017.

- **أوصار ياسين**، "التدبير الترابي للمدينة المغربية على ضوء سياسة المدينة حالة مقاطعة سيدي مومن بالدار البيضاء" مجلة التخطيط العمراني والمجالي، المجلد الأول، العدد الرابع، يونيو-يوليوز 2020
- **أوصار ياسين**، "دور السياسة الترابية في إعادة تشكيل الهوامش الحضرية الداخلية للدار البيضاء – حالة المقاطعة الجماعية سيدي مومن- منشورات شبكة المؤتمرات العربية سنة 2018

المصالـــح الإداريـــة

- عمالة مقاطعة سيدي البرنوصي، قسم التعمير، مصلحة دور الصفيح سنة 2021.
- المقاطعة الجماعية سيدي مومن قسم التعمير سنة 2022.
- شركة العمران سنة2021.

روابـــــط على الانترنيت

U R L : www.sidimoumen.casablancacity.ma

U R L : www.alomrane.gov.ma

قضية اللجوء في العالم:
مقاربة في الإطار المفاهيمي والقانوني

The issue of Asylum throughout the world:
A conceptual and legal framework approach

عمر لكحل

طالب باحث، حاصل على الماستر في دينامية المجتمعات: الهجرة والديمغرافيا والتنمية- جامعة ابن زهر أكادير، المغرب.

ملخص:

يعتبر اللجوء من أقدم الظواهر الإنسانية، حيث شكل الأمن والإستقرار والإطمئنان على الحياة، أهم الهواجس وأولى الأولويات التى سعى الإنسان الحفاظ عليها على مر التاريخ البشري.

إن معرفة قضية اللجوء تاريخيا، باعتبارها ظاهرة صاحبت الإنسان منذ القدم، والأسباب المؤدية إليها عبر السيرورة التاريخية إلى اليوم. وبالأساس معرفة الإطار المفاهيمي لقضية اللجوء، وتمييز مصطلح اللجوء عما تشابه معه من المصطلحات الأخرى، من خلال تبيان مفهوم اللاجئ، والمفاهيم المشابهة له؛ كمفهوم المهاجر، ومفهوم النازح.

وكذا، معرفة الإطار القانوني الدولي المتعلق باللجوء، الذي يعمل على توفير الحماية القانونية الدولية للاجئين؛ من خلال الإتفاقية الدولية الخاصة بشؤون اللاجئين لسنة 1951، والبروتوكول المعدل لها لسنة 1967، وكل الإتفاقيات الدولية والإقليمية المتعلقة باللجوء، والوثائق والمعاهدات الدولية التي توفر المعاملة الفضلى للاجئين. تشكل بالتالي الإحاطة الشاملة لمقاربة قضية اللجوء في العالم؛ مفاهيميا وقانونيا.

كلمات مفتاح: قضية اللجوء- اللاجئ- المهاجر- النازح- الاتفاقية الدولية الخاصة بشؤون اللاجئين.

Abstract:

Asylum is considered one of the oldest human phenomena in the sense that security, stability, and reassurance of life have always been among the most important concerns and first priorities that man has sought to preserve throughout history.

Therefore, Knowing the issue of asylum in terms of its historical framework, as a phenomenon that has accompanied man since the early ages, as well as the causes leading to it through the historical process up to the present time. Besides, understanding the conceptual framework of the asylum issue, and distinguishing the term asylum from the other terms connected to it such as the concept of the immigrant, and the displaced. This knowledge, hand in hand with an awareness of the international legal framework related to asylum, which aims at providing the international legal protection of refugees through the international agreement on

Refugees in 1951, the attached protocol of 1967 and all the regional and international conventions and the documents and treaties related to asylum that emphasize providing the best treatment for refugees. This would certainly constitutes a comprehensive understanding and approaching of the issue of asylum in the world conceptually and legally.

key words: The issue of asylum – the refugee – the immigrant – the displaced person - the international convention of refugees' affairs.

مقدمة :

إن تناول موضوع اللجوء من الجانب القانوني؛ يتطلب البحث في جذوره النظرية، والفكرية والأطروحات التي تؤطره تاريخيا، إلى أن أصبح مفهوم اللجوء على حاله في الوقت الراهن، تماشيا مع كون أن جل المفاهيم في سائر العلوم والمناهج العلمية تسير على المنوال نفسه؛ من حيث تأسيسها على نظريات، وأطروحات فلسفية وفكرية تؤطرها.

واللجوء ظاهرة إنسانية اجتماعية بالدرجة الأولى، وكذا قانونية، صاحبت الإنسان على مر العصور، تناولتها بالدرس والتحليل مختلف العلوم الإنسانية، الإجتماعية والقانونية، والتي خلفت تراكما مهما، وفتحت المجال، للبحث والدراسة في إشكالات أخرى استجدت مع تطور العصر، أو صاحبت الظاهرة دون الإهتمام بها رغم أهميتها وتأثيراتها عليها.

لذلك يبقى التساؤل الإشكالي الذي يطرح نفسه بإلحاح حول قضية اللجوء في العالم؛ والتي يذهب ضحيتها الملايين من الأشخاص، هي الكيفية التي يتم التعامل بها مع هده الفئة نتيجة الخلط الحاصل في تصنيف هؤلاء الضحايا والصفة التي تميزهم، من أجل الحصول على حقوقهم التي يضمنها القانون الدولي والمواثيق الدولية والإقليمية.

فما هو يا ترى الإطار المفاهيمي والإطار القانوني الذي ينظم قضية اللجوء في العالم؟

للإجابة على هذين السؤالين الهامين والمؤطرين لمسألة اللجوء، قسمنا هذا الموضوع إلى مبحثين:

خصصنا المبحث الأول للإطار المفاهيمي لقضية اللجوء، والمبحث الثاني للإطار القانوني المنظم لها.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لقضية اللجوء

شغل مفهوم اللجوء، سواء من الناحية الإبستيمولوجية، أو السياسية، أو الإجتماعية، أو القانونية؛ بال الدارسين والمهتمين به، من خلال مساءلته من كل هذه الجوانب، ولا زال محط اهتمام وتتبع ودراسة.

وعليه؛ فإن تحديد المفاهيم في المجال القانوني وضبط المصطلحات من الأهمية بمكان، فالصياغة القانونية (Rédaction Juridique) تتطلب الدقة والضبط في تحديد المصطلح القانوني، لأنه يشكل المعيار الحقيقي - أو قد تترتب عنه ضياع حقوق مكتسبة - لتثبيت الحق والجزاء في حالة مخالفته أو الامتناع عن القيام به أثناء تنفيذه.

وقد شكلت الترسانة القانونية الدولية المتعلقة بالحماية القانونية للاجئين أهم انشغالات المجتمع الدولي؛ الذي سعى إلى احتواء ظاهرة اللجوء في العالم من خلال العمل الدؤوب لمنظمة الأمم المتحدة في اتجاه التنسيق بين الدول من أجل احترام القوانين المؤطرة لقضية اللجوء.

فقضية الهجرة واللجوء والنزوح، من حيث المفهوم العام، يبدو أن فيه خلط كبير يقع فيه حتى بعض الأكاديميين، ناهيك عن وسائل الإعلام، وصناع القرار السياسي، وكذا بعض المهتمين بمسألة الهجرة واللجوء والنزوح من المجتمع المدني، أو بعض المتدخلين في هذه القضايا؛ من إدارات أو منظمات أو هيئات حكومية وغير حكومية، ولكن الأمر يختلف عند الدارسين والباحثين المتخصصين في قضية اللجوء، والذين يسعون من جانبهم إلى العمل الحثيث والجاد، من أجل تبيان مفهوم اللجوء والمفاهيم المرتبطة به والمتداخلة معه. ويبدو ذلك جليا، من خلال التمحيص في المفاهيم والمصطلحات

المرتبطة بقضية اللجوء، من قبيل: اللآجئ - طالب اللجوء، المهاجر، والنازح، والتي هي في الواقع تتشابه وتتقاطع فيما بينها في مناحي متعددة.[153]

ولمعالجة ومعرفة مفهوم اللجوء وما يتشابه معه من المفاهيم الأخرى التي تتداخل معه، حتى يستفيد اللاجئ ويكتسب الحقوق المخولة له قانونا؛ قسمنا هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم اللآجئ وطالب اللجوء

من السهل الخلط بين مفهوم اللآجئ (Réfugié)، وطالب اللجوء (Demandeur D'Asile)، والمهاجر (Migrant)، والنازح (Déplacer)، على اعتبار أن جل هذه الفئات تشترك في كونها ضحايا ونتاج لأزمات بالمجتمع الدولي، في الوقت نفسه، تعد من أهم الفئات التي تحظى بالعناية والإهتمام الدوليين، لما تتعرض له من معاناة، جراء الأزمات السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية، الطبيعية، الحروب، وانتهاكات حقوق الإنسان بصفة عامة؛ لذلك " فلكل إنسان الحق في أن يلتمس له ملجأ في بلاد أخرى و أن يتمتع بحق اللجوء فرارا من الاضطهاد".[154]

إن تعريف اللآجئ، حسب منظمة الأمم المتحدة من خلال الاتفاقية الدولية لشؤون اللآجئين لسنة 1951 في مادتها الأولى الفقرة الثانية: " اللآجئ هو كل شخص يوجد - نتيجة أحداث وقعت قبل 1 يناير 1951 - وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، خارج بلد جنسيته، ولا يستطيع، أو لا يريد بسبب ذلك الخوف، أن يستظل بحماية ذلك البلد، أو كل شخص لا يملك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابق بنتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع أو لا يريد بسبب الخوف، أن يعود إلى ذلك البلد ".

هذا التعريف الذي جاءت به الأمم المتحدة، من خلال الاتفاقية الدولية لوضع اللآجئين، والذي جاء في إطار سياسي وسياق دولي معين، بعد الحرب العالمية الثانية، ثم تدارك ذلك التضييق المكاني والزماني للفظ اللآجئ، والمركز القانوني الذي تحمله صفة لآجئ، من خلال البروتوكول المعدل للاتفاقية الخاصة بوضع اللآجئين لسنة 1967، حيث ألغى الإطار الزماني والمكاني لصفة اللآجئ.

---

[153]- فاتن دويرية، " اللآجئ بين الحماية الدولية والمبادرة الوطنية: أية ضمانات؟ "، في مجلة مغرب القانون بتاريخ 22 يناير 2018، على الرابط www.maroclaw.com ، اطلع عليه بتاريخ 20 شتنبر 2020.

[154] - المادة 16، الفقرة 1، الإعلان العالمي لحقوق الانسان، الصادر في 10 دجنبر 1948.

وقد أقر البروتوكول في مادته الأولى؛ على أن لفظة " لآجئ " (Réfugié) تنطبق على التعريف الوارد في المادة الأولى من الاتفاقية الخاصة بوضع اللآجئين لسنة 1951، كما لو لم ترد العبارات، أو الكلمات التي تقيد صفة لآجئ زمانيا ومكانيا؛ أي عبارة: " نتيجة أحداث وقعت قبل أول يناير 1951 "، وكلمات "بنتيجة مثل هذه الأحداث ".

وهكذا، تم الإتفاق على تعريف عام للآجئين، نتيجة الإهتمام المتزايد لهذه الفئة من قبل المجتمع الدولي، واعتبر "اللآجئ" هو: " على أنه من بسبب مخاوف حقيقية من اضطهاد بسبب العرق، الدين، الجنسية، انتمائه إلى طائفة اجتماعية معينة أو بسبب آرائه السياسية تواجد خارج البلد الذي يحمل جنسيته، وغير قادر، أو بسبب هذه المخاوف غير راغب في الاعتماد على حماية دولته أو العودة لبلده بسبب المخاوف من الاضطهاد ".[155]

ومن خلال التعريف الذي أقره البروتوكول في مادته الأولى، والذي ينسخ التعريف الذي جاءت به الاتفاقية في مادتها الأولى كذلك، مع تعديل مهم ينصب حول إلغاء الإطار الزماني والمكاني الذي كان مقيدا في منح صفة " لآجئ " في الاتفاقية، وكذا في تحديد المركز القانوني له، أصبح مفهوم اللآجئ محددا ومميزا وبارزا عن باقي المفاهيم الأخرى التي تتداخل معه.

واللآجئ؛ هو من تعرض للاضطهاد (La Persécution) أو كانت هناك أسباب ومخاوف حقيقية من تعرضه له، بسبب عرقه (Sa Race)، أو دينه (Sa Religion)، أو جنسيته (Sa Nationalité)، أو انتمائه إلى مجموعة اجتماعية معينة (Son Appartenance à un Groupe Social)، أو بسبب آرائه السياسية (Ses Opinions Politiques)، مع شرط تواجده خارج البلد الأصل أو بلد إقامته، في إشارة واضحة حول مسألة تخطي الحدود الدولية لبلده، حتى يكتسب صفة لآجئ وحقه في الحماية القانونية الدولية.

واللجوء نوعان: فهناك اللجوء الإنساني واللجوء السياسي؛ ويتضح الفرق بينهما من خلال تسميتهما الدالة على نوعية كل واحد، فاللجوء الإنساني يكون في غالب الأحيان؛ نتيجة الهروب من ويلات الحروب، والنزاعات المسلحة، والعنف، والاضطهاد، ويكون في الغالب بشكل جماعي؛ غايته النجاة من التعذيب، أو الموت المحقق، وينتهي اللجوء الإنساني بزوال مسبباته وانتهائها، والعودة إلى أرض الوطن.

[155] - روان العمد، "الهجرة واللجوء والنزوح" ، في مجلة البدائلية، على الرابط www.idareact.org اطلع عليه بتاريخ 01 شتنبر 2020.

بخلاف اللجوء السياسي الدال عليه اسمه، والمتعلق بالمجال السياسي، يكون في غالب الأحيان؛ من قبل فرد معين، أو مجموعة أفراد ناشطون سياسيون، وأفكارهم وتوجهاتهم تخالف النظام السائد، أو تعارض الحاكم في بلدهم.

المطلب الثاني: مفهوم المهاجر

لا يكاد يختلف اثنان حول قدم ظاهرة الهجرة قدم الإنسان نفسه، والتي ارتبطت به عبر مر العصور والأزمنة؛ لكن تحديد المركز القانوني للمهاجر، والاهتمام به على صعيد الصكوك والمواثيق والقوانين الدولية والوطنية؛ لم يبدأ بشكل فعلي إلا في القرن 20، خاصة بعد الإعلان العالمي لحقوق الانسان في 10 دجنبر 1948، وقبله ميثاق الأمم المتحدة، الذي انبنى بدوره على احترام وحماية حقوق الإنسان، ومنها حقوق المهاجرين.[156]

وقد عرفت الأمم المتحدة المهاجر على أنه: " شخص أقام في دولة أجنبية لأكثر من سنة بغض النظر عن الأسباب سواء كانت طوعية أو كرهية، وبغض النظر عن الوسيلة المستخدمة للهجرة سواء كانت نظامية أو غير نظامية ".[157]

ومن خلال هذا التعريف الذي أعطته الأمم المتحدة، وإن كان هناك شبه إجماع من قبل فقهاء القانون؛ على عدم وجود تعريف قانوني دقيق ومتفق عليه لمفهوم المهاجر(Migrant)، فإن الأخذ بتعريف الأمم المتحدة يظل هو الراجح في الأوساط القانونية؛ ومنه يتضح على أن "المهاجر" هو: الذي اختار لأسباب اقتصادية، اجتماعية، تعليمية، وبيئية، مرتبطة إما بتحسين الوضع الاقتصادي المعيش لشخص أو مجموعة أشخاص، أو بسبب الإرتباط العائلي ولم شمل الأسر، أو ارتباطا بالدراسة أو متابعتها، أو رغبة في تحسين مستوى ظروف العيش، والرقي الاجتماعي، دون أن يكون هذا المهاجر معرض لأي تهديد، أو خوف من الاضطهاد، وأن يقيم لأكثر من سنة داخل دولة أجنبية.

---

[156]- عبد الإلاه القباقبي، وآخرون، "دور العمل الإجتماعي في مسألة إدماج المهاجرين" ، في مجلة الخزامى للدراسات القانونية والإجتماعية، عدد خاص حول الهجرة واللجوء - مقاربات قانونية وإجتماعية -، مركز الدراسات القانونية الإجتماعية، الحسيمة، المغرب، يناير 2020، ص.337.

[157] - موقع الامم المتحدة، " الهجرة "، www.un.org/ar/sections/issues-depth/migration/index.html، أطلع عليه بتاريخ 2020/10/10.

ويحق للمهاجر العودة إلى البلد الأصل متى شاء، ويتمتع بكل الحقوق المخولة له قانونا؛ كالحق في الحياة، الحماية القانونية، والاجتماعية، والخدماتية؛ من سكن وتعليم وعمل وخدمات صحية وإدارية، والمهاجر يخضع لقوانين البلد الذي يتواجد فيه، والتي تؤطر وتنظم مسألة الهجرة.[158]

والهجرة أنواع؛ يمكن تقسيمها من حيث الإرادة: إلى هجرة طوعية - هجرة كرهية، ومن حيث المجال: إلى هجرة داخلية - هجرة دولية، ومن حيث العدد: إلى هجرة فردية - هجرة جماعية، ومن حيث النوعية: إلى هجرة عادية - هجرة أدمغة، ومن حيث الشرعية: إلى هجرة نظامية - هجرة غير نظامية .[159]

وعبر التاريخ المعاصر فقد ميز الباحثون المتخصصون في مجال الهجرة، وعلى رأسهم الباحث المتخصص في مجال الهجرة "الكبير عطوف "، بين عدة نماذج للهجرة؛ خاصة الدولية منها، والتي كان لها الأثر البالغ في التركيبة السكانية، وكذا في البنية الديمغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية العالمية .[160]

المطلب الثالث: مفهوم النازح

تعتبر فئة النازحين بدورها من الفئات التي تشترك مع فئة اللاجئين والمهاجرين في تحمل أعباء وتبعات المعاناة، جراء النزاعات المسلحة، الحروب، الكوارث الطبيعية، أعمال العنف، الفوضى، والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

وقد اهتمت الأمم المتحدة بدورها بفئة النازحين، وعملت على شملها بالحماية القانونية، لما لهذه الظاهرة من تداعيات ونتائج وآثار على المستوى الوطني والدولي.

والنازح هو كل شخص أجبر أو أكره على مغادرة مكان إقامته الأصلية أو المعتادة؛ بسبب النزاعات المسلحة، أو حالات العنف والفوضى، أو الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، أو نتيجة الكوارث الطبيعية، دون أن يتخطى حدود بلده،

---

158 - محمد الخليفي، "الحماية القانونية للآجئين بسبب النزاعات المسلحة : الحقوق والإنعكاسات" ، في مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد 10، غشت 2018، المجلد 02، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، ص.58.

159 - باولا كورتي، تاريخ الهجرات الدولية، [ترجمة : عدنان علي]، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص.ص.11-14.

160 - الكبير عطوف، الهجرات العالمية والمغربية قضايا ونماذج، مقاربة سوسيوتاريخية (1045-2011)، مرجع سابق، ص.15-16.

ويكون هذا التنقل من مكان تواجد الخطر والخوف من وقوعه، إلى مكان آخر أكثر أمنا وسلامة وحماية داخل نفس الوطن أو البلد دون عبور الحدود الدولية".[161]

يستشف من خلال التعريف السابق؛ على أن النازح (Déplacer) رغم اهتمام الأمم المتحدة به، إلا أنه لا يتمتع بالحماية الدولية مثل اللاجئ، على اعتبار أن مسألة حمايته القانونية تبقى من اختصاص الدولة التي ينتمي إليها.[162]

وفي ظل وضعية النازحين الداخليين - التي أقل ما يقال عنها- أنها تظل جد مزرية، خاصة الفئات الهشة من الأطفال والنساء والشيوخ، تزداد أوضاعهم صعوبة مع طول مدة النزوح، حيث يجد النازحون أنفسهم في وضعية خارج الحماية والمساعدة، سواء الدولية منها أو الوطنية، وتهميش لأبسط الحقوق الإنسانية، وانعدام الأمن حيث يتعرض الأطفال والنساء للاغتصاب، والعنف الجسدي، والجنسي، في العديد من البلدان عبر العالم.

وقد أشارت بعض التقارير الدولية المهتمة إلى خطورة الظاهرة، وأنها في تزايد مستمر مع تزايد مسبباتها؛ من الحروب، والنزاعات المسلحة، ومعها تتزايد معاناة النازحين، في ظل نقص التشريعات الدولية والوطنية التي تحتوي الظاهرة.[163]

وقد دعى بعض فقهاء القانون الدولي؛ إلى ترك الإختلاف، والتنوع، في تعاريف كل من؛ اللاجئ، والمهاجر، والنازح، والعمل على توحيد التفاسير المرتبطة بهذه الفئات، بغية الوصول إلى الهدف المنشود في تحقيق أكبر قدر ممكن من الحماية القانونية الدولية لهم، خاصة فئة اللاجئين، والتي يوفرها القانون الدولي؛ المتمثل في الاتفاقية الدولية لشؤون اللاجئين لسنة 1951، والبروتوكول المعدل لها لسنة 1967، وكذا باقي الإتفاقيات الدولية الإقليمية، والإعلانات، والعهود، والوثائق الدولية، التي تؤطر قضية اللجوء.

المبحث الثاني: الإطار القانوني لقضية اللجوء

---

161 - محمد الخليفي ، "إشكالية هجرة العقول من الدول النامية نحو الدول المتقدمة ، الاسباب و النتائج " ، في مجلة الخزامى للدراسات القانونية و الاجتماعية ، [جمع وتنسيق: محمد أمزيان]، عدد خاص حول الهجرة و اللجوء – مقاربات قانونية و اجتماعية - ، مركز الدراسات القانونية والاجتماعية، الحسيمة ، المغرب ، يناير 2020 ، ص.119.

162 - محمد الخليفي، " الحماية القانونية للاجئين بسبب النزاعات المسلحة ، الحقوق و الانعكاسات "، مرجع سابق، ص.57.

163 - تقرير النزوح الداخلي ، الملخص العالمي للاتجاهات و التطورات للعام 2009، مركز رصد النزوح الداخلي (IDMC)، مجلس اللاجئين النرويجي، النرويج، ماي 2010، ص.10.

شكلت الدينامية الدولية؛ في إتجاه الحفاظ على المصالح الاستراتيجية والقومية، والصراع نحو التفوق، والسيطرة على مراكز النفوذ، إحدى أهم التجليات التي تطبع العلاقات الدولية، وما نتج عن ذلك من نزاعات مسلحة مباشرة بين الدول، أو غير مباشرة؛ تتخذ من المسرح الدولي، ومن أركانه مكانا للتجاذب والصراعات، والتي تفضي إلى حروب، ونزاعات مسلحة، خلفت مزيدا من المآسي والدمار والفوضى، وتسببت في موجات من تدفقات اللآجئين في اتجاه دول الملجأ؛ سعيا وراء الاحتضان والأمان، والحماية القانونية، التي يضمنها القانون الدولي، والقواعد الخاصة بمسألة اللجوء.[164]

وقد عمل المجتمع الدولي خلال النصف الثاني من القرن 20، على تكثيف الجهود في مجال الحماية القانونية الدولية للآجئين، بتشكيل وسن ترسانة قانونية ضامنة لهذه الحماية، مكونة من مجموع المواثيق، الإتفاقيات، البروتوكولات، المعاهدات، والإعلانات الدولية والإقليمية، المتضمنة للقواعد والضوابط والآليات؛ التي تسعى لتحقيق تلك الحماية القانونية الدولية.

وتبقى الإتفاقية الدولية الخاصة بوضع اللآجئين لسنة 1951، والبروتوكول المعدل لها لسنة 1967، المرجع والإطار القانونيين الرئيسيين للحماية القانونية الدولية للآجئين، إضافة إلى مجموعة من الاتفاقيات الدولية الإقليمية، زد على ذلك خلاصات اللجنة التنفيذية لمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللآجئين .[165]

المطلب الأول: الاتفاقية الدولية الخاصة بشؤون اللآجئين لسنة 1951

ترتكز الاتفاقية الدولية الخاصة بشؤون اللآجئين لسنة 1951، على المادة 14 من الإعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في 10 دجنبر 1948؛ والتي تقر "بحق الأفراد في اللجوء إذا تعرضوا للاضطهاد، وأن يتمتعوا بحقوق ومزايا في دولة اللجوء".

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وما خلفته هذه الأخيرة من أعداد اللآجئين في دول الجوار، تم عقد المؤتمر الذي دعت إليه الأمم المتحدة للمفوضين بشأن اللآجئين وعديمي الجنسية، من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، بمقتضى قرارها رقم 429 بتاريخ 14 دجنبر 1950.[166]

---

[164] - محمد الخليفي، الحماية القانونية للآجئين بسبب النزاعات المسلحة، الحقوق والإنعكاسات، مرجع سابق، ص.53.
[165]- المرجع نفسه، ص.54.
[166] - حقوق الإنسان، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك 1993، رقم المبيع -A.94.XIV 1VOL.1,part، ص.892.

وتعتبر الدانمارك؛ أول دولة صادقت على الاتفاقية في 04 دجنبر 1952، وحسب المادة 43 من الاتفاقية فإن تاريخ بدء نفاذها كان هو 22 أبريل 1954.

وباعتبار الاتفاقية وثيقة قانونية دولية؛ فقد تكونت من ديباجة، و07 فصول، ضمت 46 مادة؛ خصص الفصل الأول لأحكام عامة، والفصل الثاني للوضع القانوني، والفصل الثالث لأعمال الكسب، والفصل الرابع للرعاية، والفصل الخامس للتدابير الإدارية، أما الفصل السادس فخصص لأحكام تنفيذية وانتقالية، بينما اختتمت الاتفاقية بأحكام ختامية في الفصل السابع.

افتتحت الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لسنة 1951، بديباجة مرصعة بالبعد القانوني، الحقوقي، الإجتماعي، والإنساني؛ كما أبرزت الاهتمام البالغ لمنظمة الأمم المتحدة باللاجئين، والعمل الجاد من أجل ضمان الحقوق القانونية، والحريات الأساسية بشكل أوسع؛ على اعتبار أن ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي أقرته الجمعية العامة في 10 دجنبر 1948، من أهم ما أكدا عليه من مبادئ؛ هو مبدأ تمتع جميع البشر دون تمييز بالحقوق والحريات الأساسية.

ودعت الاتفاقية من الوهلة الأولى، إلى مسألة التعاون الدولي، لحل مشكلة اللاجئين، والتي اعتبرتها الأمم المتحدة قضية دولية بأبعادها وطبيعتها، وذات طابع اجتماعي إنساني بالدرجة الأولى، حتى لا تتحول قضية اللاجئين إلى محط مزايدات دولية، أو سبب في وقوع توترات ونزاعات بين الدول.

ولتحقيق هذا المبتغى السامي، والهادف لتوفير الحماية القانونية الدولية للاجئين، ناشدت منظمة الأمم المتحدة (OUN) الدول إلى العمل على تذويب الصعاب أمام المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR)، في الإشراف على تطبيق الاتفاقيات الدولية؛ الرامية إلى حماية اللاجئين، والتنسيق بين الدول في اتخاذ التدابير والآليات الداعمة لحماية ومعالجة قضية اللجوء.[167]

[167]- ديباجة الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لسنة 1951.

وبعد الفصل الأول الذي تضمن أحكام عامة في المواد الإحدى عشر الأولى، حيث خصصت المادة 01؛ إلى إعطاء تعريف للآجئ (Réfugié)، وهي المادة الأطول في الاتفاقية، من حيث فقراتها وتعبيرها، والتي حاولت التفصيل في تعريف اللآجئ، ممن تنطبق عليه هذه الصفة، وكذا أحكام الاتفاقية من عدمه.

وبغض النظر عن الحيز الزماني والمكاني المقيد لصفة اللآجئ، في تعريف المادة الأولى من الاتفاقية، والذي تم تداركه وتعديله في البروتوكول المعدل لها لسنة 1967، فإن صفة لآجئ تنطبق على: " كل شخص يوجد،[...]، وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، خارج بلد جنسيته، ولا يستطيع، أو لا يريد بسبب ذلك الخوف، أن يستظل بحماية ذلك البلد، أو كل شخص لا يملك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابق بنتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع، أو لا يريد بسبب ذلك الخوف أن يعود إلى ذلك البلد".[168]

والمادة 02 من الاتفاقية، والمعنونة " بإلتزامات عامة "، فقد عملت على تحديد الواجبات الملقاة على عاتق الشخص الذي يكتسب صفة "لآجئ"؛ والمتمثلة أساسا في الانصياع لتطبيق القوانين والأنظمة المعمول بها في بلد الملجأ، وكذا التقيد الشديد بالتدابير والإجراءات الحافظة للنظام العام بالبلد.

وهكذا، يمنع على اللآجئ القيام بأعمال أو أفعال، أو عدم القيام بأعمال أو أفعال، تصب في خانة الإخلال بالأمن والنظام العامين، وتعريض بلد الملجأ إلى خطر؛ سواء من الناحية السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، وكذا الأمنية، أو الثقافية؛ تحت طائلة تعريض اللآجئ للطرد، ورفع صفة اللآجئ عنه.

وتسير على منوال الاتفاقية الخاصة بوضع اللآجئين لسنة 1951، فيما يتعلق بواجبات اللآجئ، كل من: " مبادئ بانكوك لسنة 1966 في بندها 07"، و"الاتفاقية الإفريقية لسنة 1969 في مادتها 03 الفقرتين 1 و2 "، و"الاتفاقية العربية لتنظيم أوضاع اللآجئين لسنة 1994 في مادتها 11".[169]

---

[168] - المادة 1، الفرع الف، الفقرة2، من الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لسنة 1951.
[169] - محمد الخليفي، المرجع السابق، ص.59.

وبغض النظر عن المادة 02 من الاتفاقية الدولية لشؤون اللاجئين، والمتضمنة لالتزامات وواجبات اللاجئ اتجاه بلد الملجأ، فإن باقي مواد الاتفاقية، تنص على الحقوق والمزايا، وأفضل المعاملة الممكنة للاجئ في دولة اللجوء؛ خاصة إذا كانت هذه الأخيرة متعاقدة في الاتفاقية، وكذا توفر اللاجئ على استكمال 3 سنوات على إقامته بصورة نظامية في بلد الملجأ.

وتبقى أهم الحقوق المخولة للاجئ بموجب الاتفاقية هي: عدم التمييز بسبب العرق أو الدين أو بلد المنشأ[170]، وتوفير حرية ممارسة الشعائر الدينية، وحرية التربية الدينية لأبناء اللاجئين[171]، الإعفاء من شرط المعاملة بالمثل؛ فكلما كانت هناك حقوق ومزايا، وأفضل معاملة ممكنة في صالح اللاجئ، ولو لم تنص عليها الاتفاقية، وتوفرها دولة الملجأ المتعاقدة، خاصة بعد مرور 3 سنوات على إقامة اللاجئ بصورة نظامية؛ إلا ويتم تطبيقها.[172]

وتنص الاتفاقية كذلك؛ على حق الإعفاء من التدابير الاستثنائية، التي يمكن أن تتخذها الدولة المتعاقدة ضد أشخاص، أو ممتلكات، أو مصالح مواطني دولة أجنبية معينة، وإن كان اللاجئ يحمل جنسية تلك الدولة.[173]

وبالنسبة للحقوق المتعلقة بالوضع القانوني للاجئ؛ فجاءت في الفصل الثاني خاصة منها الأحوال الشخصية؛ فإن الاتفاقية منحته الخضوع لقانون بلد موطنه، وفي حالة عدم توفره، لقانون بلد إقامته؛ بل أكثر من ذلك جعلت الاتفاقية من الحقوق المكتسبة للاجئ، محط العناية والاحترام من قبل الدولة المتعاقدة، والناجمة عن الزواج.[174]

وتضمنت أيضا حق ملكية الأموال المنقولة، وغير المنقولة، والحقوق المرتبطة بها للاجئ[175]، وحقوق الملكية الأدبية، والفنية، والصناعية[176]، وحق الانتماء للجمعيات غير السياسية، وغير المستهدفة للربح[177]، كما نجد حق التقاضي الحر مكفول للاجئ أمام المحاكم، والمساعدة القضائية مكفولة أيضا، إضافة إلى الإعفاء من ضمان أداء المحكوم به، وكذا الإعفاء من الرسوم.[178]

---

170 - المادة 3 من الاتفاقية الخاصة بشؤون اللاجئين لسنة 1951.
171- المادة 4 من الاتفاقية.
172 - المادة 7 من الاتفاقية.
173 - المادة 8 من الاتفاقية.
174 - المادة 12 من الاتفاقية.
175 - المادة 13 من الاتفاقية.
176 - المادة 14 من الاتفاقية.
177 - المادة 15 من الاتفاقية.
178 - المادة 16 من الاتفاقية.

وينص الفصل الثالث من الاتفاقية؛ على أعمال الكسب، من خلال مواده الثلاثة 17 و18 و19 على التوالي؛ حيث تمنح الدولة المتعاقدة للآجئين - خاصة المقيمين بصورة نظامية وتجاوزوا المدة القانونية - أفضل معاملة ممكنة، سواء تعلق الأمر بالعمل المأجور، أو العمل الحر، أو امتهان أعمال أو مهن حرة، إن توفروا على شهادات معترف بها من قبل سلطات دولة الملجأ.

والفصل الرابع من الاتفاقية؛ فقد تضمن الحقوق الاجتماعية، المتمثلة في الرعاية الاجتماعية؛ كالإسكان في المادة 21، والتعليم الرسمي في المادة 22، والإغاثة العامة والمساعدة والإسعافات الضرورية في المادة 23، كما تمنح للآجئين كل الحقوق الممنوحة في الشؤون والأنظمة الاجتماعية من: الأجر، الإعانات العائلية، التعويضات عن ساعات العمل الإضافية، الأجازات المدفوعة الأجر، الضمان الاجتماعي، وحوادث الشغل أو المرض المهني، في المادة 24 من الاتفاقية.

وبالنسبة للتدابير الإدارية؛ التي تعتبر من أهم الحقوق التي يحتاجها اللآجئ ويسعى للحصول عليها، من أجل تيسير أموره الحياتية، فقد تضمنت في الفصل الخامس من الاتفاقية الخاصة بوضع اللآجئين لسنة 1951، حيث جاء التنصيص على المساعدة الإدارية للآجئ في المادة 25، وتمكينه من الحصول على الوثائق والشهادات الإدارية التي يحتاجها، لمنحه حرية التنقل داخل بلد الملجأ في المادة 26، كما ألزمت الدول المتعاقدة على إصدار وثائق تحقيق الشخصية؛ أي بطاقات الهوية ووثائق السفر للآجئ في المادة 27 و28 منها.

وباعتبار قضية اللجوء - كما دعت إلى ذلك الأمم المتحدة - قضية إنسانية واجتماعية بالدرجة الأولى؛ فإن الاتفاقية وسعت من البعد القانوني، والحقوقي للآجئين أكثر فأكثر، من خلال التنصيص على حق المأوى المؤقت، رغم تواجد اللآجئين بصورة غير مشروعة في بلد الملجأ، زيادة على عدم اتخاذ أي إجراءات زجرية، أو عقوبات جزائية في حقهم، بسبب دخولهم أو تواجدهم غير القانوني داخل إقليم الدولة، دون إذن أو ترخيص مسبق.[179]

وقد تم منع الطرد وحضره، وعدم الإعادة القسرية للآجئين، الذين يقيمون بشكل نظامي داخل بلد الملجأ، كأحد الضمانات القانونية لحماية اللآجئين من العودة إلى جحيم بلد المنشأ، والاضطهاد الفارين منه، وتم التوسع في مسألة تسهيل عملية

[179]- المادة 31 من الاتفاقية الخاصة بوضع اللآجئين لسنة 1951.

إعطاء جنسية بلد اللجوء، للتخفيف من معاناة اللاجئين، كخطوة مهمة في إعطاء الفرصة للاجئين للاندماج في مجتمع بلد الملجأ.[180]

وقد دعت الأمم المتحدة، من خلال الاتفاقية الخاصة بشؤون اللاجئين لسنة 1951، عبر الفصلين السادس والسابع؛ المعنونين بأحكام تنفيذية وانتقالية، وأحكام ختامية على التوالي، إلى تعاون السلطات الوطنية في الدول المتعاقدة، مع الأمم المتحدة، خاصة مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين، أو أية مؤسسة أخرى تابعة للأمم المتحدة، تشتغل وتمارس وظائفها من أجل تطبيق هذه الاتفاقية، وذلك بتزويدها بالمعلومات والبيانات الإحصائية المطلوبة، والتشريعات الوطنية للدول، التي تسير في اتجاه تنزيل بنود ومقتضيات الاتفاقية على أرض الواقع، وتبيان مسألة التوقيع والمصادقة والانضمام إلى الاتفاقية، وما يرافقها من تحفظات أو بدء النفاذ، وكيفية الانسحاب من الاتفاقية، أو الطلب في إعادة النظر فيها.[181]

تلكم هي أبرز الحقوق والامتيازات التي جاءت بها الاتفاقية الدولية لشؤون اللاجئين لسنة 1951، وشكلت منذ ذلك الوقت دستور اللاجئين، والمرجعية القانونية الأهم في حياتهم، والمصدر الرئيسي لجل الدول المتعاقدة لتشريعاتها، وقوانينها، وأنظمتها الوطنية، الساعية إلى توفير الحماية القانونية للاجئين، وذلك ما تسعى إليه دول منطقة شمال إفريقيا لجعل قوانينها الوطنية تتلائم والاتفاقية الدولية لشؤون اللاجئين، وعلى رأسها المغرب.

المطلب الثاني: البروتوكول المتعلق بالاتفاقية لسنة 1967 والوثائق الدولية الأخرى

بعد مرور 16 سنة على إصدار الاتفاقية الدولية الخاصة بشؤون اللاجئين، جاء البروتوكول المعدل لها؛ حيث تمت إحاطة المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة علما بالبروتوكول، وفق القرار رقم 1186 بتاريخ 18 نونبر 1966، وكذا إحاطة الجمعية العامة للأمم المتحدة علما به؛ بالقرار رقم 2198 بتاريخ 16 دجنبر 1966.[182]

يتكون البروتوكول المتمم للاتفاقية الدولية الخاصة بشؤون اللاجيئن الصادر سنة 1967؛ من ديباجة، و11 مادة، وحسب المادة 08 من البروتوكول، فإن تاريخ بدء النفاذ كان هو 04 أكتوبر 1971.

---

[180]- المواد 32-33-34 من الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لسنة 1951.
[181] - المواد من 35 إلى 46 من الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لسنة 1951.
[182] - حقوق الانسان، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك 1993، رقم المبيع A,94,XIV-1VOL1,Part ، ص.917.

أول ما افتتحت به ديباجة البروتوكول؛ هو مسألة القيد الزماني الذي كانت الاتفاقية الخاصة بوضع اللاّجئين لسنة 1951 تحصر نطاق تطبيقها على اللاّجئين لما قبل فاتح يناير 1951، وما دامت أن هناك أحداث وقعت بعد هذا التاريخ، وخلفت حالات لجوء جديدة، يحرمهم ذلك القيد من الاستفادة من الحقوق والحماية القانونية التي توفرها الاتفاقية، جاء البروتوكول المعدل للاتفاقية سنة 1967، بتعديل مهم، يجعل اللاّجئين يتساوون في الوضع، وينطبق عليهم تعريف الاتفاقية "للاّجئ" دون القيد الزماني لما قبل فاتح يناير 1951.

وهكذا جاءت المادة 01 من البروتوكول، والمعنونة " بحكم عام "، حول تعريف لفظة "لاّجئ" دون القيد الزماني، ودون الحصر الجغرافي، من خلال إلغاء الكلمات الدالة على ذلك، والواردة في المادة 01 من الاتفاقية الخاصة بشؤون اللاّجئين لسنة 1951، والمتمثلة في: "نتيجة الأحداث التي وقعت قبل فاتح يناير 1951"، وكلمات "بنتيجة مثل هذه الاحداث".

ودعا البروتوكول الدول الأطراف المتعاقدة؛ إلى تطبيق المواد من 02 إلى 34 من الاتفاقية، مقرا بذلك بكل الحقوق والحريات الأساسية التي جاءت بها الاتفاقية الخاصة بشؤون اللاّجئين لصالحهم[183]، أما باقي مواد البروتوكول، فجاءت منسوخة لمواد الاتفاقية، من المادة 35 إلى المادة 46؛ أي الأحكام التنفيذية والانتقالية والأحكام الختامية الواردة في الاتفاقية، مع بعض التغييرات والتعديلات التي يجب الإشارة إليها والإدلاء بها؛ والمتمثلة أساسا في كل من إسقاط أو تجاوز المادة 37 من الاتفاقية، والتي كانت متعلقة بعلاقة الاتفاقية الخاصة بشؤون اللاّجئين لسنة 1951، بالاتفاقيات السابقة في نفس المجال، وكذا المادة 46 من الاتفاقية المتعلقة بنبذ الإنطباق الإقليمي؛ والذي كانت بموجبه الدولة عند توقيعها أو تصديقها أو انضمامها إلى الاتفاقية، أن تعلن على أن جميع أقاليمها أو بعضها ممن تشملهم الاتفاقية.

وإذا كانت المادة 39 من الاتفاقية، تتحدث عن التوقيع والتصديق والانضمام إلى الاتفاقية، فإنه بالمقابل اكتفت المادة 05 من البروتوكول، على التنصيص على مسألة الانضمام إليه فقط.

وقد تم تجاوز المادة 45 من الاتفاقية؛ والمتعلقة بإعادة النظر في الاتفاقية، من قبل دولة متعاقدة، عن طريق توجيه إشعار بذلك، للأمين العام للأمم المتحدة.

[183]- المادة 01 من البروتوكول المعدل للإتفاقية لسنة 1967.

وأما مسألة الإيداع في محفوظات الأمم المتحدة، والتي تمت الإشارة والاقتصار على ذكرها، فقط كخاتمة في المادة 46 من الاتفاقية، واعتماد نسخة وحيدة منها، يتساوى في حجية نصها الإنجليزي والفرنسي[184]؛ فإن البروتوكول عمد إلى إيداع نسخة في محفوظات أمانة الأمم المتحدة، موقعة من قبل رئيس الجمعية العامة، والأمين العام للأمم المتحدة، وقد تساوى في حجية هذا البروتوكول، نصوصه الإسبانية، الإنجليزية، الروسية، الصينية، والفرنسية؛ كما أفردت مادة خاصة بمسألة الإيداع في البروتوكول، بخلاف الاتفاقية، التي ضمنته في خاتمة المادة الأخيرة منها.[185]

إضافة إلى الاتفاقية الدولية لشؤون اللآجئين لسنة 1951، والبروتوكول المعدل لها لسنة 1967؛ اللذان شكلا معا مرجعية، وإطارا قانونين للآجئين، ومسألة اللجوء بصفة عامة، هناك اتفاقيات ووثائق دولية إقليمية أخرى، عملت من جانبها على الاهتمام باللآجئين، من خلال توسيع الحماية القانونية لهم، وتكييف مفهوم اللآجئ وأوضاعه، محليا وإقليميا، حتى يتسنى له الاستفادة دائما من مركزه ووضعه القانوني.

نجد على سبيل المثال: "إتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية لسنة 1969"، المعنية بقضايا اللجوء، والتي دخلت حيز التنفيذ سنة 1974؛ والتي - بحكم ما عانته القارة الإفريقية من ويلات الاستعمار والحروب - وسعت من تعريف اللآجئ، واعتبرته : " كل شخص أجبر على مغادرة وطنه أو مكان إقامته بسبب العدوان أو الاحتلال أو السيطرة الأجنبية أو أحداث تجعل البلد في فوضى عارمة وعنف مخل بالنظام العام"[186]، وهناك ما يعرف "بوثائق الإتحاد الاوروبي "؛ هذه الأخيرة بدورها وسعت من مفهوم اللآجئ، وعملت على توصيفه بشكل أدق وأشمل من الاتفاقيات، والمعاهدات المتعلقة باللآجئين؛ كاتفاقيات جنيف الأربعة لسنة 1949، أو المعاهدة الإفريقية لسنة 1969، وحتى الاتفاقية الخاصة بوضع اللآجئين لسنة 1951.

ومن بين وثائق " الإتحاد الأوروبي " هذه نجد: "قرار رقم 14 لسنة 1967" يمنح لكل شخص حق اللجوء، في حالة تعرضه لخطر الاضطهاد، و"الإتفاق الأوروبي لسنة 1980" الذي حث على رفع المسؤولية عن اللآجئين، أما "الإتفاق الأوروبي لسنة 1981" فقد جاء بتوصية مهمة حول التنسيق، وتوحيد الإجراءات الخاصة بمنح اللجوء، و"إتفاق سنة 1984" فذهب أبعد

184 - المادة 46 من الإتفاقية الخاصة بوضع اللآجئين لسنة 1951.
185 - المادة 11 من البروتوكول لسنة 1967.
186 - رشيد المرزكيوي، "المهاجرون الأفارقة بالمغرب وإشكالية الإندماج" ، مرجع سابق، ص.15-16.

من ذلك؛ إلى المحافظة على حماية حتى الأشخاص الذين لم يعودوا لآجئين بعد عودتهم، كما ألزمت "معاهدة دبلن لسنة 1990" الدول المتعاقدة، على النظر في طلب حق اللجوء في دولة أو أكثر بالإتحاد الأوروبي.

وفي القارة الأمريكية، وإثر عقد مؤتمر الحماية الدولية للآجئين في أمريكا الوسطى والمكسيك وبنما، في نوفمبر 1984؛ تم " إعلان قرطاجنة للآجئين " كاتفاقية دولية إقليمية، تهتم باللآجئين في القارة الأمريكية[187]، وبدورها عملت على توسيع مفهوم "اللآجئ" من خلال المادة 01 من الإعلان، وذلك بالتنصيص على أن: " اللآجئين هم الأشخاص الذين يفرون من بلدانهم خوفا على حياتهم من تهديد حقيقي نتيجة أعمال عنف أو عدوان خارجي أو نزاع داخلي أو انتهاكات عامة لحقوق الانسان "؛ بل أكثر من ذلك، وسعت لتشمل وتضم أي ظرف آخر ممكن أن يحقق ذلك التهديد.[188]

وفي العالم العربي؛ والذي أصبح منشأ اللآجئين، فقد جاءت "الإتفاقية العربية الخاصة باللآجين لسنة 1994 "؛ موسعة من تعريف اللآجئ، بإدخالها عنصر الكوارث الطبيعية ضمن أسباب اللجوء، وما يمكن أن يتعرض له اللآجئ نتيجة العدوان المسلط، أو الاحتلال، أو الاستعمار الأجنبي، وذلك لما عانت منه الدول العربية، ومن تبعاته ولازالت؛ حيث نصت الاتفاقية العربية على اعتبار اللآجئ هو: " كل شخص يلتجئ مضطرا إلى بلد غير بلده الأصلي أو مقر إقامته الاعتيادية بسبب العدوان المسلط على ذلك البلد أو احتلاله أو السيطرة الأجنبية عليه، أو لوقوع كوارث طبيعية أو أحداث جسيمة ترتب عليها إخلال كبير بالنظام العام في كامل البلاد أو جزء منها ".[189]

خاتمة :

من خلال تتبعنا لظاهرة اللجوء عبر التاريخ، والتي امتدت جذورها إلى ما قبل التاريخ الميلادي، ظلت مرتبطة بالإنسان متى تواجدت الأسباب الدافعة والمؤدية إليها؛ من حروب، ونزاعات مسلحة، واضطهادات، وتضييق على حرية الإنسان، وممارسة الانتهاكات الجسيمة ضده، وهو التواق للحياة والاطمئنان والحرية؛ مما يدفعه للبحث عن ملجأ آمن له في دولة اللجوء.

وبقي مفهوم اللجوء متداولا ومعبرا عن فئة اللآجئين، والتي تشترك مع فئة المهاجرين، والنازحين، المعاناة نفسها؛ مما شكل معه بعض الخلط في التداول المفاهيمي لغير المختصين، لذلك كان تمييز هذا المفهوم، عما تشابه معه، من الأهمية بمكان،

---

187 - المرجع نفسه.
188 - محمد الخليفي، مرجع سابق، ص.56.
189 - المادة 1 الفقرة 2 من الإتفاقية العربية الخاصة باللآجئين لسنة 1994؛ أنظر كذلك، رشيد المرزكيوي، "المهاجرون الأفارقة بالمغرب وإشكالية الإندماج "، م.س، الهامش رقم 2، ص.16.

وذلك للحفاظ على المكتسبات القانونية، المتمثلة في الحماية القانونية الدولية، التي تؤطرها الاتفاقية الدولية لشؤون اللاجئين لسنة 1951، وبروتوكولها لسنة 1967، وباقي الاتفاقيات الدولية الإقليمية، والوثائق الدولية، التي تسعى لتوفير أكبر قدر ممكن من الحماية القانونية، والمعاملة الفضلى لفئة اللاجئين عبر العالم، والتي ازداد الاهتمام الدولي بها، أكثر فأكثر بعد منتصف القرن 20.

وإلى جانب التقعيد المفاهيمي لقضية اللجوء، والدعم القانوني لها، عبر الترسانة القانونية الدولية، عمل المجتمع الدولي على ترسيخ هذه القوانين الدولية، والعمل كذلك على تنفيذها، والتنسيق بين الدول، من أجل حل القضايا والصعوبات التي تعترض قضية اللجوء، وذلك عبر الإطار المؤسساتي الدولي المتمثل في مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين، ذات الولاية العامة الدولية لمسألة اللجوء، التي عملت على تقديم كل الدعم للدول التي تحتضن اللاجئين؛ خاصة منها دول منطقة شمال إفريقيا - ومنها المغرب - التي عرفت تدفقات كثيرة للاجئين في الآونة الأخيرة، في ظل الظروف والمعطيات المحيطة بها من كل الأصعدة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

1- القوانين:

1) المادة 14، الإعلان العالمي لحقوق الانسان، الصادر في 10 دجنبر 1948.

2) حقوق الإنسان، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك 1993، رقم المبيع A.94.XIV-1VOL.1,part

3) ديباجة الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لسنة 1951.

4) المادة 1، الفرع ألف، الفقرة 2، من الاتفاقية الخاصة بشؤون اللاجئين لسنة 1951. والمواد: 3-4-7-8-12-13-14-15-16-31-32-33-34. والمواد من 35إلى 46 من الإتفاقية نفسها.

5) المادة 01، والمادة 11 من البروتوكول المعدل للاتفاقية لسنة 1967.

2- التقارير:

1) قرار رقم 319 (د-4) المؤرخ في 3 دجنبر 1949، في الدورة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، والمتضمن إنشاء المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، الوثيقة رقم: A/319 (IV)RES

2) تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش (Human Rights Watch)، معاملة يلفها الصمت نازحون من العراق ومقيمون في الأردن، الكتاب 18، رقم 10 (E)، نوفمبر 2006.

3) المنظمة الدولية للهجرة، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، متوفرعلى موقع المنظمة www.iom.int/wmr

4) تقرير النزوح الداخلي، " الملخص العالمي للاتجاهات و التطورات للعام 2009 "، مركز رصد النزوح الداخلي (IDMC)، مجلس اللاجئين النرويجي، النرويج، ماي 2010.

2- المراجع:

1- الكتب:

1) الكبير عطوف، الهجرات العالمية والمغربية قضايا ونماذج، مقاربة سوسيوتاريخية 1045-2011، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المغرب، الطبعة الثانية، مارس 2012.

2) باولا كورتي، تاريخ الهجرات الدولية، [ترجمة: عدنان علي]، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011.

2-المجلات:

1) فاتن دويرية، " اللاجئ بين الحماية الدولية والمبادرة الوطنية: أية ضمانات؟" ، في مجلة مغرب القانون، بتاريخ 22 يناير 2018، على الرابط: www.maroclaw.com

2) روان العمد، "الهجرة واللجوء والنزوح" ، في مجلة البدائلية، على الرابط: www.idareact.org

3) عبد الإلاه القباقبي، وآخرون، "دور العمل الإجتماعي في مسألة إدماج المهاجرين" ، في مجلة الخزامى للدراسات القانونية والإجتماعية، عدد خاص حول الهجرة واللجوء - مقاربات قانونية وإجتماعية -، مركز الدراسات القانونية الإجتماعية، الحسيمة، المغرب، يناير 2020.

محمد الخليفي، "الحماية القانونية للآجئين بسبب النزاعات المسلحة: الحقوق والإنعكاسات" ، في مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد 10، غشت 2018، المجلد 02، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا.

4) محمد الخليفي، " إشكالية هجرة العقول من الدول النامية نحو الدول المتقدمة، الاسباب والنتائج"، في مجلة الخزامى للدراسات القانونية والاجتماعية، (جمع وتنسيق: محمد أمزيان)، عدد خاص حول الهجرة واللجوء- مقاربات قانونية واجتماعية-، الحسيمة، المغرب، يناير 2020.

5) رشيد المرزكيوي، " المهاجرون الأفارقةبالمغرب وإشكالية الإندماج"، في مجلة الخزامى للدراسات القانونية والاجتماعية، (جمع وتنسيق: محمد أمزيان)، عدد خاص حول الهجرة واللجوء- مقاربات قانونية واجتماعية-، الحسيمة، المغرب، يناير 2020.

أنثروبولوجيا المقدس في إقليم العيون، دراسة الأضرحة، والمقابر، والمساجد، والزوايا.

علي الديحاني، عبدالاله الرحالي الزاوي

*طالب باحث في سلك دكتوراه جامعة ابن طفيل- القنيطرة

**أستاذ باحث، جامعة ابن طفيل- القنيطرة

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الأنثروبولوجية للمقدس بإقليم العيون (الاضرحة والمقابر والمساجد والزوايا) الى تسليط الضوء على كيفية تشكيل المقدس للفضاءات الدينية والاجتماعية، وكيفية تفاعل الأفراد مع هذه الفضاءات في سياقات ثقافية مختلفة، وعن الكشف عن تفاصيل غنية حول كيفية تشكيل الدين والثقافة للحياة اليومية للناس، كما أن هذه الدراسة لا تعزز فهما للثقافة المحلية فحسب، بل يمكن أن تساهم أيضا في الحفاظ على التراث الديني والثقافي للمنطقة.

الكلمات المفاتيح: المقدس، الأنثروبولوجيا، التدين، الاضرحة والمقابر، المساجد الزوايا.

Abstract

This anthropological study of the sacred in the Laâyoune region (encompassing shrines, cemeteries, mosques, and religious lodges) aims to shed light on how the sacred shapes religious and social spaces, and how individuals interact with these spaces within different cultural contexts. It seeks to reveal rich details about how religion and culture influence people's daily lives. Furthermore, this study not only enhances understanding of local culture but can also contribute to the preservation of the region's religious and cultural heritage.

Keywords: Sacred, Anthropology, Religiosity, Shrines and Cemeteries, Mosques, Religious Lodges.

مقدمة:

يعتبر التناول الأنثروبولوجي للمقدس في إقليم العيون مثل المساجد والزوايا والاضرحة والمقابر مجالا مهما لفهم الجوانب الثقافية والدينية والاجتماعية للمجتمع المحلي، يشير المقدس إلى كل ما يعتبره المجتمع ذا طبيعة خاصة، يفصل بينه وبين العالم الدنيوي. وهو مرتبط بالدين والروحانيات، ويتميز بالاحترام والتبجيل، كما يميز الأنثروبولوجيين بين المقدس (الذي

يرتبط بالآلهة أو القوى العليا) والمدنس (الذي يرتبط بالحياة اليومية والعادية)، حيث أجمع معظم الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا الدينية القدماء منهم والمحدثون، على أن المقدس (sacré) الذي يشكل جوهر الاعتقاد الديني هو في تمظهراته الواقعية مجال وزمان وإنسان[190]، ثم صعوبات جمة، تحاصر الباحث في مجال (المقدس)، وفي علاقة هذا المقدس بالثقافة. كيف يمكن التفكير في المقدس، دون أن يكون فعل التفكير ذاته فعلا انتهاكياً؟ أليس التفكير في المقدس، ومن داخل حدود الوعي البشري، هو تجريد لقداسة المقدس ؟،كانت كلمة (المقدس)، sacré تعني عند الرومان القدماء: الشخص أو الشيء الذي يستحيل لمسه دون أن يُرجّس أو يُرجَّس فالكلمة تتوزع بين استحالة إمكانية اللمس، وبين إمكانية الانتهاك في حالة تحقق ذلك اللمس. ولن يكون التفكيرً إلا شكلا من أشكال ملامسة المقدس، أي ترجيسه، يمكن أن نلاحظ أن أهم سمة للمقدس هي: التعالي؛ فالمقدس هو ما يقع بعيداً عن عوامل التدنيس، وهو كذلك ما ينبغي . هناك فعل الوجوب . اجتنابه، لأن جوهره المتعالي يقضي بأن يظل متسامياً فوق البشري - الأرضي. وفعل الاجتناب يكون مرفوقاً دائماً بحصول الإثم أو الخطيئة في حالة انتهاك حدود المقدس، أو الدنو منه[191].

إذا كان المغرب يتميز بين كل البلدان الاسلامية بتبجليه لأكبر عدد من الأولياء ويلقب بحق بلد المائة ألف ولي[192] ، فإن منطقة العيون الساقية الحمراء، هذه الاخيرة تحتضن عددا كبيرا من الاضرحة والمزارات تحمل أسماء أولياء صالحين استقروا قصد المرابطة والجهاد وقد تمكنوا من تأسيس رباطات وزوايا وقبائل واصلت مهمة الجهاد والدفاع عن الدين وحوزة الوطن.

تنبثق أهمية الدراسة من الحاجة إلى تفكيك الثنائيات السائدة في فهم المقدس الإسلامي (كالثنائية بين الإسلام "الرسمي" و"الشعبي")، عبر طرح تساؤلات جوهرية :

-كيف تُحوِّل الطقوسُ والممارساتُ اليوميةُ الفضاءَ المعماري إلى كيانٍ مُقدَّسٍ ذي حمولةٍ رمزية؟

-ما الآليات التي تَستديم من خلالها هذه الفضاءاتُ شرعيتَها في ظل التحولات الاجتماعية؟

1 الاضرحة والمقابر :

تعتبر الدراسة الميدانية من بين الشروط التي تعتمدها العلوم الاجتماعية، لذلك ارتأينا أن نقوم بمسح إتنوغرافي للمقابر والاضرحة بإقليم العيون بتحديده الجغرافي وموقعه. لذلك قمنا بعملية جرد بالاعتماد على مقابلات مع بعض الشيوخ وأعيان الاقليم أو لقاء مسؤولين بمندوبية الاوقاف والشؤون الاسلامية، الجماعة الحضرية، باشوية العيون.

190 منديب عبد الغني، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفريقيا الشرق 2010 ط 2 ص 79
191 بتصرف، بن علي لونيس، النقد والمقدس، مجلة مؤمنون بلا حدود، المقدس والتاريخ عدد ديسمبر 2016
192 منديب عبد الغني، مصدر سابق الذكر، ص 82

لقد عرفت المقابر و الاضرحة منذ نشأتها و الى الان تحولا من الناحية المعمارية، حيث قامت الجهات المسؤولة على صيانة المقابر و الاضرحة، ووضع مجموعة من القوانين المؤطرة رغم وجود تداخل الاختصاصات بين مجموعة من المتدخلين، فمثلا فما يتعلق الوعاء العقاري الحاضن للمقابر، فهناك مشكل كبير يتمثل في تداخل الاختصاصات عدم وضوح الاطار القانوني المنظم للمقابر بالمغرب، لقد تبين لوزارة الداخلية ان المشاكل التي تعاني منها المقابر الاسلامية مرفق الجنائز بصفة عامة متعدد الجوانب، إذ منها ما يعود الى ازدواجية الاطار القانوني الذي تخضع له المقابر، منها ما يرجع الى عدم ممارسة رؤساء المجالس الجماعية لسلطاتهم الكاملة في مجال شرطة المقابر، منها أخيرا ما يعود الى الاهمال الذي تعاني منه من حيث الصيانة، فيما يتعلق بالاطار القانوني للمقابر الاسلامية تجدر الاشارة أن هذه الاخيرة تخضع لنظام قانوني مزدوج يتركب في جزء منه من بعض الاحكام المنبثقة عن الفقه الاسلامية في جزئه الاخر من الاحكام التي وضعتها بعض النصوص القانونية الوضعية، انطلاقا من ذلك ظلت المقابر الاسلامية تعتبر أملاكا حبوسية في الوقت الذي أضحى أمر صيانتها و تدبيرها من اختصاص الجماعات المحلية [193]، و بالعودة الى دليل المندوب في مجال الشؤون الإسلامية نجد مجالا خاصا المقابر وحرمة الميت يحدد مسؤولياته التي تنحصر فيما يلي :

- ✓ يلم المندوب بالمقتضيات القانونية المتعلقة بأماكن دفن المسلمين ومسؤولية واختصاصات الوزارة في هذا الشأن، سواء كانت وقفا أو غيرها؛
- ✓ على المندوب أن يتوفر على صورة واضحة عن الحاجة إلى أماكن الدفن؛
- ✓ يبدي المندوب رأيه في المخططات المديرية للتهيئة العمرانية، ويبين الحاجة للمقابر، كما يبدي رأيه، بتنسيق مع نظارة الأوقاف، في تصاميم تهيئة المقابر، وفي قرارات إغلاق المقابر التي انتهى بها الدفن؛
- ✓ يرصد المندوب كل ما من شأنه انتهاك حرمة المقابر، ويسعى في معالجة الممارسات غير العادية بها؛
- ✓ يحضر المندوب في اللجان المتعلقة بنقل الرفات، أو استخراج الجثث، أو أشغال التهيئة، أو حملات التنظيف... ويبدي رأيه فيها بما يحفظ حرمة الميت بتنسيق مع المجلس العلمي المحلي؛
- ✓ يسعى المندوب بتنسيق مع المجلس العلمي المحلي للحفاظ على التقاليد المغربية في الدفن، ودرء تشويش الغلاة على بعض طقوسها.

[193] بامي جمال، دراسة حول حالة مقابر المسلمين بالمغرب ومقترحات عملية من أجل إصلاحها، المجلس الوطني لحقوق الانسان 2012، ص20

- ✓ يخبر ناظر الأوقاف بكل ترامي أو انتهاك لحرمة المقابر ليتخذ الإجراءات القانونية، باعتبار المقابر من الأحباس التي تتولى النظارة حماية حرمتها [194].

من المؤكد أن الدراسات العلمية المتعلقة بالمقابر في تاريخ المغرب ووظائفها ضرورية لإنتاج تراكم جاد في سياق علم المقبريات في المجال المغربي، استهداف لتحقيق ثلاثة مرام: أولها دراسة وفهم المجال القبوري بوصفه مجالا دينينا، وثانيها: دراسة العلاقة المجالية بين مجال الاحياء ومجال الاموات وثالثها: مقاربة فلسفة توزيع المقابر في المجال. وهذه الدراسات هي جامعة بين الاهتمام بعلم الاجتماع الديني و الاهتمام بأنثروبولوجيا الأديان، وما نتج عنهما من علم مركب هو: سوسيو-أنثربولوجيا الاديان (Socio-anthropologie des religions) الذي يتناول الظاهرة القبورية انطلاقا من ثلاثة أسس: البنية (دراسة النسق القبوري)، و الوظيفة (دراسة وظائف المجال القبوري الحضرية)، والدينامية (تطور القبور)[195]

يتوفر اقليم العيون على مجموعة من الاضـــرحة كباقي مدن المغرب وبواديه لما يشـــكل من أهمية داخل نســـيج المجتمعي ضـاربا بذلك جذورها قي التاريخ الديني والسـياسـي للامة، للإشـارة فإن مدينة العيون تتوفر على تسـعة أضـرحة ومجموعة من المقابر التي مازال الدفن مسـتمر فيها و أخرى منقطع فيها ي سـينم توضـيح معطياتها في الجداول أسـفله، ويسـجل أن الثقافة المحلية الصـحراوية تسـاهم الى حد كبير في احترام المقدس أكان أضـرحة أو مقابر لأسـباب ثقافية أنثروبولوجية متأصل في الوعي الجمعي الصحراوي.

الاضرحة بإقليم العيون:

جدول رقم 1: الاضرحة بالعيون

الشيخ مربيه ربو
منصور
بوشلكة
أهل الركعة
لفقير بريكة

[194] دليل المندوب في مجال الشؤون الإسلامية، ص 28
[195] بامي جمال، دراسة حول حالة مقابر المسلمين بالمغرب ومقترحات عملية من أجل إصلاحها، المجلس الوطني لحقوق الانسان 2012، ص10

سيديا
بابا علي
تيسلاتين

المقابر بإقليم العيون

الجدول رقم 2: قائمة المقابر بإقليم العيون في الوسط الحضري:

اسم المقبرة	سنة انشائها	عنوانها	الدفن بها مستمر/ منقطع	نسبة ملئها في حالة سريان الدفن بها
الخوي	منذ العهد الاسباني	طريق المرسى غرب مدينة العيون	مستمر	غير محدد
بدون تسمية	منذ العهد الاسباني	حي الفداء زنقة البجتري	منقطع	غير محدد
الشهداء	الحقبة الاسبانية	شارع عبد الكريم الخطابي حي الفداء	منقطع	غير محدد
وادي الساقية الحمراء	1938	خلف السجن المحلي	منقطع	غير محدد
تجزئة قوات المساعدة	1973	مدخل القوات المساعدة عن جانب مستشفى مولاي الحسن بالمهدي	منقطع	غير محدد
الشهداء	1960	شارع الامير مولاي عبد الله	منقطع	غير محدد

سيدي بويا	1975	خلف الحامية العسكرية	منقطع	غير محدد
الرحمة	2019	جتوب شارع الحزام	مستمر	غير محدد
بدون اسم	_	كرارة الديش تجزئة الوفاق	منقطع	غير محدد
المطرح (زميلة العزلان)	قديمة	حي القدس زنقة العلا	منقطع	غير محدد
الضبيان	1965	زنقة سيدي بوجيدة حي الوحدة 2	منقطع	غير محدد
خط الرحمة	خمسينيات القرن الماضي	زنقة 11 حي الخنساء	منقطع	غير محدد
المريات (سلام)	-	مدينة 25 مارس بلوكY	منقطع	90 في المئة

الجدول رقم 3: قائمة المقابر بإقليم العيون في الوسط القروي:

اسم المقبرة	سنة انشائها	عنوانها	الدفن بها مستمر/ منقطع	نسبة ملئها في حالة سريان الدفن بها
أهل الركعة	1963	حي الضيعات فم الواد	مستمر	12 في المئة
لفقير بريكة	1960	حي الضيعات فم الواد	منقطع	03 في المئة
تسلاتين تروما	1955	مركز تاروما	منقطع	01 في المئة

بابا علي تاروما	1958	بابا علي تاروما	منقطع	02 في المئة
الطالب أحمد	1962	شمال مركز تاروما	مستمر	30 في المئة
أهل محمود	1972	شرق مركز تاروما	مستمر	40 في المئة
منصور	منذ حوالي 200 سنة	تادخست على بعد 45 كلم جنوب شرق مدينة العيون	مستمر	40 في المئة
سيدي	منذ حوالي 180 سنة	ازيك على بعد 45 كلم جنوب شرق مدينة العيون	مستمر	50 في المئة
الشيخ أحمد ولد فال	حوالي 1993	ازيك شرق مدينة العيون طريق السمارة 24 كلم	مستمر	50 في المئة
بوشلكا	حوالي 1965	تادخست على بعد 27كلم جنوب شرق مدينة العيون	مستمر	02 في المئة
الشهداء	حوالي 1968	مركز بوكراع	منقطع	02 في المئة
اثروزيات رقم 01	حوالي 1997	19 كلم شرق مدينة العيون على طريق السمارة	مستمر	02 في المئة
اثروزيات رقم 02	حوالي 1993	19 كلم شرق مدينة العيون على طريق السمارة	مستمر	40 في المئة
الشغالي	حوالي 1960	تسلبي 14 كلم جنوب شرق مدينة العيون	مستمر	01 في المئة
الحيرش	حوالي 1850	الخط نفوذ جماعة بوكراع	منقطع	01 في المئة
اخليفة ولد البشرة	حوالي 1850	الخط نفوذ جماعة بوكراع	منقطع	01 في المئة

اكديم ازيك	1970	منطقة لمريات قرب اكراير اندور	مستمر	01 في المئة
تافودارت	1942	منطقة تافودارت قرب ضريح الشيخ مربيه ربه	مستمر	01 في المئة
الحاج بودراعة	1942	الطريق الشمالية المؤدية لمركز الدشيرة منطقة رأس التاقية	مستمر	01 في المئة
الشهداء	1958	مركز الدشيرة	مستمر	01 في المئة

2المساجد:

تعد المساجد أحد الأوجه المركزية لرصد حركية وتجليات التدين في المجتمع نظرا لموقعها وعلاقة الناس والارتباط بها، يتوفر إقليم العيون على العديد من المساجد حيث يقدر عددها ب 70 مسجدا، وقد عرف تطور نموا كبيرا لعددها وذلك راجع لعدة عوامل منها ما هو ديمغرافي واجتماعي.

يلاحظ أن أغلب الائمة في القرى والبوادي، لم يصبح الإطار التعاقدي مبني على الشرط بين الامام وساكنة القرية.

على المستوى المؤسساتي: وفقا للظهير الشريف رقم 1.16.38 لـــ 17 جمادى الأولى 1437(26 فبراير 2016) في شأن اختصاصات وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تشمل مديرية المساجد على 05 أقسام و19 مصلحة وتختص بالمهام التالية:

- إحصاء المساجد وضبطها ووضع سجل خاص بها
- تحديد حاجة الساكنة إلى الأماكن المخصصة لإقامة شعائر الدين الإسلامي، والعمل على تلبيتها في حدود الإمكانات المتوفرة
- إنجاز الدراسات ووضع الخطط والبرامج المتعلقة ببناء المساجد وتوسيعها وإصلاحها، والقيام بالإجراءات الإدارية والتقنية اللازمة لتنفيذها
- السهر على اعتماد الطراز المغربي الأصيل في بناء المساجد

- المحافظة على المساجد التاريخية للمملكة وتجهيزاتها الأثرية
- العمل على تجهيز المساجد بالأدوات والمعدات اللازمة
- الإشراف على تسيير شؤون المساجد وعلى توفير الشروط اللازمة لإقامة شعائر الدين الإسلامي[196]
- عدد المساجد بإقليم العيون:.70

قائمة معطيات خاصة بالمساجد بإقليم العيون:

جدول رقم 4: قائمة المساجد بجماعة العيون:

اسم المسجد	العنوان
حي التعاون	حي ولي العهد شارع الحسن 1 - العيون
مفتاح الحمد	شارع طانطان - العيون
حي مولاي رشيد	حي مولاي رشيد الشطر 1 - العيون
مولاي عبد العزيز	شارع مكة - العيون
حي الرحمة	شارع القائد الناجم حي الوحدة 2 - العيون
حي القسم	شارع إبن بطوطة حي القسم - العيون
سوق الجملة	حي التنمية سوق الجملة للخضر - العيون
الزاوية	زنقة الشيخ محمد المامون سوق الزاج العيون
المرابطين	حي العودة 2 - العيون
الهدى	حي المسيرة شارع أبو بكر الصديق العيون
العودة 1	حي العودة 1 - العيون

[196] الظهير الشريف رقم 1.16.38 لـ 17 جمادى الأولى 1437(26 فبراير 2016)

حمو اسعيد	حي الفرح سوق الجمال - العيون
يوسف بن تاشفين	شارع إدريس الأول - العيون
الوحدة	حي الوحدة 1 - العيون
أنس بن مالك	حي القدس تجزئة 707 - العيون
سوق الجمال	السوق البلدي بسوق الجمال - العيون
بدر	حي الأشهاد سوق لمخاخ - العيون
الساقية الحمراء	حي الساقية الحمراء - العيون
القدس	حي مولاي رشيد منطقة الفيلات - العيون
العتيق	شارع مكة - العيون
احماد الدرهم	حي الوحدة 1 - العيون
الإمام البخاري	شارع اسكيكيمة - العيون
زاوية الشيخ محمد الأغظف	حي السعادة - العيون
الزاوية التيجانية	حي مولاي رشيد الشطر الأول - العيون
الزاوية البوتشيشية	طريق السمارة - العيون
الزاوية القاديرية	شارع مزوار - العيون
الأمل 01	حي الأمل 01 - العيون
السلام	تجزئة المستقبل - العيون

الإمام مالك	ساحة أم البنين الفهرية حي التعاون العيون
الحسن الثاني	تجزئة الراحة - العيون
المسيرة	تجزئة الأمل 03 - العيون
عثمان بن عفان	تجزئة الأمل 1 بجانب وكالة بريد بنك الأمل
الأدارسة	تجزئة 25 مارس - العيون
سلمان الفارسي	تجزئة 84 بلوك B - العيون
الإمام الشافعي	تجزئة المستقبل - العيون
مسجد الإصلاحية السجنية	الإصلاحية السجنية بالعيون
التقوى	تجزئة الوكالة بلوك F رقم 207 - العيون
قاعة الوكالة بلوك D	تجزئة الوكالة بلوك D رقم 55 - العيون
خالد بن الوليد	تجزئة 707 حي القدس - العيون
حمزة بن عبد المطلب	تجزئة الخير - العيون
الإمام علي	حي الأنشطة الصناعية - العيون
أبو عبيدة بن الجراح	تجزئة الوفاق 1500- العيون
بلال بن رباح	تجزئة مولاي رشيد بلوك ج - العيون
عمر بن عبد العزيز	تجزئة الوفاق G - العيون
عائشة أم المؤمنين	الوفاق بلوك C

الريان	حي مولاي رشيد بلوك H
الإمام الجنيد	النهضة الشطر 2
الإمام السهيلي	تجزئة الأمل 3
فاطمة الزهراء	الوفاق بلوك B
خديجة أم المؤمنين	الحي المحمدي خرسيتو
الإمام مسلم	الوفاق بلوك A

جدول رقم 5: قائمة المساجد بجماعة المرسى:

اسم المسجد	العنوان
محطة الوقود (أهل الجماني)	محطة الوقود - المرسى
الرحمان	المرسى
فوسبوكراع	معمل فوسبوكراع - ميناء العيون
السوق البلدي	السوق البلدي - المرسى
أبوبكر الصديق	مدينة المرسى
الإمام بن عاشر	مدينة المرسى
الإمام البصيري	تجزئة البحارة بلدية المرسى

جدول رقم 6: قائمة المساجد بجماعة فم الواد:

اسم المسجد	العنوان
فم الواد	جماعة فم الواد
الشاطئ	شاطئ فم الواد
عمر بن الخطاب	قرية الصيادين بتاروما
الضيعات	جماعة فم الواد
الإمام الشادلي	فم الواد

جدول رقم 7: قائمة المساجد بجماعة الدشيرة:

اسم المسجد	العنوان
الدشيرة	الدشيرة المركز

جدول رقم 8: قائمة المساجد بجماعة بوكراع:

اسم المسجد	العنوان
بوكراع	قرية بوكراع - العيون

يحتل المسجد حيزا مهما في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية باعتباره مؤسسة تعبدية مركزية في حياة المسلم، ومن تم يحتل في نفوس المؤمنين مكانة عالية و يحظى بهالة من الوقار و التعظيم و القدسية، فمعظم الشعائر الدينية يتم أداؤها

في المسجد، حيث يرفع فيها الأذان في المسجد خمس مرات في اليوم و تؤدى فيه الصلوات إضافة الى صلاة الجمعة كشعيرة أسبوعية و صلاة العيدين و الصلوات المناسباتية كالخسوف و الكسوف و الاستسقاء[197].

إن المتتبع للشأن الديني بإقليم العيون يلحظ تطورا كبيرا في عدد المساجد في سنوات الأخيرة، تنزيلا لخطة الارتقاء بالمساجد بإعطاء الأولوية لبرنامج تأهيل المساجد المغلقة و إتمام مشاريع البناء مع تشييد أوراش بناء مساجد جديدة، و ذلك لمواكبة النمو السكاني و التوسع العمراني الذي تشهده مدينة العيون، فخلال حقبة الاحتلال الاسباني كان عدد المساجد في مدينة العيون جد محدود، لكن بعد استرجاع الإقليم لحوزة البلاد سنة 1975،عرفت المدينة اهتماما كبيرا ببناء المساجد تماشيا مع حرص الدولة على تعزيز الهوية الإسلامية للمدينة، ويرجع ازدياد عدد المساجد بإقليم العيون للعديد من العوامل منها: النمو السكاني حيث عرفت العقود الأخيرة ارتفاع في عدد السكان مما أدى الى ازدياد الحاجة الى أماكن العبادة التي تتسع للمصلين، و التوسع العمراني تم تشييد العديد من المساجد خصوصا في الاحياء الشرقية من المدينة، كما أن المبادرات المجتمعية التي تقوم بها بعض الجمعيات لتمويل بناء المساجد و صيانها، و ذلك من خلال جمع التبرعات و المساهمات المالية.

3- الزوايا

تعتبر الزوايا هي أماكن مرتبطة بالطرق الصـــوفية، حيث يجتمع المريدون للذكر والتعبد، وتلعب الزوايا مراكز للتربية الروحية، حيث يتم تعليم مبادئ التصوف والزهد. كما كانت الزوايا تاريخياً مراكز للعلم، حيث يتم تدريس العلوم الدينية والأدبية.

على المستوى المحلي عرف المجتمع الصحراوي مجموعتين بشريتين متصدرتين للهرم الاجتماعي لتليها باقي المكونات الإثنية (الحراطين، العبيد، لمعلمين). فإذا كان عرب بنو حسان عرفوا بحمل السلاح، فإن الزوايا هم مجموعة القبائل المهتمة بالشأن الاقتصادي والتعليمي والديني. فهم "حملة العلم والدين في هذه البلاد قاطبة قديما وحديثا، لا ينازعهم ذلك طائفة من طوائفها ولا تقاربهم."[198] وقد ذكر بابا ولد الشيخ سيديا أنهم "سموا بالزوايا لملازمتهم للزوايا جمع زاوية وهي أيضا موضع

[197] سلم حميمنات، السياسة الدينية في المغرب، تدبير المساجد نموذجا، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال، الرباط 2003-2007 ص 28

[198]- الخليل النحوي، **بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني، من خلال الجامعات البدوية (المحاضر)**، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1987، ص: 34-35.

للعبادة".[199] فأمام ممارسة هذه الوظيفة على المستوى المحلي كان من المفروض أن تقوم قبائل الزوايا بهذا الدور في امتداده الإفريقي.[200]

حري بالذكر أنه يصعب على الدارس تحديد مكان كل طريقة صوفية ورسم الخريطة الصوفية للصحراء، بالنظر لاعتبارات كثيرة أبرزها صعوبة تحديد الهوية الصوفية للزوايا، وهو أمر يرتبط

بعامل أخر يتمثل في ضعف الإنتاج الصوفي للزوايا والمتصوفة بالصحراء، حيث اقتصر نشاط هذه الزوايا في الغالب على فترات معينة.

جدول رقم 9 خاص بالزوايا بإقليم العيون:

[199]- نفسه، ص:228.
[200]-كريمي ماجدة، مجلة العلماء الأفارقة، م.س، ص 55

ISSN 2569-734X

الاسم	أصل أو فرع	طبيعتها (تبريكية- تعريفية)	الطريقة	تتوفر على مسجد	تتوفر على مدرسة	تتوفر على كتاب	تتوفر على المكتبة	طبيعة محتوى	امتدادها
الشيخ محمد الاغظف	فرع	تبريكية	المعينية القادرية	نعم	لا	لا	نعم	فقهية	داخل الوطن
التيجانية	فرع	تبريكية	التيجانية	نعم	لا	لا	نعم	فقهية	داخل وخارج الوطن
القادرية البودشيشية	فرع	تبريكية	القادرية البودشيشية	نعم	لا	لا	نعم	فقهية	داخل وخارج الوطن
الدرقاوية المشيشية الفاضلية	فرع	تبريكية	الدرقاوية	نعم	لا	لا	نعم	فقهية	داخل وخارج الوطن
العلوية الحبيبة الدرقاوية	فرع	تبريكية	الحبيبة الدرقاوية	نعم	لا	نعم	نعم	فقهية	داخل وخارج الوطن
أهل الليلي	فرع	تبريكية	الناصرية	نعم	لا	نعم	نعم	مخطوطات-غيرها	داخل وخارج الوطن
الشرفاء فيلالة العلويين	فرع	تبريكية	التيجانية	نعم	لا	نعم	نعم	فقهية	داخل وخارج الوطن
أهل بارك الله	فرع	تبريكية	الصوفية	نعم	لا	نعم	نعم	فقهية	داخل وخارج الوطن
الشيخ مربيه ربو	فرع	تبريكية	القادرية الفاضيلية	لا	لا	نعم	نعم	فقهية	داخل وخارج الوطن

خاتمة:

تشـــهد المجتمعات الإنســـانية بشـــكل عام موجه من الحركة التغييرية، كما أن المجتمع المدروس عرف مجموعة من التحولات، لعل أهمها الانتقال من الترحال والبداوة الى الاستقرار والتمدن، بالرغم من تسجلنا قلة التناول الأنثروبولوجي لموضـوع المقدس بالصـحراء، الا أننا حولنا في هذه الورقة سـبر أغوار هذه التجربة في إبراز مختلف المؤشـرات التحليلية للنسق الثقافي للتدين، و كيف يتداخل المقدس مع الحياة اليومية، ويشكل الهوية الثقافية، التي تظل عنصراً أساسياً في تشكيل الهوية الجماعية. هذه الدراسة العلمية للمساجد والزوايا والأضرحة والمقابر تسلط الضوء على كيفية تشكيل المقدس للفضاءات الدينية والاجتماعية، وكيفية تفاعل الأفراد مع هذه الفضاءات في سياقات ثقافية مختلفة إن دراسة المقدسات في إقليم العيون من خلال عدسة أنثروبولوجية يمكن أن تكشف عن تفاصيل غنية حول كيفية تشكيل الدين والثقافة للحياة اليومية للناس. هذه الدراســة لا تُعزز فهمنا للثقافة المحلية فحســب، بل يمكن أن تســاهم أيضًــا في الحفاظ على التراث الثقافي والديني للمنطقة.

المصادروالمراجع:

- الخليل النحوي، **بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني، من خلال الجامعات البدوية (المحاضر)**، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1987
- الظهير الشريف رقم 1.16.38 لـ 17 جمادى الأولى 1437(26 فبراير 2016)
- بامي جمال، دراسة حول حالة مقابر المسلمين بالمغرب ومقترحات عملية من أجل إصلاحها، المجلس الوطني لحقوق الانسان 2012
- بن علي لونيس، النقد والمقدس، مجلة مؤمنون بلا حدود، المقدس والتاريخ عدد ديسمبر 2016
- جيل كيلاني، "أنثروبولوجيا الإسلام: الطقوس والرمزية"، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٨
- دليل المندوب في مجال الشؤون الإسلامية
- سلم حميمنات، السياسة الدينية في المغرب، تدبير المساجد نموذجا، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال، الرباط 2007-2003
- منديب عبد الغني، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفريقيا الشرق 2010 ط 2
- منديب عبد الغني، المسجد في المغرب: تاريخية الوظائف وتجليات السلطة"، دار أفريقيا الشرق، ٢٠٢٠
- كريمي ماجدة، مجلة العلماء الأفارقة، م.س

المراجع الأجنبية:

- Mernissi, F. (1994). The Forgotten Queens of Islam. University of Minnesota Press
- Robert, H. (2021). The Architecture of Sufism: Zawiyas and the Politics of Memory. Cambridge University Press .

التقييم النوعي للتعرية المائية بغابة واد الدالية

رشيدة نافع، الزهرة زيكة
Nrachida2005@yahoo.fr
Zikka.zohra@gmail.com

ملخص:

تعتبر غابة واد الدالية مجالا غنيا ومختبرا طبيعيا يتعرض لتدخلات مختلفة، جعلته يعرف خلال السنوات الأخيرة تطورا ملحوظا على مستوى تراجع الموارد الطبيعية نتيجة تضافر عوامل طبيعية، وأخرى ناتجة عن التدخلات البشرية.

لتقييم وتشخيص هذه الوضعية بغية الخروج بتركيب عام، يعتمد كأساس في تهيئة هذه الغابة، اعتمدنا على تطبيق منهجيات وأدوات متعددة ميدانية، مخبرية وكرطوغرافية، أفرزت أن هناك تداخل ما بين العوامل طبيعية والبشرية في تدهور الحالة البيئية للغطاء النباتي بغابة واد الدالية لكن تبقى العوامل البشرية هي الأكثر العوامل مساهمة في هذا التدهور.

أفرز تطبيق منهجية PAP/CAR من أجل التقييم النوعي للتعرية المائية، أننا أمام مجال يعرف هشاشة كبيرة بمختلف أنواع الأتربة، تتركز بوسط الغابة بسبب تفاعل مجموعة من العناصر. حيث أن أكثر من 30 % من مساحة الغابة تعرف حساسة قوية جدا للتعرية مقابل هذه الحساسية المهمة لا يشغل نطاق التغطية النباتية سوى نسبة ضعيفة من حيث المساحة.

الكلمات المفتاح: غابة واد الدالية، التقييم البيئي، الموارد الطبيعية، منهجية PAP/CAR، القياسات الميدانية والدراسات المخبرية.

Abstract:

The Oued Dalia forest is considered a rich area and a natural laboratory exposed to various interventions, which have caused it to witness, in recent years, a remarkable evolution in the level of decline of natural resources following a combination of natural factors. and others resulting from human intervention.

To evaluate and diagnose this situation in order to develop a general composition based on the preparation of this forest, we relied on the application of multiple field, laboratory and cartographic methodologies and tools, which revealed that there is a overlap between natural and human phenomena. Factors responsible for the deterioration of the environmental state of vegetation in the Oued Dalia forest, but human factors remain the most contributing factors to this deterioration.

The application of the PAP/CAR methodology for the qualitative assessment of water erosion revealed that we are facing an area known for the great fragility of various types of soil, concentrated in the middle of the forest due to the interaction of a group of elements. Since more than 30% of the forest area is very sensitive to erosion, in contrast to this significant sensitivity, the area covered by vegetation occupies only a small percentage in terms of surface area.

Keywords: Oued Dalia Forest, environmental assessment, natural resources, PAP/CAR methodology, field measurements and laboratory studies.

1. تقديم

تخضع الأوساط الطبيعية في المغرب من جراء النمو الديموغرافي والتوسع الحضري والاستغلال العشوائي للموارد إلى ضغط كبير، ساهم في تقوية آليات تدهورها إضافة إلى تقلبات الظروف المناخية التي زادت من هشاشتها. فرصيد المغرب من التربة (تكوينات موروثة) غير قابلة للتجديد ومعرضة للتعرية والاندثار، خاصة تلك التي تغطي السفوح المنحدرة، ثم تراجع الغطاء النباتي (غابات، تكوينات سهوبية...) بفعل الاستغلال العشوائي وكثافة الرعي. رغم هذا التنوع البيولوجي النباتي والحيواني للأوساط الطبيعية، فإن الغابة المغربية تتميز بالهشاشة والضعف، هذا ما يجعل مساحتها تتقلص باستمرار مع مرور الزمن وبالأخص منذ بداية القرن 19 إلى اليوم.

يعزى ذلك إلى تأثير وتضافر مجموعة من العوامل أهمها الضغوط الطبيعية (الأمراض، الطفيليات، الحرائق، انجراف التربة، و توالي السنوات الجافة...) والبشرية (الاجتثاث، الرعي الجائر، الاحتطاب...)، نتيجة لكل ذلك تراجعت مساحات الغابة، بحيث لم تعد حاليا تزيد عن تسعة ملايين هكتار وبالتالي فهي لا تمثل سوى 8 % من مساحة البلاد، بحوالي 4700 صنف نباتي **(المندوبية السامية للمياه والغابات 2019).**

يتكون الملك الغابوي المغربي أساسا من البلوط الأخضر الذي يغطي المساحة الأهم في المغرب، أي مليون و360 ألف هكتار، والأركان (حوالي 870 ألف هكتار)، وأرز الأطلس (حوالي 132 ألف هكتار)، وصنوبر المغرب (حوالي 4000 هكتار)، والعرعار الفواح (30 ألف هكتار) **(المندوبية السامية للمياه و الغابات 2019).**

تعتبر غابة واد الدالية من الملك الغابوي المغربي، تقع في ضفاف نهر واد دالية الذي يتفرع من واد النفيفيخ، تستوطن هذه الغابة عالية الحوض النهري لنفيفيخ في تقسيم إداري يقع بين إقليم بنسليمان وإقليم السطات و إقليم خريبكة .

تتميز هذه الغابة بقيمة بيئية وإحيائية عالية فقد جاءت تشكيلاتها النباتية لتزخرف سفوحا شديدة الوعورة يصل علوها إلى 830 متر، فهي جد متجزئة بسبب كثافة الشبكة المائية، في بيئة تتميز أصلا بالهشاشة الطبيعة.

يتمثل غطائها النباتي بالأساس من العرعار وأكاليبتوس والحاشية الشجيرية التي ترافقهما من زيتون بري وماطورال، هذا إلى جانب جزء مشجر أساسا بالصنوبر الحلبي والصفصاف الذي يحتل ضفاف سليل مجرى واد الدالية وشجر وزالة والرمان و تيزغة ونبات الخرواع الذي ينمو وسط الواد. هذا طبعا مع وجود اختلافين واضحين في السفوح الظليلة، حيث تكون نسبة التغطية النباتية عموما مرتفعة، مقابل السفوح الشميسة حيث تضعف الكثافة. ترافق هذه الحاشية نباتات عشبية قصيرة متنوعة.

شكل رقم (1): موقع غابة واد الدالية ضمن التحديد الدولي والوطني

المصدر: معطيات نموذج الارتفاعات الرقمية MNT 30m والتقسيمات الادارية

2. الإشكالية

تشكل الغابات المغربية أهمية بالغة داخل دينامية الأوساط الطبيعية باعتبارها مجالات ذات حساسية قصوى، معرضة لمختلف التأثيرات، نظرا للمكونات الطبيعية المتداخلة فيما بينها (المياه، التربة، الغطاءالنباتي...) وقد شكلت لنا هذه المناطق منذ القديم محطات للاستقرار البشري الذي ساهم بدوره في خلق دينامية داخل هذه المجالات . لكنها تعرف اليوم تراجعا ملحوظا يتمثل في تدهور مواردها الطبيعية (فقدان الأتربة، تدهور الكمي والنوعي للغطاء النباتي، نقص في الموارد المائية)... ليس فقط نتيجة لعوامل طبيعية مثل الجفاف الحاد أو الرطوبة العنيفة، ولكن بسبب مختلف التدخلات البشرية.

تعتبر غابة واد الدالية واحدة من بين هذه المجالات الحيوية، تندرج ضمن عالية الحوض النهري لواد النفيفيخ الذي يدخل ضمن الأحواض النهرية الأطلنتية الصغرى، التي تتميز بمناخها الشبه الجاف. هذا المجال الغابوي يتميز بهشاشة كبيرة للوسط الطبيعي وحساسية قوية للتعرية نتيجة تضافر عوامل طبيعية تتجلى في عدوانية التساقطات المطرية وعدم انتظامها وتركزها خلال أيام معدودة من الفصل الرطب خلال السنة، بالإضافة إلى التنوع الصخاري حيث تتركز صخور القاعدة القديمة الغير النافذة والمشكلة أساسا من الحث والكوارتزيت.

تستوطن غابة واد الدالية عالية الحوض في تقسيم إداري يقع بين إقليم بنسليمان، سطات وإقليم خريبكة. كما أنها تتوفر على مجموعة من الأصناف النباتية والشجرية نجد من بينها الزيتون البري والعرعار وأوكاليبتوس واللنج وشجر وزالة والرمان وتيزغة ونبات الخرواع الذي ينمو وسط النهر.

وفي إطار التقييم البيئي لغابة الدالية نجد من الظواهر الطبيعة البيئية في المنطقة ظاهرة التعرية المائية و تراجع الغطاء النباتي و جفاف الشبكة المائية ، التي تهدد التوازنات البيئية وما ينتج عنها من تأثيرات على السطح، فعلى المستوى العالمي حسب المنظمة للتغذية والزراعة فإن 12 مليون هكتار من الأراضي الغابوية و الزراعية مهددة بالتعرية و تتطلب إجراءات حمائية **(علي فالح 2010)**.

كما يأتي استعراض أوجه الخلل في المناطق الغابوية يتعلق بتدخل البشري والتدهور الطبيعي للتربة والغطاء النباتي خلال الاستغلال السيئ والتدخلات الغير معقلنة ونظرا لهذا الترابط القوي والمتناسق بين عناصر المنظومة البيئية والغابوية فإن التعرية بكل أنواعها وتدهور الأصناف النباتية ينتجون لنا خلل حقيقي في النظام الغابوي .

نجد أن الإنسان له دور كبير في تسريع تدهور وتيرة الأوساط الغابوية بشكل مضاعف حيث تشهد المناطق الريفية بهذه الغابات نموا سكانيا قويا، مما دفع السكان الريفيين على تغيير أسلوب حياتهم واعتماد نظام إنتاج فلاحي غير مستدام، وتغيير ممارسات الزراعة بالإضافة إلى تعرض المنظومة الغابوية للتدهور المفرط وتحويلها إلى مجالات زراعية داخل تربات هيكلية متدهورة، الأمر الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى جريان سطحي ونشاط عمليات التعرية .

ومن خلال هذه الوضعية يمكن التساؤل عن ماهية العوامل المسؤولة عن تدهور أو استقرار الموارد الطبيعية خاصة الغابوية والترابية بغابة لواد الدالية؟ وما مدى تحكمها في دينامية المجالات الغابوية بشكل منفرد أو متداخل؟ وكيف يمكن تقييم هذه المجالات على المستوى البيئي؟ ماهي أهم الإجراءات المتخذة من أجل للحفاظ على الموارد الغابوية بغابة واد الدالية ؟

3. المنهجية وأدوات الدراسة

تم القيام بمجموعة من العمليات القياس الميدانية والمخبرية، التي من شأنها أن تضيف لموضوع البحث نتائج جديدة وغنية، من أجل استغلال هذه العناصر، في فهم الوضعية البيئية لغابة واد الدالية. كما تم الاعتماد على منهجية PAPCAR أحد أهم المناهج المعتمدة في دراسة وتقييم التعرية المائية بالإضافة إلى العديد من المناهج الأخرى كالمعادلة العالمية لفقدان التربة.

اتبنت هذه الدراسة على استعمال نظم المعلومات الجغرافية، والاستشعار عن بعد، من خلال التحليل والتأويل والاستفسار الخرائطي، اعتمادا على مجموعة من البرامج ARCGIS 10.2 و ERDAS IMAGINE 9.2، SAS PLANET لاستخلاص خرائط تحليلية وذلك بتجميع المعطيات الطبوغرافية والجيولوجية والترابية وخرائط استعمال التربة وأشكال التعرية ... بواسطة Raster Image لتخصيص قاعدة معطيات لكل خريطة من الخرائط السابقة، وإنجاز خرائط موضوعاتية بتأويل قواعد البيانات لخريطة الانحدار وقابلية الصخور للتعرية والتغطية النباتية واستعمالات التربة ... من خلال استعمال أنظمة الاستشعار عن بعد انطلاقا من الصور الفضائية.

4. نتائج ومناقشة

1.4. تربات غنية ساهمت في تثبيت الساكنة إلا أنها أصبحت ذات حساسية قوية إزاء التعرية المائية

ساهم التطور المرفولوجي لغابة الدالية، وكذا مكوناتها الصخارية والعوامل المناخية في تكوين أتربة متنوعة، تعرف توزيعا مجاليا متفاوتا، من حيث خصائصها وكذا من حيث المساحة التي يشغلها كل نوع، وقد تم إبراز هذا التفاوت بالاعتماد على القراءة البيبليوغرافية، والملاحظات الميدانية والعمل الكارطوغرافي، وتم التمييز بين الأنواع التالية:

تربة الحمري : هي تربات ناتجة عن الغسل والتأكسد، تتميز بلونها الأحمر وباحتوائها على الطين والرمل مما يجعل نفاذيتها مرتفعة، بالإضافة إلى توفرها على نسبة كبيرة من معدن الحديد المتأكسد مما يعطيها صبغة حمراء، تتواجد على سفوح واد الدالية بنسبة كبيرة جدا بحيث تتفوق على باقي التربات، بحيث تصل مساحتها 63.33 كلم² بنسبة تشكل 25.83 %.

تربة متحدسلة: هي تربة غنية بأكاسيد الحديد، معادنها الطينية من نوع الكاولينيت والأليت وأحيانا سمكتيت (هشام الدياجي، 2017). وهي مواجدة بغابة واد الدالية بحوالي 58.45 كلم² بنسبة 23%.

تربة الترس: توجد فوق أساس كلسي ذات تركيب صلصالي تكونت في ظروف مناخية تسودها الرطوبة، وهي تربة سوداء أو رمادية ناتجة عن تفسخ الصخور القاعدية، ترتبط بالطين والبازلت والدوليريتي الترياسي من جهة وبالحث الكلسي من جهة ثانية. بنيتها سميكة مما يجعلها ذات قدرة كبيرة على اختزان الماء وبالتالي فهي ملائمة للمزروعات ذات الدورة الإنباتية الطويلة (المختار الأكحل، 2004)، وتمتد هذه التربة على مساحة 4.80 كلم² و نسبتها تصل 1.94%.

التربة ضعيفة التطور: هي تربة تتشابه موادها ولا يمكن التمييز فيما بين المسكات الترابية داخلها، موادها الأساسية مكونة من الكلس ونسبة ضعيفة من الأملاح (حنان بكري2013-2015)، يعرف هذا النوع بضعف المادة العضوية وضعف تفسخ القسم المعدني. 56.6 كلم² و بنسبة تصل إلى 22.69 %.

تربة مهة: هي تربات تعرضت لغسل شديد، ثم نقلت بواسطة المياه (هشام الدياجي،2017)، وتشغر مساحة ضعيفة من الحوض تصل إلى 59,63 كلم²، بنسبة لا تتجاوز 7,56 % من المساحة الكلية للحوض، وتنتشر في أجزاء متفرقة من الغابة في العالية و السافلة .

التربة السيديبالية: ذات أصل غابوي (هشام الدياجي،2017)، تتميز بمحتواها الهام من الذبال كما أنها تحتوي على كمية من الحديد الكافية لإعطائها لونا أحمر، تمثل 48.29 كلم². بنسبة تصل إلى 19.50 %.

التربة الكلسمغنيزية: هي تربة نتجت عن تفسح الصخر الأم الكلسية، تتميز بحضور هام لكاربونات الكالسيوم في شكلها النشيط، لها قدرة مهمة على خزن المياه، يعود ذلك إلى تصاعد أهمية القسم الطيني داخل القطاع وإلى أهمية سمك القطاع، وكذلك الدور الذي يؤديه حضور المادة العضوية المتطورة في خلق المركبات الطين-دبالية التي تحسن البنية. ويأخذ هذا النوع من التربة مساحة لا تتجاوز 0.27 كلم² بنسبة لا تتعدى 0.11% .

بناءا على ما سبق نستنتج أن غابة واد الدالية تتميز بتنوع الأتربة تبعا للظروف الطبوغرافية ومناخية الشبه الجاف وركائزها الصخارية التي تطورت فوقها أتربة متنوعة من حيث خصائصها الفيزيائية والكيميائية ومهما اختلفت هذه الأتربة من حيث نسيجها وبنيتها فإنها أصبحت متشابهة إزاء التدهور الذي لحقها من جراء الاستغلال المكثف.

شكل رقم (2): توزيع أنواع الأتربة بغابة واد الدالية

المصدر: اعتمادا على خريطة التربة للمغرب بمقياس 1/ 2000000 والمنطقة الوسطى بمقياس1/500000

2.4. حساسية التعرية حسب منهجية PAPCAR بغابة واد الدالية

1.2.4. خريطة حساسية التعرية حسب منهجية PAP/CAR بغابة واد الدالية

تم انتاج خريطة حساسية التعرية عن طريق دمج كل من خريطتي الفئات الانحدارية والتكوينات السطحية وذلك باستعمال تقنيات نظم المعلومات الجغرافية SIG، في هذه المرحلة يتم التركيز على توزيع الفئات الانحدارية، ومقاومة

وتماسك مختلف التكوينات السطحية، لإنتاج نطاقات للحساسية، تم تصنيفها تبعا للتصنيف المقدم ضمن توجيهات PAP/CAR الذي يتم بشكل تراتبي من المناطق الأكثر حساسية إلى المناطق الأقل حساسية.

بعد معالجة وتحليل قاعدة بيانات حساسية التعرية تم استخلاص مجموعة من المعلومات الخاصة بفهم نشاط التعرية بغابة واد الدالية ، فمن خلال الشكل رقم 3، التي تمثل توزيع فئات حساسية التعرية، يتبين أن حساسية التعرية بغابة واد الدالية قوية في جل مناطق الغابة إلا أن في سافلة الغابة نجد أنها تعرف حساسية شديدة جدا وذلك راجع لعامل الصخارة، الأتربة الضعيفة، الانحدار والتغطية النباتية .

شكل رقم (3) حساسية التعرية المحتملة بغابة واد الدالية حسب منهجيةPAP/CAR

المصدر: خريطة توزيع الفئات الانحدارية + خريطة توزيع التكوينات

2.2.4. خريطة درجة التغطية النباتية بغابة واد الدالية حسب تصنيف منهجية PAP/CAR

تلعب درجة التغطية النباتية دورا مهما في حماية التربة ضد عوامل التعرية، بحيث نجد أن للغطاء النباتي يلعب دورا مهما في تشكيل واستقرار السطح وخلق التوازن بالتربة والمساهمة في تخزين والمحافظة على الموارد المائية، خاصة الأصناف النباتية المتنوعة في هذه الغابة . يقوم هذا الغطاء النباتي بتوفير الحماية للسطح ضد عوامل التعرية بشتى أشكالها،حيث يمنع الاصطدام المباشر لقطرات المطر كما أن المنظومة الجدورية تعمل على تثبيث التربة ومنعها من الضياع.

يتضح من خلال هذه الخريطة أن درجة التغطية النباتية تصل في عالية الغابة وفي سافلتها تمثل أكتر من 75 % وتتميز بتواجد شجيرات طبيعية متعددة الأصناف كالعرعار البري، الزيتون البري، ... وأصناف أخرى من النباتات، إضافة لأشجار تدخل الإنسان في إنباتها كالأوكاليبتوس. تبدأ درجة التغطية النباتية في الانخفاض بين العالية والسافلة الحوض الذي تستوطنه الغابة وعندما نصل إلى وسط الغابة تصبح هذه التغطية منخفضة جدا والسطوح شبة عارية بحيث تصل إلى 25 % وهذا الانخفاض الشديد في التغطية النباتية في جل مناطق الغابة مرجعه لعوامل، منها لعوامل طبيعية وبشرية ومتنوعة.

شكل رقم (4): درجة التغطية النباتية بغابة واد الدالية حسب منهجية PAP/CAR

المصدر: صور SAS.Planet و Google Erth والملاحظات الميدانية

3.2.4. خريطة درجة حماية التربة بغابة واد الدالية حسب منهجية PAP/CAR

تم الحصول على هذه الخريطة من خلال من دمج خريطة استعمال التربة وخريطة درجة التغطية النباتية، وذلك من خلال انتاج منظومة لوغارتمية تمكن من جمع النطاقات ذات القيم المتناسبة من أجل الخروج بخريطة درجة حماية التربة من خطر التعرية المائية.

الهدف من هذه الخريطة في إطار التقييم البيئي للغابة هو تحديد المناطق الهشة أو المناطق المستقرة التي تتمتع بحماية كبيرة من عوامل التعرية المائية، كما تساعد على تحديد المناطق التي تتطلب تدخل سريع من أجل المحافظة على التربة في السفوح وإعادة التشجير بهدف تثبيت التربة.

يتبين من خلال ملاحظتنا للشكل رقم 5 يتضح لنا أن غالبية الغابة تعرف درجة حماية متباينة تنقسم إلى ثلاث مجالات:

عالية الغابة: نجد أنها ذات حماية مرتفعة جدا وذلك بسبب ارتفاع درجة التغطية النباتية.

وسط الغابة: يتوفر على تغطية ضعيفة جدا خصوصا أنه ضعيف التغطية الشجرية مما يجعله عرضة للتدهور طيلة السنة.

سافلة الغابة: في هذا المجال نجد هناك مزيج بين حماية ضعيفة عل الضفة اليمنى لمجرى واد الدالية وحماية مرتفعة بالضفة اليسرى .

هذا التباين في توزيع حماية التربة داخل غابة واد الدالية سيعطينا اختلاف على مستوى توزيع نشاط التعرية المائية، فالمناطق ذات الحماية الضعيفة والضعيفة جدا ستعرف دينامية مهمة للتعرية عكس المناطق ذات الحماية المهم .

شكل رقم (5): توزيع درجة حماية التربة بغابة واد الدالية حسب منهجيةPAP/CAR

المصدر: خريطة استعمال التربة + خريطة د رجة التغطية

4.2.4. اعداد خريطة التعرية المحتملة بغابة واد الدالية

تعد خريطة التعرية المحتملة بمثابة تركيب لمجموعة من العناصر الطبيعية للغابة التي أشتغل عليها، انطلاقا من دمج خريطتي "خريطة حساسية التعرية " و"خريطة درجة حماية التربة".

يتبين من انطلاقا من الشكل رقم 6 أن غالبية غابة واد الدالية تعرف تعرية محتملة متباينة تنقسم إلى ثلاث فئات أساسية:

- ✓ فئة التعرية القوية والقوية جدا : التي تهم المجال الشبه العاري من الغطاء النباتي، ينتشر هذا النوع من التعرية بشكل كبير في سافلة ووسط الغابة كما نجده على شكل نطاقات صغيرة في عاليتها، حيث الطبغرافية الوعرة وانعدام الغطاء النباتي.

- ✓ فئة التعرية المتوسطة: حيث يوجد المطورال المنفتح والمجالات الفلاحية، يتواجد هذا النوع من التعرية بشكل مهم في بوسط الغابة عند الهوامش حيت الانحدارات أقل من 12 درجة. كما توافق هذه الفئة من الناحية البنيوية مجموعة من التكوينات الهشة.
- ✓ فئة التعرية الضعيف والتعرية الضعيفة جدا: وهذه الفئة تتواجد في جزء من عالية ووسط وسافلة الغابة، خاصة بالمجالات التي توجد بها غطاء نباتي كثيف.

شكل رقم (6): توزيع التعرية المحتملة بغابة واد الدالية

المصدر: خريطة حساسية التعرية المحتملة + خريطة درجة حماية التربة

3.4. التدابير المتخذة للتخفيف من حدة الدينامية البيئية وطرق المحافظة والتكيف معها

لقد أكدت مختلف الأبحاث والدراسات التي أجريت، سواء على الصعيد العالمي، أو على الصعيد الوطني، أهمية وضرورة اتخاذ تدابير استعجالية واستيباقية، للتخفيف من حدة الدينامية المناخية. وفي إطار تنفيذ توصيات اللجنة الدولية لدراسة التغيرات المناخية، وعلى اعتبار أنه من بين الموقعين على اتفاقية باريس 2015، قام المغرب بوضع مخطط وطني عام من أجل التكيف مع أوضاع المناخ الجديد الحالي والمستقبلي وتمثل ذلك في" **المخطط الوطني لمكافحة الاحترار**

المناخي PNRC وهو عبارة عن وثيقة عامة وضع بتنسيق كتابة الدولة المكلفة بالبيئة. ويتضمن مختلف الإجراءات القطاعية في مختلف الميادين للتكيف مع التغيرات المناخية.

1.3.4. حماية التنوع البيولوجي والموارد الطبيعية بغابة واد الدالية

تم توظيف أدوات خاصة لحماية التراث النباتي والحيواني مع الحرص على إعادة:

- ✓ إدخال الأنواع الحيوانية المهددة بالانقراض في موطنها الطبيعي ومحاربة كل صيد غير مشروع.
- ✓ اعتبار الأعشاب الطبية والعطرية كموروث طبيعي يجب حمايته خلق بنك جينات وطنية للبذور من أجل حماية تراث الوسط الطبيعي.
- ✓ حماية التربة ودعم التشجير المستدام: تمت التوصية بإلحاح على محاربة جميع أشكال تلوث التربة وتعريتها و ترشيد وتقنين استعمال الأسمدة الكيماوية والمبيدات وذلك بغية محاربة آثارها السلبية على التربة والموارد المائية وصحة السكان تشجيع وتوسيع قطاع التشجير الصناعي للمياه والغابات و تنويع في الأحياء البيولوجية.

أما الإجراءات المصاحبة فتتمل في:

- ✓ إدماج التربية البيئية وحماية الوسط البيئي في البرامج التعليمية.
- ✓ تأهيل العنصر البشري لضمان التدبير الأمثل للبيئة و الغابات الوطنية .
- ✓ تطوير البحث العلمي وتثمين النتائج و تشجيع البحث الأكاديمي .
- ✓ معالجة ونشر المعلومات حول الاوساط الطبيعية و الغابوية على الخصوص

2.3.4. منهجية ومقاربة التدبير ضمن "برنامج العمل المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر 2016/2012.

وفق التوجه المسجل خلال السنوات الخمس الاخيرة فإن غابة واد الدالية قد استفادت من هذا البرنامج حيت مولت المندوبية السامية للمياه والغابات هذا المشروع في إطار تنفيذ برنامج العمل 2016/2012 لحماية الملك الغابوي وذلك عن طريق :

تأمين الوعاء العقاري وحماية الملك الغابوي لواد الدالية.

التشجير وإعادة التأهيل و تخليف الغابة بشجر الاكاليبتوس لحماية سفوحها من التعرية .

تحسين علاقات القطاع بمحيطه .

نلاحظ أن المندوبية السامية للمياه تضع مجموعة من المخططات والمشاريع لحماية الغابات لأن الغابة نظام بيئي شديد الصلة بحياة الإنسان، فلا أحد يجادل بأن لزوال الغابة واندثارها انعكاسات خطيرة على حياة الإنسان، فلهذه للغابة عدة فوائد نذكر منها:

- ✓ اعتبارها من المصانع الطبيعية الضخمة، التي تقوم بواسطة عملية البناء الضوئي بتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كيماوية، عن طريق امتصاص ثاني أكسيد الكاربون وطرح الأكسجين، ولا أحد يجهل أهميته البالغة بالنسبة للإنسان والحيوان على حد سواء.
- ✓ للغابة تأثير خاص على المناخ، للغابات مناخ خاص بها، فهي أكثر اعتدالا من الناحية الحرارية وأكثر رطوبة، وأشد انتظاما من المناطق الخالية من الغابات، كما تقوم الغابة بالتخفيف من حدة الرياح وسرعتها وبرفع قيمة رطوبة الجو بشكل محسوس. تؤثر الغابات على تكوين التربة والمحافظة على خصوصياتها لأن الأشجار تحمي التربة من الانجراف .
- ✓ تخفف الغابة من السيلان السطحي لمياه الأمطار إلى حد كبير، وهي بهذه الخاصية تتصدى للسيول والفيضانات وتؤمن انتظام تدفق مياه الينابيع والأنهار، وتسهل عملية تسرب المياه داخل التربة وبالتالي تغذية المياه الجوفية، إنها تقوم بأدوار هامة في دورة المياه.

صوررقم (1): توضح تدخل المياه و الغابات في غابة واد الدالية من أجل تخليفها وحمايتها

المصدر : العمل الميداني بعدسة الطالبة الباحثة الزهرة زيكة بتاريخ 2018/9/12

ملخص برنامج العمل لفترة 2016/2012

إن إنجاز برنامج العمل المفصل يتطلب غلافا ماليا إجماليا يقدر بنحو 5.7 مليار درهم كميزانية الاستثمار في الغابات المغربية و كانت لواد الدالية حصة فيها في فترة ممتدة بين 2016/2012 و يتوزع هذا الغلاف حسب محاور التدخل على الشكل التالي :

جدول رقم (1): محاور التدخل لبرنامج العمل لفترة 2016/2012

محاور التدخل	الغلاف المالي الاجمالي (مليون درهم)
التأمين العقاري وحماية الغابات	1.629
إعادة تأهيل للنظم الغابوية	3.902
تأهيل علاقة القطاع بمحيطه	159
دعم الحكامة	7
المجموع	5.697

المصدر: تقرير المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر حول برنامج

5. خاتمة

من خلال دراسة كل العناصر الوسط الطبيعي لغابة واد الدالية، نستنتج أننا أمام وسط يتمتع بكل ظروف نشاط وتطور التعرية المائية بمختلف أشكالها، حيث يعرف تجزؤا كبيرا مع هيمنة للانحدارات القوية والقوية جدا، و غطاء نباتي جد متدهور بالإضافة إلى أن الغابة تعرف انتشارا كبيرا للصخور الغير النافدة والضعيفة النفادية .

أفرز تطبيق منهجية PAP/CAR من أجل التقييم النوعي التعرية المائية، أننا أمام مجال يعرف هشاشة كبيرة تتركز في بوسط الغابة بسبب تفاعل مجموعة من العناصر. حيث أن أكثر من 30 % من مساحة الغابة تعرف حساسة قوية جدا للتعرية مقابل هذه الحساسية المهمة لا يشمل نطاق التغطية النباتية سوى نسبة ضعيفة من حيث المساحة.

هذه الوضعية خلفت مجالا يعرف احتمال تعرية قوية إلى قوية جدا تمتد على أكثر من 50 %من مساحة الغابة وتتطابق هذه المجالات بشكل كبير مع نطاق انتشار أشكال التعرية المركزة والمجالات التي تعرف استقرارا سكانيا مهما، وتركز أغلب الأراضي الفلاحية.

6. المراجع

- ✓ **رابحة صالح 2007:** المشهد الجيومرفلوجي و التطور الرباعي بهضاب الشاوية العليا و هوامشها، دكتوراه الدولة في الجغرافيا تخصص جغرافيا طبيعية كلية الآداب و العلوم الإنسانية بنمسيك الدار البيضاء .
- ✓ **الزردي عبد الغاني 2017:** التراث الغابوي الحضري بين المحددات الطبيعية والتدخلات البشرية (المحيط الغابوي لإقليم المحمدية)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية .
- ✓ **عبد القادر النايري 2018:** التقييم النوعي والكمي للتعرية المائية بحوض النفيفيخ دراسة كرطوغرافية قياسية، رسالة نيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية.
- ✓ **نافع رشيدة. وطفة عبد الرحيم 2002:** التعرية المائية و أثرها في تدهور التربات : تحليل و مناهج قياس، مجلة بحوث كلية الآداب و العلوم الإنسانية المحمدية، العدد العاشر.
- ✓ **Beaudet. G. (1222):** Le plateau central Marocain est ses bordures Etude géomorphologie, thèse Imprimeries Françaises et Marocaine Rabat.

- ✓ **H*NAFAA.R, 2002* :** Dynamique du Milieu Naturel de la Mamora Paleonvirenement Et Evolution Actuelle de La Surface.
- ✓ **PAP/CAR (1998)** : Directives pour la cartographie et la mesure des processus d'érosion hydrique dans les zones côtièresméditerranéennes. PAP-8/PP/GL.1. Split, Centre d'activités régionales pour le Programme d'actions prioritaires (PAM/PNUE), en collaboration avec la FAO. pp xii+72.

لائحة المصادر الادارية

- ✓ المندوبية السامية للمياه والغابات ومكافحة التصحر بن سليمان .
- ✓ المديرية الجهوية للمياه والغابات ومكافحة التصحر لجهة الدارالبيضاء
- ✓ مركز الحراسة الغابوية بإقليم بنسليمان .

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

زواج القاصر في الوسط القروي المغربي: إرادة المجتمع وإكراه القانون

"إقليم الرحامنة نموذجا"

Child Marriage in Rural Morocco: Societal Will and Legal Constraints 'El-Rhamna Region as a Case Study'

***فاطمة الزهراء الخلوقي، **هدى قصطال، ابراهيم حمداوي**

*طالبة باحثة مختبر إعداد المجال والتنمية الترابية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة
fatimaezzahrakhalouki@gmail.com

**طالبة باحثة مختبر الجيومرفولوجية البيئة والمجتمع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية h.qostal@gmail.com جامعة القاضي عياض -مراكش

**أستاذ باحث مختبر إعداد المجال والتنمية الترابي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة brahim.hamdaoui@uit.ac.ma

ملخص: أردنا من خلال هذا المقال، أن نشير إلى ظاهرة اجتماعية قديمة لا تزال وقائعها ترافق الأسر والمجتمعات إلى يومنا الراهن رغم المجهودات التي تقوم بها الدولة والمتمثلة أساسا في نشر الوعي بين مكونات المجتمع بأضرار ومشاكل زواج القاصر وخاصة في المجالات القروية. وذلك بالتشجيع على التمدرس والقيام بالحملات التحسيسية للقضاء على الصور النمطية للتمييز بين الجنسين، وفرض القوانين للحد منها. زواج له من الأسباب الاقتصادية والمجالية والثقافية والاجتماعية ما يفسره كالهشاشة والفقر والبطالة والموروث الثقافي(العنوسة بالأساس) المهيمنين بشكل كبير على المجال القروي خاصة في المناطق الهشة مثل ما هو الحال بإقليم الرحامنة مجال هذه الدراسة. بل إن لهذا النوع من الزواج من النتائج والتداعيات ما يقلق المجتمع والدولة، وهو ما يشكل مجال ضغط مستمر على الفاعلين والحقوقيين للحد من هذه الظاهرة المتجدرة والمستمرة في الزمان.

Through this article, we aimed to highlight an old social phenomenon that continues to affect families and communities to this day, despite the efforts made by the state. These efforts mainly focus on raising awareness among members of society about the harms and issues of child marriage, especially in rural areas. This is done by promoting education, conducting awareness campaigns to eliminate gender-based stereotypes, and enforcing laws to limit the practice.

Child marriage is driven by various economic, geographical, cultural, and social factors, such as poverty, unemployment, and deep-rooted cultural traditions (particularly the fear of spinsterhood). These factors are especially prevalent in vulnerable rural areas, such as the Rahamna region, which is the focus of this study. Moreover, this type of marriage has serious consequences and repercussions that concern both society and the state. It remains a persistent issue that puts continuous pressure on activists and policymakers to curb this deeply rooted and ongoing phenomenon.

الكلمات المفاتيح: زواج .القاصر. الموروث الثقافي. القانون

تقديم:

يعتبر موضوع زواج القاصرات من المواضيع التي شغلت بال العديد من الدول والحقوقيين، كما اهتمت بها العديد من العلوم، فقد تطرقوا الى مواضيع المرأة ومن تمة موضوع زواجها سيما الزواج الذي يتم في سن مبكرة و تداعياته على صحة الفرد والأسرة والمجتمع. على غرار عدد من العلوم اهتم علم الاجتماع وخاصة علم اجتماع المرأة بدراسة المرأة وواقعها المعاش والمشكلات التي تتخبط فيها والمهام الجديدة المنوطة بها والتي أباتت تمارسها والمكانة التي أصبحت تحتلها مقارنة بالرجل، ولم تستثن الفتاة القاصر من الدراسات السوسيولوجية[201]، وذلك بالنظر إلى انتقالها لعالم المتزوجات، واغتصاب حقوقها وحرمانها من الاستمتاع بطفولتها، وفي المقابل تحميلها مسؤولية بيت الزوجية في سن مبكرة في غياب الاستعداد النفسي والجسدي الكافيين لأداء أدوارها كزوجة، وهو ما ينجمع عنه في العديد من الحالات نتائج سلبية عليها وعلى أسرتها وعلى المجتمع. بناء عليه نريد من خلال هاته الدراسة الميدانية إعادة تسليط الضوء على هذا النوع من الدراسة التي أثارت اهتمام عدد من الباحثين والمؤسسات الوطنية والدولية، وذلك بسبب استمرار تواجد هاته الظاهرة في مختلف مناطق المغرب وخاصة القروية منها مثلما هو عليه الحال في أرياف إقليم الرحامنة رغم صدور القوانين التي تمنعها. من هذا المنطلق نتساءل عن أسباب استمرارها ولماذا عجزت الدولة عن وضع حد نهائي لها؟

1 زواج القاصرات من منظور المجتمع المغربي والقانون

إن الكلام عن ظاهرة الزواج[202] يقودنا بشكل مباشر إلى الحديث عن مؤسسة الأسرة. وعليه يجمع كافة العلماء والباحثين في هذا الشأن على أن الأسرة[203] هي أقدم المؤسسات الإنسانية وأكثرها شيوعا. وقد اعتبرها الدستور المغربي في

---

201 - عفاف أحمد الحيمي , الزواج المبكر و اثاره الاجتماعية , مجلة حوليات العفيف , العدد الخامس , مؤسسة العفيف الثقافية تعز 2005

202 - الزواج : نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار و الامتثال للمعايير الاجتماعية. فهو وسيلة التي يعتمد إليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية وتحديد مسؤولية صور التزاوج الجنسي بين البالغين. فالزواج إذا نظام عام حتى لو كان المجتمع يبيح في كثير من الأحيان علاقات جنسية خارج نطاقه, كما ان الزواج هو النظام الاوفر جزاء فيما يخص معظم الرجال و النساء في الجانب الأكبر من حياتهم . ولقد تم تعريف الزواج في الكتاب الأول في المادة الرابعة من مدونة الأسرة 2004 بأنه " ميثاق تراض و ترابط شرعي بين رجل و امرأة على وجه الدوام, وغايته الإحصان و العفاف و إنشاء أسرة مستقرة , برعاية الزوجين "

203 - الأسرة: تعد الأسرة مفهوما شائكا يصعب وضع تعريف محدد له لأن الأسرة عرفت تطورا كبيرا في شكلها ومكوناتها وكذا وظائفها لكن يمكن الإحاطة من خلال التطرق لمجموعة من التعاريف من بينها تعريف "لتالكوت بارسونز" الذي يرى أن الأسرة هي البناء الذي يربط خبرات وأدوار الفرد بالأجزاء الأخرى للنظام الاجتماعي فعلى سبيل المثال: يرتبط دور الأب كعائل للأسرة بالاقتصاد. تعريف "أوغست كونت "ذهب الى أن الأسرة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع وهي النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور ويمكن مقارنتها في طبيعتها وجوهر وجودها بالخلية الحية في التركيب البيولوجي للكائن الحي وهي الأسرة: هي أول وسط طبيعي واجتماعي نشأ فيه الفرد وتلقى عنه المكونات الأولى لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعي. أما تعريف "بيرجس" ولوك اللذان اعتبرا في كتابهما " الأسرة 1953" أن الأسرة هي جماعة من الأفراد يربطهم الزواج والدم والنسب ويؤلفون بيتا واحدا ويتفاعلون سويا، ولكل دوره المحدد كزوج أو زوجة وأم وأب وأخ وأخت مكونين ثقافة مشتركة. ويذهب "نيمكون" إلى تعريف الأسرة على أنها رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما أو دون أطفال أو من زوج بمفرده مع أطفاله أو زوجة بمفردها مع أطفالها. من خلال هاته التعاريف يتضح، أن مصطلح الأسرة يضم معاني كثيرة ولا يوجد اتفاق بين علماء الاجتماع حول تعريف واحد وموحد للأسرة بل اختلفوا كذلك حول المتغير الذي يميز أسرة عن أخرى, وعما إذا كان هناك تعريف واحد يمكن تطبيقه في كل العصور والمجتمعات . ويمكن القول بأن "الأسرة" مهي ؤسسة اجتماعية قائمة بذاتها، وهي أساسية لبناء كل مجتمع وتكوين أفراده واكتساب أعضائه ثقافة موحدة تتسم بالاستمرارية والدوام.

الفصل 32 منه على أنها الخلية الأساسية للمجتمع، ويذهب الكثير إلى اعتبارها المسؤول المباشر في الحفاظ على الجنس البشري والإبقاء عليه. كما أنها تعد عماد المجتمع وتماسكه، ففيها يحفظ النوع الاجتماعي وفيها ينشأ ويتربى النسل الاجتماعي... وعندما تختل أحد أسس هذه المؤسسة فإن الأسرة تتصدع أو تنهار وبالتالي يختل تماسك المجتمع بأسره، لذلك انتبه المشرع المغربي مؤخرا إلى النتائج السلبية لظاهرة زواج القاصر خاصة على المؤسسات الاجتماعية ومن بينها مؤسسة الأسرة وذلك بهدف الحد من المشاكل الاجتماعية للمجتمع المغربي المرتبطة بهاته الظاهرة.

ارتباطا بذلك يعتبر الزواج ظاهرة اجتماعية، كما يعد من الميكانزمات التي تساهم في الحفاظ على مؤسسة الأسرة في مفهومها التقليدي، وقد عرفت هاته الظاهرة على امتداد التاريخ البشري تحولات عميقة ومختلفة حسب المجتمعات والدول.

يعتبر زواج القاصر[204] إحدى أوجه الزواج القائم في مختلف المجتمعات، وهو من الظواهر الاجتماعية العمومية التي تعم المجتمع بأسره والموجودة خارج الأفراد[205] بسبب العوامل التي تحكم حدوثه.

للتذكير، فظاهرة الزواج رافقت نشأة الانسان، وارتبطت به ارتباطا وثيقا، وتطورت بتطوره كما أخضعها لقيم من صنعه ومعتقده، فصارت مظهرا من مظاهر ثقافته، وتحكمها عاداته وتقاليده، ومؤطرة بالقوانين المنظمة لحياته ومكان تواجده. قد تبدو ظاهرة الزواج محايدة في الوهلة الأولى، ولكنها ظاهرة تتداخل مع مكونات وميكانزمات مجتمعية أخرى، وهو ما يجعل إمكانية نشوء ظواهر مجتمعية أخرى ممكنة و تتخذ أبعادا مختلفة، كظاهرة العنف ضد النساء، وظاهرة الطلاق، وظاهرة الانتحار، وظاهرة الدعارة، وظاهرة التسول، وظاهرة الاتجار بالبشر[206]... للإشارة فظاهرة الزواج وسيما زواج القاصر عرفت تغييرا كبيرا منذ أن سن المشرع المغربي قانون الأسرة سنة 1957 والذي سمي فيما بعد بمدونة الأحوال الشخصية، وهذه الأخيرة أدخلت عليها مجموعة من التعديلات منذ ذلك الحين إلى وقتنا الراهن وذلك تماشيا مع واقع المجتمع ومتطلباته؛ كتعديلات سنة 1961 و1965 و1974 و1981 و1993. لم يكن السن بالنسبة لزواج القاصر أمرا مهما، بل كان بإمكان الطفل الذي أكمل الخامسة عشرة من عمره ، بعد أن يأذن له القاضي به إذا تبث له أهليته و قابليته البدنية بعد موافقة وليه الشرعي بشرط إعطاء الإذن بتحقق البلوغ الشرعي و القابلية البدنية [207]. أما قانون مدونة الأسرة؛ فلقاضي الأسرة أن يأذن للفتى والفتاة دون سن الأهلية بمقرر معلل يبين فيه المصلحة والأسباب المبررة لذلك. وأعطى المشرع المغربي للقاضي حق الفصل في الزواج من عدمه، إذ لا يمنع القاضي من البث في موضوع زواج القاصر حتى في وجود

---

[204] - القاصر حسب القانون: هو الشخص الذي لم يبلغ بعد سن الرشد. والقاصرة مؤنث القاصر والقاصر: اسم فاعل, عند الفقهاء هو الذي لم يبلغ درجة الرجال.
أما زواج القاصر فهو الزواج المبكر وزواج الأطفال وزواج القاصر وهي توصيفات تحمل نفس المعنى بما أن الطفل هو كل شخص دون سن الثامنة أي سن الرشد المحددة في 18 سنة شمسية، وقد عرفت المندوبية السامية للتخطيط زواج الأطفال او زواج القاصرين بأنه اقتران شخصين يكون أحدهما على الأقل دون الثامنة عشرة سنة .

[205] -إميل دوركايم: قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ترجمة محمود قاسم ومحمود بدوي, دار المعرفة الجامعية، 1977، ص 53

[206] - الاتجار بالبشر في المادة 4 من اتفاقية مجلس أوربا تعني؛ تجنيد أشخاص أو نقلهم أو إيوائهم أو استقبالهم بواسطة التهديد باستعمال القوة أو استخدامها أو غير ذلك من أشكال الإكراه أو الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع أو إساءة استعمال السلطة أو استغلال موقف ضعف شخص ما أو إعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا مدفوعات واستحقاقات للحصول على موافقة شخص له وصاية على شخص آخر لغرض الاستغلال.

[207] - مدونة الأحوال الشخصية المادة 8

عدم موافقة أبواي القاصر على زواج ابنتهما. في مقابل ذلك، اعتبرت الأمم المتحدة أن زواج القاصر بمثابة انتهاك لحقوق الانسان كما اعتبرته انتهاكا لحقوق الطفل.

رجوعا إلى القانون والدستور المغربيين، انخرط المغرب بكيفية تدريجية على درب الديمقراطية وبناء دولة الحق والقانون ومسايرة التطورات العالمية قصد الاستجابة لمختلف تطلعات المواطنين والمواطنات الآنية في وقتها أو زمنها، وهذا ما تجسد بشكل كبير في دستور 2011 الذي ركز على مبدأ المساواة بين الجنسين، والاعتراف بحقوق الطفل معتمدا في ذلك على مدونة الأسرة ، وسمو القانون الدولي في صيغة الاتفاقيات المصادق عليها على التشريعات الوطنية.[208] ومن أهم هذه المرتكزات المعتمد عليها قانونيا نذكر:

1.1 مدونة الأسرة

تحتوي مدونة الأسرة[209] على 400 مادة، وصدرت سنة 2004. تضمنت هذه المدونة مجموعة من الأفكار ذات الصلة بالموضوع، ندكر منها: أن المشرع المغربي جعل الولاية حقا للمرأة الرشيدة تمارسه حسب اختيارها ومصلحتها اعتمادا على سور قرآنية تقضي بعدم إجبار المرأة على الزواج بغير من ارتضته بالمعروف [210] بمعنى أن لها حرية اختيار الزواج بمن تريده وترضاه، ويعد الرشد شرطا أساسيا لزواج المرأة ويستشهدون في هذا الصدد بالآية 19 من سورة النساء مثلا. كما أن المادة 19 من مدونة الاسرة تشير أن أهلية الزواج تكتمل بإتمام الفتى والفتاة المتمتعين بقواهما العقلية ثمان عشرة سنة شمسية. وفي المادة 20 من مدونة الأسرة يمكن للقاضي المكلف بالزواج أن يأذن للفتى والفتاة دون سن الأهلية بمقرر معلل يبين فيه المصلحة والأسباب المبررة للزواج بعد الاستماع لأبوي القاصر أو نائبه الشرعي والاستعانة بخبرة طبية أو إجراء بحث اجتماعي ويعتبر قرار الاستجابة لطلب الإذن بزواج القاصر غير قابل للطعن.[211]

2.1 الاتفاقيات الدولية المؤطرة لعملية زواج القاصر

لفهم التطورات القانونية التي عرفها المغرب في مجال الأسرة، لابد من الإشارة أن المغرب هو جزء من المنتظم الدولي، ومن تم انخرط وتبنى معظم القرارات التي تصدر عن هيأة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها في عدد من الميادين كقضايا حقوق الانسان وقضايا الأسرة والمرأة والطفل... وتفعيلا للممارسات على أرض الواقع، أقرت العديد من المؤتمرات الدولية التي انعقدت في شأن المرأة مجموعة من الاتفاقيات والمواثيق والمعاهدات عدة مطالب تنص على ضرورة إيلاء قضايا المرأة اهتماما كبيرا وذلك بدراسة أوضاعها والمشاكل التي تعاني منها، وطالبت دول العالم سواء في البلدان المتقدمة أو في البلدان السائرة في طريق النمو بضرورة الانفتاح على المرجعية الدولية المؤطرة لزواج القاصر واستحضار جهود المنتظم الدولي والعمل بالمقتضيات التي أفرزتها الاتفاقيات الدولية ذات الصلة بالموضوع والتوصيات والتقارير الصادرة

---

[208] - المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي, رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي ما العمل أمام استمرار تزويج الطفلات بالمغرب؟ 2019، ص8

[209] - مدونة الأسرة الصادرة بتاريخ 5 فبراير 2004 وتتكون من أربعمئة مادة تهتم بتنظيم شؤون الأسرة مثل الزواج والطلاق والميراث وحقوق الزوجين وحقوق الأطفال...

[210] - مدونة الأسرة ص 5

[211] - مدونة الأسرة ص 14

عن الهيئات الأممية المختصة [212] في الحد من هذه الظاهرة التي باتت تؤرق أغلب دول المعمور. ومن بين البنود أو المواد الصادرة عن هذه الاتفاقيات نذكر:

3.1 الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

صدر هذا الإعلان عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1948. يتكون من ثلاثين مادة، وصادق المغرب عليه سنة 1958: من ما جاء في الإعلان والمرتبط بموضوع دراستنا نذكر: أولا، للرجل والمرأة متى أدركا سن البلوغ حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدين وهما متساويان في الحقوق خلال قيام الزواج وعند انحلاله. ثانيا لا يعقد الزواج إلا برضا الطرفين المزمع زواجهما رضاء كاملا لا إكراه فيه. استحضارا لهذه المقتضيات، يعد زواج القاصر الذي لم يبلغ سن الرشد القانوني بمثابة زواج قسري، لكون الطفل في هذه الحالة عاجزا عن التعبير عن رأي مبني على دراية وإدراك، وعن الموافقة الواعية، والكاملة، والحرة على هذا الزواج. تعتبر اتفاقية الرضا بالزواج والحد الأدنى للزواج وتسجيل عقود الزواج، الصادرة في 9 دجنبر[213] سنة 1964 من أهم الاتفاقيات الصادرة عن الأمم المتحدة التي تطرقت لموضوع زواج القاصر بشكل مباشر.

4.1 اتفاقية حقوق الطفل

صدرت اتفاقية حقوق الطفل عن الأمم المتحدة[214] سنة 1989 ، وصادق عليها المغرب سنة 1993. تتكون هذه الاتفاقية من 54 مادة، وتشرح من هم الأطفال، وتبين حقوقهم، ومسؤوليات الحكومات تجاههم. بدأت هذه الاتفاقية بتعريف الطفل وأكدت أن الطفل هو أي شخص يقل عمره عن 18 سنة. جميع الحقوق في هذه الاتفاقية مترابطة وهي متساوية في الأهمية ولا يجوز حرمان الأطفال منها. و نصت على عدم التمييز بين الأطفال سواء في مكان عيشهم أو جنسهم... كما نصت هذه الاتفاقية على مراعاة المصلحة الفضلى للطفل، سواء من طرف آبائهم أو من طرف الحكومات، وعلى هذه الأخيرة حماية الأطفال من العنف، والإساءة، والتعرض للإهمال من قبل أي شخص مسؤول عن رعايتهم.[215] كما أوجبت على الدول الأطراف اتخاذ جميع التدابير الفعالة والملائمة بهدف إلغاء الممارسات التقليدية الضارة بصحة الأطفال [216]وحمايتهم من جميع أشكال الاستغلال الجنسي والانتهاك الجنسي[217] . لا شك في أن زواج القاصر وفقا لمنطق هذه الاتفاقية يشكل تجليا من تجليات الممارسات التقليدية التي تنعكس سلبا على صحة الأطفال.

---

[212] - الدراسة التشخيصية حول زواج القاصر ص 5

[213] - عرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 1763 ألف)د-17(المؤرخ في 7 نوفمبر 1964، وقد دخلت حيز التنفيذ في دجنبر 1964، وفقا لأحكام المادة 6.

[214] - ظهير شريف رقم 1.93.363 صادر في 9 رجب 1417 21 نونبر 1996 بنشر الاتفاقية المتعلقة بحقوق الطفل المعتمدة من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة في 20 نونبر 1989, الجريدة الرسمية رقم 4440 الصادرة يوم الخميس 19 دجنبر 1996 الموافق 8 شعبان 1417.

[215] - اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة - نسخة الأطفال -

[216] المرجع السابق - المادة 24 (3) من الاتفاقية.

[217] المرجع السابق - المادة 34 (الفقرة الأولى) من الاتفاقية.

5.1 الميثاق الإفريقي لحقوق ورفاهية الطفل

يعتبر تزويج الأطفال وفق حقوق ورفاهية الطفل من الممارسات الاجتماعية والثقافية الضارة، التي تؤثر على رفاهية وكرامة ونمو الطفل السليم، وأوجب تبعا لذلك على الدول الأطراف العمل على حظر زواج الأطفال، وخطبة الفتيات والأولاد، كما ألزمها باتخاذ الإجراءات الفعالة - بما في ذلك التشريعية - لتحديد الحد الأدنى لسن الزواج ليكون 18 سنة، والقيام بتسجيل كافة الزيجات في سجل رسمي إجباري[218].

6.1 التزامات إعلان مراكش 2020 للقضاء على العنف ضد المرأة

تطرق الإعلان عن التزامات ذات صلة بمكافحة زواج القاصر، وذلك من خلال مقاربة الجانب الإجرائي المرتبط بتدبير مسطرة زواج القاصر على مستوى المحاكم، بالاعتماد على عدة مؤشرات وتحليلها. وتكمن أهميته في كونه جاء للوقوف أو معرفة العوامل الحقيقة التي تحول دون تمكن القضاء من التحكم المطلق في ظاهرة زواج القاصر، من خلال البحث في الجوانب الواقعية المتحكمة في هذا الزواج، لا سيما التمثلات السوسيوثقافية.

7.1 اتفاقية سيداو

تم اعتماد هذه اتفاقية من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك سنة 1979. تتألف هذه الاتفاقية من 30 مادة، وتشير أغلب موادها إلى حقوق المرأة، كما أنها جاءت للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة. صادق عليها المغرب في 21 يونيو 1993. تتضمن المادة 16 في هذه الاتفاقية مجموعة من الحقوق، كما تطرق لمسألة الزواج المبكر ودعت إلى حماية المرأة من الزواج القصري أو في سن مبكرة وسن الزواج. من البنود التي نصت عليها وذات الصلة بموضوع زواج القاصر: أن لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون أي تمييز[219] .

2 - زواج القاصرات في المغرب: أرقام ودلالات

تفيد تقديرات منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف)[220] في عام 2012 أن 41% من مجموع النساء المتزوجات في العالم والمتواجدات في الفئة العمرية المتراوحة ما بين 20 و49 سنة تزوجن قبل سن الثامنة عشر ويبلغ عددهن حوالي 400 مليون امرأة. ونظرا لأهمية العدد والنسبة والمشاكل المترتبة عن زواج القاصر، خصص المجتمع الدولي يوما للتحسيس بأهمية الفتاة، إذ اعتبرت يوم 11 أكتوبر من كل سنة، اليوم العالمي للفتاة قصد الاحتفال بها. وأكدت اليونيسف أن الفقر

---

[218] - انظر المادة 21 من الميثاق (الفقرة الثانية.)

[219]- UN : Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination against Women. Adopted and opened for signature, ratification and accession by General Assembly resolution 34/180 of 18 December 1979 .pp1-10

[220]- UNICEF "Committing to Child Survival: A Promise Renewed, Progress Report" Septembre 2012

وانعدام الأمن يعدان من الأسباب الجذرية لممارسة تزويج الأطفال، والزواج القسري. وعلى الرغم من التراجع العام في نسبة تزويج الطفلات على مدى 30 سنة الماضية حسب نفس المصدر، ما زال تزويج الأطفال شائعا في المناطق الريفية، وفي أوساط المجتمعات المحلية الأشد فقرا.

لم يخرج الوضع المغربي عن الوضع العالمي، ويتبين ذلك بوضوح من خلال معطيات المندوبية السامية للتخطيط ووزارة العدل الخاصة بزواج القاصر. فبمناسبة اليوم العالمي للفتاة عرضت المندوبية السامية للتخطيط ، استنادا على نتائج البحوث لدى الأسر والإحصاء العام للسكان والسكنى، بعض الأرقام والنسب الخاصة ببعض الجوانب حول تمكين الفتيات ووضعيتهن في عدة مجالات. استقينا منها؛ أن نسبة القاصرين الذين تزوجوا قبل سن 18 عاما انخفضت إلى 12,8%، خلال الفترة الممتدة من سنة 2004 إلى سنة 2014، حيث انتقل العدد تواليا من 55.379 شخصا إلى 48.291. ووصلت نسبة الفتيات القاصرات المتزوجات خلال نفس الفترة إلى 94,8% مقابل5.2% للذكور القاصرين. كما أشارت المندوبية السامية للتخطيط أن 32,1% من بين البنات القاصرات المتزوجات نجد أن 32,1% أنجبن على الأقل طفلا واحدا[221]. ووفقا لإحصائيات وزارة العدل المغربية لسنة 2021، فقد وصلت الموافقة على طلبات الحصول على إذن لزواج القاصر إلى 19000 طلبا وفي سنة 2022 إلى 20097 ورفضت منها 6445 طلبا أي تم قبول67.93% من مجموع طالبي الزواج في سن مبكر، وتراجعت هاته النسبة سنة 2023، إلى59.53% أي ما يعادل 8452 طلبا، من ما مجموعه 14197 طلبا مقدما. ورغم التراجع في الأعداد، فإن استمرار زواج القاصر لايزال متفشيا في الأوساط المغربية وله من المبررات والأسباب والتداعيات ما يفسر التنصيص عليه.

رغم قبول عدد من حالات زواج القاصر من طرف المحاكم، إلا أن تداعياته تصبح عالة على مجموعة من الأسر وعلى المجتمع والدولة سيما في حال فشل العلاقات الزوجية التي قد تنتهي بالطلاق حيث ينهار بيت الزوجية وتنهار كل مكوناته، فتترعرع مشاكله، وتتعدد ضحاياه خاصة الأطفال. إن زواج القاصر المقرون بمجموعة من المشاكل، دفع بأصحاب القرار الساهرين على الشأن الأسري المغربي سنة 2023 إلى ضرورة إعادة النظر في هذا النوع من الزواج، ومراجعة حيثياته في مدونة جديدة. وقد كشف السيد وزير العدل أحمد وهبي على مضامينها يوم الثلاثاء 24 دجنبر 2024، وهو ما أثار نقاشات جديدة في الشارع المغربي، وفي مختلف وسائل الاعلام والتواصل وخاصة على وسائل التواصل الاجتماعي بخصوص التعديلات التي أفرزتها، والتي يرى العديد من المؤثرين ورجال الدين أن بعض هاته القوانين المقترحة قد يضر بواقع الأسر، وقد يتحول الزواج من نعمة إلى نقمة، وبالتالي التخوف منه والعزوف عليه، وهو ما قد يزيد من عدد الأمهات العازبات وأبناء الشارع وتفشي الدعارة وغيرها، الشي ء الذي قد ينكس سلبا على المجتمع والدولة.

3 - زواج القاصرات في إقليم الرحامنة: الأسباب والتداعيات

إن إقبال الفتيات على الزواج في هذا السن تفسره عوامل مختلفة في مقدمتها الانقطاع عن التمدرس؛ حيث يشكل الانقطاع عن الدراسة بوابة رئيسية للزواج القاصرات، كما أن 77.8% من القاصرات اللواتي أقدمن على الزواج لم يتجاوز تعليمهن

[221] - مذكرة إخبارية للمندوبية السامية للتخطيط بمناسبة اليوم العالمي للفتاة ليوم 11 كتوبر 2017

المستوى الابتدائي. لم يكن الانقطاع عن التمدرس العامل الوحيد والمباشر بل هناك عوامل أخرى أملتها ظروف متعددة نبين أهمها في الجدول التالي:

جدول رقم:1 أسباب رغبة القاصرات في الزواج

	العدد	%
الحرية	6	16.7
الانقطاع عن الدراسة	8	22.2
الرغبة في الاستقرار و تكوين أسرة	14	38.8
الحب	6	16.7
لا أعرف	2	5.6
المجموع	36	100

المصدر: البحث الميداني 2024

بناء على معطيات البحث الميداني، يتبين أن زواج القاصر يتم أساسا بعد الانقطاع عن الدراسة، وتحكمه مجموعة من الأسباب فقد صرحت 38.8% من القاصرات أن الرغبة في الاستقرار وتكوين أسرة هو السبب الأساسي في الاقبال على الزواج، وأن بيت الآباء لا يشكل سوى مرحلة عبور، وأن بيت الزوجية هو البيت الدائم، وفيه تتحقق الأهداف وخاصة الأهداف الاجتماعية التي تعد هي الأساس بالنسبة لهن. كما أن الانقطاع الدراسة بالنسبة ل 22.2% فسح لهم المجال للتوجه إلى خيار الزواج باعتباره الظاهرة الطبيعية التي ترافق الكائن البشري، ويحلم كل إنسان بإتمام بقية حياته في أحضانها. ومن العوامل الأخرى المفسرة لطلب الزواج الحب، ورغبة الفتيات في تحقيق الحرية التي يضمنها حسب (تصوراتهن) الزواج وذلك بنسبة 16.7% لكل منهما، غير أن إقبال 5.6% على الزواج دون معرفة السبب الرئيسي يشكل خطرا كبيرا على القاصرات حيث قد تظهر بعده بعض المشاكل التي تهدد استقرارهن ومستقبلهن كزوجات أو مطلقات أو أمهات مطلقات. إن الزواج لهاته الفئة من الفتيات القاصرات اللواتي في سن المراهقة يظهر لهن وكأنه المخلص من المعاناة والرقابة الأسرية، بل المفتاح لأبواب السعادة والحب والحرية.

إن تصريح الفتيات القاصرات بهذه العوامل بشكل علني عكس ما كان عليه الوضع سابقا(الحشمة)؛ أفرزته التغيرات المجتمعية في الوسط القروي المرتبطة بالتحولات العامة التي يعرفها المغرب، والتي ساهم فيها بشكل كبير مد الطرق وفك

العزلة عن الأرياف، وإدخال الكهرباء، وأجهزة التلفاز، والانتشار الواسع لأجهزة الهاتف النقال المصحوب بشبكة الأنترنيت... والجدول رقم 2 يظهر بوضوح بعض هاته الجوانب.

الجدول رقم 2: الكيفية أو الوسائل التي استخدمت وتسببت في مو افقة الفتيات القاصرات على الزواج

وسيلة التواصل	العدد	%
العائلة	16	44.4
وسائل التواصل الاجتماعي	6	16.7
الصدفة	4	11.1
الجيران	4	11.1
المعرفة	6	16.7
المجموع	36	100

المصدر: البحث الميداني 2024

إذا كان حصول الزواج عبر جسر العائلة، أو وساطة الجيران يبدو عاديا ومتعارف عليه في الثقافة المغربية، إلا أن الزواج عبر وسائل التواصل الاجتماعي بالنسبة ل 16.7% من الحالات المدروسة بإقليم الرحامنة بات يحمل دلالات كثيرة؛ تظهر من خلالها التحولات العامة في هاته الأرياف، وذلك على غرار ما يقع في باقي مناطق المغرب وفي مختلف أنحاء العالم. فقد بات بإمكان عدد مهم من القرويات بهاته الأرياف حرية اختيار شريك حياتهن وهو واقع اجتماعي جديد، إذ لم يعد اجبار الفتيات على الزواج وسيلة معمول بها؛ فقد صرح آباء جميع الفتيات القاصرات أن بناتهن اخترن الزواج والزوج بإرادتهن ورغبتهن. وهذا ما يعني أن مجموعة من مضامين الموروث الثقافي المرتبط بالزواج من قبيل الحشمة، والحياء، والعيب، والاعتراف بالرغبة في الزواج، والإجهار به أمام الآباء والإخوة الذكور قد تراجعت. إن وقوع زواج 44.5% من الفتيات القاصرات اعتمادا على استعمال وسائل التواصل الاجتماعي أو الصدفة أو التعارف لدليل واضح على تغير ثقافة الزواج

في الوسط القروي المغربي [222] وهو ما يؤشر على تأثير هاته الوسائل في الثقافة المحلية وعلى كل ميادين الحياة. وما يزكي هذا التغير الثقافي أن نفس النسبة من الفتيات صرحن بالقول أن زواجهن تم بعد تعارف مع أزواجهم على مدار زمني لم تقل مدته عن سنة. في ذات السياق فنسبة كبيرة من باقي القاصرات تعرفن على أزواجهن منذ مدة زمنية مهمة، وانتظرن الوصول إلى سن 17 سنة لتقديم طلب الزواج الشرعي للقاضي. ومن العوامل المهمة والمسؤولة عن حدوث زواج القاصرات نجد معتقد التخوف من السقوط في العنوسة الذي سبقت الإشارة إليه كموروث ثقافي. من هنا يظهر إدن، أن زواج الفتيات القاصرات هو بمثابة مشكلة متجذرة في المجتمعات القروية وتحكمه عدة أسباب.

يشكل زواج القاصرات إحدى معضلات المجتمع المغربي خاصة في الوسط القروي وذلك لما يصاحبه من مشاكل و تداعيات وعليه قمنا برصد هذه الظاهرة في عدد من جماعات إقليم ابن جرير (الرحامنة) و ما لاحظناه أن هذه الظاهرة عرفت قفزة نوعية على مستوى السن ففي العقود الأخيرة كان الزواج في سن مبكرة (13أو14أو15أو16سنة) وهو الوضع الذي كان سائدا في أغلب مناطق المغرب وخاصة في المجال القروي إلا أن المشاكل التي كانت تواجه هذا النوع من الزواج؛ كالطلاق، والوفاة عند الولادة[223] ناهيك عن الحرمان من التمدرس الذي يؤدي إلى انتشار الأمية والجهل داخل المجتمع. إن حدوث هذه المشاكل المصاحبة لزواج القاصرات في مختلف أنحاء المغرب هو ما جعل المشرع المغربي يسن قوانين في هذا الإطار، إذ لم يعد يسمح بزواج القاصرات إلا لحالات معينة، على أساس أن لا يقل عمر الراغبة في الزواج عن 18 سنة، وأن لا يقبل طلبات زواج الفتاة القاصر إلا إذا بلغت 17 سنة وذلك للبث في ملفها من قبل القاضي المكلف بزواج القاصرات. كما أبان البحث الميداني أن 63% من أمهات القاصرات المعنيات بزواج بناتهن تزوجن بدورهن في عمر 15 سنة، وأن 11% من هاته الأمهات أصبحن جدات وسنهن لا يتجاوز 34 سنة. لدى فالتقاليد والعادات في بعض المجتمعات، ومنها المغرب ينظر إلى الزواج المبكر كوسيلة للحفاظ على شرف الفتاة وأسرتها.

إن استمرار الموروث الثقافي المرتبط بزواج الفتيات في سن مبكرة تحكمه مجموعة من العوامل نذكر منها: الوسط القروي الذي تغلب عليه هيمنة الأمية والجهل، والأسر الممتدة، ناهيك عن هيمنة الفقر والهشاشة على اقتصاد معظم المناطق القروية... والجدير بالذكر أن معظم هؤلاء الفتيات المتزوجات في سن مبكرة فقيرات، وأقل تعليما مثلما هوعليه الحال في عدد من دول العالم.[224] دون أن ننسى أن زواج القاصر يمكن أن يكون وسيلة لتخفيف العبء المالي عن معظم العائلات.

4- الهدر المدرسي ودوره في زواج القاصر

[222] - ضياء حسن، عكروش العربي: "ثقافة الزواج بالعالم القروي بين الثابت والمتحول. إقليم شيشاوة نموذجا." ميادين وقضايا سوسيولوجية راهنة، تنسيق حسن ضياء وإبراهيم الحياني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مركش، المطبعة والوراقة الوطنية، 2022 ، ص ص 169-224 .

[223] علما أن معدل المواليد الموتى ووفيات حديثي الولادة مرتفع بشكل كبير لدى أطفال النساء اللواتي يقل عمرهن عن 20 سنة، إذ بلغ هذا المعدل 105.4 في الألف، مقابل 24.9 في الألف على المستوى الوطني وذلك حسب المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي زواج الطفلات وتأثيراته الضارة على وضعهن الاقتصادي والاجتماعي إحالة رقم 2023/35 ص34

[224] UNFPA .Data, facts and figures from UNFPA. Marrying Too Young: End Child Marriage. UNFPA(2012) : New York.p6

تزامن البحث الميداني الذي قمنا به مع مراجعة الدولة لمدونة الأسرة، بسبب الاختلالات التي تحتويها مجموعة من موادها مثلما هو الحال لزواج القاصر. يرى الفاعلون في عدد من الأطياف سيما الحقوقيون على ضرورة تدخل المشرع المغربي من أجل وضع حد لهاته الظاهرة ووضع قانون مؤطر لموضوع الزواج من شأنه حماية الفتاة لإتمام دراستها وعدم غصب طفولتها والرقي بالمرأة بشكل يمكنها من تجاوز معيقات التنمية البشرية والاجتماعية. إن حماية الفتاة لإتمام دراستها يعد بالنسبة للدولة هدفا استراتيجيا، فم خلاله يتم القضاء على الجهل والأمية المنتشرين في صفوف النساء بشكل كبير، والرفع من مستويات تعلم الأفراد والقضاء على التمايز بين الجنسين، علما منها أن زواج القاصرات تصاحبه مستويات تعلم منخفضة وهذا من شأنه أن يؤثر مستقبلا بشكل سلبي الأسر وتمدرس أبناءها، فقد يتعرضون إلى تعثرات دراسية ويعيدون إنتاج واقع آباءهم؛ حيث يصبح الهروب من المدرسة واختيار الزواج من قبل الفتيات القاصرات هو الملاذ الآمن من منظورهن. ارتباطا بموضوعنا، وقفنا في هذا البحث من خلال الفتيات اللواتي شملهم موضوع زواج القاصرات على مجموعة من الأسباب المرتبطة بالهدر المدرسي، والتي جعلت مجموعة من الفتيات في الجماعات القروية بإقليم ابن جرير تخترن الزواج في سن مبكرة، وهو زواج تنعكس نتائجه وتداعياته الاجتماعية والقانونية بشكل متباين على المستقبل العام للمعنين وأسرهم والمجتمع وذلك بغض النظر عن ما ستحمله المدونة المنتظرة أو المرتقبة من تغيرات أو إصلاحات في شأن زواج القاصر خلال المستقبل، علما منا أن هذا النوع من الزواج سيستمر تحت مظلة أسباب مجتمعية عديدة سيما في الوسط القروي.

الجدول رقم 3: أسباب الهدر المدرسي بأرياف إقليم الرحامنة

	الروض		ابتدائي		إعدادي		ثانوي		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
بعد المدرسة عن السكن	2	9.1	16	72.7	2	9.1	2	9.1	22	61.1
ضعف الإمكانيات	0	0	2	50.0	2	50.0	0	0	4	11.1
كثرة التكرار	0	0	2	100.0	0	0	0	0	2	5.6
عدم الرغبة في الدراسة	0	0	4	100.0	0	0	0	0	4	11.1
رغبة ولي الأمر في عدم إتمام إبنته الدراسة	0	0	4	100.0	0	0	0	0	4	11.1
المجموع	2	5.5	28	77.7	4	11.1	2	5.5	36	100

المصدر: البحث الميداني 2024

تعاني الجماعات القروية بإقليم الرحامنة على غرار باقي الجماعات القروية بالمغرب بشكل كبير من ظاهرة الهدر المدرسي، وهي ظاهرة تؤثر بشكل كبير على ظواهر مجتمعية أخرى، وعلى الحياة العامة بالأرياف. تعود أسباب الهدر المدرسي إلى عوامل مختلفة. ومن خلال البحث الميداني تبين أن 61.1% من الفتيات يرجعن أسباب الانقطاع عن الدراسة

إلى بعد المؤسسات التعليمية عن سكناهم، ومرد هذا أساسا إلى طبيعة العالم القروي الممتد مجاليا، وضعف الكثافة السكانية، وسيادة الملكية الخاصة للأراضي والتي تفسر تشتت السكن في الوسط القروي وهي عوامل تجعل من تشييد وموضع معظم المدارس من قبل المسؤولين يتم وسط الدواوير أو بالقرب من الطرق. إن وضع المدارس يساهم في تعميم معاناة الأطفال المتمدرسين في كل مستويات التمدرس سيما في المستوى الابتدائي حيث لا يزال التلاميذ صغار السن. في حين 11% من المنقطعات عن الدراسة يرجعنه لأسباب ذاتية مرتبطة بهن؛ وذلك كنتاج لظروف تنشئتهن الاجتماعية المكتسبة ووسطهن المعاش، وللموروث الثقافي والعادات السائدة للساكنة القروية؛ إذ يرى عدد من القرويين أن مكان الفتاة هو بيت الزوجية وأن لا جدوى من تمدرسها سيما وأن مستويات التمدرس محدودة المستويات في الوسط القروي وهذا ما يتماشى مع 11% أرباب الأسر الذين أوقفوا بناتهن عن متابعة التمدرس، وهو واقع تحكمه عوامل مختلفة من منظور الآباء ووضعهن، كالفقر، والخوف على الفتيات، والجهل بأهمية التمدرس، والحاجة إلى مساعدتهن في أشغال البيت والفلاحة...

إن صعوبة مواصلة الدراسة يؤدي في معظم الأحيان إلى الانقطاع عن التمدرس، وبالتالي تصبح الفتيات أمام خيارين إما الزواج في سن مبكرة أو الجلوس في المنزل والقيام بأشغاله، وفي كلتا الحالتين يصبحن ضحية الواقع الصعب. في سياق الاهتمام بالطفل وبمصلحته الفضلى، أولت وزارة العدل مثل باقي القطاعات اهتماما كبيرا بالطفل، لدى وقعت رئاسة النيابة العامة اتفاقية شراكة [225] مع وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي من أجل تفعيل القانون المتعلق بإلزامية التعليم الأساسي للحد من الهدر المدرسي الذي يعد من الأسباب الرئيسية لزواج القاصر.

5 - الموروث الثقافي المغربي وتأثيره على الزواج في سن مبكرة

من خلال البحث الميداني، أكدت 88.8% من الفتيات القاصرات أن أول مرة تقوم أسرهن بتزويج بناتهن في سن مبكرة، في حين 11.1% من الأسر سبق لها وأن زوجت بناتها في سن مبكرة. للإشارة فقد أكد أولياء هذه الأسر أن نتيجة زواج بناتهن كانت جيدة رغم حدوثها في سن مبكرة، وأن حياتهن مع أزواجهم خالية من المشاكل. كما أكدوا أن تقاليد منطقتهم تفرض عليهم تزويج بناتهم في سن مبكرة لدى لا يجب عليهن تجاوز السن المستحب اجتماعيا. إن عدم تزويج الفتيات في سن مبكرة يجعلهن ينعتن " البايرات "[226] وقد تجاوزهن القطار حسب تعبيرهن، لدى يصعب عليهن التزوج بعد تجاوز سن محدد. وأبان البحث الميداني أن 72.2% من الفتيات يعتقدن بأن الفتاة إن لم تتزوج في سن مبكرة تعتبر "بايرة". في حين أن 27.7% من المعنيات بهذا البحث أكدن أن مصطلح "البايرة" ليس مهما، ولا يعد العامل المسؤول عن الزواج في سن مبكرة. من خلال تمثلات الفتيات لسن "البايرة " تبين أن 44.4% من القاصرات يعتبرنه هو سن الذي تجاوز 18 سنة، وأن 27.8% يعتبرنه السن الذي يكون في حدود 24 سنة، وأن 22.2% يرونه في حدود 30 سنة.

[225] - في إطار الجهود المبذولة للحد من الهدر المدرسي والوقاية من زواج القاصرات، وقّعت رئاسة النيابة العامة ووزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي اتفاقية شراكة في فاتح مارس 2021. تهدف هذه الاتفاقية إلى تفعيل القانون المتعلق بإلزامية التعليم الأساسي، وذلك تنفيذا للالتزامات المتضمنة في إعلان مراكش 2020 للقضاء على العنف ضد النساء.

[226] - البايرات ومفرده بايرة: هو حكم مجتمعي قيمي ، ويطلق في الخطاب العامي والمحلي على "المرأة غير المتزوجة التي تجاوزت العمر الاجتماعي للزواج"، حاملا دلالة سلبية ومهينة لكل من تنعت به لأنها تعيّر به.

في ذات السياق، ومن أجل تحقيق هذا الزواج، أبان البحث الميداني، أن 22 من المتقدمات لطلب الزواج سبق لإحدى أقاربهم أن تزوجن تحت سن 18 سنة، وأن زواجهن كان ناجحا ولم تعترضه مشاكل رغم زواجهن في سن مبكرة. إن ما يقارب ربع الأسر المتقدمة لطلب الموافقة على زواج القاصر عشنا وضعيات مماثلة سابقا لدليل واضح على استمرار هذا النوع من الزواج في الوسط القروي، والمحكوم بعوامل ثقافية واجتماعية واقتصادية وطبيعية واضحة، وهو ما يدفع القضاة المعنيين بهذا النوع من الزواج على الموافقة في معظم الأحيان قبل بلوغ السن القانوني.

في المقابل لا يعتبر السن حاجزا بالنسبة للذكور، حيث يرى أغلب الذكور أن الزواج بالنسبة لهم يكون بعد سن الأهلية. لمعرفة الفارق السني بين الزوجين تبين أن أصغر زوج ذكر عمره 23 سنة وأن الأكبر يصل عمره إلى 39 سنة. ويتضح هذا الوضع بشكل أكثر من خلال الفئات العمرية التي ينتمي لها المتزوجون الذكور المعنيون بزواج القاصرات في إقليم الرحامنة، في الجدول رقم 4:

الجدول رقم 4 : أعمار الأزواج الذكور الذين تزوجوا بالقاصرات

الفئات العمرية	العدد	%
26-23	8	22.2
30-27	14	39.0
34-31	8	22.2
38-35	2	5.5
39	4	11.1
المجموع	36	100

المصدر: البحث الميداني 2024

يتبين من الجدول رقم 4 ، أن أعمار الأزواج الذكور يفوق أعمار الزوجات، وهو ما يتماشى والموروث الثقافي العام؛ الذي يقضي بأن أن تكون الزوجة أصغر سنا من الزوج. وأن أصغر الأزواج الذكور يتراوح عمرهم بين 23و26 سنة ويمثلون قرابة ربع الأزواج، بينما أكبر فئة من الأزواج تتواجد في الفئة العمرية الممتدة من 26 إلى 31 سنة؛ ويشكلون قرابة الخمسين، وهو ما يعني ارتفاع سن الزواج عند الذكور على غرار ما يجري في مختلف أرياف المغرب. إن هذا الواقع الجديد بالنسبة لسن زواج الذكور يفسر التحولات الكبرى التي تعرفها منظومة الزواج، والتي يحكمها أساسا العامل الاقتصادي بالنسبة

للذكور؛ ويظهر هذا بوضوح في كون معظم طالبي الزواج من الذكور لا يتوفرون على سكن خاص بهم؛ إذ أن 72.2% من المتزوجات القاصرات صرحن بأن بيت الزوجية سيكون مع أسر الأزواج.

6 - القاضي ودوره في قبول طلبات زواج القاصرات

إن تقديم طلب الزواج من قبل أسر القاصرات للمحكمة المختصة قصد نيل موافقة القاضي المكلف بزواج القاصرات هو في واقع الأمر ممارسة ضرورية وتقوم بها معظم الأسر المعنية بهذا الزواج. فمن خلال المقابلات التي أجريناها في الميدان، ومن خلال معلومات استقيناها من بعض المعنيين، أو أقاربهم، أو جيرانهم؛ فقد صرحوا بأن العلاقات الزواجية بين القاصر وخاطبها تتم في عدد من الحالات بمباركة من أولياء الأمور، ورضى الأقارب، ومباركة المجتمع المحلي، وذلك تحت مسمى أنهما مخطوبين، ومن مظاهر ارتباطهما خروج الخطيبين على انفراد، وطول مدة الخطوبة؛ وذلك في انتظار بلوغ سن قبول طلب الزواج من طرف المحكمة المختصة. حيث يبقى للقاضي السلطة التقديرية حسب الوضع الاجتماعي والاقتصادي والجسماني للزوجين، وذلك إعتمادا على البحث الاجتماعي الذي تقوم به المساعدة الاجتماعية بالمحكمة المختصة، وحسب التقرير الطبي لقبول أو رفض زواج القاصر.

من المعطيات التي يأخذها القاضي بعين الاعتبار دخل الخطيب؛ بمعنى على الخاطب الإدلاء بدخل كاف لضمان قبول طلب الزواج. في هذا السياق فقد صرح الخطاب بمبالغ تفوق الحد الأدنى للأجور المعمول بها بالمغرب (3000 درهم)، وهذا ما نلاحظ عكسه عند ما يريد الزوج طلب الطلاق؛ حيث يتم تخفيض الدخل إلى الحدود الدنيا. إن التصريح بارتفاع الدخل من قبل الخطاب، يراد من خلاله تزكية طلب الموافقة على الزواج، وهذا ما يوضحه الجدول رقم 5.

الجدول رقم 5: دخل الخطاب المقدم للمحكمة لنيل المو افقة على الزواج

مقدار الدخل المصرح به بالدرهم	العدد	%
3000	10	27.8
3200	02	5.6
3500	06	16.7
4000	04	11.1
4200	02	5.5
4300	02	5.5
500	10	27.8
المجموع	36	100

المصدر البحث الميداني 2024

يظهر من خلال الجدول، أن الدخل المصرح به لكل المقبلين على الزواج لا يقل عن 3000 درهما، وهو ما قد يبدو مبالغ فيه أو هو تحايل على القانون، علما أننا في مجالات قروية يهيمن عليها الهشاشة والفقر والبطالة، ناهيك أن بيت الزوجية مثلما أسلفنا سيكون عند قرابة أربعة أخماس مع أسر الأزواج الذكور. إن مقادير الدخل المصرح بها بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وأن التصريح بها من قبل الخطاب يراد من خلاله إقناع القاضي بأنه لهم دخل جيد، وأنهم قادرين على تحمل مسؤولية الزواج الذي تقدموا به من الفتيات القاصرات. على عكس الواقع كما قلنا سابقا من أجل طلب الطلاق، خصوصا أن معظمهم صرحوا بمزاولة مهن حرة لا توفر دخل قار (سائق, حداد, كهربائي, سائق, فلاح...)، ولا يرقى دخل جلهمه إلى اكتساب هذه المبالغ الشهرية في الأوساط القروية لإقليم الرحامنة.

خلاصة :

شكل زواج القاصر محطة اهتمام الكثير من دول العالم، ومن بينها المغرب. رغم المجهودات المبذولة لمكافحة هذا النوع من الزواج بسبب الأضرار والآثار الاجتماعية والنفسية التي يخلفها على الأطفال والأسر والمجتمع والدولة. لازالت ظاهرة زواج القاصر تفرض نفسها على الواقع سيما في الوسط القروي، مثلما هو عليه الحال بأرياف إقليم الرحامنة. إذ لا تتوقف محكمة هذا الإقليم من تلقي طلبات من أجل الموافقة على زواج القاصرات. إن استمرار هذا النوع من الزواج مرده أساسا إلى عوامل مختلفة؛ كالموروث الثقافي بالمنطقة التي تميل إلى تزويج الفتيات في سن مبكرة وذلك حفاضا على سمعة العائلة وتجنب السقوط في سن العنوسة على حد تعبير الأولياء والفتيات المعنيات بهذا الزواج. فظاهرة زواج القاصر مستمرة في الزمان والمكان، وهذا ما عبرت عنه 22.2% من أمهات الفتيات المعنيات في هذا البحث حيث خضعن بدورهن لهذا الزواج قبلهن. كما يعد الهذر المدرسي وهيمنة الفقر والهشاشة على المجال والمجتمع بالرحامنة من العوامل المسؤولة عن استمرار هذا النوع من الزواج. زواج بات يخضع في حدوثه لدى الكثير من المعنيات به إلى وسائل وآليات حديثة كالتعارف عبر وسائل التواصل الاجتماعي وصاحب هذا التحول تراجع إكراه الآباء بناتهن على الزوج الذي يريدونه لهن، فقد عبر الآباء على أن زواج بناتهن هو بمحض إرادتهن. رغم وجود مدونة الأسرة يمكن القول، أن ظاهرة زواج القاصر عجز القانون المغربي عن وضع حد لها، ووجد في تأخير سن الموافقة عليه إلى17 سنة مخرجا لها شريطة استيفاء مجموعة من الشروط لقبول طلبات الزواج من قبل المحاكم المختصة.

المراجع المعتمدة

- الأمم المتحدة : اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة - نسخة الأطفال -1993
- إميل دوركايم: قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم و محمود بدوي, دار المعرفة الجامعية، 1977
- الجريدة الرسمية رقم 4440 الصادرة يوم الخميس 19 دجنبر 1996 الموافق 8 شعبان 1417.
- ظهير شريف رقم 1.93.363 صادر في 9 رجب 1417 21 نونبر 1996 بنشر الاتفاقية المتعلقة بحقوق الطفل المعتمدة من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة في 20 نونبر 1989
- ضياء حسن، عكروش العربي: "ثقافة الزواج بالعالم القروي بين الثابت والمتحول. إقليم شيشاوة نموذجا." ميادين وقضايا سوسيولوجية راهنة، تنسيق حسن ضياء وإبراهيم الحياني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مركش، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، 2022
- عفاف أحمد الحيمي , الزواج المبكر و آثاره الاجتماعية , مجلة حوليات العفيف , العدد الخامس , مؤسسة العفيف الثقافية تعز 2005
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي, رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي ما العمل أمام استمرار تزويج الطفلات بالمغرب؟ 2019
- مدونة الأحوال الشخصية المادة 8. 1957
- مدونة الأسرة الصادرة بتاريخ 5 فبراير 2004
- المندوبية السامية للتخطيط: مذكرة إخبارية للمندوبية السامية للتخطيط بمناسبة اليوم العالمي للفتاة ليوم 11 كتوبر 2017

- وزارة العدل. القضاء الأسري: الواقع والآفاق، عشر سنوات من تطبيق مدونة الأسرة، دراسة تحليلية إحصائية, قسم قضاء الأسرة و القاصرين و فاقدي الأهلية. 2014
- وزارة العدل: الدراسة التشخيصية حول زواج القاصر. رئاسة النيابة العامة .29 نونبر 2021
- وزارة العدل: قانون مكافحة الاتجار بالبشر رقم 27.14 في المادة 4. السنة 2016

-United Nations. against Women. Adopted and opened for signature, ratification and accession by General Assembly resolution 34/180 of 18 December 1979

-United Nations. Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination. Data, facts and figures from UNFPA. Marrying Too Young: End Child Marriage. UNFPA: New York. 2012

-UNICEF "Committing to Child Survival: A Promise Renewed, Progress Report" Septembre 2012

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثلاثون
آدار– مارس 2025
ISSN 2569-734X

النقل والتنقل من المغرب إلى الحجاز خلال القرن 17م: العوائق والوسائل.

Transportation and Mobility from Morocco to Hejaz during the 17th Century: Challenges and Means.

حسن بولخبار*

ملخص البحث

ارتبط تنقل المغاربة إلى الحجاز بأداء فريضة الحج، ونظرا لبعد المسافة الفاصلة بين هاتين الضفتين من العالم الاسلامي، فقد كان خوض غمار هذه التجربة أمرا ليس بالسهل، بل كانت تجربةً محفوفةً بالمخاطر والصعاب، وذلك راجع بالأساس، لعوائق طبيعية مرتبطة بظروف بيئية قاسية في دربٍ تغلب عليه القحولة والجفاف ووعورة المسالك. وينضاف إلى ذلك، عائق آخر مرتبط بالجانب البشري، إذ أن هذا الدرب؛ لا يخلو من بعض الجماعات التي تمتهن قطع الطرق والتلصص على الحجاج.

وأمام تلك التحديات التي كانت تواجه رِكاب الحجيج المغاربة، كان لزامًا عليهم الاعتماد على وسائل تُخفف عنهم مشقة ووعورة الطريق، وتُجنبهم أذى قُطّاعه. ولم تثن المحن والمشاق والمعاطب وبُعد الديار المغربية عن الحجاز، الحجاج المغاربة عن بلوغ مُرامِهم المتمثل في حج بيت الله الحرام وأداء هذا الركن الأساس من أركان الإسلام.

الكلمات المفتاحية: النقل، التنقل، المغرب، الحجاز.

Abstract:
The journey of Moroccans to Hejaz was primarily linked to the fulfillment of the Hajj pilgrimage. Given the considerable distance between these two regions of the Islamic world, undertaking this journey was no simple feat. It was an experience fraught with dangers and hardships, primarily due to natural obstacles such as harsh environmental conditions along a route dominated by aridity, drought, and rugged terrain. In addition to these natural challenges, there were human-related obstacles, as the route was often plagued by groups engaged in banditry and preying on pilgrims.

Faced with these daunting challenges, Moroccan pilgrims had to rely on various means to alleviate the hardships of the journey and protect themselves from the threats posed by highway robbers. Despite the trials, adversities, and the great distance separating Morocco from Hejaz, Moroccan pilgrims remained undeterred in their determination to achieve their goal: reaching the Sacred House of God in Mecca and performing this fundamental pillar of Islam.

Keywords: Transportation, Mobility, Morocco, Hejaz.

* باحث في التاريخ، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الورقة البحثية ستُركِّز على نموذج من الرحلات الحجازية المغربية خلال القرن السابع عشر الميلادي، ويتعلق الأمر بالرحلة العيّاشية لصاحبها أبو سالم العياشي. وقد تم اختيار هذه الرحلة تحديدًا، دون غيرها، لموسوعيتها، ولما تمثل من أهمية كبيرة في هذا النوع من الأدب الرحلي في ذلك العصر. وبالنظر إلى أن اختيارنا لهذه الرحلة يُعدّ أساسًا لدراسة هذا الموضوع، لا بد من الإشارة إلى أننا سنقتصر على تسليط الضوء على بعض القضايا المحورية المتعلقة به، دون محاولة الإحاطة بكل جوانب الموضوع، نظرًا لضيق نطاق هذه الورقة البحثية. بناءً على ذلك، ركزنا على تناول بعض العناصر الجوهرية في موضوع النقل والتنقل، مثل مؤسسة الركب، التي تُعدّ من أهم الأجهزة في تنظيم عمليات النقل، بالإضافة إلى الإبل، التي تمثل العنصر الأساسي في تسهيل الرحلة. كما تناولنا أيضًا بعض الموضوعات الأخرى المرتبطة بتحديات التنقل، مثل الصعوبات الطبيعية والبشرية التي يواجهها الحجاج.

لمحة عن أدب الرحلات الحجازية:

تندرج الرحلة العياشية ضمن صنف أدب الرحلات الحجازية الذي برع فيه المغاربة وألفوا فيه مجلدات كثيرة، تميزت عن نظيراتها المؤلَّفة في أنحاء العالم الإسلامي من حيث الكيف والكم. ولا غرابة في ذلك إذا ما تمعَّنَّا جيدًا في طبيعة تكوين مؤلفي هذه الرحلات، إذ نجد أن أغلب من تعاطى كتابة هذا الصنف من الرحالة المغاربة يتوفر على تكوين علمي رصين يُعَدُّ شاهدًا على النهضة العلمية التي عرفها المغرب في القرون الماضية. فمنهم الوزير، ومنهم شيخ الزاوية، ومنهم العالم، والفقيه، والمتصوف، والأديب. ومن الطبيعي، إذن أن تأتي اللغة التي كُتبت بها نصوص هؤلاء مُشتملةً على عدة مستويات مثل: "**اللغة السردية واللغة الواصفة، والوصف الجغرافي، واللغة الدينية، واللغة الوعظية، ولغة الفتاوى الفقهية، والسرد الشعري واللغة الشعرية، والشعر الديني، واللغة الصوفية، والسرد التاريخي، اللغة التعليمية، واللغة العلمية، ولغة التراجم، ولغة السخرية**"[228].

تتعدد مستويات اللغة الموظفة في أغلب الرحلات وذلك راجع إلى كون : "**الرحلة جنس مهجن تتفاعل فيه الأنظمة اللغوية واللهجية، والصوتية بحوارية النصوص سواء أكانت الحوارية من رحلات سابقة و أنماط خطابية أخرى معارضةً أو اقتباسا أو تضمينا أو تحويلا**"[229].

و فيما يتعلق بمستوى المضامين، فتتداخل أجناس متعددة بين ثنايا النصوص الرحلية، إذ نجد معارف متنوعة يمتزج فيها التاريخ والجغرافيا والأدب والأنثروبولوجيا، مما يجعل من الرحلة جنسًا قادرًا على ضم هذه المضامين المتنوعة في شكل خاص يتميز بالتناسق «**له بداية ونهاية، وزمان ومكان، وشخصية متنقلة في الزمان والمكان، ومتفاعلة مع الحدث وفاعلة فيها**»[230].

---

[228]– الحسن بواجلابن، «المستوى اللغوي في الرحلة الناصرية وأثره في تشكيل المرجعية الثقافية»، مجلة **الدراسات الثقافية واللغوية والفنية** ، المركز الديمقراطي العرابي، العدد 17، المجلد5، 2021، ص. 112.

[229]– عبد الرحيم المودن، **أدبية الرحلة**، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996/، ص. 27.

[230]– أحمد بن عبد القادر القادري، **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**، تحقيق، المصطفى مدوحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، 2020م، ص102.

أمام هذا التنوع والغنى الذي ميز النصوص الرحلية؛ صارت هذه الأخيرة بمنزلة الأم لعلوم إنسانية واجتماعية عدة، و منبعًا ينهل منه المتخصصون في مختلف المجالات تبعا لاهتماماتهم[231].

جهاز الركب الحجي : محور النقل والتنقل في الرحلات الحجازية :

تعتبر مؤسسة الركب المغربي مؤسسة ضاربة في القدم، وتعود أقدم الإشارات عن الركب المغربي إلى أواسط العهد الموحدي، حيث برز هذا الركب بجهود الإمام أبي محمد صالح، الذي تمكن من تنظيم أول ركب مغربي كان منطلقه من حاضرة المحيط أسفي. ولعبت هذه الشخصية دورًا كبيرًا في التأسيس الفعلي ووضع اللبنة الأولى للركب الحاجي المغربي، الذي اقترن اسمه أنداك بالركب الصالحي، نسبةً لمؤسسه[232]. وما لبث الركب المغربي أن اكتسى شهرةً كبيرةً فاقت الآفاق، نظرًا لتنظيمه الرصين، وبنيته العددية الضخمة، والنوعية المتميزة التي تجمع بين فئات اجتماعية متباينة، ولاسيما في العصر المريني حيث ازدهرت في الرحلات الحجازية. وبالتالي، انعكس ذلك على الركب المغربي الذي نال مكانة راقية لدى السلطة السياسية التي اعتنت به أشد الاعتناء، كبًا رسميًا جديدًا ينطلق من عاصمتهم فاس، سُمِّي بالركب الفاسي[233]. ومع توالي الأزمان، برزت ركاب مغربية أخرى على غرار الركب المراكشي والركب السجلماسي... الذي حجَّ فيه رحالتنا العياشي.

الركب السجلماسي بعيون الرحالة العياشي:

اكتسبت سجلماسة شهرة واسعة منذ غابر الأزمان نظرًا لموقعها الاستراتيجي الهام الواقع في ملتقى الطرق التجارية الرابطة بين المغرب والسودان الغربي، ما أهلها لأن تكون محطة مهمة لانطلاق الركب نظرًا لتوفرها على مقومات عدة، على غرار الأسواق التجارية اللازمة لتموين الركب، و نقاط الماء و الكلأ[234] الضروريان للتجهز لسلك المفاوز والفلوات.

بنية الركب السجلماسي :

يُعَدُّ الركب السجلماسي من أهم الركاب المغربية صولةً ومهابةً، وأقدمها تأسيسًا، إذ يشير بعض الباحثين إلى أنه "**الركب الذي وفد معه إلى المغرب جد الأسرة العلوية الحسن بن قاسم الداخل، وأول أمير له حسب المصادر هو ابراهيم العمري الذي تقيد الحياة أواخر العهد المريني. وكان غالبا ما يسلك الطريق الوسط؛ المار عبر فكيك فبسكرة فشط الجريد، ثم صحراء الفزان فطرابلس. ثم يسير محاديا الساحل عبر الجبل الأخضر وبرقة، وقبل أن يصل إلى الإسكندرية، يتنكب ذات اليمين ليقصد بولاق، فيعبر النيل إلى القاهرة. ومنها يستأنف السير إلى السويس، فيعبر صحراء التيه سيناء، ومنها إلى العقبة فالوجه،**

---

[231]– محمد الحاتمي، **الرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي**، منشورات جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط: الطبعة الأولى، 2012م، ص. 21.

[232]– محمد المنوني، **من حديث الركب المغربي**، مطبعة المخزن، تطوان، 1953، ص. 7.

[233]–نفسه، ص. 8.

[234]– عبد الواحد الماروني علوي، «**معطيات حول ركب الحاج السجلماسي من خلال كتب الرحلات الحجازية المغربية**»، مجلة سجلماسة العالمة، العدد الخامس، 2022م، ص.393.

ليدخل إلى بلاد الحجاز، وينتهي إلى مكة المكرمة»[235]. يمدح العياشي الركب السجلماسي الذي حجّ فيه في رسالة إلى تلميذه عثمان بن علي اليوسي قائلا : « **ما أنعم الله به علينا من المشي في ركب قل ما يتيسر مثله قوة وكثرة ونجدة، خال من الأوباش، وكثرة من يغدو في لاش، لا تكاد تسمع فيه صوت مخاصمة ولا منازعة، ولا ترى حينك فيه مراجعة. قد اشتمل على أهل البيوتات من الناس وذوي المروءة وأهل الحفاظ من تجاروفقهاء ورؤساء العشائر** »[236].

وفي موضع آخر من الرحلة، أشاد رحالتنا بالقوة التي تميز بها الركب السجلماسي عن باقي الركاب المغربية، مثل الركب الفاسي والمراكشي والشنقيطي، معتبرًا أن الركب السجلماسي أكثر قوةً منها، وأدق خبرةً بالطريق، على عكس باقي الركاب الذين لا خبرة لهم بالمسالك[237] .

أمير الركب :

يعتبر أمير الركب الحجي من ركائز مؤسسة الركب، ومن المراتب التي لا ينالها إلا من تتميز بسداد الرأي، وحسن التدبير، ونُبل الأخلاق. «**ويتمتع بصلاحيات تجعل منه الآمروالناهي، ويمكنه إنزال العقوبة بكل من أخل بنظام سيرها العام**»[238]. وتنطوي عليه مهام كبرى على غرار قيادة الركب، وحفظ الأمن، وخفارة الطريق، والتوسط بين الحجاج، واختيار المسالك والمنازل الآمنة وما شابه ذلك.

حملت الرحلة العياشية إشارات عدة عن أمير الركب السجلماسي الذي حجَّ فيه رحالتنا العياشي، وهو محمد بن محمد الحفيان، الذي تربطه علاقة ود وصداقة مع العياشي، الذي كان لا يحج إلا معه[239]. وفيه يقول العياشي:« **أميرهو في الحقيقة خادم لرعيته، وساع في مصالح أهل رفقته، فقد جمع الله له ما زانه به من الأخلاق الحسنة حياء وكرما وصبرا وديانة وحلما**»[240]. أورد العياشي شهادات عدة تدل على كفاءة أمير الركب السجلماسي، محمد بم محمد الحفيان، الحريص أشد الحرص على سلامة الحجاج، إذ قام بدوره على أحسن وجه، وكان بمثابة سد مانع يدفع عن الحجاج ظلم متلصصة الاعراب، ويحرص بنفسه على تأمين الركب. ففي منطقة عيون القصب حيث يكثر اللصوص المتربصون بالحجاج، « **طلع...ومعه الرماة حتى جاؤوا على الوادي، بقوا هناك حتى استسقى الناس كلهم وأخذوا حاجتهم من الماء، وروت الإبل فرجعوا بعد العشاء**»[241]. وفي موضع آخر من الرحلة نستشف أن أمير الركب له دور آخر يتمثل في التفاصل

---

[235]– معلمة المغرب، مادة: **ركب الحج المغربي**، 4410/13.

[236]– أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، **الرحلة العياشية**، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي: الطبعة الأولى، 2006م، 160/1.

[237]– أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، **التعريف والايجاز ببعض ما تدعو الضرورة له في طريق الحجاز**، تحقيق، سعيد واحيحي، مشورات، مجلة امل، للتاريخ والثقافة والمجتمع، الطبعة الأولى، 2018م، ص. 69.

[238]– سعاد بلحسن، مرفولوجية ركب الحاج المغربي ووظيفته، ضمن، **ركب الحاج المغربي، والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال سلسلة ندوات ومناظرات رقم 12، 2013م، ص.110.

[239]– العياشي، **الرحلة**، 57/1.

[240]–**نفسه**، نفس الصفحة.

[241]– نفسه،285/1.

بين الحجاج وعرب الدرب المعروفين لدى الحجاج بنقض الوعود، إذ يقول العياشي ناصحا الحجاج بأن "**لا يكتري أحد عند عرب الدرب للفول حتى يأتي شيخهم إلى أمير الركب ويتقاطع معه في الكراء، ويعطون له حملاء هناك بمصر لئلا يغدروا، ومع ذلك ربما غدروا في بعض السنين، فيغلى الفول في بعض البنادر**"[242].

وفي إشارة أخرى، أثنى العياشي على شجاعة أمير ركبهم حينما "**خرج لصوص على بعض الصعاليك ممن تقدم أول الركب فسلبوهم، فبلغ الخبر إلى أمير الركب و اتبعهم وحده حتى استنقذ منهم ما أخذوه**"[243]. وما هذه الإشارة إلا دليل قوي على أن أمير الركب شخص يتمتع بمؤهلات عالية تجمع بين القوة، والإقدام، والحكمة، والتبصر.

نخلص، انطلاقا مما سبق، إلى أن أمير الركب السجلماسي حَظِي بمكانة عالية لدى العياشي وسائر الحجاج، فقد ذكر العياشي أنه قدم بأربع خيول، فأعطى أفضلها لأمير الركب. وما هذا إلا دليل على حب الحجاج لأمير ركبهم، فقد سعوا إلى توقيره ومنحه الهدايا كعربون على المجهودات التي يقوم بها في سبيل تأمين الركب، والحرص على سلامة وراحة حجاج بيت الله الحرام244.

الإبل عماد النقل والتنقل :

تعتبر الإبل بمثابة العنصر الأساسي والبدائي في تنظيم الركب الحاجي، إذ لا يوجد حيوان آخر يستطيع حل مشكلة تنقل الركاب ويسهل تنقلهم بنفس الكفاءة التي يوفرها الجمل. سواء كان الأمر يتعلق بالحمل الثقيل أو المسافات الطويلة، فإن الجمل يتفوق على جميع الحيوانات التي تستخدم كمساعدين له، مثل البغال والحمير والخيول[245].

ومما لاشك فيه، أن الإبل تفردت بخصائص عدة ميزتها عن باقي حيوانات النقل، مثل القدرة على تحمّل "**حرارة الجو، وندرة الماء، وقلة الغذاء، ورمال الصحراء و غبارها**"[246]. بالإضافة إلى ذلك؛ تتمتع الإبل بقدرة استثنائية على التحمل، إذ تستطيع حمل الأوزان الثقيلة التي لا تقدر عليها غيرها من الدواب، وتقطع مسافات شاسعة عبر تضاريس صعبة في وقت أقل من باقي الدواب.[247] كما يمكن لها البقاء لأكثر من أسبوع كامل دون شرب الماء[248]. بل وتستغني عنه بشكل كلي في حالة توفر الكلأ الرطب الذي يغنيها عن الماء الحي. إذ أشار العياشي إلى أن إبلهم لم تشرب الماء الحي طوال المراحل الفاصلة بين طرابلس والعقبة الصغيرة. ويصل

---

[242]– نفسه، 264/1.

[243]– العياشي، **الرحلة**، 129/1.

[244]– نفسه، 74/1.

[245] –*Raimond Thomassy, Le Maroc et ses caravanes, ou Relations de* la France avec cet empire, *Firmin-Didot frères, Paris, 2e édition, 1845.* . p:1 .2.

[246]– أحمادو تال ديالو، **النقل والتنقل بالغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتب الفقه المالكي**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، ص. 88.

[247] –Thomassy,. Le Maroc et ses caravanes. p:2

[248] - Ibidem.

تحملها أحيانا إلى تسعين يومًا بقوله: "**وما أذكر أن إبلنا شربت الماء الحي من قبل دخولها إلى طرابلس حتى وصلنا هنا، وأغرب من هذا أنا عددنا للإبل سنة خمس وستين من يوم دخولنا مصر آيبين إلى أن خرجنا لبرقة وبلغنا الجابية تسعين يوما لم تشرب ماء حتى قرب الصيف ويبس العشب وصار هشيما**"[249] .

جعلت هذه الخصائص الفريدة من الإبل وسيلة نقل تحظى بمكانة خاصة لدى الركاب الحاجية، وظلت بمثابة سفينتهم التي يشقون بها المفاوز المقفرة عبر العصور.

تزخر كتب الرحلات الحجازية بذكر هذا الحيوان، -كما أشرنا سابقا-حيث تعتبر الإبل عماد تنقل الحجاج، ومن الطبيعي إذن أن يكون التوقف عند هذا الحيوان في جل الرحلات الحجازية استنادًا إلى معيار المنفعة[250]. بيد أن حديثنا عن الخصائص التي تتميز بها الإبل لا يعني أنها لا تواجه صعوبة في عبور المفاوز الفلوات؛ بل تعترضها صعوبات ومشقات كثيرة، أفصحت عن بعضها رحلة العياشي. ومن الصعوبات التي تعترض الإبل ما هو مرتبط بطبيعة الطريق، ولاسيما المناطق الرملية، ففي المرحلة الفاصلة ما بين تكورارين ووركلا حيث تقاسي الإبل في عبورها. كما ذكر: "**كان رحيلنا من هذه البلاد صبيحة يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأولى قاصدين إلى واركلا... إلى أن نزلنا عاشر يوم على قرية يقال لها والا، بعدما قطعنا قربها رمالا كثيرة يحار النظر في كثرتها وصعوبتها، وقاسينا منها شدة، ولقيت الإبل أضعاف ما لقينا، وعلمنا عند ذلك حسن مبالغة القائل: اللهم صل على سيدنا محمد عدد الرمال**"[251].

إذا كان الغطاء النباتي يشكل، إلى جانب عنصري الأمن والماء، أحد أهم محددات مسار الركب؛ نظرا لتوفير الكلأ لدواب الحجاج، مما يغنيهم عن شراء العلف واستئجار حامليه، إلاّ أن هذا الغطاء النباتي أحيانا يؤدي إلى إرباك سير الركب بفعل اشتباكه والتفافه، مما يجعل مرور الإنسان والدواب عسيرا. يصف لنا العياشي طبيعة الغطاء النباتي بمنطقة الجبل الأخضر قائلا: " **أكثر شجر الناحية ... العرعر، حتى إنه من شدة اشتباكه والتفافه لا ينفذ الناس فيه إلا في طرق معلومة وشعاب مسلوكة، ومن خالفها توعر وانتشب في الغياض بحيث لا يخلص إلا بمشقة، سيما إن كان ذا دابة**[252] . يتضح من كلام العياشي أن الحجاج ودوابهم، التي يُشكل الإبل عصبها، يواجهون صعوبة في تجاوز الأماكن المشجرة.

تُعد ظاهرة نفور الإبل من الأمور التي تعرقل سير الركب وتعيقه، إذ يذكر العياشي أن إبل الركب وهي في المرحلة ما بين بن قردان والزوارات الغربية، ظهر فيها " **إجفال ونفور، ورفع كل بعير رأسه كأنه قناة تفور، فأكثرت العدو لما استقلت الخبب، ولم يعلم الناس في ذلك ما السبب، فمن قائل إن سبب هذا الأمر المفجع استيحاشها برؤية البحر المفزع، ولم تكن رأته قبل ذلك الأوان، ولا عهدته في سابق الأزمان، فارتاعت لرؤية شيء لم ترع دهرها بمثاله، إذ غالبها من صحراء المغرب الأقصى وجباله، لا تعرف إلا**

---

[249]– العياشي، **الرحلة**،208/1.

[250]– محمد المغيربي، **رحّالة الغرب الإسلامي**، ترجمة عبد النبي ذاكر، منشورات دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2013، ص. 86.

[251]– العياشي، **الرحلة**،107/1.

[252]– العياشي، **الرحلة**، 202/1.

الهضاب والتلول، والمراتع المخصبة و أفنية الطلول. ومن قائل إن الشبع والمرح أحدث بها النشاط والفرح، ورب طرب أدى إلى هرب، وذلك لأنها وجدت الكلأ في تلك الأيام على أغراضها، و استراحت بذلك من تعبها وأمراضها، وكلا القولين أنسب، والأول أقرب»[253]. ومن الأمور الأخرى التي تؤدي إلى نفور الإبل وتصيبها بالذعر سماع بعض الأصوات الغريبة الناتجة عن دوس خِفَافها على النباتات والأشجار. إذ حدثنا العياشي أن إبلهم لما بلغت محلًا «**كثير العشب سيما شجر البرواق ... مشت الإبل فيه لا تسمع إلا طاق طاق، فلحق الإبل من ذلك رعب شديد، ولحق أهلها منها عناء مديد**»[254]. إذ ترمي الإبل «**ما عليها من الأحمال... وتلفت في ذلك البضائع والحمال**»[255]. وللسيطرة على الإبل، لجأ العياشي ومن معه من الحجاج إلى إناخة الإبل وعقلها إلى حين هدوئها[256]. كما يتخذ «**الناس لها أرسانا، يقودونها بها**»[257].إلى أن تشعر بالسكون وتحصل «**لها بعض الدعَة**»[258].

إضافة إلى ما قيل، تشكل تضاريس الدرب الحاجي من صحاري وجبال وأحراش عائقا يؤثر على الإبل ويضعفها، مما يدفع الحجاج إلى التخلص منها واستبدالها بأخرى قادرة على استكمال الدرب. يسوق العياشي في مواضع مختلفة من رحلته إشارات كثيرة إلى لجوء الحجاج إلى التخلص من الإبل الضعيفة التي أنهكتها تضاريس الدرب، بقوله: «**ودخلنا إلى أول عمالة توات، وهي قرى تسابت... وكان وصولنا إليها ضحى يوم الخميس آخر يوم من ربيع الثاني، و أقمنا بما ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا**»[259]. وكذلك ببلاد أوكرت حيث بدل بها جملين، وزاد «**نحوا من عشرين مثقالا**»[260] وفعل الأمر نفسه ببلاد سوف، حيث اشترى منها ثلاثة من الإبل، لظهور الضعف في إبله، و«**الثقل بالزائد في أحمالها**»[261].وفي بلاد تيكرارين بعد توات، أقام الركب يومين، وبدّل « **بها من الأباعر ما ضعف**»[262].

على الرغم من أداء الإبل دورا نفعيا، إلا أن جل ما اطلعنا عليه من الرحلات، ومن بينها رحلة العياشي، لا تصرح بشكل معلن عن المهام التي تؤديها الإبل في الركب. فالعياشي لم ينظر إلى الجانب الطبيعي والجغرافي بنفس الاهتمام والعمق الذي أولاه للمعطيات المتعلقة بالحقل الثقافي والعلمي والأدبي[263]. وهو

253– نفسه، 130/1.

254– نفسه، نفس الصفحة.

255– نفسه، نفس الصفحة.

256– نفسه، 1/ 131.

257– نفسه، 1/ 130-131.

258– نفسه، 1/ 130-131.

259– العياشي، **الرحلة**، 79/1-80.

260– نفسه، 172/1.

261– نفسه، 173/1.

262– نفسه، 81/1.

263– الفقيه الإدريسي، «**ركب الحاج المغربي بين إكراهات المجال وجاذبية المقامات المقدسة من خلال رحلة " ماء الموائد" لأبي سالم العياشي**»، ضمن، ركب الحاج المغربي، والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 12، 2013م، ص.239.

الأمر الذي صرح به في مقدمة رحلته، متحدثًا عن فائدتها بقوله: "**ولم يكن فيها كبير أمر يعتني بكتابة الرحلة لأجله، ويكاد علمه يستوي بجهله، إلا ما يشترك في معرفته عام الحاج وخاصهم من أوصاف المسالك، وتعداد المراحل وأسماء البلدان وما يضاهي ذلك، مما لا تطمح إليه عيون أولي الفضل، وترتاح لذكره همم أهل النبل، من لقاء المشايخ الفضلاء، ومحاضرة الأدباء النبلاء، ومباحثة الأذكياء، وزيارة الأتقياء، إلا أشياء إن انفردت بالذكر قلت، وإن أدرجت مع غيرها ضلت**"[264]. ويقول في موضع آخر: «**وحيث كان القصد من هذه الرحلة جمع الفوائد، لا انتقاء الفرائد**»[265].

فالعياشي إذن، فضل التركيز في رحلته على تدوين لقاءاته مع أهل العلم من العلماء والفقهاء، والحديث عن الأتقياء والشيوخ والأولياء؛ لأن الحديث عن المسالك والمراحل وأحوال البلدان، تعرض لها من سبقه من الرحالة والجغرافيين.

ورغم ما قيل، فإن النبش في رحلة العياشي مكننا من الوقوف عند إشارات عدة حول الإبل ودورها الأساسي في الركب، ومن أهمها: **حمل** الشَّقادِف[266] والمحامل والهوادج[267]. وهذه الخدمة لم تكن متاحة إلا لذوي الجاه والمال من الحجاج، لأنها مكلفة وتحتاج إلى "**بذل الدينار والدرهم للجمّال والعكام والسقاء والطباخ وقائد الإبل وغيرهم**"[268]. وبالمقابل، **توفر لهم الراحة وتنقص عنهم مشقة السير** "**ينامون فيها بالليل على ظهور الإبل ويصبحون بالنهار كأنهم مقيمون، ولا شك أن هذا أولى لهم من السير نهاراً**"[269].

يلجأ الحجاج إلى نحر الإبل عند الحاجة الملحّة للاستفادة من لحومها كمصدر غذاء. وغالبا ما يلجؤون إلى ذلك عند نفاد المؤن، أو ربما تُنحر إذا أصابها كسر أو ضعف، فيكون الحل الوحيد أمام الحجاج نحرها والاستفادة من لحومها. يتجلى هذا الواقع في قول العياشي: "**وفي الغد ارتحلنا منه، وبقي لنا جمل نحره أصحابنا من الحجاج، وتأخرنا بسببه ولم نلحق بالركب إلى سواني ابن كردان**"[270].

من شدة الخبرة التي اكتسبها الحجاج جراء تنقلهم بالإبل؛ أصبحوا خبراء في عالمها، وتحدثوا عن أجودها وأقدرها على تحمل مشقة الدرب الحاجي. فأحسن الإبل، حسب زعمهم، هي التي ترجع من درب الحجاز سالمة. ومن أمثالهم في ذلك: "**لا رجال إلا رجال الحوراء، ولا جمال إلا جمال الدوراء، ويعنون بالدوراء الرجعة، لا يعد صابرا من الجمال إلا**

---

[264]– العياشي، **الرحلة**،1/52-53.

[265]– نفسه، 2/79.

[266]– الشُّقْدُفُ : مَرْكَبٌ أكبرُ من الهَوْدَجِ، يستعمله الحجاج. و«الجمل الذي يركبه الحجاج ينقسم إلى قسمين جمل الشقدف وجمل الحمل، فأما جمل الشقدف فيركبه اثنان؛ لأن الشقدف أو المحمل محقة مهيئة؛ لأن يتمدد فيها شخصان معا معهما كافة حاجتهما اليومية بخلاف جمل الحمل أو العصم الذي كان يحمل رجلاً واحدًا بمتاعه» ينظر : الحسن بن محمد الغسال، **الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية**، تحقيق، محمد علي فهيم بيومي، منشورات، زهرة الشرق، 2008م، هامش رقم4، ص. 85.

[267]– الهوداج: يسمى كذلك القن، وهو «عبار عن أعواد خشبية مصنوعة على شكل مربع أو مقوس تغطى بالقماش، وتركب بداخله النساء أي أنه بشكل غرفة متنقلة تثبت على ظهر البعير وتزال عنه». ينظر: علي محمد الحبراتي، **الإبل**، منشورات، دار الحبرتي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ص. 53.

[268]– أبو سالم العياشي، **الرحلة**، 1/267.

[269]– نفسه، 1/267.

[270]– نفسه، 1/129.

من صبر في حال الرجوع من الحجاز، إذ هو آخر السفر ومحل قلة العلف»[271].كما تحدثوا عن أجود الإبل حتى شاع في أمثالهم كذلك: «**جمل طر ابلسي وقربة مصرية**»[272]. وقد قدم لنا العياشي مقارنة بين إبل مصر و إبل المغرب وإبل الحجاز، إذ تعجب من قدرة الأولى على حمل أضعاف مضاعفة مما تقدر إبل أهل المغرب على حمله، بقوله: «**ومما يتعجب منه ما يحمله الجمالون بمصر على إبلهم، فمن ذلك أنا قطعنا معنا بما كانت تحمله إبلنا تسعة عشر أو عشرون، فحملوا كل ذلك على ثلاثة، وقد سخر الله تعالى الإبل لهم ونزع الرحمة من قلوبهم عليها، يحملون عليها القناطير المقنطرة من الأمتعة وأحمال الحطب والتين وغير ذلك حتى لا يظهر من الجمل إلا رأسه**»[273] .كما تعجب العياشي من براعة جمالة مصر وقدراتهم على ترويض إبلهم على الدخول إلى السفن والإناخة بها وهي زامِلة، في حين أن إبل أهل المغرب «**لا يدخل منها جمل إلى المركب إلا بعد عناء شديد ووثاق وثيق وضرب عنيف وإدارة الرجال بها بعضهم يحملها، وبعضهم يضربها**»[274]. قد أرجع رحالتنا سبب هذا الفارق إلى أن الإبل المصرية قد ألفت ركوب السفن والمراكب، عكس الإبل المغربية[275].أما إبل أهل الحجاز، فقد تحدث عن قدرتها في قطع مسافات طويلة، وإن كانت تتسم بالهزل والضعف. والسبب في ذلك، حسب رحالتنا، راجع إلى أن أربابها «**لا يحملون الإبل من السير إلا ما سمحت به أنفسها عن اختيارها**»[276].

من المؤكد، أن الإبل تفردت بخصائص عدة ميزتها عن باقي حيوانات النقل، مثل قدرتها على تحمّل «**حرارة الجو، وندرة الماء، وقلة الغذاء، ورمال الصحراء و غبارها**»[277]. وهذا ما جعلها تحظى بمكانة خاصة لدى الركاب الحجية، وظلت بمثابة سفينتهم التي يشقون بها المفاوز المقفرة عبر العصور. ولكون رحالتنا رحّالة أَلِفَ درب الحجاز، وخبر خفاياها، وعلى علم بما يصيب الإبل من الضعف في الدرب، أوصى أحد أصحابه قائلا: «**إن كانت نيتك أن تدخل درب الحجاز بإبلك، ولا تكتري لركوبك وزادك ، فاشتر من اطر ابلس إبلا زائدة على ما تحتاج إليه في برقة، و اتركها تمشي عافية إلى مصر، ولا يضرك ذلك، فإن معها سقاءها وحذاءها ترد الماء وترعى الشجر حتى تبلغ مصر، فتبيع التي قدمت عليها وتدخل الحجاز بالأخرى وهي أصح ما كانت وأسمنه، وإن كانت نيتك الكراء من مصر فلا تحتاج إلى الزيادة على المعتادة المحتاج إليه، و إبل طر ابلس أصلب وأصبر و أصح من غيرها**»[278].

كما قدم نصائح في غاية الأهمية تخص الاعتناء بالإبل وتجهيزها ب"**حوايا جيدة، و أقتابا جيدة، وبواصر**»[279] لأن التضاريس الشاقة تلحق الأذى بخفاف الإبل، ويزكي ما قيل، ما أورده رحالتنا في حديثه عن الصعوبة التي واجهتم في تجاوز نوع التضاريس الشاقة يقول:«**وسلكنا في أرض كأنها المحشر ومحل المنشر، إلا أنها ليست بيضاء ولا نقية، بل سوداء شقية، لا تسمع فيها إلا همسا، ولا يسلك الدليل فيها إلا حدسا،**

---

[271]– نفسه، 294/1.
[272]– نفسه، 135/1.
[273]– العياشي، **الرحلة**،، 225/1.
[274]– نفسه، 225/1.
[275]– نفسه، 225/1.
[276]– نفسه، 137/2.
[277]– أحمادو تال ديالو، **النقل والتنقل**، ص. 88.
[278]– العياشي، **التعريف والإيجاز**، صص. 133-114.
[279]– نفسه، ص. 119.

لـم تضـع الإبـل رؤوسـها إلى الأرض، كأنهـا سـائرة ليـوم العـرض، في أرض مزقـت مـن حروشـتها النعـال وآلمـت أخفـاف الإبـل وحـو افر البغـال»[280]. تأكيـد رحالتنـا على تجهيز الإبـل بمـا يعينهـا في شـق التضـاريس الـواعرة، نـاتج عـن يقينـه مـن الأذى الـذي تتعـرض لـه أثنـاء سـلوكها للتضـاريس الـوعرة، ودعـوة إلى اتخـاذ الاحتياطـات اللازمـة لتجنب هذا العائق.

تحديات النقل والتنقل

المخاطروالصعوبات:

تعترض إكراهات وتحديات شتى ركاب الحجيج إلى الديار المقدسة، فقداسة الفعل القائم على أداء أحد أركان الإسلام الأساسية، لا تمنع الأهوال ومخاطر الدرب عن الحاج، فبعض الجماعات التي استوطنت الدرب الحجي والتي تشترك نفس الانتماء العقائدي مع الحجاج ويُفترض أن تكون سندًا ومؤمّنا لركبهم، كانت العائق الأبرز أمام الركاب الحجية. فكما يقول الشاعر طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ** على المرء من وقع الحسام المهندِ[281]

ينضـاف إلى هـذا العـائق، عـائق آخـر لا يقـل خطـورة عـن الأول، ألا وهـو العـائق الطبيعـي، فجغرافيـة المجـال ومناخـه وخصائصـها الطبيعيـة تُعقّـد انسـيابية الركـب وتبطـئ سـيره، ويتعـدى الأمـر ذلـك إلى حصـاد الأرواح أحيانا.

العائق البشري لركب العياشي:

كثيرة هي صور الأذى البشري التي تعرض لها العياشي ورفاقه أثناء رحلتهم إلى الحج؛ وإن اختلفت من حيث نوعها ودرجة خطورتها، فقد كانت جميعها مرتبطة بظلم البشـر وصـدهم لحجاج بيت الله عن بلوغ مقصـدهم آمنين.وفي رحلته، واجه العياشي أشكالًا متعددة من المعاناة وألوانًا من الأذى المرتبط بتعسـف الطغاة على طول الطريق، إذ "**لم يكن بوسـع المسـافر أن يخطو مرحلة دون أن تحدثه نفسـه عن ملاقاة الأخطار من قبل البدو**»[282]، فقد يلحق أذى هؤلاء الحجاج حتى وهم في أقدس البقاع – كما سـنوضـح – وتتخذ التحديات التي تواجه الحجاج عدة أشـكال، ولعل أبرزها :التعرض للاحتيال وخطر اللصـوصـية. وينضـاف إلى ما سـبق ذكره من تحديات، تحديات أخرى يمكن إدراجها ضـمن ما يؤذي الحجاج، لكنها تختلف عن سابقتها لأنها لا تأتي من البشر بل من الطبيعة، مثل تحدي التيه وتحدي الأوبئة والأمراض التي كثيرًا ما يتوجس منها الحجاج نظير ما تلحقه بهم من تهلكة.

ظاهرة خطف الحجاج:

---

[280]– العياشي، **الرحلة**، 112/1.

[281]– البيت منسوب للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ولد عام 86 قبل الهجرة، ويعد من شعراء الطبقة الأولى.

[282]– محمد ماگامان، **الرحلات المغربية (ق.XI – XII هـ / VIII – XXIIم)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 2014، ص.151.

تعتبر ظاهرة الخطف، من الظواهر التي كانت تقض مضاجع الحجاج أثناء رحلتهم، "**فقد كانت المنطقة الساحلية بين قابس وطرابلس تحت رحمة أناس يتقربون ببيع المسلمين للروم فنجد الناس يتحامون لأجل ذلك الانفراد في قراهم**"[283]. وهذا ما أكده **رحّالتنا العياشي** أثناء حديثه عن **قرية تقع بين الزوارات وزواغة**، حيث قال:"**وقد أخبرنا أن بعض الصعاليك في بعض السنين آواهم الليل إليه فباتوا فجاء مركب للنصارى إلى مقابلتهم في البحر ونزلوا لأخذ الماء أو لغير ذلك، فوجدوهم في المسجد، فأسروهم ولم يشعر بهم أحد لبعد المكان عن العمران**"[284].

نقل لنا رحّالة آخر، أن قصر وزْدر بتونس اشتهر «**أهله ببيع من يجتازبه من الحجاج وغيرهم للنصارى، ولم تزل الأركاب تحترز إذا مرّت به خوفا من أهله، وخوفهم على سرقة الرحال، فإذا جاوزوه ولم يفقدوا أحدا منهم هنأ بعضهم بعضا بذلك**»[285]. وفي ذات السياق، أورد رحالة بريطاني، في معرض حديثه عن رحلته من الجزائر باتجاه مكة عبر البحر، أنه صادف هو ومرافقوه قاربًا يحمل مغاربة فرّوا من الفرنسيين، الذين قاموا بنقلهم من مالطا إلى جنوة بهدف بيعهم[286].

يتضح مما سبق، أن الحجاج قد يكونون عرضة للاختطاف من قبل بعض الأطراف، مثل النصارى، الذين قد يهدفون إلى استرقاقهم. أما إذا تعلق الأمر بالأعراب، فإن هدفهم لا يكون اختطاف الحجاج أنفسهم، بل يقتصر على سلب ونهب ما يحملونه من أموال ومؤن.

هاجس الأمن: تحليل للمخاوف والتدابير الوقائية:

شكّلت ظاهرة اللصوصية هاجسًا يؤرّق الركاب الحجية المغربية، التي تكابد صعابًا جمّة من متلصّصة الدرب. إن ندرة الماء أو انعدامه في بعض المراحل، ووعورة الطرق والمسالك، بالإضافة إلى انعدام الكلأ والمؤونة اللازمين في بعض المراحل، لم تكن بنفس خطورة التعرّض للنهب من قبل متلصّصة الدرب. فالماء يمكن حمله في القِرَب للاستعانة به في المناطق التي ينعدم فيها أو يقل، ووعورة المسالك يمكن تجنّبها باتباع أسهل الدروب أو بالاستعانة بالمطايا لكسر صعوبتها. أمّا المؤونة والكلأ فيمكن شراؤها من القبائل والجماعات التي تسوق للركاب على طول الدرب الحجّي، بينما تظلّ اللصوصية وقطاع الطرق أكبر تهديد، إذ لا يمكن للحجاج التنبؤ بمكان وزمان ظهورهم. وعلى الرغم من معرفة الحجاج ببعض المناطق المشهورة بالسرقة، واتخاذهم الاحتياطات اللازمة، يبقى خطر التعرّض لهجمات اللصوص هاجسًا يراودهم طوال الرحلة[287]. هو ما يستدل عليه من قول العياشي أثناء رحيلهم من منطقة القليعة بالقرب من واركلا، حيث قال: "**ثم ارتحلنا من القليعة وسرنا نصف يوم والجبل عن يميننا، في يوم عاصف، إلى أن صعدناه عشاء**

283– عبد الإله بنمليح، **الاسترقاق في الغرب الإسلامي بين الحرب والتجارة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 2003، ص. 67.

284– العياشي، **الرحلة**، 132/1.

285– نفسه، 1/ 312.

286– جوزيف بت، **رحلة جوزيف بتس**، ص. 26.

287– حسن بولخبار، «**مخاطر الدرب الحجي من خلال الرحلة الناصرية الكبرى**»، مجلة مسارات تاريخية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 2024م، ص. 221.

وبتنا. وفي الغد سلكنا في أرض وعرة حرشة، إلا أنا وجدنا بها الكلأ للإبل فحمدناها... فلما تجاوزناها حصلت للركب روعة لخبر أخبروه أن بإزائهم قوم من العرب يريدون الإغارة »[288]. يتبيّن أن الركب يُصاب بالفزع، مما يُشكّل ضغوطًا نفسية على الحجاج الذين لا يتنفّسون الصعداء إلا بعد تجاوز تلك المناطق المشبوهة بسلام.

أورد العيّاشي في رحلته ألوانًا مختلفة من المعاناة التي تعترض سبيل الحجاج، ولم تكن غارات اللصوص –كما أشرنا– مقتصرة على مجال أو مجتمع معيّن، فحتى الأماكن المقدسة لم تكن تخلو من المتلصصين وقطاع الطرق، الذين يشنّون الغارات على الحجاج وهم بصدد أداء المناسك.

حرص العياشي في رحلته على تنبيه الحجاج من بعض الأماكن المعروفة بانعدام الأمن وتعرض أهلها للحجاج ، فقد وصف طرابلس وأقاليمها على أنها من «**أكثر البلاد سرقة، وأعرابها أعلم الناس باستعمال الحيل في ذلك، مع إقدام وهجوم بالليل إن تمكنوا من ذلك**»[289]. تصريح العياشي هذا نابع من تجربته وخبرته بالمجال، وبالتالي فقد أراد تثبيت هذه العبارة عن المنطقة لكي يحترس عابرو هذا الدرب من الحجاج عند مرورهم بهذا الموضع. وقد نبه رحالتنا إلى الأمر نفسه عند مروره بالجبل الأخضر، بقوله:« **عرب هذا الجبل من أشد العرب كفرا ونفاقا، لا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله، ليس عندهم من الدين إلا اسمه، لا حرفة لهم بعد تنمية مواشيهم إلا النهب والغارة، قل ما مر بهم ركب سلم من أنشاب الحرب بينهم وبينه بسبب غدرهم وفتكهم عند اشتغال الناس بالسوق معهم، وقد وقع لنا ذلك معهم مرارا**»[290]. يشتد خطر تعرّض الركاب لإغارة اللصوص في **المناطق الوعرة** التي تضيق فيها المسالك، ويستغلها اللصوص للانفراد بالحجاج وسلبهم ما حملوا من مال ومؤن. فالانفراد عن الركب، حسب العياشي يُمكن «**اللصوص من الإيقاع بمن تأخر أو انفرد عن الركب ويحصل من ذلك ضرر عظيم**»[291]. وتُعد التضاريس الوعرة التي يصعب التنقّل فيها من أكثر المناطق التي يكثر فيها تلصص قطاع الطرق، ففي عقبة أيلة، التي تجد الركاب صعوبة في عبورها، يقول العياشي: «**أخذنا في نزول العقبة، وهي...صعبة الهبوط والصعود... ولما كان المحل معروفاً بتلصص الأعراب وحرابتهم... وبعد أن نزلنا من المنحدر الصعب جعلت الطريق تلتوي في شعاب كأنها أزقة يكثر فيها المخاوف والمتالف**»[292].

يذكر العياشي أن بعض أعراب مصر في «**سنة خمس وخمسين قد عارضوا الركب فيما بين العقبتين، وأمير الحجاج الحاج عمران وعزموا على نهبهم، فلما علم الحجاج بذلك نزلوا وباتوا، فلما كان عند طلوع الشمس جاؤوا بخيلهم ورجلهم وأحاطوا بالركب، فصبر الحجاج صبر الكرام وقاتلوهم أشد القتال، وقتل الحجاج بعض خيل الأعراب وجرح كثير من الفريقين ، وكان في الركب جماعة من حجاج أهل تادلا نحو**

[288]– العياشي، **الرحلة**، 112/1.
[289]– نفسه، 177/1.
[290]– العياشي، **الرحلة**، 202/1.
[291]- نفسه، 272/1.
[292]– نفسه، 272/1.

الأربعين صعلوكا، فصدقوا القتال، ولولاهم مع لطف الله كاد الركب أن ينهب على ما أخبرونا، فلما أيس العرب منهم وعلموا صبرهم على القتال انصرفوا عنهم وقالوا: ظنناكم تجارا، وهم كاذبون»[293].

لا ينتهي خطر تعرّض الركاب للسرقة بوصولهم إلى الأماكن المقدسة، التي من المفترض أن تكون خالية من أهل السرقة والفجور نظرًا لقداستها ورمزية المكان لدى المسلمين، مثل مكة. إذ يسجل العياشي تعرضهم للسرقة وهم في مكة بقوله:"**بتنا في المنزل الذي اكتريناه ليلتين لقربه من المسجد اغتناما للطواف بالليل فإن الطواف بالنهار كالمتعذر من شدة الحر... وتركنا الخباء والإبل تلك الليالي بمترلنا بالحجون، ببيت فيه بعض أصحابنا، ولقوا من أذى السراق بالليل شدة؛ فإنهم يهجمون على الناس هجوما ويعظم أذاهم في أيام الموسم**»[294]. عزا العياشي سبب وقوع السرقة بمكة إلى تهاون حكامها وتساهلهم مع السرّاق و"**يعتلون... باختلاط الناس من جميع الآفاق، وتعدد الحكام؛ إذ لكل ركب حاكم، ويقولون لو أطلقنا اليد في الحكومة على كل سارق ربما وقعنا في بعض خدام أمراء الأركاب فيؤدي ذلك إلى الهرج في أيام الموسم، وتلك حجة ضعيفة**»[295].

لدرء شرّ اللصوص، لجأت الركاب إلى اعتماد استراتيجيات عدة تقيها من بطش تحرشات قطاع الطرق. وقد تنوعت الإجراءات التي اتبعتها بين المواجهة المباشرة، واتباع طرق لتجنب أذى اللصوص دون اللجوء إلى المواجهة. يذكر العياشي في غير موضع من رحلته كيف امتنع الركب عن سلوك المسارات المعروفة بتلصص الأعراب، مثل منطقة الجبل الأخضر بليبيا، حيث يقول: "**ثم ارتحلنا من سلوك، وتنكبنا طريق الجبل لوعرها وسوء خلق أهلها وتلصصهم على الحجاج، وسلكنا طريق السروال عن يمين الجبل**»[296]. أما في حالة إحساس الركاب بخطر المتلصصة أمامهم، فإنهم يلجؤون إلى **إعلان النفير والاستعداد للمواجهة** بتجهيز الأسلحة. يذكر العياشي أن ركبهم، في عقبة أيلة المشهورة "**بتلصص الأعراب، وحرابتهم تهيأ الناس وأخذوا حذرهم وأخرجوا أسلحتهم خوفاً من عدوانهم، فإن الغالب أنهم لا بد أن يتعرضوا للركب في هذا الموضع لصعوبته، وتقَدَّمت طائفة من الحجاج بمدافعهم أمام الركب وتأخرت طائفة**»[297]. ونفس الأمر وقع للركب في منطقة القليعة، عندما بلغهم خبر استعداد قوم من العرب للإغارة على الحجاج "**فشمر الناس للقتال وأخرجوا عدتهم، وهيؤوا آلة حربهم فلم يلقوا كيدا. وتبين بعد ذلك أن الخبر لا أصل له**»[298].

يتضح جليًا أن السلاح كان من الضروريات التي يحرص الحجاج على حملها، نظرًا لأهميته في التصدي للصوص وردعهم. لهذا، فلا مراء أن الحجاج كانوا يتجهزون، إلى جانب الزاد والمؤن والقِرَب، بالأسلحة النارية. ففي رسالة جوابية من العيّاشي إلى تلميذه وصديقه أحمد بن سعيد المكيلدي، قدم فيها نصائح وإرشادات مهمة لتعينه في سلوك طريق ميسّرة وتعرّفه بما يحتاج إليه من اللوازم الضرورية للدرب

---

[293]- نفسه، 218/1.
[294]- العياشي، الرحلة، 317/1.
[295]- نفسه، 317/1.
[296]- نفسه، 203/1.
[297]- نفسه، 281/1.
[298]- نفسه، 112/1.

الحجي، نصح العياشي تلميذه هذا قائلاً: "**خذ لنفسك ما تحتاج إليه من البارود والرصاص، و اتخذ لأصحابك ولنفسك مدافع لأربابها فإنها في الطريق هيبة وأي هيبة، واستكثر منها جهدك، وأمر من يستمع لك بذلك، فإنها نعم السلاح لمن هو في تلك الطريق**"[299].

نجد دلالات عدة في رحلة العياشي تبين حرص الحجاج على حمل السلاح؛ إذ ذكر، أثناء حديثه عن تفضيل التجار مرافقة الركب للاحتماء من قطاع الطرق، أن بعض التجار اصطحبوا "**جماعة من الحجاج نحو العشرة يذهبون معهم بمكاحلهم آخر الليل ويتقدمون، فأعطوهم شاة لكل واحد**"[300]. ولما كان السلاح ضروريًا لسلوك درب الحجاز، فإن بعض الصعاليك الذين لا يقدرون على شراء الأسلحة قد يلجؤون إلى ممارسة بعض الأعمال مقابل الحصول على السلاح تعويضًا لخدمتهم؛ فقد أورد العياشي أن «**بعض صعاليك الحجاج ممن قصده التمعش جلسوا عند سلطان واركلا وخدموا عنده وأعطاهم السلاح** »[301].

وصفوة القول، أن السلاح كان من الضروريات التي لا غنى عنها لسالك الدرب الحجي، نظرًا لعدم خلو الطريق من الجماعات التي احترفت النهب والحرابة والإغارة على الحجاج. وقد أشاد العياشي بشجاعة الحجاج المغاربة، كونهم محاربين أشداء يحسنون القتال ويكسرون شوكة الأعراب[302].

الاحتيال : أساليب التمويه واستراتيجيات الوقاية والتصدي.

إلى جانب خطر اللصوصية، تتعرض الركاب، إلى خطر بشري آخر لا يقل خطورة عن الأول، ويتمثل في الاحتيال الذي يتعرض له الحجاج في بعض مجتمعات العبور. تختلف هاتان الظاهرتان الاجتماعيتان في الطريقة التي يتم بها الاستيلاء على ممتلكات الحجاج؛ فالسرقة هي نزع ممتلكات الغير دون إذن وبشكل مباشر، في حين أن الاحتيال يقصد به الحصول على ممتلكات الغير عن طريق التضليل أو المكر والخداع. فالمحتال يقوم بإقناع الضحية بإيداع أمواله وممتلكاته بناءً على معلومات مضللة وكاذبة.

أولى العياشي في رحلته أهمية كبرى لظاهرة الاحتيال التي تعرض لها هو، أوقد يتعرض لها الحجاج في دربهم إلى الحج. كثيرة هي المواقف التي تعرض فيها رحالتنا للنصب والاحتيال من جماعات تحترف ذلك وتحسن طرق إسقاط الحجاج في شباك مكرهم، وتحدث عن براعتهم وإتقانهم لأساليب الإطاحة بضحاياهم.

إذا كان العياشي، الذي ينتمي لفئة النخبة، لم يسلم منهم، فلا شك أن عوامّ الحجاج يعانون من مكرهم أضعافًا مضاعفة. يشكل الجمالة وفلاحة مصر أكثر فئة نعتها العياشي بصفة الاحتيال، فقد تعرض رحالتنا للاحتيال من قبل بعض فلاحي مصر، ويتحدث عن هذه الواقعة قائلا: "**ولما نزلنا بأنبابة رددنا إبلنا مع بعض أصحابنا وما لا نحتاجه من الأثاث إلى قرية المنشية وبها بعض أصحابنا من الفلاحين، وقد تعرضوا لنا بالمنصورية، وتلك عادة الفلاحين عند قدوم الركب يتعرضونه ويتخذون الأصحاب ليودعوا عندهم الإبل ويتركوها عندهم أمد الإقامة طلوعا ورجوعا، وهم كما قيل: الحرص على الأمانة دليل الخيانة، فلا ترى أعجب من تلطفهم ولين خطابهم عند نصب شبكة الخداع للمغترمن الحجاج، فيحلفون بالإيمان المغلظة على أداء الأمانة وبذل المجهود في النصيحة حتى يركن إلى قولهم، ولو**

[299]– العياشي، **التعريف والإيجاز**، ص. 88-89.
[300]– العياشي، **الرحلة**، 1/208-209.
[301]– نفسه، 1/118.
[302]– نفسه، 1/ 218-219.

من جربهم مرارا، ثم عند المفاصلة قلما ينفصل معهم أحد بطيب نفس و من أمثال الحجاج المال المودع بعْ و انتفع، فالعاقل من باع ما فضل عنه من إبله أو ضاع، ومتى احتاج اشترى. ولكن رزق يسوقه الله للفلاحين من قديم الزمان لا مطمع لأحد في قطعه، ففي كل مرة نقول: متى رجعنا لا نودع عند أحد، فإذا عدنا استنزلونا بخلب بارق من وعدهم الكاذب حتى نقع في حبائلهم ونتورط في مخالبهم التي يعسر الخروج منها بدين سالم وعرض مصون»[303].

تعتبر فئة الجمالة، التي تنشط في فترة موسم الحج، فئة فاعلة تقوم بدور أساسي في تنقل الحجاج وحمل أمتعتهم؛ إلا أنهم قد يتحولون إلى فئة غير مرغوب في التعامل معها، بفعل مضايقتهم للحجاج واستعمالهم أساليب المكر والخداع في تعاملهم. تميز العياشي بكونه رحالة خبيرًا خبر درب الحج وخباياه، لذا فمن الطبيعي أن نجده محترزًا في تعامله مع هذه الفئة المعروفة بابتزاز الحجاج. تجربة العياشي مع فلاحي مصر -المذكورة آنفًا- وتوجّسه من الجمالة دفعته إلى تفضيل شراء الإبل والتنقل بها إلى الحجاز، على إيداعها لدى فلاحي مصر أو اللجوء إلى خدمات الجمالة لاستئجار الإبل اللازمة لحمل العلف أو الركوب. إذ يقول يوم عزم الحجاج الخروج من مصر: «**قدم الجمالون من الصعيد والأرياف، وكثر طالبو الكراء، واختلفت رغبات الناس، فمن قائل على الكراء، ومن قائل على الطلوع بإبله، فمن أراد الله راحة بدنه وتعب قلبه والخصومة آناء الليل وأطراف النهار اكترى، ومن أراد سلامة قلبه ودينه والمخاطرة بماله اشترى إبله**»[304]. ولتجنب ابتزاز الجمالة أوصى العياشي بأن «**لا يكتري أحد عند عرب الدرب للفول حتى يأتي شيخهم إلى أمير الركب ويتقاطع معه في الكراء، ويعطون له حملاء هناك بمصر لئلا يغدروا، ومع ذلك ربما غدروا في بعض السنين، فيغلى الفول في بعض البنادر**»[305].

يتضح إذن، أن العلاقة بين الحجاج والجمالة، وإن كانت في أصلها مبنية على المنفعة، بحيث يعتاش الجمالة من تقديم خدماتهم المتمثلة في كراء الإبل وحمل الأمتعة أيام المواسم، وفي المقابل يستفيد الحجاج من خدماتهم التي تسهل عليهم التنقل في درب الحجاز المعروف قساوة مناخه ومسالكه، إلا أن غياب عنصر الثقة الناتج عن ابتزازات الجمالة يدفع الحجاج إلى توخي الحيطة والحذر في تعاملهم معهم. فقاصد الحاج من المغاربة يحرص أشد الحرص على عدم افتعال المشاكل، وهذا ما نلمسه من نصح العياشي لأحد الحجاج بقوله: «**واعقد نية صادقة مع الله أنك لا تشاتم أحدا في طريقك ولا تماريه، وإن أحد شاتمك فقل: "إني ذاهب إلى ربي سيهدين**»[306].

المعيقات الطبيعية: تأثيرات المناخ والتضاريس.

تُعد العواصف الرملية من أعتى العوائق الطبيعية التي تعترض سبيل الحاج. فالدرب، الذي تشكل الصحاري الجزء الشاسع منه، معروف بهبوب العواصف الرملية التي تربك سير الركاب، إذ تقلل من مدى الرؤية بصورة كبيرة. حدثنا العياشي عن صعوبة الرؤية في عاصفة اعترضتهم وهم في منطقة مكوسا قرب وركلا قائلا: «**وفي اليوم الثالث منها أصبحت علينا ريح باردة في مكان كثير الرمل، وجاءتنا من أمام حتى لا**

[303]– العياشي، **الرحلة**، 224/1.
[304]– نفسه، 263/1.
[305]– نفسه، 263/1-264.
[306]– العياشي، **التعريف والإيجاز**، ص. 83.

يكاد الرجل يرى من بجنبه، ودامت علينا إلى الليل ولقينا منها شدّة وهي إحدى الأيام الـهُم»[307]. ويضيف في موضع آخر حين هبت عليهم رياح مرملة بين قرية والاّ والقليعة قائلا: «**ثم ارتحلنا ... في يوم عاصف لم نر مثله فيما تقدم من سفرنا، لقي الناس فيه كلالا، ولا تفتح العين إلا ملئت رمالا. فالركبان بأرديتهم مترفلون، والمشاة بجانب الإبل قهرا يرملون**»[308].

إضافة إلى ما قيل، تؤدي العواصف الرملية إلى تلوث مياه الشرب، وتتعدى ذلك إلى قتل الناس أحيانًا [309]. ومن الأضرار الأخرى الناتجة عنها قلع الأخبية وحرمان الركاب من إيقاد النار اللازمة لتحضير الطعام. يصف العياشي حال ركبهم عند تعرضهم لعاصفة بقصر العطيش قرب برقة، قائلا: "**وبتنا أمامه في سبخة... وقد أصابتنا يوم نزولنا بهذه السبخة ريح عاصفة حمراء قوية جدا أسقطت كثيرا من الأخبية دامت إلى الصباح، ولم نوقد نحن، ولا كثير من أهل الركب في تلك الليلة نارا ولا طبخت عشاء من قوة الريح، وعصمنا الأخبية بالحبال فما أغنى ذلك**»[310]. يفهم من قول العياشي أن العواصف تلزم الركاب على شد الأخبية بحبال لمنع قلعها. كما أن الغبار الناتج عن هذه العواصف يؤدي إلى صعوبة في التنفس، ما يؤدي إلى إصابة الحجاج بالاختناق[311].

الحرارة :

كانت لحرارة الدرب الحجي أثرٌ بليغٌ على ركب العياشي، وحملت رحلته إشارات عديدة تدلّ على حجم المعاناة التي لحقت بالركب. فدرب الحجاز، كثيراً ما يشهد ارتفاعاً في درجات الحرارة، ولا سيما المرحلة التي تربط بين ليبيا والحجاز نظرا إلى طبيعة المجال شبه الصحراوي القاحل، المتسم بامتداده الحراري الطويل[312].

ساهمت الطبيعة التضاريسية للحجاز في ارتفاع درجات الحرارة، فالجبال والأودية المقعرة تزيد من شدة الحرارة. وقد أفصح العياشي عن ذلك وهو بأحد أودية الحجاز يسمى وادي النار قائلاً: "**وهذا الوادي قد طابق الاسم فيه المُسَمَّى، قلما تخلو سنة من شدة تقع للحجاج فيه بحر أو عطش أو محاربين، وهو واد كبير ضيق بين جبلين لا سعة فيه من النبط إلى الخضيرة، فإذا متع النهار واشتد الحر حجبت الجبال عنه الهواء البحري فينعكس غربياً أو شرقياً صاعداً من الوادي أو منهبطاً، فيصير سموماً محرقاً ولا ماء هناك النبط إلى الينبوع، فربما أتلف الناس فيه عطش مهلك، وربما أحدث ذلك سمية من الأبدان بقبح الهواء مع حرارته، فتموت المئون بل الآلاف من الخلق في أسرع مدة، ويأخذ الرجل الماء فلا يضعه من يده حتى يموت، ووقوع ذلك كثير، إنما هو في الإياب وفي الركب المصري أكثر، وقد حضرنا لطف الله الذي لا يكيف، وغمرتنا مواهبه التي لا تحصى فلم نر في هذه السنة بأسا مع شدة هذا الحر و إفراطه فلا يمت أحد**»[313].

---

[307]– العياشي، **الرحلة**، 119/1.

[308]– نفسه، 111/1.

[309]– محمد الكريم قعدان، **الجبال والصحراء والأراضي العشبية**، منشورات العبيكان، السعودية، 2017م، ص. 27.

[310]– العياشي، **الرحلة**، 198/1.

[311] – *Raimond Thomassy, Le Maroc et ses caravanes*,p.45.

[312]– بولخبار، **مخاطر الدرب الحجي**، ص.211.

[313]– العياشي، **الرحلة**، 296/1.

لم يعانِ الركب السجلماسي من قسوة حرارة الدرب بشكل كبير، فبالرغم من أن مفازة برقة مشهورة بارتفاع درجة الحرارة المفرطة، إلا أن ركب العياشي لم يعان منها، إذ لم يَرَ الركب شدة الحر إلى حينما بلغ مصر. "**وأما قبل ذلك فقل ما يخلو... من ماء مطروكلا فوق الحاجة**"[314]. ويذكر لنا العياشي أن "**برقة في هذه السنة قد أنعم الله على وفده فيها، دخلوها في فصل الربيع فصادفوا ماء ومرعى**"[315].

إلى جانب مفازة برقة المعروفة بارتفاع درجة الحرارة، تعد المراحل الفاصلة بين مصر و الحجاز مجالاً يخشاه الحجاج لكثرة المهالك التي يلقونها فيه، ما يجعل الحجاج يضربون ألف حساب قبل نيتهم عبور هذا المجال. إذ يقول العياشي متوجساً منه: "**وكنا أيام إقامتنا بمصر، بل ومن قبل ذلك، قد أهَمَّنا أمر الحر في الدرب كثيراً ما استقبلنا فيه حارة القيظ وأوان اشتد الحر، مع صعوبة المسالك وكثرة المهالك، وجد السير وكثرة الشر، فجعلنا لا نلتقي أحدا ممن نتوسم فيه الخير إلا استودعناه الدعاء أن ييسر الله علينا، فوجدنا والله الحمد والشكر، بركة دعائهم، فلم نر في طريقنا، بفضل الله ما يسوؤنا**"[316] . وأكد العياشي سلامة ركبهم وعدم تأثرهم بالطريق من مصر إلى المويلح بقوله: "**وبالجملة من يومٍ خروجنا من مصر إلى المويلح لم نر حراً شديداً ولا مشقة فادحة ولا خوفاً موحشاً ولا عطشاً مؤلماً، لم نزل نتعرف من الله الخير والبركة وغاية الرفق واللطف في أنفسنا وأموالنا ودوابنا، نسأل الله أن يكمل علينا بالخير**"[317].

البرد :

بالرغم من أن درب الحجاز، كما ذكرنا سابقاً، معروف بارتفاع درجات حرارته، إلا أنه قد يشهد برودة شديدة في بعض فصول السنة. ذكرنا سابقا أن العياشي لم تصادف حجته الحر المهول الذي يشتهر به درب الحجيج، خصوصاً في المرحلة الفاصلة بين مفازة برقة ومصر، فقد "**أنعم الله على وفده فيها، دخلوها في فصل الربيع فصادفوا ماء ومرعى، وقلّ ما تخلو لهم ليلة من لحم وسوق، إما مع عرب يصادفونهم، وإما مع المنتجعين معهم أو التجار الذين انضافوا إليهم إذ لا يقدرون على المشي وحدهم، فهم يتحينون قدوم الحاج حتى يذهبوا في خفارته**"[318]. وبالرجوع إلى مربط الفرس -البرودة- فقد أشار رحالتنا إلى برد أصابهم بمنطقة وادي السبط، دماً وصفاً تنفيرياً لهوائه البارد بقوله: "صادفنا فيه ريح بارد كأنه من نفس جهنم وارد قد جمع إلى برده عصفا لا أكاد أستطيع له وصفا، ولم نبت إلى المغرب "[319] . ورغم ذلك، لم يكن البرد يشكل نفس الخطر الذي تمثله الحرارة على الركاب، إذ يمكنهم مواجهته بالملابس الثقيلة. لذلك نجد العياشي في رسالة إلى أحد أصحابه يوصيه بشراء ثياب للبرد من جربة، نظرًا لأهميتها والحاجة إليها في الدرب الحجي[320].

خاتمة:

---

[314]– نفسه، 208/1.

[315]– نفسه، نفس الصفحة.

[316]– العياشي، **الرحلة**، 270/1.

[317]– نفسه، 285/1.

[318]– نفسه، 208/1.

[319]– نفسه، 75/1-76.

[320]– العياشي، التعريف والإيجاز، ص، 110

نستخلص، انطلاقًا مما تم التطرق إليه، أن النص الرحلي عمومًا، ورحلة أبي سالم العياشي على وجه الخصوص، تمكِّن الباحث من بناء تصور شامل عن تيمة النقل والتنقل من المغرب إلى الحجاز خلال القرن السابع عشر الميلادي. ويُستشف من خلال عملنا في هذه المجال أن عملية النقل والتنقل لأداء فريضة الحج لم تكن بالأمر السهل، نظرًا لما يلاقيه السائر في هذا الدرب من صنوف العذاب والمعاناة التي امتزج فيها العاملان البشري والطبيعي، بدءًا من التحديات البشرية كخطر اللصوص واحتيال النصابين، وما بين التضاريس الوعرة والمناخ القاسي، مما زاد من صعوبة بلوغ الحجاج مقصدهم.

ورغم ذلك، فإن عزيمة الحجاج المغاربة كانت أقوى من تلك التحديات؛ فلم تثنهم هذه الصعاب عن زيارة قبر خير الأنام محمد ﷺ، وبذلوا في سبيل ذلك أرواحهم وأموالهم بسخاء، ولم ينقطعوا عن أداء هذه الشعيرة الدينية حتى في فترات الأزمات والمحن.

لائحة المصادروالمراجع:

المصادر:

- بتس جوزيف، رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة، ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 1995 م.
- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، منشورات الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م.
- العياشي عبد الله، الرحلة العياشية، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الجزء الأول والثاني، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2006م.
- العياشي عبد الله، التعريف والايجاز ببعض ما تدعو الضرورة له في طريق الحجاز، تحقيق، سعيد واحيجي، مشورات، مجلة امل، للتاريخ والثقافة والمجتمع، الطبعة الأولى، 2018م.
- القادري أحمد بن عبد القادر، نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس، تحقيق المصطفى مدوحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، 2020م.

المراجع:

- الحاتمي محمد، **الرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي**، منشورات جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط: الطبعة الأولى، 2012م،
- المغيربي محمد، رحّالة الغرب الإسلامي، ترجمة عبد النبي ذاكر، منشورات دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2013م.
- المنوني محمد، من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، 1953م.
- المودن عبد الرحيم ، **أدبية الرحلة**، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996م.
- بنمليح عبد الإله، الاسترقاق في الغرب الإسلامي بين الحرب والتجارة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 2003م.

- قعدان محمد الكريم، الجبال والصحراء والأراضي العشبية، منشورات العبيكان، السعودية، 2017م.
- ماگامان محمد، **الرحلات المغربية (ق.XI) - XII هـ / VIII - XXIIم**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى 2014م.

المقالات والمجلات:

- الإدريسي الفقيه، «**ركب الحاج المغربي بين إكراهات المجال وجاذبية المقامات المقدسة من خلال رحلة ماء الموائد لأبي سالم العياشي**»، ضمن، «**ركب الحاج المغربي، والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق**» منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال سلسلة ندوات ومناظرات رقم 12، 2013م.
- بلحسن سعاد، مرفولوجية ركب الحاج المغربي ووظيفته، ضمن، «**ركب الحاج المغربي، والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق**»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال سلسلة ندوات ومناظرات رقم 12، 2013م.
- بواجلابن الحسن ، «**المستوى اللغوي في الرحلة الناصرية و أثره في تشكيل المرجعية الثقافية**»، مقال منشور في مجلة **الدراسات الثقافية واللغوية والفنية** ، المركز الديمقراطي العرابي، العدد 17، 2021م.
- بولخبار حسن، «**مخاطر الدرب الحجي من خلال الرحلة الناصرية الكبرى**»، مجلة مسارات تاريخية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 2024م.
- علوي عبد الواحد، «**معطيات حول ركب الحاج السجلماسي من خلال كتب الرحلات الحجازية المغربية**»، ضمن مجلة، سجلماسة العالمة، العدد الخامس، مطبعة نيكوفير، الرشيدية. 2022م.
- معلمة المغرب، مادة: **ركب الحج المغربي**، 4410/13.

المراجع باللغة الأجنبية:

-Raimond Thomassy, Le Maroc et ses caravanes, ou Relations de la France avec cet empire*, Firmin-Didot frères, Paris, 2e édition, 1845.*

الأطاريح الجامعية:

- تال ديالو أحمادو ، **النقل والتنقل بالغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتب الفقه المالكي**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس 2006م.

Du traitement médiatique des femmes migrantes au Maroc : La Stratégie Nationale d'Immigration et d'Asile comme point charnière»

Achraf El Yahyaoui,

Doctorant-Chercheur, LARMODAD, FSJES-Souissi, Université Mohammed V-Rabat

achraf.elyahyaoui@um5r.ac.ma

Abstract : La présence des femmes migrantes au Maroc ne date pas d'aujourd'hui. Elle remonte loin dans le temps et leur visibilité s'accroit de manière constante. Leur profil et leur lieu de provenance se diversifient. Contrairement à d'autres sociétés voisines, la société marocaine voit le traitement de la femme migrante passer par deux phases majeures : de 1999 à 2013 et de 2013 à nos jours. 2013 est une année charnière, car elle marque non seulement l'intérêt que le Maroc porte à la question migratoire, mais aussi l'évolution, quoique limitée, dans le traitement réservé aux droits des migrants en général, et de la femme tout particulièrement, cette dernière étant par ailleurs assez souvent marginalisée dans les différents types de médias.

Mots-clés : Migration ; femme ; média ; stéréotypes ; intégration.

Introduction

Au carrefour de l'Afrique et de l'Europe, le Maroc est une terre de transit et d'accueil pour de nombreux migrants, hommes et femmes, venant principalement de régions pauvres et/ou politiquement proie aux guerres, en quête de meilleures conditions de vie ou parfois pour échapper à des situations assez difficiles.

Contrairement aux hommes, les femmes migrantes sont perçues et considérées différemment. Leur expérience et/ou périple migratoire est souvent complexe, marqués essentiellement par des difficultés multiples allant de la précarité économique à la vulnérabilité sociale. A cela, il faudrait ajouter les difficultés qu'elles rencontrent dans le pays d'accueil ou de transit et le traitement partiel dont elles sont l'objet par et dans les médias.

Les médias jouent un rôle crucial dans la construction des représentations sociales et des perceptions, non seulement à l'adresse des populations migrantes, mais aussi pour tout autre phénomène de nature sociétale.

La visibilité médiatique des femmes migrantes au Maroc est assez souvent limitée et peu apparente, leur voix étant généralement marginalisée. Les récits rapportés par les médias tendent souvent à se concentrer sur les aspects passionnels et sur la propagation des stéréotypes, occultant ainsi délibérément les réalités complexes de ces femmes migrantes.

En effet, les femmes migrantes sont généralement présentées comme étant un ensemble homogène, réduites ainsi à des clichés simplistes qui ne reflètent pas leur réalité et les difficultés qu'elles endurent. Cette simplification arbitraire contribue à renforcer davantage les préjugés et les discriminations à leur encontre, en les dépeignant médiatiquement comme des «envahissantes» ou des migrantes clandestines «indésirables».

Pourtant, derrière ces images se cachent des histoires riches et variées, des parcours de résilience et de lutte. Car, ces femmes sont aussi des actrices à part entière, contribuant à leur tour au développement économique, social et culturel du pays.

Le traitement médiatique des femmes migrantes au Maroc soulève des questions d'ordre éthique et déontologique, interpellant dans les approches adoptées, l'esprit d'équilibre, de nuance et l'obligation de respecter les droits fondamentaux des étrangers tels qu'ils sont explicitement exprimés dans la Constitution marocaine de 2011.

Ce traitement risquerait de diffuser une image déformée de ces femmes migrantes et de consacrer des représentations négatives de ces dernières dans la société. Seule une prise de conscience générale de la part de ces médias pourrait contribuer à promouvoir une image réaliste et humaine de ces femmes.

Délimitation et motivations scientifiques

Cette contribution est un essai exploratoire du traitement médiatique dont les femmes migrantes au Maroc sont l'objet. Elle consiste à analyser la manière dont les médias marocains abordent la question de la migration féminine, en mettant en lumière les différentes narrations et représentations qui sont véhiculées par les différentes productions médiatiques (reportages, émissions, articles de presse…etc.).

On y examinera aussi les divers facteurs économiques et sociaux qui impactent le traitement médiatique dont ces femmes sont l'objet, ainsi que les implications de ces représentations sur la perception du public et sur les politiques migratoires.

Les raisons qui motivent cette communication sont au nombre de trois. D'abord, il faudrait noter qu'il y a peu d'écrits scientifiques sur la question. Ensuite, la compréhension de ces représentations semble cruciale pour saisir les dynamiques sociétales et les enjeux liés à la migration féminine au Maroc. Enfin, étant donné le rôle central des médias dans la construction des discours et des perceptions, cet essai pourrait contribuer à sensibiliser davantage sur les réalités vécues par les femmes migrantes et à faire prévaloir des représentations plus justes et équilibrées.

Problématique

Cette communication a pour ambition de contribuer à combler une partie des lacunes constatées dans le domaine de la recherche académique portant sur le traitement médiatique de la question des femmes migrantes au Maroc. Nous nous attèlerons à mettre en lumière les diverses

représentations, les discours et les facteurs sous-jacents à travers une analyse de quelques médias locaux.

Pour ce faire, nous déclinairons notre problématique en trois grandes sous-problématiques :

- Quel est le profil général de ces femmes migrantes au Maroc ?

- Quelles sont les représentations que les médias cherchent à véhiculer à leur égard ?

- Quelles perceptions le public se fait-il de ces représentations médiatiques?

Méthodologie

La méthodologie que nous avons adoptée part d'une perspective exploratoire, à la fois descriptive et analytique. L'on s'arrêtera au niveau exploratoire, sur l'étude des principales productions médiatiques portant sur la place et l'image de la femme migrante.

Dans le même temps, l'approche descriptive nous aidera à relever les principales caractéristiques du phénomène étudié, en s'interrogeant plus particulièrement sur les facteurs qui incitent ces médias à adopter un tel traitement à l'égard des femmes migrantes au Maroc.

Partant d'une réflexion qualitative, l'on a recouru aussi à des méthodes plus empiriques telles l'observation et l'analyse des contenus, et ce pour pouvoir appréhender l'ensemble des aspects concourant à la construction des stéréotypes et des idées reçues.

Ce travail se structurera donc en deux grands axes. Le premier portera sur l'analyse des différents profils de la femme migrante au Maroc : pays de provenance, âge, état matrimonial et niveau d'éducation. Il portera aussi sur les facteurs l'ayant poussé à faire le choix de la migration. Le second aura pour objet l'analyse de la manière dont est traitée la femme migrante dans les divers médias, en termes de représentations et de perceptions. L'on conclura par un regard sur le rôle des réseaux sociaux en tant que relais de renforcement ou de déconstruction de ces images stéréotypées et dégradantes dont ces femmes continuent à faire l'objet.

1. Profil des femmes migrantes au Maroc

L'étude du profil des femmes migrantes établies au Maroc est essentielle pour la compréhension des dynamiques migratoires contemporaines et les implications qui en découlent. En effet, à travers une analyse fine de ce groupe démographique, l'on pourrait saisir les multiples dimensions se rapportant à leur situation et à leur parcours migratoire, tout autant qu'aux déterminants de leur départ et les défis rencontrés dans le pays d'accueil.

1.1 Eléments statistiques sur la migration féminine au Maroc

Au Maroc, la présence des migrantes issues de l'Afrique subsaharienne ne date pas d'aujourd'hui, d'autant qu'elle provenait de pays de confession musulmane. Pourtant, le profil de cette catégorie de migrantes s'est nettement diversifié avec le temps et leur visibilité sur le sol marocain s'est de plus en plus renforcée.

Ces migrantes (originaires d'Afrique de l'Ouest et d'Afrique centrale, encore moins de régions telles le Proche Orient) atterrissent le plus souvent dans les villes limitrophes, principalement à Nador, Oujda, Rabat ou Agadir, villes rejointes en faisant une longue traversée du désert mauritanien ou algérien.

Certaines études estiment à entre 50 000 et 70 000[321] le nombre de migrants subsahariens au Maroc. Selon les récents chiffres officiels publiés par les Nations Unies en 2020, les femmes représentent 48,5 % de l'immigration régulière au Maroc (OIM, 2020). A partir de là, l'on pourrait faire un recoupement qui nous conduit à une estimation de présence des femmes immigrées au Maroc, à quelques 30 000 femmes, à l'exception de celles en situation illégale, qui se compte par en milliers.

S'agissant de la structure de ces femmes, il semblerait intéressant de faire appel à l'enquête du Haut-commissariat au plan (HCP), intitulée «la migration forcée au Maroc», publiée en 2021. Quatre principaux points se dégagent de cette enquête points:

1.1.1 Répartition par pays de provenance et par âge

Pour les principaux pays d'origine de ces femmes immigrées, il faudrait noter que la République Démocratique du Congo (RDC) occupe la première place avec 53,8%, suivie de la Côte d'Ivoire avec 53,6%, la plus faible proportion revenant à la Guinée avec 27,6%, au Mali avec 29,9% et à la république de Centrafrique avec 32,8%[322].

S'agissant de la répartition par âge, presque la moitié des femmes se situe dans la catégorie d'âge 30 - 40 ans. Pour les autres catégories, elles se présentent comme suit :

Sexe	Groupe d'âge				
	15-29	30-44	45-59	60 ans et plus	Total
Masculin	44,7	40,7	12,8	1,8	100,0
Féminin	39,4	48,2	10,8	1,7	100,0
Total	42,5	43,7	12,0	1,7	100,0

Tableau 1 : Structure par âge des femmes migrantes au Maroc

1.1.2 Répartition par état matrimonial

Les données concernant l'état matrimonial sont fondamentales ici, car elles renseignent réellement sur les perspectives d'installation et de départ. En effet, l'état matrimonial des femmes immigrées au Maroc, affiche une prééminence de la femme immigrée célibataire. En termes de proportion, 51,7 % des femmes immigrées au Maroc sont des célibataires, 33,2 % sont mariées, 5,6 % sont divorcées, alors que celles en situation de concubinage représentent 2,7 %[323].

1.1.3 Répartition par niveau d'éducation

L'on observe à ce niveau, que les femmes immigrées au Maroc se distinguent par leur niveau de formation relativement élevé et les capacités professionnelles de qualité qu'elles possèdent.

En termes de statistiques, presque 22,5 % des femmes ont atteint le niveau de l'enseignement supérieur. La part des femmes ayant le niveau secondaire qualifiant est de 23,1%, le niveau

[321] https://www.infomigrants.net/fr/post/52374/le-maroc-de-plus-en-plus-un-pays-de-destination-pour-les-femmes-dafrique-subsaharienne, site consulté le 06/03/2024.
[322] HCP, «Migration forcée au Maroc», septembre 2021, p.34.
[323] HCP, enquête nationale…, p.36.

collégial 19,9% et le niveau primaire 17,29%. Par contre, la proportion des femmes immigrées sans instruction est de l'ordre de 16,4 % seulement[324].

1.1.4 Répartition par domaine de spécialisation

Pour ce qui a trait au domaine de spécialisation des migrants ayant obtenu un diplôme supérieur, l'on constate que trois spécialisations se détachent nettement : le commerce et la gestion (administration des entreprises) avec 24,2%, suivi du droit (9,2%) et des technologies de l'information et de la communication (8,5%).

En outre, on s'aperçoit que le domaine relatif au commerce et à la gestion est le domaine de prédilection des femmes (34,7%), la santé (6,6%) et le droit (11,4%) étant minoritaires. En revanche, les femmes sont moins présentes dans les métiers liés à l'ingénierie et techniques parallèles (1,1%), les TIC (7%), l'ingénierie et l'architecture (1,8%), les mathématiques et statistiques (1,5%) et les sciences physiques (1,1%).

1.2 Déterminants de la migration des femmes subsahariennes établies au Maroc

Les déterminants de la migration des femmes migrantes sont multiples et complexes. Ils peuvent diverger sensiblement en fonction de la région de départ, mais demeurent, pour leur majorité, motivés par les considérations économiques, celles qui sont liées aux perspectives d'amélioration des conditions de vie et le désir d'échapper à la pauvreté et toutes autres formes de précarité sociale.

En effet, depuis pratiquement deux décennies, l'on assiste à un durcissement des conflits armés en Afrique sahélo-sahélienne, mais également au Proche-Orient, deux régions du monde où sévisse un continuum de persécutions ethniques et politiques sans merci. Les groupes terroristes sont dynamiques dans les deux régions et sont en pleine expansion, portant grande atteinte aux infrastructures vitales et contraignant les populations à l'exil volontaire ou forcé.

Dans le même ordre, et parmi les facteurs explicatifs de ce type de migration, l'on trouve le facteur climatique. De nos jours, le changement climatique et tant d'autres problématiques environnementales constituent un défi majeur, dont les implications sont notoires. Ce fléau met l'Afrique à rude épreuve, et la place dans une course contre la nature pour lutter freiner la montée linéaire du réchauffement climatique et tirer parti des richesses du continent.

1.2.1 Déterminants socio-économiques

Le choix de la migration, opéré par les femmes migrantes au Maroc, est bel et bien un choix dicté par les considérations d'ordre social et économique. Dans ce cas de figure, la précarité[325] et les opportunités économiques limitées dans les pays d'origine sont les principales raisons qui poussent de nombreuses femmes à migrer pour améliorer leur situation.

Selon les données de l'Organisation Internationale pour les Migrations (OIM), en 2022, environ 58% des femmes migrantes subsahariennes au Maroc, déclarent avoir migré pour des raisons économiques (OIM, 2022).

[324]HCP, enquête nationale…, p.38.

[325]En entend ici par précarité, le fait qu'un citoyen, peu importe son pays d'origine, est fortement fragile au choc externe et qu'une crise économique peut être dévastatrice pour lui.

Cette fragilité économique de l'Afrique a été explicitement soulignée par le Rapport de la Banque Mondiale sur l'état de développement en Afrique de 2022.Ce dernier avance qu'en Afrique, 45 pays sont tributaires des produits de base, et leurs recettes sont très instables en raison de la nature du marché, caractérisé par des périodes d'envolée et de chute des prix[326].

Ce constat signifie l'incapacité de près de 83 % (45 pays des 54 pays que compte l'Afrique) des économies à créer les conditions normales dont les citoyens ont besoin. De nombreuses autres études ont relevé aussi que les économies africaines sont marquées par un très faible niveau de développement et une grande dépendance envers des marchés extérieurs fluctuants et instables.

Les récentes crises mondiales, à l'instar de celle des Subprimes en 2008, celle multidimensionnelle de COVID-19 de 2020, ou encore la crise résultant du conflit russo-ukrainien, ont enclenché des envolées brutales des cours des matières premières et un effondrement des finances publiques d'Etats africains fort dépendants du reste du monde.

Cette situation donne une idée sur la capacité de résilience de ces pays et montre que ces derniers sont incapables d'agir face aux chocs externes, lesquels pèsent lourdement sur les recettes de l'Etat et sur l'investissement tant public que privé. D'où un environnement social et économique de plus en plus assombri et des conditions propices pour quitter son pays.

D'un autre côté, les études portant sur la pauvreté, à l'image du rapport de la Banque Mondiale de 2018, notent que l'Afrique subsaharienne sombre dans l'extrême pauvreté, avec un seuil de revenu qui ne dépasse pas 1,9 dollars, soit beaucoup moins que les 3.5 dollars des pays à revenus intermédiaires (Banque Mondiale, 2018).

Selon le rapport de la Commission Economique de l'Afrique, relevant des Nations Unies, 18 millions de nouveaux pauvres supplémentaires sont apparus en Afrique en 2022, alors que le continent comptait déjà plus de la moitié de la proportion de pauvres, soit 54,8 %, la plus élevée au monde. Ce qui est alarmant, car 546 millions de personnes vivaient dans la pauvreté en 2022, soit plus de la moitié de la population du continent[327].

Outre la pauvreté endémique, le continent africain se heurte aussi à la problématique du chômage. Ce dernier est fortement corrélé aux potentialités économiques de l'Afrique. La situation empire encore faute d'un modèle de développement économique qui soit en mesure d'absorber les jeunes diplômés d'une part et de mettre fin aux inégalités sociales d'autre part. Selon un rapport publié en 2023 par le BIT (Bureau International du Travail), 9,4 millions de jeunes sont à la recherche d'opportunités professionnelles, soit un taux de 8,9 % (BIT, 2023).

La même institution internationale ajoute que pour la même année, près de 62 millions de jeunes, soit 25,9 % de la population jeune, sont considérés comme « *NEET* », terme signifiant qu'ils ne suivent ni formation, ni éducation, ni ne sont employés. Une statistique qui présente une hausse significative par rapport au taux de 22,2 % enregistré en 2013 (BIT, 2023). Face à cette vulnérabilité dont souffre l'Afrique (principalement subsaharienne), la femme africaine opte pour la migration et s'emploie pour gagner sa vie.

[326]Nations Unies, «Repenser les fondements de la diversification des exportations en Afrique : le rôle catalyseur des services financiers et des services aux entreprises », Rapport sur le développement économique en Afrique, 2022, p.19.

[327]https://www.uneca.org/fr/stories/l%E2%80%99afrique-doit-endiguer-la-pauvret%C3%A9-et-les-in%C3%A9galit%C3%A9s-sociales-pour-atteindre-ses-objectifs, site consulté le 06/03/2024.

1.2.2 Déterminants politiques

Au-delà des facteurs socio-économiques présidant à la migration des femmes africaines, l'on ne pourrait faire l'impasse sur la série de facteurs politiques et sécuritaires qui frappent de nombreux pays africains. Les facteurs politico-sécuritaires sont principalement dus à l'instabilité politique qui gagne une partie des pays africains du centre (Mali ; Niger ; Burkina-Faso et RDC) ou du nord (Libye, Tunisie principalement).

Les crises malienne de 2012 et syrienne de 2015 sont très significatives d'une telle réalité. Elles sont de nature politique (et ce au-delà de leurs causes) et ont conduit à de véritables drames humains humaines traduits par la fuite d'une grande proportion des ressortissants des deux pays, qui se meuvent au lendemain des conflictualités à différents pays voisins (dont principalement le Maroc, en raison de sa proximité avec l'Europe) pour échapper au calvaire et bénéficier du statut de réfugié, titre permettant une protection mondiale en vertu de la convention de Genève en 1951 (signée par le Maroc au lendemain de son indépendance).

Dans ces deux cas, une proportion importante concernait les femmes, jugées fort vulnérables à l'instabilité politico-sécuritaire, à cause principalement de leur genre, mais également aux enfants dont elles ont la lourde charge.

Selon les dernières données de l'UNHCR (Agence des Nations Unies pour les Réfugiés), le Maroc compte sur son territoire presque 14 500 réfugiés et demandeurs d'asile, dont 37,4 % sont des femmes, tandis que les syriens occupent la première place. La figure ci-dessous trace la montée linéaire du nombre de réfugiés depuis 2015 :

Figure 1 : Evolution des migrants et refugiés (2002-2022)

1.2.3 Déterminants climatiques

De nos jours, le changement climatique est considéré comme étant dramatique, pour le monde entier et pour l'Afrique en particulier. Il provoque des dégâts énormes sur les espèces vivantes, exacerbe les problèmes des écosystèmes et donne naissance à une série de défis difficiles à surmonter, ou du moins à en atténuer l'impact et les implications (sécheresses prolongées, inondations, désertification et érosion des ressources naturelles/des terres arables).

Les conséquences du réchauffement climatique sont réelles. Elles affectent directement les moyens de subsistance des populations (rurales notamment), mettent en péril la productivité et

entraînent l'effondrement des écosystèmes vitaux pour la survie humaine. Cette réalité contraint les populations locales à déserter, pour s'établir dans des régions moins affectées (littoral africain par exemple) ou pour déposer des demandes d'asile dans la perspective de devenir réfugié climatique.

Selon l'Agence Française de développement, l'Afrique se réchauffe plus vite que la moyenne mondiale. Le continent a vu ainsi ses températures augmenter de + 1,4 °C depuis l'ère préindustrielle contre + 1,1 °C à l'échelle du globe. En termes de chiffres, ce phénomène a provoqué en 2020, le déplacement interne de 7,4 millions de personnes, un chiffre qui, selon les spécialistes, est appelé à croitre en l'absence de mesures directes et efficaces[328].

2. Analyse du traitement médiatique des femmes migrantes au Maroc

Le traitement que réservent les médias aux femmes migrantes au Maroc est d'une grande importance, ne serait-ce que parce qu'il reflète les interactions entre migration et médias dans un contexte particulier. Dans un pays comme le nôtre, les femmes migrantes, venues d'Afrique subsaharienne ou d'une autre région du monde, se trouvent assez souvent au croisement de multiples formes de stéréotypes, de stigmatisation et de xénophobie, faits exacerbés par ailleurs, par les représentations véhiculées par certains médias.

De même, la manière dont les médias marocains façonnent la perception du public à l'égard des femmes migrantes (et des migrants de façon générale) est souvent superficielle, déformée et simpliste. Ils tendent souvent sous-estimer leurs vulnérabilités, précarités et les difficultés énormes auxquelles elles font face, allant même jusqu'à les dénigrer.

2.1. Evolution du traitement médiatique des femmes migrantes au Maroc

Le traitement médiatique de la femme migrante au Maroc est passé par deux étapes essentielles, maquées pour chacune, par un traitement particulier à l'égard de cette catégorie de migrantes. La première couvre la période de 1999 (date de l'accession au trône du Roi Mohamed VI) à 2013, la seconde s'étalant de 2013 jusqu'à nos jours.

2.1.1 La période de 1999 à 2013

La période d'avant 2013 a été spécifique. Car le paysage médiatique de l'époque était marqué par une influence grandissante de la presse écrite (rattachée aux partis politiques notamment) et une faible influence des médias privés ou des réseaux sociaux. Le traitement de la question migratoire par les médias marocains allait porter la marque de cette réalité puis de l'influence réduite des nouveaux outils médiatiques, web et réseaux sociaux.

Les médias jouent ici un double rôle. D'un côté, ils influencent l'opinion publique du pays d'accueil et endosse, de l'autre côté, une grande responsabilité dans le processus de prise de décision de la migration.

Pour la période de 1999 à 2013, le traitement médiatique de la question migratoire a été éminemment stéréotypé et surchargé d'idées reçues. En effet, c'est à partir de 1995, année de l'entrée en vigueur des accords de Schengen, que l'étau commence à se resserrer sur les migrants subsahariens au Maroc, avec l'institution d'un « partenariat politique et de sécurité »,

[328] https://www.afd.fr/fr/ressources/infographie-lafrique-face-au-changement-climatique, site consulté le 06/03/2024.

partenariat ayant indirectement pour principal objectif, le maintien des migrants illégaux sur le sol marocain. Dès lors, leur présence s'accroit de manière fulgurante.

Le premier acte médiatique relevé en réaction à cette situation était la Une de l'Hebdomadaire « Achamal » datant de septembre 2005. Ce dernier est allé jusqu'à comparer les migrants subsahariens à de véritables « criquets noirs » qui envahissent le nord du Maroc, avec mise en perspective d'une image de trois migrants subsahariens.

Le Tribunal de Tanger a d'ailleurs condamné le directeur de publication dudit journal pour «incitation à la haine raciale », lui infligeant ainsi une peine de prison avec sursis. C'est un message fort adressé à ce genre de propos et une mise en garde nette contre les éventuels dérapages xénophobes des médias marocains. Au cours de la même année, d'autres journaux ont réservé un traitement frôlant la xénophobie à cette question. L'on cite à titre d'exemple, le quotidien Al Haraka, organe du parti du Mouvement populaire ou L'Opinion, organe du parti de l'Istiqlal[329].

Certains médias se mettaient même à parler d'identité, en lançant des propos dégradants à l'égard de ces femmes, comme étant des femmes s'adonnant à la mendicité, n'hésitant pas à glisser dans le monde de prostitution et les qualifiant de manque d'hygiène.

En 2003 une nouvelle loi sécuritaire sur l'immigration a été instituée, loi fortement contestée par ailleurs, en raison de ses dispositions allant à l'encontre de certains droits des femmes, notamment les femmes fuyant les persécutions ethniques et les guerres, qui peuvent être appréhendées par la police avant même de pouvoir déposer la demande d'asile. Cette dimension n'a pas été relevée par les médias de l'époque.

L'on déplore aussi le fait que certains médias, par manque de réserve ou par indifférence, se sont livrés à comparer la femme migrante à l'épidémie d'Ébola. Ce stéréotype est parfois utilisé dans la rue à l'égard des femmes noires.

En 2012, le journal Maroc Hebdo emboîtait le pas à Achamal. Le journal titrait dans sa Une « le Péril noir », en référence aux migrants subsahariens qui envahissaient le Maroc, faisant la manche et le concubinage et pose un problème humanitaire pour le pays[330]. Le journal a fait l'objet, suite à cela, de vives critiques sur les réseaux sociaux.

Cette « Une » aura pour effet de créer un « électrochoc » pour une grande frange de la société marocaine. Un électrochoc salutaire d'ailleurs, puisqu'il a permis de réaliser combien les populations migrantes pouvaient être victimes d'un traitement passionné de la part de certains médias.

2.1.2 Période d'près 2013

L'année 2013 est fondamentale dans l'histoire contemporaine de la migration au Maroc. C'est une année de référence qui marque l'annonce par le souverain du lancement d'une nouvelle Stratégie, se voulant humaniste et volontaire, saluée vigoureusement par la communauté internationale et par la société civile marocaine.

[329] https://journalinbled.wordpress.com/2015/06/, site consulté le 07/03/2024.
[330] https://www.courrierinternational.com/article/2012/11/09/pourquoi-le-peril-noir-de-maroc-hebdo-provoque-l-indignation, site consulté le 07/03/2024.

Cette stratégie survient immédiatement après la remise par le CNDH (Conseil National des Droits de l'Homme) à la plus haute autorité du pays d'un rapport intitulé « Etrangers et droits de l'homme au Maroc : pour une nouvelle politique d'immigration et d'asile radicalement nouvelle ».

Cette stratégie a lancé des messages clairs à l'adresse de toutes les parties concernées. Pour ce qui est relatif aux médias, le CNDH exhorte les journalistes marocains à :

- s'abstenir de diffuser tout message incitant à l'intolérance, à la violence, à la haine, à la xénophobie, au racisme, à l'antisémitisme ou à la discrimination envers les étrangers ;

- promouvoir un traitement journalistique et des analyses équilibrées de l'immigration en mettant l'accent également sur ses aspects positifs ;

- combattre les stéréotypes et les discours négatifs sur la migration ;

- contribuer de manière active à la sensibilisation de la population contre le racisme et la xénophobie[331].

Au cours de la même année, une campagne de régularisation a été lancée et 92 % des 27,463 demandes de régularisation déposées ont été acceptées, dont 10,201 femmes, selon le Ministère chargé des marocains résidents à l'étranger et de la migration (MCMREAM).

Une prise de conscience grandissante a été constatée suite à cela, en particulier chez les journalistes qui n'ont pas manqué de développer des discours plus équilibrés en matière de migration. Mais cela n'a tout de même pas empêché la persistance de certains dérapages xénophobes.

L'étude effectuée par le Groupe arabe d'observation des médias dans la zone MENA (la région du Moyen-Orient et de l'Afrique du Nord) révèle qu'entre le 11 et 31 octobre 2015, cinq quotidiens arabophones marocains (Al Akhbar, Al Massae, Assabah, El Ahdath, Akhbar Al Yaoum) ont utilisé plus de 140 fois des discours «insultants, stigmatisants ou haineux » « principalement dans des articles politiques publiés par les quotidiens Al Ahdath Al Maghribia (37 %) et Al Akhbar (29 %)»[332].

Le chercheur Massimiliano Di Tota, chercheur en migration, déplore le manque de couverture médiatique et le désintérêt des journalistes quant aux questions migratoires relatives aux migrants subsahariens qui rejoignent sans cesse le Maroc. Ce dernier compte huit journalistes professionnels s'intéressant au sujet de façon régulière[333].

Pour Salaheddine Lemaizi, des journalistes de la presse francophone, notamment Hassan Bentaleb de Libération et Julie Chaudier, journaliste indépendante basée à Casablanca, présentent des « analyses fort pointues » sur les questions migratoires, avec des articles montrant souvent en lumière les aspects négligés, tout autant que les exactions que subissent les populations migrantes par les autorités marocaines.

[331] CNDH, « Etrangers et droits de l'Homme au Maroc : pour une nouvelle politique d'immigration et d'asile radicalement nouvelle », Rabat, 2013.

[332] Elisabeth Byrs et Julia Burpee, «Média et Migration : Couverture médiatique de la migration : l'influence des différents médias sur l'opinion publique au Maroc », OIM/Union européenne, mars, 2017,p.15.

[333] Elisabeth Byrs et Julia Burpee, Média …,p.13.

« Le droit à un environnement sain fait partie intégrante des valeurs socialistes » ; « Les migrants, une aubaine pour le Maroc ? » font partie de la série d'articles publiés par Bentaleb.

Le manque de couverture de la question des réfugiés Syriens au Maroc est ainsi déplorable. Depuis le début de leur arrivée (à partir de 2015), les femmes syriennes sombrent dans la précarité et la misère.

Cependant, on peut souligner l'effort de certains journalistes de télévision qui évoquent de temps à autre, ces questions, comme par exemple les journalistes de l'émission « 60 minutes » de Medi 1 TV (il y a huit ans), dont les invités représentent les principales parties prenantes engagées dans le domaine. But : discuter le bilan de 3 ans du lancement de la Stratégie.

En août 2021, un article majeur est paru dans le média francophone Jeune Afrique, abordant les femmes migrantes mères. Selon JA, ces femmes sont exposées à toutes sortes de danger, dont principalement d'être proies aux proxénètes et les précriminels.

L'importance de l'article venait de la lumière qu'il avait mise sur l'association Kirikou, créée en 2015 par un Franco-Sénégalais, avec pour principal objectif de prendre en charge les enfants des femmes migrantes vulnérables et les mineurs isolés au Maroc, pour leur permettre de trouver un emploi et subvenir à leurs besoins[334].

L'institut du Genre en Géopolitique abonde dans le sens de l'article de Jeune Afrique. L'institut dans un article paru en octobre 2023 sur son site, fait savoir que face aux multiples dangers, les femmes migrantes au Maroc sont contraintes de s'organiser pour éviter la violence. Il met en évidence l'absence de chiffres officiels sur la violence faite à ces femmes.

Néanmoins, l'ONG Médecins Sans Frontières (MSF) met en avant un phénomène « aux proportions immenses ». L'ONG avance qu'à ces locaux, 1/3 des femmes migrants prises en charge témoignent avoir déjà été victime une ou plusieurs fois, que ce soit dans son pays d'origine, au cours du périple migratoire ou sur le territoire marocain[335].

En outre, les femmes migrantes dénoncent constamment le racisme affiché dans les transports en commun, tout autant qu'au logement où, comme à Casablanca, l'on observe des pancartes affichant l'interdiction de louer aux africains.

2.2 Quelles perceptions du traitement médiatique de la femme migrante au Maroc

Le traitement médiatique de la femme migrante est variable. Il reste tributaire d'un grand nombre d'éléments dont principalement le professionnalisme et la déontologie. Ce traitement est tantôt positif tantôt négatif, et ce selon le contexte en question.

2.2.1 Avec la société marocaine

Nous ne savons pas représenter les étrangers dans nos sociétés, note le professeur François Crépeau, Rapporteur Spécial des Nations Unies depuis 2011, les migrants n'apparaissent pas, ne se plaignent pas et n'ont pas voix au chapitre, car ils ont peur du renvoi et de la stigmatisation.

[334] https://www.jeuneafrique.com/1213751/societe/maroc-mountaga-diop-les-femmes-migrantes-seules-avec-enfants-sont-des-proies, site consulté le 07/03/2024.

[335] Perle Guichenducq (2023), Au Maroc, les femmes migrantes subsahariennes s'organisent entre elles pour éviter les violences, *Institut Géopolitique du Genre*. https://igg-geo.org/?p=15645,

Aujourd'hui, un traitement négatif de la femme migrante porte en son sein plusieurs préjudices, car elle peut prendre part, à l'égard des marocains, au processus de développement via la mise à disposition de sa compétence et de son savoir-faire.

Néanmoins, les médias sont en mesure d'agir sur deux voies. Ils peuvent aller dans le chemin de la stigmatisation et la tenue de propos comme « les femmes migrantes viennent voler notre boulot » ou le contraire (valoriser leur contribution). Dans ce cas, le comportement qu'adopte le marocain envers la femme migrante est amené à s'adoucir, si les médias empruntent la voie d'une présentation juste, positive et impartiale.

Néanmoins, avec l'avènement des nouvelles technologies de l'information et de la communication (TIC), une nouvelle ère s'ouvre. Leur usage progresse et entraîne ainsi une évolution des médias et leur influence auprès du public.

Aujourd'hui, entre 57,1 et 60,7 % de la population marocaine, aux alentours de 33,8 millions est en ligne (20,068,556 internautes en 2016), selon l'Union Internationale de Télécommunication. De même, l'usage des réseaux sociaux monte exponentiellement, avec près de 27 millions de marocains utilisateurs de WhatsApp et près de 23 millions pour Facebook[336] (Cf. Figure ci-après).

Figure 2 : Usages des nouveaux médias

Si les marocains affichent un intérêt grandissant et un fort engouement pour les réseaux sociaux, l'usage de ces derniers pourrait devenir une arme majeure des médias dans leur stratégie d'influence.

Deloitte (Organisation mondiale spécialisée dans le conseil) résume de la sorte les nouvelles pratiques à employer à l'avenir par toute organisation/société désireuse de faire passer un message à des fins multiples : «la forte augmentation des utilisateurs de smartphones et de réseaux sociaux en Afrique favorisera […] la visualisation de plus en plus fréquente des vidéos courtes ce qui impactera sûrement le 'profilage' et le ciblage publicitaire»[337].

2.2.2. Avec les pouvoirs publics

[336] https://aujourdhui.ma/economie/usage-des-tic-les-grands-constats-de-2020, site consulté le 06/03/2024.
[337] Elisabeth Byrs et Julia Burpee, « Média …,p.45.

Les médias se servent de plusieurs moyens dans le but d'exercer une influence certaine. S'agissant des pouvoirs publics, les médias peuvent les amener soit à un durcissement de la politique migratoire soit à l'assouplissement de ces dernières.

On pourrait miser, à titre d'exemple, sur une intermédiation entre les organes de défense des droits des migrants (de concert avec les représentants même de ces migrants) avec le pouvoir public, soit pas le biais d'une confrontation de points de vues (dans des émissions par exemple), ou à travers des reportages et des enquêtes afin de leur transmettre le message idoine, susceptibles de contribuer à d'éventuelles améliorations de la situation.

Avec le concours de la société civile, les médias peuvent jouer un rôle clef dans la couverture de ses travaux portant sur le suivi de la situation de la femme migrante au Maroc, en élaborant régulièrement des rapports parallèles pointant du doigt les points à rattraper en ce qui concerne le respect des différentes conventions ratifiées par le Maroc, à l'instar des conventions en relation avec les réfugiés, avec l'élimination de la discrimination à l'égard de la femme ou celle sur les travailleurs migrants et les membres de leur famille.

2.2.3 Rôle réseaux sociaux comme relais

Pour Jean-Paul Marthoz, dans son ouvrage « Couvrir les migrations » : « face à des sujets aussi "chargés" que les migrations, le journalisme a un choix : contribuer par ses négligences, ou par son indifférence au malheur du monde ou, au contraire, participer, dans le respect des règles du métier à la défense de la dignité humaine ».

Pour déconstruire l'image erronée portée vis-à-vis des migrants et la femme migrante en particulier, les journalistes doivent prendre appui sur les réseaux sociaux, notamment sur Facebook, YouTube et Instagram, eu égard au grand nombre d'utilisateurs, de la grande capacité d'influence et de l'esprit de créativité que peuvent renfermer les contenus orientés vers la sensibilisation.

S'agissant de Facebook, la popularité qu'il revêt est incontestable, pour toutes tranches d'âge et pour les deux genres (Voir la dernière figure).

La page Facebook du Haut-Commissariat des Nations-Unies pour les Réfugiés (HCR), comporte 4 millions d'abonnés. L'OIM-Maroc, quant à elle, voit le nombre de ses abonnés en accroissement, avec près de 3500 abonnés. Les deux organisations publient régulièrement des vidéos/témoignages sur des réfugiés, leurs malheurs et les aides qui leur sont accordées, et reçoivent des milliers de mention Like et autant de partage.

Pour ce mois de Mars (où la journée de la femme est fêtée mondialement), l'OIM-Maroc met en avant sur Facebook, le rôle des femmes dans le développement mondial. Elle souligne que les préjugés sexistes ont longtemps restreint l'accès des femmes au travail et entravé le plein développement des économies.

Étant donné que 93 % des utilisateurs des réseaux sociaux au Maroc passent la plupart de leur temps sur Facebook, le potentiel d'influence de ce dernier est énorme et se doit d'être exploité pour sensibiliser l'opinion sur la question migratoire au Maroc[338].

[338]Elisabeth Byrs et Julia Burpee, « Média …,p.46.

Quant à YouTube, le réseau représente le deuxième réseau le plus consulté au Maroc. Le contenu en relation avec la question migratoire oscille entre conseil/orientation et sensibilisation. En guise d'exemple, depuis sa création en 2006, plus de 23,000 personnes sont abonnées au compte YouTube du HCR des Nations Unies. Les vidéos du HCR ont été vues plus de 10 millions fois[339].

Outre ces deux plateformes, l'on ne pourrait faire l'impasse de Instagram. Ce dernier a fait preuve à maintes reprises de son efficacité, à la fois pour produire des photos et des vidéos très courtes comparativement aux long-métrages suscitant l'ennui à cause de la pléthore d'informations multimédia déjà présente sur les autres réseaux.

En s'appuyant sur ces réseaux, tout devient ciblé grâce à des méthodes appropriées. Autrement dit, la tâche devient facile et le ciblage des populations devient maitrisable, tout autant que les autres tâches connexes inhérentes au suivi et à l'évaluation des résultats des campagnes de sensibilisation.

Cependant, étant donné que les médias sont sous la tutelle de la réglementation, il semble fort judicieux et fondamental de préciser leur le rôle qui leur incombe. Lors d'une rencontre internationale organisée par la HACA, en marge de la signature du pacte de Marrakech en 2018, la présidente de l'institution avait mis en garde contre la représentation récurrente de la migration comme une crise géopolitique contemporaine, alors que le phénomène migratoire est inhérent à l'histoire de l'humanité.

La présidente de la HACA a souligné également la responsabilité des régulateurs en matière de promotion d'un traitement médiatique rigoureux et éthique de cette question, insistant sur le fait que les médias seraient une nouvelle fenêtre d'émergence d'un nouveau type d'immigré qui n'est plus doublement absent (de son pays d'origine et de celui d'accueil) mais doublement présent et en contact permanent avec diverses communautés avec qui il interagit[340].

Or, si les réseaux sociaux constituent l'espace favori pour les jeunes marocains et la principale cible des campagnes de sensibilisation, il ne faut pas sous estimer le rôle des autres médias, qui, eux aussi, ont leur part d'influence. Autrement dit, chaque média joue son rôle : la télévision informe les femmes, la radio les chauffeurs de taxi et les réseaux sociaux les jeunes.

Conclusion

La femme migrante est présente au Maroc depuis pratiquement deux décennies, les études et enquêtes menées par différentes instituions nationales et nationales montrent l'accroissement de leur nombre et la diversification de leur profil, leur pays de provenance ainsi que leur niveau d'éducation.

La femme migrante au Maroc œuvre dans des domaines variés, allant de la couture à la coiffure et leur visibilité au sein de la société marocaine devient un fait courant, en raison des liens privilégiés qui lient le Maroc aux autres Etats de l'Afrique, incarnés principalement par la volonté des partenariat sud-sud en cours.

[339]Ibid.

[340] Conférence Internationale des Nations Unies, « Le rôle des médias et des régulateurs africains et méditerranéens face à la crise des migrants et réfugiés », Réseau des instances de régulation méditerranéenne ; Haute Autorité de Communication Audiovisuelle ; Réseau des instances africaines de régulation de la communication, Marrakech,2018,p.4.

Néanmoins, le traitement que réservent les médias marocains à la femme migrante est généralement négatif, stéréotypé et simpliste. Il va dans le sens du discours passionné, marqué essentiellement par une image erronée «collée sur le dos » de la femme migrante, et faisant parfois montre d'une discrimination sans détours.

Depuis le tournant opéré sur la question migratoire par la mise en place de la SNIA, les médias épousent la prudence et craignent les implications d'un éventuel dérapage et la perte de crédibilité.

La généralisation des TIC et des réseaux sociaux devient une arme à double tranchant. D'un côté, un usage à des fins de sensibilisation et de partage de bonnes pratiques, et de l'autre côté un usage déboussolé, distingué par des agissements anti-migratoires. Ceci interpelle la déontologie du métier de journaliste, mais aussi les lois sur la discrimination et la xénophobie ainsi que le degré de respect des conventions signées.

Bibliographie

Conférence Internationale des Nations Unies, « Le rôle des médias et des régulateurs africains et méditerranéens face à la crise des migrants et réfugiés », Réseau des instances de régulation méditerranéenne ; Haute Autorité de Communication Audiovisuelle ; Réseau des instances africaines de régulation de la communication, Marrakech, 2018.

CNDH, «Etrangers et droits de l'Homme au Maroc : pour une nouvelle politique d'immigration et d'asile radicalement nouvelle », Rabat, 2013.

Elisabeth Byrs et Julia Burpee, «Média et Migration : Couverture médiatique de la migration : l'influence des différents médias sur l'opinion publique au Maroc », OIM/Union européenne, mars, 2017.

Perle Guichenducq (2023), «Au Maroc, les femmes migrantes subsahariennes s'organisent entre elles pour éviter les violences », Institut Géopolitique du Genre. https://igg-geo.org/?p=15645,

HCP, « Migration forcée au Maroc », septembre 2021.

Nations Unies, «Repenser les fondements de la diversification des exportations en Afrique : le rôle catalyseur des services financiers et des services aux entreprises», Rapport sur le développement économique en Afrique, 2022.

Webiographie

https://aujourdhui.ma/economie/usage-des-tic-les-grands-constats-de-2020,

https://www.uneca.org/fr/stories/l%E2%80%99afrique-doit-endiguer-la-pauvret%C3%A9-et-les-in%C3%A9galit%C3%A9s-sociales-pour-atteindre-ses-objectifs,

https://www.afd.fr/fr/ressources/infographie-lafrique-face-au-changement-climatique,

https://journalinbled.wordpress.com/2015/06/,

https://www.courrierinternational.com/article/2012/11/09/pourquoi-le-peril-noir-de-maroc-hebdo-provoque-l-indignation,

https://www.infomigrants.net/fr/post/52374/le-maroc-de-plus-en-plus-un-pays-de-destination-pour-les-femmes-dafrique-subsaharienne,

https://www.jeuneafrique.com/1213751/societe/maroc-mountaga-diop-les-femmes-migrantes-seules-avec-enfants-sont-des-proies,